

المملكة العربية السعودية
وزارة المعـــارف
وكـالة الآثـار والمتـاحـف



ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية

حمايتها والمحافظة عليها

الرياض ١٥ ـ ١٨ (رجب) ١٤٢٠هـ / ٢٤ ـ ٢٧ (أكتوبر) ١٩٩٩م

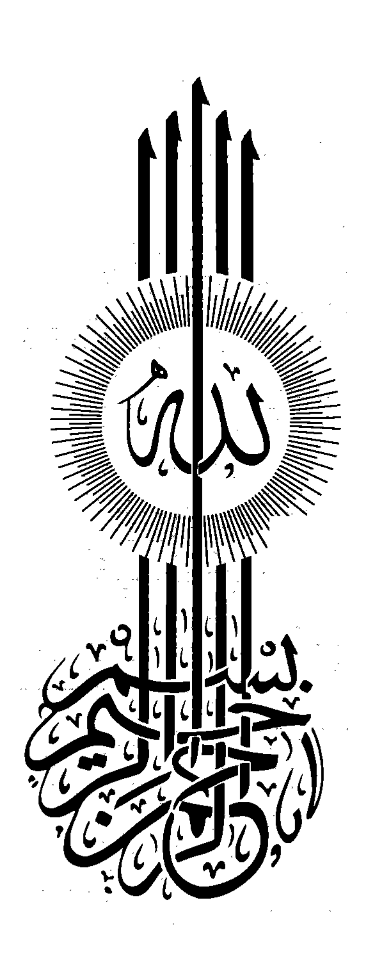
البحوث والدراسات

المجلد الأول

١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

ح وزارة المعارف ، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية ، وزارة المعارف ، وكالة الآثار والمتاحف
ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية : حمايتها والمحافظة عليها
(الرياض ١٥ ـ ١٨ رجب ١٤٢٠هـ / ٢٤ ـ ٢٧ أكتوبر ١٩٩٩م) ـ الرياض
٤٦٢ صفحة ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك ٦ ـ ٦٠٤ ـ ١٩ ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)
٤ ـ ٦٠٥ ـ ١٩ ـ ٩٩٦٠ (ج ١)
١ ـ السعودية ـ آثار ـ ندوات أ ـ العنوان
ديوي ٩١٥,٣١ ٢٢ / ٤٢٨٦

رقم الإيداع : ٢٢ / ٤٢٨٦
ردمك : ٦ ـ ٦٠٤ ـ ١٩ ـ ٩٩٦٠ (مجموعة)
٤ ـ ٦٠٥ ـ ١٩ ـ ٩٩٦٠ (ج ١)



ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية

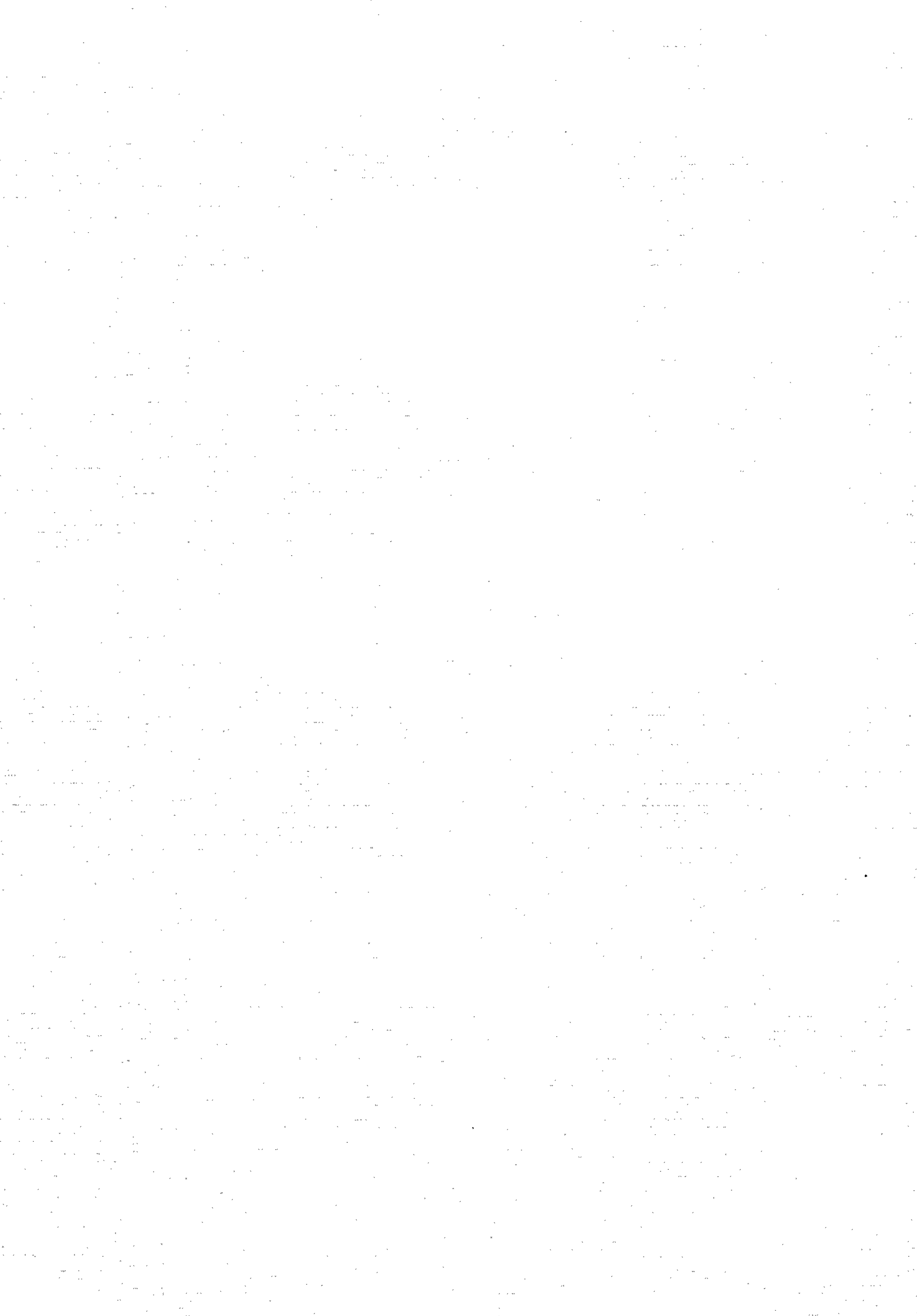
حمايتها والمحافظة عليها

الأبحاث التي قدمت للندوة خلال الفترة

من ١٥ ـ ١٨ (رجب) ١٤٢٠هـ / ٢٤ ـ ٢٧ (أكتوبر) ١٩٩٩م

إشراف

الأستاذ الدكتور / سعد بن عبدالعزيز الراشد





يتزامن صدور هذا الكتاب مع مرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك

فهد بن عبد العزيز

- حفظه الله - مقاليد الحكم



المحتـــويات

العنـــوان	الصفحة

تصـديـر ١١

افتتاح الندوة ١٣

كلمة صاحب السمو الملكي/ وزير الداخلية ١٥

كلمة معــالي وزيـــر المعــارف ١٧

كلمة وكيل الوزارة للآثار والمتاحف ٢١

الأبحـــاث :

١- الآثار بن عوادي الزمن وإهمال البشر

أ. د عبد الرحمن بن محمد الطيب الأنصاري ٢٩

٢- الآثار في المملكة العربية السعودية واقعها ومستقبلها

أ. د سعد بن عبد العزيز الراشد ٣٩

٣- نقوش تهامة الشاهدية : إهمالها والعبث بها

أ. د أحمد بن عمر الزيلعي ٩٣

٤- السياحة البيئية أداة للمحافظة على المواد التراثية

أ. د عبد العزيز بن حامد أبو زنادة ١٠٩

٥- تصميم البرامج التدريبية لحماية الآثار الإسلامية

أ. د فضل الله علي فضل الله ١١٩

٦- الآثار في منطقة الباحة

أ. د ضيف الله بن يحيى الزهراني ١٤٥

٧- المتحف الوطني ودوره في حماية وحفظ آثار وتراث المملكة

د . علي بن صالح المغنم ١٨٣

٨- حماية الآثار الغارقة في المملكة العربية السعودية

د . عبد الله بن سعود السعود ٢١٩

العنـــوان	الصفحة

٩- درب البكرة طريق التجارة العربية القديمة بين الحجر والبتراء

د . علي بن إبراهيم غبان ٢٣١

١٠- التراث التقليدي بين الاهتمام والاستنزاف

د . عبد الله بن ابراهيم العمير ٢٤١

١١- آثار التعدين القديمة في المملكة العربية السعودية

د . حسين بن محمد صابر ٢٥٧

١٢- أمن المتاحف والآثار

د . معجب بن معدي الحويقل ٢٦٧

١٣- التراث الطبيعي ودوره علمياً وسياحياً

د . عبد العزيز بن عبد الله بن لعبون ٢٨٧

١٤- بعض الآثار التاريخية في منطقة المدينة المنورة

د . بريك بن محمد أبو مايله ٣٤١

١٥- مخاطر التطور العمراني على الآثار

د . ناصر بن علي الحارثي ٣٦٩

١٦- المحافظة على الآثار والحياة الفطرية في الأدب الشعبي

د . مسلم بن دخيل الشامان ٣٩٥

١٧- آثار الملوثات الناجمة عن المركبات على الآثار

د . علاء بن عبد الرحمن البكري ٤١١

١٨- الإثنوأر كيولوجيا وإمكانية تطبيقها في دراسة الحرف الشعبية في المملكة العربية السعودية

د . يوسف بن مختار الأمين ٤٢١

١٩- الحماية القانونية للآثار السعودية على الصعيد الوطني والدولي

د . حسام الدين بن محمد أحمد ٤٤١

تصدير

تناط بوزارة المعارف ممثلة في وكالة الآثار والمتاحف مسؤولية حماية الآثار والمحافظة عليها والعناية بها لأهميتها بوصفها تراث الأجداد وموروثهم الحضاري إلى الأجيال المتعاقبة لما تحتويه من شواهد حية عما خلفه لنا الإنسان من صروح شاخصة وكنوز مكنونة ومنجزات حضارية خالدة أصبحت فيما بعد من المصادر التي يعول عليها الدارسون والباحثون في الكشف عن تاريخ وحضارات البشرية والشعوب لكونها من أوثق المصادر التاريخية التي لا يتطرق الشك إلى أصالتها والاعتماد عليها .

ومن هذا المنطلق فقد عقدت الوكالة ندوة علمية عن حماية الآثار والمحافظة عليها برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير / نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية ، وكان من أهدافها نشر الوعي الآثاري بين المواطنين والمقيمين على أرض المملكة العربية السعودية الغالية على قلوبنا جميعاً ، وتبصيرهم بأهمية الآثار والمحافظة عليها ، والحد من امتهانها والعبث بها وإساءة استخدامها ، وكذلك إبراز الدور التاريخي والتثقيفي والتعليمي لها ، وإشراك القطاعات الحكومية الأخرى ذات العلاقة في المسؤولية عن أمن الآثار وخاصة وزارة الداخلية ، والبحث عن الوسائل والسبل الرامية إلى إيجاد جهاز أمني خاص بالآثار فيما يعرف باسم (شرطة الآثار) .

وقد اشتملت الندوة على سبعة محاور هي على النحو الآتي :

المحور الأول : (الآثار والتعليم) .

المحور الثاني : (المتاحف واجهة حضارية) .

المحور الثالث : (الآثار والحقوق الخاصة والعامة والدولية) .

المحور الرابع : (الآثار والمخاطر المحلية والدولية) .

المحور الخامس : (الأمن والمحافظة على الآثار) .

المحور السادس : (الآثار والقطاعات ذات العلاقة) .

المحور السابع : (الآثار والتراث المادي) .

وتفضل صاحب السمو الملكي الأمير / نايف بن عبدالعزيز بافتتاح الندوة عصر يوم

الأحد ١٤٢٠/٧/١٥هـ الموافق ١٩٩٩/١٠/٢٤م ، بقاعة الملك عبدالعزيز للمحاضرات ، وكذلك افتتح سموه المعرض الثقافي بالمتحف الوطني الذي اشتمل على : معرض الكتاب الثقافي الآثاري ، ومعرض الصور للآثار من عدد من مناطق المملكة ، ومعرض الفن التشكيلي عن البناء القديم ، ومعرض عن الطوابع التاريخية . وخلال أيام جلسات الندوة العلمية ألقيت أربع وثلاثون ورقة عمل قدمها علماء وباحثون من المتخصصين في مجال الآثار والمتاحف ورجالات التربية والتعليم والأمن والدفاع المدني والاقتصاد وحماية الحياة الفطرية .

وقد خلصت الندوة بتوصيات بلغت سبعاً وعشرين توصية يؤمل أن تحقق الأهداف المرجوة منها إن شاء الله تعالى ، وقد وجه المقام السامي الكريم المجلس الأعلى للآثار بتفعليها ، كما لاقت استحسان صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز راعي الندوة .

وقد أصدرت وكالة الآثار والمتاحف بهذه المناسبة مجموعة من الإصدارات هي :

١ ـ ملخص البحوث .
٢ ـ دليل الكتاب الآثاري .
٣ ـ دليل الندوة .
٤ ـ دليل الطوابع التاريخية .
٥ ـ البناء القديم في الفن التشكيلي .
٦ ـ دليل الصور الآثارية .
٧ ـ فلم (تراث أمة) .

ويسر وزارة المعارف ممثلة في وكالة الآثار والمتاحف أن تنشر بحوث الندوة في كتاب من جزأين لإطلاع الباحثين والمهتمين على تراث بلادنا وحضارتها . ومن محاسن الصدف أن يتزامن صدور هذا الكتاب مع مناسبة مرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين حفظه الله مقاليد الحكم .

والله ولي التوفيق ،،،

د. سعد بن عبدالعزيز الراشد

وكيل الوزارة للآثار والمتاحف

تم افتتاح ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية (حمايتها والمحافظة عليها)

برعاية صاحب السمو الملكي الأمير/ نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية





كلمة صاحب السمو الملكي

الأمير نايف بن عبدالعزيز « وزير الداخلية »

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

يسعدني – أيها الأخوة الكرام – أن أشارككم حفل افتتاح هذه الندوة الحضارية المهمة – ندوة الآثار والتربية – التي هي أحد مظاهر النشاط الحضاري في هذه البلاد العظيمة .

أيها الأخوة

تعلمون أن الأمم ذات التاريخ العريق لا تفرط بآثارها .. تحتفظ بها وتحافظ عليها .. تعتز بها وتفتخر .. فالآثار شاهد حي على الحضارة والعراقة .. ودليل قاطع على إبداع الأمم وما قدمته للإنسانية من علم ومعارف .. وصناعة وبناء .

أيها الأخوة

إننا أمة عريقة ذات تاريخ مجيد .. أمة عظيمة أسهمت عبر تاريخها باقتدار في وضع أساسات الحضارة .. أبدعت فانتفعت الإنسانية جمعاء بإبداعاتها .. استجابت لنداء الرب عز وجل في الاستخلاف فعمرت وشيدت وتسامت في أخلاقها فحاكاها الآخرون .. أمة جمعت بين عزة الإسلام وشموخ الأصالة وتركت لنا آثار إنجازاتها وشواهد عطاءاتها .. فوجبت علينا الأمانة في حمل الرسالة وصيانة التراث .

أيها الأخوة

إننا نتطلع أن تكون هذه الندوة انطلاقة جديدة في العناية بالآثار والتنقيب عنها .. وإنشاء المتاحف المحلية والإقليمية .. والمعارض الثابتة والمتنقلة .. لتكون مصدراً ثقافياً متاحاً للمواطن والزائر.

وفـي الخـتـام – أيهـا الأخـوة – أشـكـر وزارة المعــارف ممثـلـة في وزيـرهـا الدكـتـور محـمـد بن أحـمـد الرشـيـد على الجـهـود الموفـقـة في الاهـتـمـام والتطوير لجـهـاز الآثار .. كما أشكر الأخـوة العـامـلين في وكـالة الآثار والمتـاحـف على جـهـودهـم المباركـة في خـدمـة تراث بلادنا وحـضـارتها .. وفقنا الله جميعا إلى كل ما فيه خير ديننا ووطننا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة معالي وزير المعارف رئيس المجلس الأعلى للآثار

الأستاذ الدكتور / محمد بن أحمد الرشيد

إن من دواعي اغتباطنا وسرورنا – نحن العاملون في وزارة المعارف – أن تنعقد هذه الندوة المباركة بعنوان (الآثار: حمايتها والمحافظة عليها) ويشرفنا جميعا أن تكون برعاية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز ، وزير الداخلية فله الشكر العميق على تفضله بالحضور، وعلى اهتمام سموه بالآثار في مملكتنا العزيزة وتوجيهاته لكل الجهات المعنية في وزارة الداخلية للقيام بواجبها نحو الآثار خير قيام .

منذ أن صدر قرار مجلس الوزراء عام ١٣٨٣ هـ بالموافقة على إنشاء دائرة للآثار ترتبط بوزارة المعارف ، والوزارة تبذل جهدها للقيام بواجبها تجاه الآثار حفظاً ، وصيانة ، وحراسة ، ودراسة ، وكشفاً ، وتنقيباً ، لأن الآثار تراث قومي ومصدر من مصادر المعرفة وصلة بين الماضي والحاضر ، ومورد من موارد الاقتصاد الوطني ، ومعين على مواكبة ركب الحضارة.

والمملكة العربية السعودية بلد غني بالآثار ، فيها ثروة أثرية علمية وثقافية لا تقدر بثمن لقيت من الدولة عناية كريمة ، وهي تنتظر المزيد من الجهد العلمي ، والإداري ، والفني، والتمويل للكشف عنها ودراستها ، وتهيئتها للباحثين والدارسين .

لقد تبين – في ضوء المسح الأثري والمعاينات – وجود آلاف المواقع الأثرية في المملكة العربية السعودية ، فوق الأرض ، وتحتها وآلاف الرسوم الصخرية ، والنقوش ، والكتابات الإسلامية ، وآثار المنشآت المائية ... إلخ ومالم تتعاون كافة أجهزة الدولة ذات العلاقة للمحافظة عليها فإنها ستتعرض للزوال .

ومما يحسن ذكره في هذا المقام ولا يحتاج إلى تعليق ، ما رواه صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالعزيز من أن بعض الناس طلبوا من جلالة الملك المؤسس الملهم ، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، أكرم الله مثواه ، البدء في البحث والتنقيب عن الآثار في المملكة ونقلها وعرضها في الخارج ، كما حدث في بعض الدول الأخرى التي نقلت آثارها

لتعرض في البلاد الأجنبية فرفض ذلك وأمر بالإبقاء عليها في مواقعها إلى أن يأتي جيل مختص من أبناء الوطن يستطيع إخراجها ودراستها ، والمحافظة عليها ، وإبراز أهميتها !! رحم الله والدنا - ما أبعد نظرته ! والحمد لله فقد جاء الزمن الذي تحقق للمؤسس الباني فيه ما أراد .

إن للعناية بالآثار صلة وثيقة بالتربية والتعليم خصوصاً وبالمعارف عموماً فالعمل فيها تدريب على حب العمل و تحمل مشقاته ، وعلى حب التاريخ والبحث والتنقيب في مصادره وفيه تدريب على أخلاق هذه المهنة : كالأمانة في نقل المعلومات والإخلاص ودقة الملاحظة وما إلى ذلك وإن توعية النشء بأهميتها فيه ربط الحاضر بالماضي في نفوس الجيل الصاعد ، والتعرف على خبرات السابقين في الهندسة ، والزراعة ، والعمارة ، والفنون ، والصناعات ، والعلوم المختلفة : من طب ، وفلك ، واستنباط للمياه الجوفية ، والمحافظة عليها ، فصلة الآثار بالتربية صلة وثيقة وإن بدا للناظر العجلان - من الوهلة الأولي - أنها غير ذلك .

إن لوزارة المعارف طموحاً ومساعي ترجو لها أن تتحقق في مجال الآثار منها أن يكون للآثار كيان مستقل مقتدر ، فاعل ، له شخصيته الاعتبارية المستقلة ، وأن يكون هذا الكيان المستقل مسئولا عن المتاحف ، والتراث العمراني ، وأن يكون له برنامجه الخاص لتدريب العاملين والراغبين ورفع كفايتهم الفنية والعلمية ورفع مهاراتهم وتوعية المجتمع بهذا الجانب الحضاري الإنساني الحيوي .

أيها الأخوة الكرام !

إن العمل في مجال الآثار قد يبدو سهلاً للإنسان العادي ، فزائر المتحف مثلاً يستعرض ما فيه خلال ساعة من الزمن ، وقد لا يقدر أن خلف ما يراه جهداً يصعب عليه أن يتصوره من بحث عن الآثار واكتشاف لها ، وتعامل معها في موقعها ، ثم ترميمها ، وصيانتها ، ثم توثيقها ، وتصويرها ، ودراستها مع التحليل ، والتعليل ، وتحديد تاريخ الأثر ، ونوعه ، وموطنه ، وصناعته ، وأننا لنأمل من هذه الندوة الكريمة أن تخرج لنا بتوصيات واضحة محددة تعين على : حفظ الآثار ، وحمايتها ، وعلى فهم تاريخ المملكة ، وحضارتها ، وعلى تطوير جهاز الآثار، ودخول القطاع الخاص للاستثمار فيه ، وتُنمي الاهتمام بها .

وإن ما تحقق - حتى الآن - في مجال الآثار في بلادنا ما هو إلا بداية بسيطة مباركة إن شاء الله ، فهناك - كما يقول المختصون - أكثر من أربعة آلاف موقع أثري ومعلم تاريخي في المملكة تنتظر الدراسة الجادة . هذا ما ظهر وقد يكون ما خفي في البر والبحر أكثر منه بكثير.

لا يسعني في الختام إلا أن أتوجه بالشكر إلى حكومتنا الرشيدة على رعايتها للآثار ، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين ، وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني حفظهم الله . وإلى صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية على تشريفه لنا وعلى مساندته الدائمة لوزارة المعارف وتفضله في كل مناسبة بتشجيعنا ومؤازرة جهودنا ! يقابلنا ويوجهنا ، ويوفر لنا من الأسباب ما يضفي على أعمالنا السداد والتوفيق كما أتوجه بالشكر إلى كل الضيوف الكرام الذين أسعدونا بحضورهم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

كلمة وكيل الوزارة للآثار والمتاحف

الأستاذ الدكتور / سعد بن عبدالعزيز الراشد

صاحب السمو الملكي / الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية

أصحاب السمو ، أصحاب المعالي ، أصحاب الفضيلة

أصحاب السعادة ، ضيوفنا الكرام ، أيها الحفل الكريم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

مرحبا بك يا صاحب السمو في صرح من صروح العلم والثقافة ، هذا الصرح الذي يفوح بعبق التاريخ لهذا البلد العريق ، المملكة العربية السعودية ، بلد التاريخ المجيد ومهد الحضارات ومهبط الوحي ، وأرض الحرمين الشريفين ومنطلق مسيرتنا المعاصرة .

هنا كان بالأمس الوالد المؤسس لهذا الكيان الكبير ، الملك عبد العزيز (رحمه الله) يخطط للبلاد ويدفعها نحو تحقيق المزيد من العدل والرقي والتقدم رافعاً اسم المملكة عالياً بين الأمم ، مؤكداً دورها البارز في الهيئات والمنظمات الدولية المعنية بأوضاع العالم من سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية .

لقد أصبح هذا الموقع الذي نلتقي فيه اليوم مركزاً للثقافة والآثار والتاريخ ؛ إنه مركز الملك عبدالعزيز التاريخي ، افتتحه مولاي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله في الخامس من شوال لعام ١٤١٩هـ بحضور صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله ابن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام ، وشارك في حضور هذه المناسبة التاريخية عدد كبير من أبناء الملك عبدالعزيز وأحفاده .

هذا المشروع الحضاري تصدى لتنفيذه والسهر على إنجازه في فترة قياسية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض حفظه الله .

ولسموه الفضل بعد الله في أن يكون في قلب الرياض العاصمة متحف وطني يحكي قصة الوطن من أقدم العصور حتى اليوم ، ويكون في الرياض مركز علمي وبحثي فريد – دارة الملك عبدالعزيز – بيت المؤرخين والباحثين ، ويكون في الرياض مكتبة نموذجية تحمل اسم الباني المؤسس – مكتبة الملك عبد العزيز العامة – ويبقى قصر المربع والمباني التراثية والمسجد الجامع رمزاً للتاريخ تتكامل مع المرافق الأخرى لتشكل صرحاً معمارياً وحضارياً علمياً عمل فيه علماء متخصصون في الآثار والتاريخ من وزارة المعارف والجامعات السعودية ومهندسون وطنيون من ذوي الكفاءات العالية ؛ هؤلاء جميعاً عملوا بصمت ووطنية تحت سقف واحد – الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض التي يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز حتى خرج هذا المشروع الثقافي الكبير على الصفة التي نشاهدها فلله الحمد والمنة على هذا الإنجاز الذي جعل الرياض بجامعاتها ومعاهدها ومكتباتها ومعالمها الثقافية والحضارية عاصمة ثقافية للعرب عام ألفين .

سيدي صاحب السمو :

ها نحن نعيش ذكرى مئوية التوحيد ووحدة الوطن الخالدة نرحب بك وأنت ترعى هذه الندوة المباركة التي تعنى بتراثٍ وآثارٍ عزيزةٍ علينا ؛ إنه حدث مهم بالنسبة للمهتمين بحضارتنا وآثارنا ، فهي مصدر مهم للتاريخ تسهم في تجلية الكثير من الحقائق التاريخية إضافة لما فيها من الدروس والعبر ولذة المعرفة ومتعة التشويق .

إن هذا اليوم يأتي حلقة في سلسلة الاهتمام المبارك من لدن خادم الحرمين الشريفين بالعلم والبحث العلمي .

واهتمامكم بالآثار والتراث ليس بمستغرب ، إذ إننا نعرف في سموكم حبكم للعلم وقراءة التاريخ والأدب وتذوق الشعر وفي الوقت نفسه تعملون ليل نهار على رعاية أمن الوطن بصمت وحكمة ، وصبر وجلد ، وأناةٍ وتبصر ؛ تعملون على راحة الحجاج والمعتمرين ، وتسندون مسيرتنا الإعلامية ، وهمومكم التي تحملونها عن الأمن العربي الشامل حققت – ولله الحمد– نجاحاً ملموساً للمملكة في مكافحة الجريمة ؛ رفع سمعة المملكة عاليةً على المستوى الدولي ، وتتحملون مسئولية أخرى تشكرون عليها ، وهي تعضيد الدور الذي تقوم به وزارة المعارف في

المحافظة على الآثار والتراث الذي لا يقدر بثمن ولا يمكن تعويضه في حالة زواله لا سمح الله .

وما رعايتكم لهذه الندوة إلا خير مصداق لهذا الحرص الذي نعتز به ويشعرنا بمزيد من المسؤولية والالتزام ، وليس بمستغرب من سموكم في موقعكم الذي تخدمون فيه الوطن والمواطن ؛ فأنتم حفظكم الله تترسمون خُطَا خادم الحرمين الشريفين عندما كان وزيراً للداخلية وها أنتم يا سيدي تتفضلون برعاية ندوة تخدم التربية والتعليم والثقافة في وزارة المعارف التي كان خادم الحرمين الشريفين أول وزير لها .

إن توصيات المجلس الأعلى للآثار بإقامة هذه الندوة كان لها تأييد من سموكم ومباركة من خادم الحرمين الشريفين جاءت تأكيداً لأهمية موضوع الآثار في بلادنا .

في هذا المكان يجتمع نخبة من العلماء المتخصصين والباحثين والمهتمين بالآثار والتراث لمناقشة جوانب عديدة تشتمل على محاور رئيسة تهدف - إن شاء الله - إلى تحقيق الآتي :

١- نشر الوعي الأثري بين المواطنين وتبصيرهم بأهمية الآثار والمحافظة عليها .

٢- الحد من امتهانها ، والعبث بها ، وسوء استخدامها .

٣- إبراز الدور التاريخي والحضاري للآثار وأهميتها في كتابة تاريخ الأجداد.

٤- ربط ابن الوطن بماضيه وإطلاعه على تراث أجداده .

٥- الاستفادة من الآثار في ترسيخ الحس الوطني لدى الناشئة وتوظيف ذلك الحس في دروس التربية الوطنية .

٦- الاهتمام بالتراث المحلي وصيانته والمحافظة عليه .

٧- الاستفادة من الدلالات الأثرية وتوظيفها في تفسير المظاهر الأثرية الداعية إلى تفسير.

٨ - إبراز الدور التثقيفي والتعليمي للمتاحف .

٩ - لفت الأنظار إلى الاهتمام بالآثار الغارقة .

١٠ - إشراك القطاعات الحكومية الأخرى في المسؤولية عن أمن الآثار وخصوصاً وزارة الداخلية .

١١ – البحث عن الوسائل والسبل الرامية إلى إيجاد جهاز أمني خاص بالآثار (شرطة الآثار) .

صاحب السمو الملكي :

لا يخفى على سموكم الكريم أن أهمية الآثار ومكانتها في المملكة تنبع من تنوع هذه الآثار وعراقتها ؛ فأرضها من أغنى البلاد آثاراً تتصل بحضارات موغلة في القدم ، كثير منها معروفٌ اسماً وموضعاً ، وكثير منها مجهول ؛ إما طغت عليها الرمال ، أو احتضنتها البحيرات والأنهار الجافة عبر آلاف السنين أو استقرت في قاع البحار وعلى امتداد الشواطئ الساحلية والجزر .

تتمثل الآثار الباقية على أرض المملكة في الكهوف والمدن التاريخية والقلاع والحصون والأسوار والأبراج والمنشآت المائية من آبارٍ وعيونٍ وبركٍ وسدودٍ وعشرات الآلاف من الرسوم الصخرية والنقوش القديمة والكتابات الإسلامية ، والصناعات القديمة من أوانٍ فخاريةٍ وخزفيةٍ ومعدنيةٍ وعملاتٍ وحلي وأدوات الزينة وأصناف شتى من الحرف والصناعات الشعبية والمباني التراثية ذات الطرز المعمارية المحلية الأصيلة ، والسفن الغارقة والأسلحة وغير ذلك من الآثار .

تشكل هذه الآثار في مجملها ؛ المكتشف وغير المكتشف ، الثابت والمنقول ، المرمم والخرب – ثروة علمية – ، للباحث والدارس والمتأمل ، وموردًا للاقتصاد الوطني ، وركيزة من ركائز السياحة الوطنية وهي أيضاً هوية لتاريخنا وحضارتنا .

صاحب السمو الملكي :

همس في أذني عدد من المشاركين الذين علموا بتشريفكم حفلنا هذا ، قائلين : ماذا تريدون من سمو الأمير ؟

قلت : بل ماذا يريد منا سمو الأمير ؟

نقول : نحن رجالك العاملون وعينك التي لا تنام وحراسك في المحافظة على أمن وتراث الوطن فهل يتكرم سيدي بتحقيق هذا الطلب ! . .

صاحب السمو الملكي :

إن ألسنتنا تعجز عن الشكر والامتنان لسموكم في كرم رعايتكم لهذه الندوة الآثارية ، واسمحوا لي يا سيدي أن أنوه بالجهد الكبير الذي بذله الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير المعارف في سبيل تطوير جهاز الآثار على المستوى الإداري والفني والعلمي بالرغم من المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق الوزارة في الرقي بالتعليم – وسموكم يعلم حجم هذه المسؤولية – ؛ فما كان لهذه الندوة أن تقوم لولا دعم معالي الوزير لها .

كما أوجه خالص الشكر لأعضاء المجلس الأعلى للآثار ولزملائي مسئولي الوزارة ومديري التعليم على تعاونهم ومؤازرتهم والشكر موصول لكافة الإخوة الزملاء أعضاء اللجنة التحضيرية لهذه الندوة وباقي اللجان الأخرى .

وأجد لزاماً عليّ أن أوجه خالص الشكر والتقدير لكل من أسهم بالرعاية لهذه الندوة وفعالياتها العديدة وأخص بالشكر : مجلس الغرف التجارية الصناعية ممثلة في أمينها العام المهندس أسامة محمد أمين الكردي ؛ لدوره المشكور في التواصل مع القطاع الخاص لتحقيق تعاون مستقبلي بناء مع وكالة الآثار والمتاحف بما يحقق الهدف المنشود للوطن والمواطن .

كما أشكر جميع الأخوة من العلماء والمفكرين وسائر المهتمين الذين يشاركوننا هذا اللقاء ، ولمن شرفونا بالحضور ولبّوا الدعوة من خارج المملكة وداخلها .

وختاماً : لك يا صاحب السمو خالص الحب والوفاء على تفضلكم بتشريفنا بهذه الرعاية الكريمة ولأصحاب السمو والمعالي والفضيلة والسعادة على حضورهم هذه المناسبة .

سائلين المولى تعالى أن يديم علينا نعمة الأمن وأن يحفظ بلادنا من كل مكروه وأن يوفقنا جميعاً إلى كل خير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

البحوث والدراسات المقدمة إلى ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية حمايتها والمحافظة عليها

الآثار بين عوادي الزمن وإهمال البشر

أ. د. عبدالرحمن بن محمد الطيب الأنصاري (*)

إذا كان الأدب شعراً ونثراً وغيرهما من الإنتاج الفكري والفني للإنسان حصيلة جهد بشري على مدى حقب طويلة ضاربة في أعماق الزمن ، فإن الحياة المادية للإنسان تعد أهم الوثائق التي ترصد حركته ، ونموه ، وتقدمه ، وارتباطه بالأرض أو ارتحاله منها وعلاقته بالطبيعة بكل مكوناتها ومدى استفادته منها، وبحثه عن ذاته وممارسته لعبادته موحداً كان أم وثنياً .

لقد ترك الإنسان كل هذه الحصيلة المادية والفكرية والفنية المتراكمة على مر العصور شاهداً على نشاطه أو تراخيه ، وعلى نجاحه أو فشله ، وعلى عدوانه أو سلمه ، وعلى معصيته أو تقواه .

ومن هنا كان علم الآثار وسيلة علمية لفحص هذا الرصيد الإنساني كتابة ولغة وفناً وعمارة وزراعة وصناعة وتجارة وعلاقة اجتماعية واستقراراً وارتحالاً وديانة موحدة أو شركاً وكفراً . ولكن هذا الرصيد الإنساني الضخم يتعرض لآفات العصور وهي تتوالى وتتعاقب ، ولعل أهم هذه الآفات هي الإنسان نفسه . فلننظر كيف يسهم الإنسان في طمس رصيده الحضاري بل ويبعده عن هذا الرصيد دون مبالاة أو تدبر .

دعونا نسأل أنفسنا سؤالاً واضحاً ومحدداً . ما هي مشكلة الآثار في بلادنا بل وفي العالم العربي ؟ كيف ننظر نحن العرب إلى الآثار ؟ إنني أشعر أن الآثار تعيش في غربة في بلادنا وفي العالم العربي ، لماذا ؟ دعونا ننظر إلى المشكلة من ناحيتين أو موقفين : الموقف الأول هو النظرة الدينية أو العقيدية إلى الآثار، كيف ننظر إلى الآثار كمسلمين ؟ أما الموقف الثاني فمن هو الذي بدأ الاهتمام بالآثار ؟ .

المشكلة أن بعض الناس يخافون من أن الآثار سوف تعود بالمجتمع إلى الوثنية وبالتالي

(*) عضو المجلس الأعلى للآثار .

يجب عدم الاهتمام بها إلى جانب أنها سوف تشدنا إلى الماضي ، في حين أننا يجب أن ننظر إلى المستقبل ، خاصة ونحن نعيش عصر التكنولوجيا والإنترنت ، والإسلام يدفعنا إلى العمل وإلى التقدم لأننا خلفاء الله في أرضه .

إن القرآن الكريم يتحدث عن الأمم الغابرة وعما خلفوه وعن نشاطهم الاقتصادي والزراعي وبطشهم وقوتهم وقطعهم للصخور وبنائهم عجائب العمران ، ويأمرنا بأن نسير في الأرض فننظر كيف عمروها أشد وأقوى مما عمرنا ، ثم كيف كانت عاقبتهم .

آيات كثيرة تزيد على العشرين آية تحثنا على النظر في الماضي ، لا للتفاخر والتباهي به ولكن للعظة والاعتبار ولنا أن نتساءل كيف لنا أن نتعظ ونعتبر ونحن لا نجد على سطح الأرض إلا النزر اليسير من هذه المعارف والمعالم التي يتحدث عنها القرآن ؟

إذن لا بد لنا أن ننقب ونسبر أغوار الأرض لكي نكشف عن عجائب الماضي في كل أنحاء الشرق الأدنى ، فلولا التنقيبات الأثرية ما عرفنا ما توصلنا إليه عن الحضارة الفرعونية بكل فنونها وعمارتها وثرائها المعرفي ومن ثم انحرافها عن جادة الحق واضمحلالها ، لو أن واحداً منا عاش في عصر الفراعنة لما تخيل أن هذه القوة التي يمثلها فرعون الذي استخف قومه فأطاعوه سوف يضمحل ، ولكن الله عز وجل جعل لكل زمان آية بل آيات نتعظ بها ، وآية زمننا هذا هو سقوط الاتحاد السوفيتي الذي وصل بتقدمه التكنولوجي إلى القمر ثم إذا به يضمحل ويذوب كما يذوب الملح في الماء وكأن لم يكن شيئاً مذكوراً .وقبل ذلك سقطت حضارات بابل وآشور وحضارة أوجاريت واليونان والفرس والروم وسبأ وكندة والمناذرة والغساسنة .

لقد حدثتنا الكتب السماوية وفي مقدمتها القرآن الكريم والكتب الكلاسيكية عن هذه الأمم ولكن معاول الآثاريين أزاحت عن بقايا هذه الأمم تراكمات الزمن، فأصبحنا نرى رأي العين كيف كانوا حضارات سادت ثم اندثرت .إذن فعلم الآثار هو الوسيلة الوحيدة لأن يصدق الخبر الخبر .

أما الموقف الثاني فهو علاقة الإنسان بالآثار ، هل هي من منجزاته وهل له دور فيها؟ إذا كانت الإجابة بالإيجاب فلم لا نحافظ عليها لنعرف حسناتها وسيئاتها ولنعرف إيجابياتها

وسلبياتها ؟ ذلك لأن الآثار هي منجز إنساني ومصدر أساسي لكتابة التاريخ .ولنا أن نتساءل أيضاً عن حاضرنا ومستقبلنا ؟ إنني على يقين أننا كأمة عرباً ومسلمين شاركنا بقدر وافر في المنجزات الحضارية التي نعيشها فهي لم تأت من فراغ بل نتاج تراكم حضاري تناقلته الأمم جيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن .كل فرد شارك بقدر في هذه الحضارة ، آباؤنا وأجدادنا، حضارتنا العربية والإسلامية ، عباقرتنا كل هؤلاء وأولئك أسهموا بحظ وافر في ما توصل إليه الغرب في الوقت الحاضر، ولا نزال نشاهد الكثير من علمائنا من العرب والمسلمين ينتشرون في دور العلم ومؤسسات البحث العلمي الكبرى في أوروبا وأمريكا وفي العالم العربي والإسلامي يشاركون في تنمية الحضارة العالمية وتقدمها ولا أدل على ذلك من الجوائز العالمية التي يحوزها كثير منهم .

إذن فنحن نشارك بقوة في هذه الحضارة ويشفع لنا أننا نشارك وخلفنا رصيد من التجارب الإنسانية التي مرت بأمتنا منذ آلاف السنين وهذا عكس من يشارك وهو خالي الوفاض من مكنوز حضاري مركز . ولعل مما يجعل العلاقة غير إيجابية بين بعض المواطنين والآثار هو أن الآثار بدأ الاهتمام بها على أيدي الغربيين في العالم العربي فقد جاء الاستعمار وكانت الآثار وسيلته أو مظلته في تاريخ هذه الشعوب فعن طريق الآثار يستطيعون أن يتعرفوا على روابطنا وأخبارنا وعاداتنا وتقاليدنا ونسيجنا السكاني ومن ثم يبدون سياستهم وسلوكهم معنا بناء على المعطيات التي اكتسبوها من خلال معايشهم لنا ومن خلال تراثنا . وارتباط الآثار بالغربيين والسياح جعل العربي يبتعد عنها باعتبارها لها صلة بالآخر وكذلك لأنها ارتبطت بالفنون الغنائية والأوبرالية في مصر والأردن وسوريا والعراق ويحضر هذه الحفلات كبار المهتمين من الغرب ، فما صلة العربي المسلم المحافظ بكل هذا ؟ .

من هنا جاءت غربة الآثار في الوطن العربي حتى أن المواطن عندما يسافر إلى الخارج لا يزور متاحف الدول التي يزورها باعتبارها من الاهتمامات الغربية من ناحية وللعامل الديني والعقدي في بعض الحالات . وعلى الرغم من أن العربي هو صانع التاريخ إلا أن الجيل الحديث يكره استعادة هذا التاريخ ولعل حياتنا المعاصرة والانبهار بالمنجزات الحديثة قصرت به عن أن يفكر بعمق ويستلهم الإيجابيات في تاريخنا ليكون لنا دافعاً قوياً .

سؤال آخر ما الذي تعانيه الآثار في حياتنا المعاصرة ؟ هناك أسباب كثيرة لمعاناتها وتدهورها .

أ ـ الآثار والطبيعة :

١- **الأنهار** : تعد الأنهار من أكثر الأشياء التي تقضي على الآثار بالهدم بل الإغراق والطمس ، فلو نظرنا إلى نهر دجلة لوجدنا أنه غطى بالطمي حضارات كثيرة ومدناً بأكملها وقد تغير مجرى النهر أكثر من مرة إذ يعد من الأنهار الطاغية والجارفة ، والشيء نفسه ينطبق على نهر النيل فمن يصدق أن الأهرام كانت تقع على شاطئ النيل مباشرة وأن النهر قد انحسر حتى أصبح يبعد حوالي عشرة كيلو مترات عن الأهرام فكم غطى من آثار وكم جرف من مبان ؟ ويمكن أن نضيف هنا أنه كان للنيل أكثر من عشرة مصبات منذ عشرة آلاف عام وأن هذه المصبات تناقصت حتى اقتصر على فرعين فيما يشبه الدلتا وهما فرعا رشيد ودمياط وعندها يمكن أن نتصور الحضارات التي قامت والتي اندثرت خلال عشرة آلاف عام أو يزيد. وفي صحراء بلاد الشام شمال الجزيرة العربية قضى نهر الفرات على حضارات لعل أهمها حضارة ماري وهو موقع مهم كان للتنقيب أثره في الكشف عن أكبر مكتبة عرفها التاريخ من الرقم الطينية ومثلها ما اكتشف أخيراً في إبلا وغيرها من مناطق أعالي نهر الفرات .

٢- **الزلازل** : إنها عامل له من القسوة والضغط على الإنسان عقيدياً واقتصادياً واجتماعياً ما يجعله عاجزاً أمام قدرة الله عز وجل ومع ذلك لا يزال الإنسان يبني ويعمر في المناطق نفسها لأن الله خلقه لعبادته ولعمارة الأرض . وقد قضت الزلازل على مدن بأكملها ولعله من المعلوم أن ساحلي البحر الأحمر وما جاورهما وبلاد الشام وتركيا وإيران وسواحل البحر المتوسط منطقة زلازل كان من نتيجتها التأثير على كثير من الآثار سواء في الحِجْر ومَدْين في المملكة أو البتراء في الأردن . ولعل الكثير منا يتذكر الزلزال القوي الذي قضى على مدينة ذمار في اليمن قبل أكثر من ربع قرن ولولا ما قدمته المملكة في إعادة بناء وتعمير المدينة لأصبح جزء كبير منها قد دخل في عداد الآثار ومثل ذلك قد حدث لمدينة أصنام في الجزائر وأغادير في المغرب . أما الإسكندرية فهي أكبر شاهد على ما تصنعه الزلازل في المدن إذ لازال البحث جارياً عن الحي الذي كانت تسكنه كليوبترا أشهر ملكات مصر في العصر

البطلمي ، وما شهدناه مؤخراً في زلزال تركيا أكبر شاهد على ما نقول .

٣- الرمال : وهي عامل دفن للآثار فنحن في قرية الفاو نعاني الكثير من زحف الرمال وسفيها . فما نحفره في عام تتكفل الرمال بدفنه في العام الذي يليه . ولنا أن نتساءل أين مدينة جواثا الإسلامية التي أنشئ فيها أول مسجد في الإسلام صليت فيه جمعة خارج المدينة المنورة ؟ والجواب أنها مدفونة تحت الرمال ومثلها ثاج وغيرها من مدن المنطقة الشرقية ومثلها آثار الجوف وسور تيماء ومدن وادي الدواسر أما حضارات الربع الخالي فدونها خرط القتاد. لذلك فإن التنقيب عن الآثار يكلف مبالغ كبيرة وجهداً شاقاً وتقنية حديثة تساهم في الكشف عن آثارنا قبل أن تأكلها الرمال .

٤- ارتفاع مستوى المياه : هذه إحدى المشاكل التي تعاني منها المدن الكبيرة كالقاهرة حيث بدت الآثار عند الهرم وأبا الهول تتأثران بذلك ، وسقوط كتف أبي الهول كان من أكبر الشواهد ، ولعل ما نشاهده على بعض واجهات المقابر في الحِجْر من تشققات ناتج من ارتفاع منسوب المياه بسبب ارتفاع المزارع حول المنطقة . وللسدود دورها في ذلك إن لم تؤخذ الاحتياطات اللازمة للحفاظ على الآثار .

٥- الأملاح : الأملاح أكبر مثال على تأثر البنيان بالأملاح هو مدينة جيزان فإن تشبع التربة بالمياه والأملاح حرم المدينة القديمة من استعادة شبابها .وللأملاح نصيب في القضاء على كثير من آثار مواقع منتشرة في المنطقة الشرقية ودول الخليج .

ب - الآثاروالإنسان :

١- الجهل بأهمية الآثار : وهي من أهم المشاكل إذ أننا نحاول بشتى الوسائل الممكنة توعية الناس بأهميتها ووجوب العناية بها والمحافظة عليها من الدمار ، ولكن المشكلة التي قد تنبع من التوعية هي محاولة المواطن الاستحواذ عليها لتصبح له ملكاً ورصيداً مستقبلياً لأولاده من بعده ، وهنا يكثر الطلب على شراء الآثار وخزنها لبيعها مستقبلاً عند الحاجة .ومن نماذج الجهل بالآثار هو أنه عندما يقوم المواطنون برحلة برية يشاهدون الآثار في شكل نقوش ورسوم و وسوم أو قطع فخارية جميلة أو تشكيل حجري جميل فيحاولون إما أخذه للاحتفاظ به ويجمعون كمية من ذلك ثم يقومون برميها وهم يغادرون المنطقة التي قضوا فيها وقتهم

وبذلك يتسببون في نقل الأثر من مكانه فيصبح الأثر بعدها بدون شهادة ميلاد .

٢- **لصوص الآثار** : أما الطامة الكبرى فهم نوع آخر ممن يهددون الآثار وهؤلاء هم المدربون على دراسة مواقع الآثار وكيفية التنقيب عنها وسرقتها وتسويقها وهم عصابات متخصصة يأتون إلى المواقع مجهزين في أي وقت ويستفردون بحارس الآثار وتحت التهديد يعملون ما يشاؤن ويأخذون ما أتوا من أجله ولا يظهرون ما وجدوه في بيئته المحلية خوف الفضيحة وإنما يذهبون به إلى الخارج ويبيعونه بثمن باهظ أو بخس حسب ثقافة السارق والمشتري ، ونلاحظ أنه لا البائع ولا المشتري يستطيع أن يصرح بمصدر القطعة لأنهما يعتبران في نظر القانون مشتركين في الجريمة فالبائع والمشتري مجرمان والمتاحف الغربية مليئة بآلاف من هذه القطع المنهوبة .

٣- **الرعاة** : وهؤلاء يقومون بالتجوال في البراري والجبال وعندما يشاهدون نقوشاً أو كتابات أو رسوماً يحاولون تقليدها أو أخذها ويكون من نتيجة ذلك طمس معالم الآثار القديمة ومسخها . وهنا يمكن أن نذكر ذلك الراعي الذي اكتشف مخطوطات البحر الميت بالأردن إذ وجد أول الأمر جرة فيها لفافة مكتوبة داخل كهف فأخذها ونزل بها إلى القدس وباعها ليهودي ، وهكذا استمر في عمله هذا حتى وصلت المعلومات إلى السلطات الأثرية في الأردن فذهبت إلى الموقع وأخذت ما بقي من هذه اللفائف التي كان لاكتشافها أثر كبير في إلقاء الضوء على جزء محدد من التوراة خاصة بفرقة انفصلت عن اليهود في القرون الأخيرة لما قبل الميلاد وقد قامت الحكومة الأردنية بتنظيم معارض لهذه اللفائف في أوروبا في الستينات، ولكن عندما احتلت إسرائيل القدس سنة ١٩٦٧م كان أول ما فعلته هو الذهاب إلى المتحف والاستيلاء على ما فيه وخاصة مخطوطات البحر الميت التي أصبحنا لا نسمع بعدها شيئاً عنها ، فكان طمع الراعي وعبثه سبباً في فقدنا لمصدر مهم من المصادر المصححة لما هو موجود في التوراة .

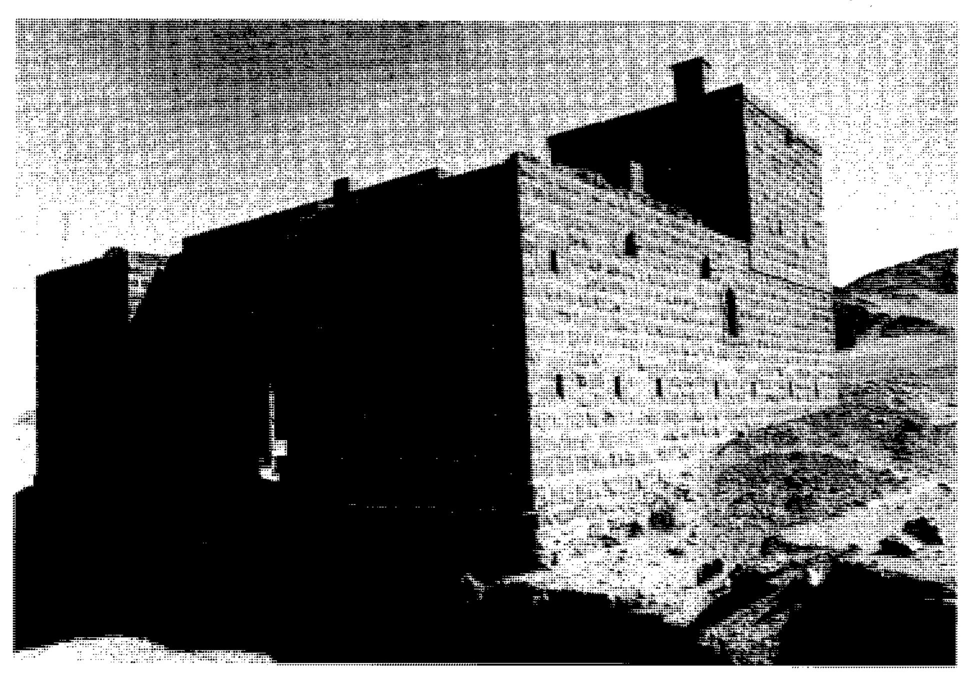
٤- **الحروب** : نار مستعرة لا تأتي على الإنسان فقط بل تضر حضارته ومنجزاته ، فقد أتت الحرب على متحف الكويت ومتحف الآثار الإسلامي بها وسرقت تحفهما الرائعة التي لا تقدر بثمن . إن أول ما قامت به إسرائيل عندما احتلت الضفة الغربية أن احتلت متاحفها

وفيها كل نتائج التنقيبات التي كانت تقوم بها البعثات الأجنبية وكذلك فعلت عندما استولت على سيناء واستطاعت أن تُصْدِرْ خارطة أثرية لمواقع آثار سيناء وسرقت كثيراً منها ، إلا أن السلطات المصرية استعادتها ولعلها استعادت أيضاً ما لدى موشي ديان وأمثاله من لصوص الآثار اليهود . أما الحرب الأخيرة في اليمن فقد نهب بسببها متحف عدن بالكامل وسربت بعضها إلى الخارج ، وأفغانستان فقدت كل تراثها والعراق سرقت ونهبت متاحفه وكان متحف بغداد في يوم من الأيام أجمل متحف في العالم العربي، وكذلك متاحف لبنان لم تنج من السرقات الأثرية بل لعل لصوص الآثار وصلوا لما في باطن الأرض وأرجو أن تكون تنقيبات بيروت قد نجت من هذه السرقات ، وهكذا فالحروب تدمير للتراث والحضارة رغم وجود اتفاقيات عالمية تدعو إلى عدم التعرض للمؤسسات الحضارية والمتاحف وعدم المساس بها إلا أننا لا نجد لذلك صدى .ففي أوقات الحروب أول ما يفكر فيه الإنسان المقاتل وغير المقاتل هو السرقة والتخريب لانعدام الوازع الديني والأخلاقي ، وفيها يعود الإنسان بتفكيره إلى عصور الغاب، ويتحول ذلك الإنسان المهذب إلى إنسان شرس ، لأن مبدأ الحروب هو تكون أولا تكون، فأقل ما يمكن أن يؤلم البلد المُحارَبْ هو سلخه من حضارته ومن كل ما يعتز به .

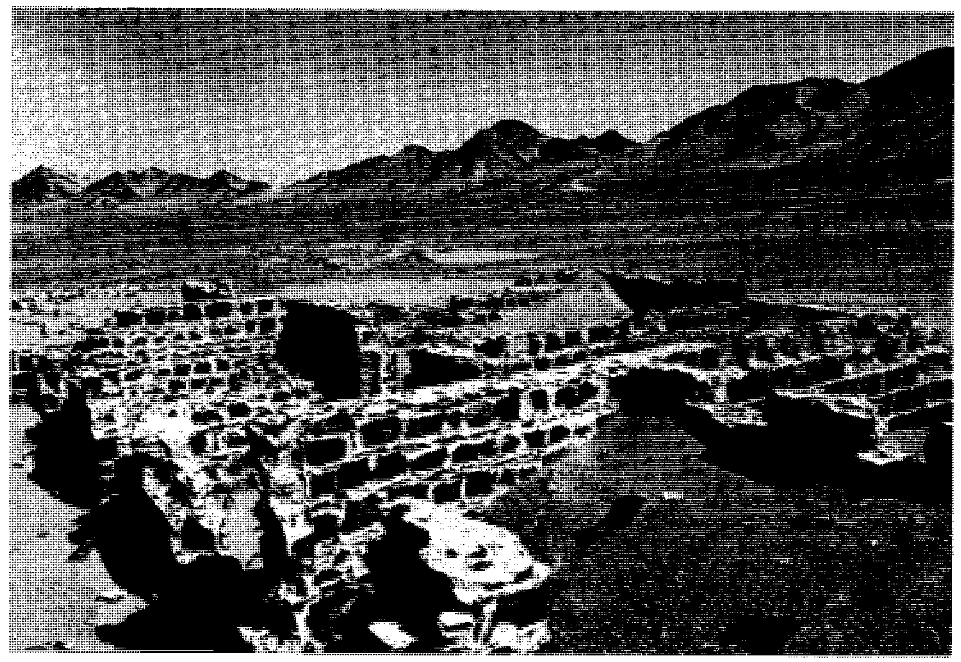
٥- **زحف العمران** : تشير الحسب المئوية إلى أن العالم العربي يتكاثر سكانه بنسب عالية وفي مقدمته المملكة العربية السعودية بنسبة تزيد على ٣,٥٪ سنوياً ، ومعنى هذه الزيادة في السكان ، زيادة في المساحة السكنية ، ومعنى ذلك توسع عمراني على حساب المباني القديمة والتراث العمراني وخاصة في المدن القديمة ، إذ أنه بالإمكان ترك المدن القديمة على حالها والتوجه إلى الصحراء والأراضي البيضاء بحيث يتم تخطيطها تخطيطاً عمرانياً حديثاً ، ولكننا نلاحظ أن التوسع العمراني والقضاء على القديم كان بحجة أن البناء الطيني لا يقوى على عاديات الزمن ، ولكن ما نشاهده في المدن الأثرية مثل قرية الفاو أكبر شاهد على بطلان هذا الادعاء ، إذ أن المشكلة ليست في الطين ولكن في الرغبة فيما هو جديد والإعجاب به ، مما أفقد المدن أصالتها وعراقتها .بغداد عاصمة الرشيد لم يبق منها إلا القليل ، دمشق تآكلت ولكن بقيت فيها بقية بحكم وجود الجامع الأموي وما حوله ، أما القاهرة فقد احتفظت إلى حد ما بالتوالي الحضاري للقاهرة الفاطمية والأيوبية والمملوكية والخديوية ، ولكن يشوه كل ذلك الجمال العمارات الإسمنتية التي لم ترتفع إلى مستوى الذوق الرفيع في البناء السابق . ولعل

مما يلفت النظر أن أكثر الدول العربية اهتماماً بالتراث العمراني هي دول المغرب وخاصة المملكة المغربية ، ولا نستطيع أن نعزو ذلك إلى انخفاض مستوى المعيشة ، إذ لا بد أن أسباباً أخرى كانت وراء ذلك لعل من أهمها استمرار سكنى الناس في هذه المدن دون شعورهم بالحاجة إلى استبدالها ، وكان توسعهم خارج الأسوار لذا جاء توسعاً طبيعياً ولا أدل على ذلك من مدن فاس أو مراكش .

إن التوسع العمراني كان سبباً في قلق الآثاريين على التراث فكان لا بد من حصر هذه المنازل والخانات والسبل والمساجد والزوايا والكتاتيب ورسمها ورفعها معمارياً وخاصة دمشق والقاهرة وغيرهما من المدن العربية والإسلامية ، إلا أن مدننا لم تحظ بهذه العناية الفائقة بل أن الخطر قد لحق بآثارنا خارج المدن ، فانبرى الغربيون ينتشرون في كل بقعة من أرضنا يرسمون ويصورون ويجمعون ماخف حمله ويشترون ما أمكن شراؤه وبدأت الحافلات والناقلات تمخر أبواب الصحراء ، وبدأت الكسارات تأكل كل شيء دون تمييز وعندها بدأت الآثار من سدود ومبان وطرق ومعالم تتهاوي أمام التوسع العمراني والحضاري الحديث ، فمتى نضع لأنفسنا عقداً نتفق فيه ونتعاهد على أن تراثنا جزء منا وأن فقده فقد لجزء من كياننا وأن بقاءه ودراسته وأخذ العظة والعبرة منه تجدير لوطنيتنا وتعميق لشعورنا بالولاء والانتماء وأن الأمن الحضاري جزء من الأمن المعيشي والرخاء الآمن .



صورة تمثل محطة جدّاعة شمال المدينة المنورة ويظهر عليها آثار الاعتداء والتخريب



صورة تمثل الأساسات الباقية من جراء الاعتداء على المبنى التابع لمحطة جدّاعة



صورة تمثل آثار التشوية بواسطة الكتابة على واجهات الصخـور



صورة تمثل الكتابة بواسطة الدهانات على النقوش والرسوم الصخرية

الآثار في المملكة العربية السعودية واقعها ومستقبلها

أ. د. سعد بن عبد العزيز الراشد (*)

أولاً : المقدمـة :

تمثل المملكة العربية السعودية الجزء الأكبر من الرقعة الجغرافية للجزيرة العربية ، إذ تصل مساحتها إلى ٨٠ ٪ من إجمالي المساحة الكلية نسبة إلى باقي الدول المجاورة لها ، وتبلغ المساحة الإجمالية في حدود (٢,١٥٠,٠٠٠) كم٢ .

وقد أعطاها هذا الموقع أهمية خاصة بين مراكز الحضارات على مر العصور ، ولا غرابة أن يتحدث الرواد الأوائل من المؤرخين والجغرافيين المسلمين عن أهمية المكان وتاريخه ورصد الأحداث التي جرت على أرض الجزيرة العربية ، وعلى وجه الخصوص ما يخص الرسالة السماوية التي بشر بها خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، فاعتزت الجزيرة بالدين الإسلامي ، ونزول الوحي ، وتأسيس دولة الإسلام الأولى ، وانتشار الدين الحنيف إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وازدهار الحضارة الإسلامية التي تعود في جذورها إلى أرض العرب .

والمصادر المبكرة من تاريخية وجغرافية وأدبية ، غنية بالأخبار المبنية على المشاهدة ، أو الأخبار المتواترة ، أو الروايات الشفوية وكثير منها قائم على القصص والأساطير خاصة فيما يخص الأحداث التي جرت في الفترات السابقة لظهور الإسلام .

كما كانت الجزيرة العربية محط أنظار الرحالة الأوربيين مع بداية الثورة الصناعية والكشوف الجغرافية وظهور السيطرة الأوربية على كثير من بلاد الإسلام وطرق الملاحة البحرية فيها والتنافس على خيراتها .

ومن خلال كتابات الرحالة الأوربيين عن الجزيرة العربية عرف العالم جوانب من حضارة جزيرة العرب وآثارها ، وكان للأبحاث العلمية المنظمة فيما بعد على آثار جزيرة العرب

(*) وكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف .

وتاريخها بصفة عامة والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص الأثر الكبير في ظهور معلومات جديدة ومهمة عن تاريخ الجزيرة وحضارتها على مر العصور والتي تتكامل مع المعلومات السابق معرفتها بحيث كونت تقويماً تاريخياً يشمل العصر الإسلامي وما قبله في جزيرة العرب .

ويمكننا القول أن جزيرة العرب وهي بهذا الاتساع لا يتجاهلها المؤرخون والكتاب خاصة وأنها قد تأثرت - بشتى الطرق - بالحضارات القديمة المجاورة لها في مصر والشام وبلاد ما بين النهرين وفارس وبلاد السند .

كما أثرت بدورها في ظهور ونمو المراكز العظمى ، وقد يظهر لنا هذا التأثر والتأثير بين الحضارات عبر حركات القبائل والهجرات الناتجة عن التغيرات الإقليمية والتحولات المناخية ، الأمر الذي ترتب عليه تكوين شبكة من العلاقات المتباينة بين شعوب شبه الجزيرة وتلك المناطق القائمة فيما وراء حدودها . وتتضح ظاهرة الانتشار فالتراجع ثم الانتشار مجدداً للعديد من مراكز الاستيطان على طول حدود الجزيرة العربية خلال ستة آلاف سنة مضت ، في الممالك والإمارات العربية قبل الإسلام والتي تمركزت في شمال الجزيرة وكان لها علاقات قوية بالممالك القديمة في وسط نجد وجنوب الجزيرة .

ثانياً : النتائج الأولية لأعمال المسح الأثري :

أفادت أعمال المسح الأثري المبدئية في المملكة العربية السعودية عن معلومات وبيانات إحصائية تجسد شبكة العلاقات الحضارية الواسعة والمتشعبة التي شهدتها جزيرة العرب ابتداء من عصور ما قبل التاريخ ، والأحداث والحقب التاريخية والحضارية التي تلت ذلك ، ويمكن توضيح تلك المراحل بالترتيب الآتي :

١- العصور الحجرية في الجزيرة العربية (٢٠٠,٠٠٠ - ١٠,٠٠٠ ق . م) :

استوطن الإنسان شبه الجزيرة العربية على نطاق واسع منذ عصور موغلة في القدم وهناك دلائل فعلية على وجود مراكز استقرار حضاري في العصر الحجري القديم تعود إلى (٢٠٠,٠٠٠) سنة ق . م تقريباً ، ودلائل أخرى من العصر الحجري المتوسط (٥٠,٠٠٠) سنة ق . م تقريباً ، حيث يسود الأسلوب الأشولي والموستيري في الصناعات اليدوية حتى

العصر الحجري الحديث (١٠,٠٠٠) سنة ق . م ، وقد عثر على معظم مواقع العصر الحجري على امتداد أطراف الصحاري الشاسعة كالنفود في الشمال ، والربع الخالي في الجنوب والجنوب الشرقي .

٢- عصر ما قبل الفخار - العصر الحجري الحديث :

عثر على دليل مادي يؤكد الاعتقاد السائد بأنه قبل ٩٠٠٠ سنة ق . م كانت هناك جماعات بشرية مستقرة ، تعتمد على تربية الثدييات والقطعان من ذات الحجم الصغير والمتوسط ، وقد صاحب ظهور الاستقرار البشري في العصر الحجري الحديث أنماط معيشية موسمية تشمل حركات الانتقال الاضطرارية بسبب عوامل مناخية ، وكانت مراكز هذه المستوطنات في المناطق الشرقية والوسطى والشمالية والغربية وعلى جوانب وديان الجزيرة المتعددة .

ويبدو من خلال المكتشفات الأثرية أن التواصل بين هذه المناطق كان قائماً ، وكان للإتصالات الشاملة التي تمت وتطورت بين شرق الجزيرة وبلاد ما بين النهرين في أثناء فترة (العبيد) أثرها ومن الممكن أن تكون نتيجة التحركات الاستيطانية التي سبقت عصر ما قبل الفخار . ومن مميزات العصر الحجري وحضارته المادية تلك الأدوات المصنعة من شظف الصوان ، وكذلك النقوش والرسوم الصخرية التي تنتشر بكثافة خاصة في المنطقتين الشمالية والوسطى ، وأقدم مثال على مواطن تلك النقوش موقع (جبه) الواقع في النفود على مسافة ٤٠ كم شمالي مدينة حائل .

ويعد مولد العلاقات الخارجية للجزيرة إبان فترة العبيد ما بين ٥٠٠٠ - ٣٥٠٠ ق . م ذا مغزى مهم حيث تمثل بداية الخطى التي جعلت حضارات شبه الجزيرة تلتحم فيما وراء حدودها .

٣- التاريخ المبكر : من العصر الحجري النحاسي إلى منتصف العصر الحديدي :

كانت أولى مراكز الاستقرار المدنية في الجزيرة العربية قد ظهرت إبان الألف الثالث ق . م وتركزت بواكيرها على طول ساحل الخليج العربي وشطآنه وهذا نتيجة للاتصالات الأولية مع بلاد ما بين النهرين ، ولاتساع آفاق العلاقات العالمية التي تركزت على طول خطوط

تجارة الخليج في أثناء الألف الثالث ق . م ، كما كانت " ديلمون " مركزاً لحضارة مزدهرة ولعل الاتصالات السومرية مع هذا الكيان الحضاري هي التي أثمرت بالفعل وأكدت الدلائل على قيام تلك العلاقات التاريخية بين الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين ، وكانت هذه العلاقة تمثل نظاماً تجارياً عالمياً راقياً على مستويين من التفاعل :

أ – تقديم المواد الخام كالنحاس من عمان ، ومصادر للمنتجات البحرية وربما الحاصلات الزراعية وكانت هذه العلاقة بين المراكز الحضارية وبين بلاد ما بين النهرين وبلاد السند وبعض الجهات الأخرى علاقات بعيدة المدى .

ب – تعد موانئ هذه المراكز الحضارية موانئ بحرية ثم مراكز لتوزيع السلع التجارية وللتبادل التجاري بين المناطق الرئيسية مثل جزيرة (تاروت) وساحل القطيف .

أما المنشآت التي عثر فيها على أطلال تشتمل على أدوات حجرية بدائية لا تدل على أعمال متطورة ، كما تشتمل على الفخار وبعض المواد ، فيمكن إرجاعها إلى العصر النحاسي القديم .

٤ – الألف الثاني قبل الميلاد :

شهد الألف الثالث نمواً وازدهاراً لمراكز الاستقرار في أجزاء مختلفة من الجزيرة العربية . ولكنه بدأ يضمحل تدريجياً ابتداءً من منتصف الألف الثاني نتيجة للتمزق والانهيار الذي أصاب مراكز الزراعة في بلاد ما بين النهرين ووادي السند وجنوب غربي إيران .

وتوقفت شبكة التجارة الأولى تماماً في نهاية الألف الثاني ، وعرف هذا العصر بعصر الظلام في بلاد ما بين النهرين ، إلا أن حالة الانحسار التي تعرض لها النمو الاستيطاني في المناطق الوسطى والشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية لم تكن بنفس القسوة نفسها التي كانت عليها في شرقها ، حيث تطورت مجموعات المدن ذات الأسوار الكبيرة منذ منتصف الألف الثالث وحتى نهاية الألف الثاني مثل تيماء ، وديدان (العلا الحديثة) ودومة الجندل .

٥ – الممالك العربية الأولى :

واصلت بعض المراكز الحضارية القليلة ازدهارها على طول الخليج في الفترات التي تتزامن مع الأشوريين ، البابليين ،الأخمينيين ، وأخيراً البارثيين ، وذلك فيما بين القرنين

التاسع والثاني ق . م وحتى خلفاء الإسكندر ، الذي كان حلمه غزو الجزيرة العربية ، وشهد شرق الجزيرة مجدداً تزايداً كبيراً في عمليات الاستقرار الحضاري في الفترة التي توافق عصر خلفاء الإسكندر المعروفة بالفترة السلوقية .

وقد كان للمراكز الداخلية أهميتها بالنسبة لشبكة التجارة التي تتقاطع خطوطها في شبه الجزيرة العربية من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي لتنتهي بجنوب ما بين النهرين ، وازدهار العديد من المدن التجارية على طول امتداد الطريق من جنوب غربي ثاج إلى " قرية " الفاو ونجران خلال نفس الفترة .

شهد الألف الأول ق . م أيضاً نمواً سريعاً في مراكز المدن ذات الأسوار التي كانت قد ظهرت بواكيرها في الألف الثاني في وسط وشمال الجزيرة العربية ، حيث قامت مستوطنة (حائل) أو (آركوم) التي تقع وسط منطقة جبل شمر ، بالإضافة إلى المراكز الأخرى على طول وادي السرحان مثل (الجوف) التي حكمت المنطقة بأسرها في منتصف الألف الأول في المنطقة الوسطى والشمالية من الجزيرة العربية .

وفي الوقت نفسه حدثت تطورات تمثلت في توحيد كيانات في هضبة نجد وعلى طول امتداد جبال طويق ووادي الدواسر ، كما أصبحت مملكة (كندة) الشهيرة التي جعلت من مدينة " قرية " الفاو عاصمة تجارية وسياسية لها ، وأصبحت ذات نفوذ شمل مدن التجارة المعروفة مثل (نجران) وجرش والتي أصبح لها شهرة كبيرة بسبب اتصالاتها التاريخية بين أراضي (بلقيس) و (فلسطين) .

ومن أعظم التطورات أهمية خلال الألف الأول ق . م ما حدث في أراضي (مدين) ، وكذلك نهضة العديد من المدن التي تقع على طول المنحدرات الشرقية لجبال الحجاز والتي زاد اتساعها غرباً بامتداد عدد المدن الساحلية على طول شواطئ البحر الأحمر من موقع مدينة (جدة) الحديثة حتى (خليج العقبة) .

كما قامت ممالك قوية في منتصف الألف الأول مثل مملكة (ديدان) في العلا وجاء بعدها مملكة لحيان ، وشهدت تلك الفترة تأثيرات ممالك جنوب الجزيرة العربية مثل (المعينيين) و (السبئيين) لتشمل كل أنحاء مدين ، وفي القرون الأخيرة من الألف الأول ظهرت

قوة مسيطرة متمثلة في مملكة " الأنباط " التي حلت محل الممالك المتعاقبة في وقت مبكر من تاريخ الجزيرة ، وتتمثل آثار هذه المملكة في البتراء في الأردن و "مدائن صالح" والبدع ومنطقة الجوف ووادي السرحان في المملكة العربية السعودية وبدأت مملكة "الأنباط" في التدهور والانهيار إلى أن تم تصفيتها في القرن الثاني بعد الميلاد لتكون نهاية الممالك العربية في شمال غربي الجزيرة .

٦ - صراعات الإمبراطوريات القديمة على أرض الجزيرة العربية (٢٠٠ - ٦٣٢ م) :

يتمثل معظم تاريخ شمال الجزيرة العربية في الصراع بين إمبراطوريتي الشرق والغرب للسيطرة على التجارة في الجزيرة العربية حيث ظهرت إمارات عربية موالية للروم أو الفرس ، ويعد " الغساسنة " في الشمال الغربي و " المناذرة " في الشمال الشرقي مثالين بارزين لحدة الصراع ، وقد تم الوقوف على عدد يسير من المواقع الأثرية عن هذه الفترة في الوسط والشمال الغربي للمملكة ، وقد دلت الحفائر الأثرية في "قرية" الفاو على أن هذه المدينة كانت قائمة حتى القرن الرابع الميلادي ، وانهار مركز (نجران) التجاري قبل الفتح الإسلامي بوقت غير قليل ، كما عُرِفتْ بعض المواقع الساحلية أو المحاذية لها مثل الجار والعيص ، وذلك خلال الفترة المذكورة . ولكن نمو مراكز المدن ومناطق الاستقرار في كثير من أنحاء الجزيرة بدأ يشهد مرحلة التدهور التام خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين نتيجة للصراع بين الإمبراطوريتين (الروم والفرس) ويضاف إلى ذلك كساد تجارة البخور في الأسواق النصرانية للإمبراطوريات الغربية حسب ما أطلقه بعض المؤرخين .

٧ - العصر الإسلامي :

كان ظهور الإسلام منعطفاً حاسماً في تاريخ شبه جزيرة العرب ، حيث تحقق بفضل ذلك الوحدة الشاملة لأجزاء شبه الجزيرة العربية المختلفة ، وبالتالي قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وامتدادها إلى كل موقع وصل إليه الدين الإسلامي ، وعلى الرغم من انتقال مركز الخلافة الإسلامية إلى بلاد الشام والعراق فإن الجزيرة العربية لم تكن بمنأى عن التطور الحضاري وعلى وجه الخصوص في القرون الثلاثة الأولى ، فقد كشفت الدراسات والبحوث عن مدن ومواقع أثرية وكتابات ونقوش منذ زمن الأمويين والعباسيين ، وهناك مئات

المواقع الإسلامية المبكرة المنتشرة على امتداد طرق التجارة والحج .

كما تم العثور على العديد من مراكز الاستقرار في الجنوب الغربي من الجزيرة حول مناطق التعدين في المناطق الجبلية ، وهناك مئات الآثار التاريخية الباقية والمعالم العمرانية التي تمثل السدود والعيون والآبار والقلاع والحصون وغيرها من الآثار الإسلامية التي تدل على استمرار النشاط السكاني والتواصل الحضاري حتى ظهور الدولة السعودية الأولى بمنطقة نجد .

ثالثاً : حالة الآثار قبل التنظيم وفي ظل خطط التنمية :

بقيت الآثار بمختلف أزمانها وعصورها من بقايا مدن وأطلال القصور والحصون والسدود والآبار والقنوات والعيون وآلاف الكتابات والنقوش والرسوم الصخرية وغير ذلك من الآثار إلى حد كبير في حالة سليمة من عبث العابثين وطمع الطامعين . إلا أنه ومع بداية النهضة التي شهدتها بلادنا ودخول وسائل الخدمات الحديثة وتنامي الازدهار في مختلف مناحي الحياة ، فإن الأضرار لحقت الكثير من الشواهد الحضارية والتاريخية وطمس العديد من المعالم الأثرية ، ويمكن توضيح أسباب ذلك في الآتي :

١ - امتداد الرقعة السكانية وازدياد المخططات السكنية وقيام المشروعات العملاقة :

رأينا أنه يتم توزيع وتخطيط المخططات السكنية دون مراعاة للتراث العمراني والمعالم التاريخية والأثرية ، يضاف إلى ذلك أن المشاريع التي تنفذ لا يسبقها دراسة توثيقية لما هو ظاهر على سطح الأرض من معالم ، طبيعية وغير طبيعية ، وكانت النتيجة طمس ملامح المدن والقرى في مختلف أنحاء المملكة فضاعت معها شواهد تاريخية وحضارية تمثل دلائل مادية تصور مختلف مناحي الحياة .

ومع إدراكنا للظروف المحيطة الخاصة بتنفيذ المشاريع التنموية والجهود التي بذلت للنهوض بمستوى المواطن فإن تلك الجهود لم تضع ضمن اهتماماتها الحفاظ على الآثار وعلى التراث المعماري في الكثير من مناطق المملكة ولم يؤخذ بتجارب الدول الأخرى في هذا المجال ، وخير مثال على ذلك العاصمة الرياض التي عانت كثيراً من عدم الاهتمام بتراثها المعماري المميز ، ولكن جهود الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض تداركت ذلك مؤخراً في الكثير من

أعمالها ومشاريعها الهادفة في التطوير مع الأخذ في الحسبان المحافظة على الشواهد العمرانية والتراثية الباقية ، ولم تكن الرياض وحدها التي عانت من هذا الأمر بل امتد ذلك إلى مكة والمدينة والقصيم ومدن الساحل الشرقي وبعض المناطق في عسير ونجران وحائل .

وتمكنت أمانة مدينة جدة من الحفاظ على الطراز المعماري في المدينة التاريخية وتم تشكيل لجنة لهذا الغرض ، ولا زالت المعالم التاريخية والأثرية في دومة الجندل وتيماء والعلا وسدوس وغيرها معلقة حتى الوقت الحاضر .

٢- امتداد الرقعة الزراعية :

كان لتوزيع الأراضي الزراعية واعتماد المخططات بشكل مفرط أثر كبير في إلحاق الأذى بالمواقع الأثرية في العديد من المناطق والمحافظات ويعزى ذلك أيضاً إلى عدم وجود تنسيق بين الجهات المعنية مما نتج عنه ظهور عدد من القضايا بين أصحاب المزارع والجهات المسؤولة عن الآثار وما حدث على سبيل المثال في مسجد جواثا بمحافظة الأحساء واليمامة بمحافظة الخرج ووادي حنيفة وموقع قرن الزعفران في نجران خير شاهد على ذلك .

٣ - الطرق والمواصلات :

للمواصلات دور رائد في ربط أجزاء الوطن، وتنفيذ مشاريع عملاقة تعد مفخرة للجميع ، ونقدر تعاون المسؤولين في وزارة المواصلات وأصحاب الشركات الوطنية في المحافظة على الكثير من المعالم الأثرية التي تمر بها مشاريع الطرق ، إلا أن هذا الحس لم نجده لدى الشركات التي تعمل من الباطن ، حيث أدى تجاهلها للآثار إلى اندثار عدد من المواقع الأثرية في عدد من المناطق والمحافظات مثل ما حدث لموقع قرن الزعفران بمنطقة نجران وفي المجمعة ومواقع في الربع الخالي وفي تبوك وعلى امتداد طرق التجارة والحج .

٤ - وعي المواطن وأثره سلباً على الآثار :

كان للجهود التي بذلتها الدولة أثر واضح ومميز في رفع درجة الوعي الثقافي لدى المواطن السعودي وفي شتى المجالات ، سواء من خلال المؤسسات التعليمية أو البرامج الثقافية المتنوعة أو من خلال وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، ويأتي في مقدمة ذلك، الوعي الأثري الذي تنامى لدى الناس بشكل تدريجي مع أنه لم تكن هناك خطط أو برامج

توعوية بشكل مكثف ، وهذا شيء طبيعي في وقت كانت إدارة الآثار في بداية تكوينها ، حيث تكثفت جهودها في وضع خطط للمسح الأثري وتحديد الأولويات للمواقع الأثرية والمواقع التاريخية المراد المحافظة عليها .

ولم يكن بمقدورها نشر رسالتها بين الوزارات والمؤسسات والهيئات الحكومية والأهلية ، وبين عامة الناس ، فكل موضع تصل إليه إدارة الآثار كان يثير فضول المواطن إما بالتعدي بهدف الملكية بكل الوسائل والحيل الممكنة ، وإما بالنبش والتخريب .

وقد وضعت الوزارة خطة لتسوير المواقع الأثرية وبالتنسيق مع الجهات الحكومية ذات العلاقة وتعيين حراسات على بعضها ، كما وضعت علامات إرشادية وتحذيرية على بعضها الآخر بدون التسوير ومع ذلك لم تسلم تلك المواقع من التعدي مهما كانت طبيعة الموقع وبعده أو قربه من مراكز الاستيطان .

بل إن هناك بعض المتطفلين من ضعاف النفوس تنامت لديهم غريزة التعدي بالحفر والتخريب بحثاً عن كنوز مزعومة .

كما أن سرعة حركة التنمية في بلادنا حدت بالكثير من المواطنين إلى تملك أراضي واسعة ، وبشتى الوسائل وبذلك دخلت معالم تاريخية ومواقع أثرية في تلك الملكيات قبل أن يكون للجهات المختصة بهذا الأمر دور يذكر بالرأي والمشورة ، على الرغم من الجهود التي كانت ولا زالت تبذلها وزارة الداخلية في التنبيه على أهمية الآثار ، والتعاميم المستمرة التي توجهها لكافة القطاعات الحكومية في المناطق والمحافظات - وكان آخرها التعميم البرقي رقم ٣٨/ ٤٣٦٥١ في ٢٥ ـ ١٤١٨/٦/٢٦هـ الموجه من سمو وزير الداخلية لإمارات المناطق بالتنبيه على جميع المحافظات والمراكز التابعة للمناطق بعدم التعرض لأي أثر من المعالم القديمة أو ذات الطابع الأثري والمعماري التقليدي إلا بعد الرجوع لوكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف - ويعد هذا التعميم سنداً قوياً للجهود المبذولة من أجل المحافظة على الثروات التاريخية لبلادنا ، كما أن هذا التوجيه تم تعميمه على كافة الوزارات والمؤسسات الحكومية ، فإنه مع ذلك لا زال التعدي والمخالفات لهذه التعليمات ولنظام الآثار قائماً حسب ما سنوضحه لاحقاً .

٥ - الكوارث وأثرها على الآثار في المملكة العربية السعودية :

الكوارث الطبيعية كثيرة وممكن وقوعها ، وبالرجوع إلى سجلات وكالة الآثار والمتاحف فقد تبين أن الآثار تتعرض لدمار بسبب العوامل الطبيعية من زلازل وبراكين وسيول جارفة ، وبالرغم من محدودية الزلازل وتأثيرها في بلادنا في الوقت الحاضر فإن الخبرة في حماية الآثار غير متوافرة حتى الآن ، ولا توجد خطة علمية واضحة لحماية الآثار من المخاطر في المنظور القريب ، غير أن هناك كوارث أخرى تهدد الآثار مثل الآفات الأرضية والفيضانات والسيول والمد والجزر البحري والعوامل الجوية والمناخية ومنها الأعاصير والرياح والزوابع والحرارة والرطوبة النسبية المرتفعة والمنخفضة والأمطار والصواعق .

ومن المفيد جداً أن نشير إلى دور الدفاع المدني في إخماد الحرائق التي تصيب المتاحف والمباني التاريخية والأثرية والمعالم العمرانية . فحتى الآن لا يوجد تنسيق وخطة علمية وفنية للتعامل مع هذه المنشآت عند حدوث الحرائق - لا سمح الله - وبالطريقة التي لا تلحق أذى بالآثار كما هو مطبق في بلاد العالم الأخرى .

وما حصل مؤخراً في التعامل مع الحريق الذي أصاب منزل البابطين بمحافظة ينبع أمر مؤسف فقد سلط أفراد الدفاع المدني خراطيم المياه على المبنى كافة لساعات طويلة فكانت النتيجة انهيار الجدران والأسقف وضاعت معالم معمارية وفنية من القصر .

أما الزلازل فتتركز نشاطاتها على أخدود البحر الأحمر حيث سجل ٢٥٨٦ زلزالاً قوتها ما بين ١و ٣ و ٦ و ٧ بمقياس ريختر وذلك من عام ٦٢٧م إلى عام ١٩٨٩م معظمها في منطقة الصحيفة العربية ، كما بلغ عدد الهزات الأرضية على طول ساحل البحر الأحمر الشرقي ١٥٠٠ هزة أرضية تتراوح قوتها من ٠,٥ إلى خمس درجات بمقياس ريختر وذلك في الفترة ما بين عام ١٩٧٨م إلى عام ١٩٨٣م .

هذا وقد تعرضت عدد من المناطق والمدن في المملكة لزلازل تتفاوت درجات قوتها ، فمدينة أبي عريش تعرضت لزلزال في ١١ يناير ١٩٤١م ، وشرق مدينة أبي عريش أيضاً في ١٩٦٠م ، وفي منطقة ظهران الجنوب ١٩٦٢م مما أدى إلى هدم وتصدع بعض الجبال والتلال الصغيرة وانهيار بعض المنازل ،وجنوب جدة في فبراير ١٩٨٠م ، وخليج العقبة ومدينة حقل في

١٤٠٣/٤/١٧هـ ، وعاودت الهزات الأرضية في اليوم التالي من هذا التاريخ في مدينة حقل فقط ، وحدث زلزال في بلجرشي في ١٤٠٥/٨/٢٤هـ ، والباحة وعسير في شعبان ١٤٠٥هـ ، وفي القنفذة وكان موقعها في البحر في ١٢/٢٩/ ١٤٠٦هـ ، وتتراوح قوة جميع تلك الهزات المشار إليها سابقاً ما بين ٣ و ٦,٥ درجة بمقياس ريختر .

على حين خلفت الهزة الأرضية التي حدثت عام ١٤١٦هـ في منطقة العقبة آثاراً سلبية على بعض أجزاء المنطقة الشمالية الغربية من المملكة حيث تصدعت بعض القلاع وخاصة قلعة تبوك الأثرية ، إذ لحق الانهيار بالجدار الجنوبي وتصدع الجدار الغربي فيها ، وبالتالي تحتاج القلعة لإعادة بناء الجدار الجنوبي وتقوية الجدار الغربي وترميم بقية القلعة .

بينما تضم تلك المناطق والمدن التي حدثت فيها الزلازل بما في ذلك ساحل تهامة مواقع أثرية مهمة منها ما يعود للعصور الحجرية ومواقع ما قبل الإسلام كموقع سهي الذي يقع في شاطئ رملي على بعد ٦٠ متراً من الشاطئ الحالي أمام تلال رملية وعلى بعد ٧٠ كيلاً جنوب جازان ، ويعود تاريخ الموقع إلى الفترة من أواخر الألف الثاني ق . م إلى العصر الإسلامي ، كما يوجد موقع جنوب جدة من العصر الموستيري وهو متاخم للطريق السريع المؤدي إلى مكة المكرمة وجبل القصب أو (كسب) على طريق جدة الطائف السريع على بعد ٦٠ كيلاً جنوب شرق جدة وعليه رسوم صخرية .

على حين أن المناطق الداخلية الغربية المتاخمة لسهل تهامة غنية بالمواقع الأثرية في مختلف العصور ومواقع النقوش الصخرية الإسلامية وكذلك الأحجار الشاهدية الموجودة في الكثبان الرملية والواقعة في وادي عليب .

ومن البديهي أن هذه المواقع تحتوي على أدوات حجرية وأواني فخارية وربما عملات ، ومبانٍ قديمة ونقوش ورسوم صخرية وغيرها وهي معرضة للدمار لوقوعها في منطقة النشاطات الزلزالية لا قدر الله .

٦ - الوقاية من كوارث الزلازل في المملكة :

لقد كان من نتائج المسح الشامل في جميع أنحاء المملكة اكتشاف حوالي ٤٠٠٠ موقع أثري ، منها مئات المواقع على ساحل البحر الأحمر الشرقي وتهامة والمناطق المتاخمة لها حيث

إنها تتميز بأهمية أثرية فريدة ، غير أنه من المؤسف أن الدراسات الزلزالية الحديثة في بلادنا أظهرت بما لا يقبل الجدل أن هذه المناطق معرضة إلى هزات أرضية قد تكون عنيفة ، وأن تغييراً سيحدث في القشرة الأرضية في هذه المنطقة وذلك نتيجة لتزحزح شبه الجزيرة العربية نحو الهضبة الإيرانية ، وأن مياه البحر الأحمر ستحدث بعض الأضرار بالمدن الواقعة على جانبيه لا قدر الله .

ومن هذا المنطلق يجب إنقاذ المواقع الواقعة في مناطق النشاطات الزلزالية سواء على اليابس أو تحت الماء ، وإجراء المسح المكثف في هذه المناطق لاكتشاف مزيد من المواقع الأثرية.

غير أن إنقاذ المواقع لا يمكن أن يتم إلا بدارسة مستفيضة ومتأنية للوصول إلى نتائج إيجابية تكفل للآثار سلامتها وحمايتها من الدمار مستقبلاً .

ونورد في هذه العجالة بعض الخطوات التي يجب تنفيذها :

١- القيام بحفريات إنقاذية بدءاً بالمباني الحجرية القديمة فالمباني الطينية القديمة ثم بقية المعثورات المنقولة .

٢- القيام بتسجيل كل ما هو ظاهر على سطح المواقع الأثرية .

٣- تجميع العناصر الزخرفية والمعمارية ونقلها إلى المتاحف بعيداً عن مناطق النشاطات الزلزالية أو إلى مستودعات خاصة بحفظ الآثار.

٤- نقل المباني الأثرية المهمة إلى بيئة مشابهة لمكانها الأصلي بعيدة عن مناطق الزلازل إذا أمكن ذلك أو عمل نماذج لتلك المباني .

٥- الرفع المعماري للمواقع (عمل الخرائط المساحية والرسم والمخططات الهندسية المشتملة على المساقط الأفقية والواجهات وتفاصيل الزخارف والعناصر المعمارية والنصوص التاريخية والكتابات المنقوشة والرسوم) .

ويمكن الإشارة إلى أن هذه الأعمال الإنقاذية تفوق إمكانات وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف مما يستوجب على الإدارات الهندسية والمساحية في أجهزة الدولة كافة المشاركة في إنقاذ تراثنا الحضاري ، وهذا مطلب أساس وواجب وطني على الجهات الحكومية والأهلية كافة تفهمه ، فبلاد العالم الأخرى المهتمة بتراثها تجد فيها - الهيئات المعنية بالمحافظة على

الآثار والتراث - كل الدعم في إنقاذ الآثار والتعاون في حمايتها وصيانتها وإبرازها للمجتمع.

رابعاً : إنشاء إدارة الآثار وصدور نظام الآثار :

إدراكاً من الدولة لأهمية الآثار فقد صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٧٢٧ في ١٣٨٣/١١/٨هـ (بالموافقة من حيث المبدأ على إيجاد دائرة للآثار ترتبط بوزارة المعارف) وجاءت الموافقة مبنية على الآتي أنه "بما في ذلك من أهمية بالنسبة للآثار كتراث قومي خالد وكمنهل من مناهل العلم والمعرفة وكصلة بين الماضي والحاضر وكمصدر من مصادر تاريخنا وحضارتنا وكمورد من موارد الاقتصاد الوطني بجانب أنها متطلب من متطلبات ركب الحضارة وعجلة التقدم ومسايرة لبقية دول العالم التي أوجدت في أجهزتها الحكومية دوائر خاصة بالآثار" ثم صدر المرسوم الملكي الكريم رقم م/ ٢٦ في ٢٣/ ١٣٩٢/٦هـ بالموافقة على نظام الآثار وتشكيل المجلس الأعلى للآثار لتحديد ورسم الخطوط العريضة لنشاط الإدارة والإشراف على منجزاتها .

ويتكون نظام الآثار من سبع وسبعين مادة مقسمة على سبعة فصول تم التعريف فيها بالأعمال التي يضطلع بها المجلس الأعلى للآثار ، والتعريف بالآثار الثابتة والمنقولة ، والاتجار بالآثار وتصديرها والتنقيب عن الآثار والعقوبات التي يجب تطبيقها على مخالف هذا النظام .

وانطلاقاً من الحرص والاهتمام اللذين أبداهما المسؤولون والذي كانت أولى ثماره إنشاء إدارة الآثار وإصدار نظام الآثار؛ فقد بدأت الإدارة العامة للآثار والمتاحف بممارسة نشاطها ولكن ببطء حيث كان مقرها في قاعة صغيرة الحجم في أحد المباني التابعة لمعهد العاصمة النموذجي بالرياض وكان يعرض فيها بعض القطع الأثرية المحدودة .

ومع بداية الخطط التنموية الشاملة للملكة في أوائل التسعينيات الهجرية انتقلت الإدارة إلى مقر مستقل مكنها من أداء مهماتها في تسجيل المواقع الأثرية وحمايتها وإنشاء المتاحف ، وكان من أولى إنجازتها صدور كتاب (مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية) عام ١٣٩٥هـ وهو أول كتاب مطبوع يصدر باللغة العربية والإنجليزية يعرف بآثار المملكة .

وفي عام ١٣٩٦هـ شرعت الإدارة - التي أصبحت فيما بعد وكالة مساعدة للآثار

والمتاحف [١] - في تنفيذ خطة طويلة المدى للمسح الأثري الشامل وإنشاء المتحف الوطني بالرياض ، وإصدار حولية الآثار العربية السعودية (أطلال) التي صدر عددها الأول عام ١٣٩٧هـ وتم فيها نشر نتائج الدراسات والمسوحات الأثرية ويتوالى صدور الحولية حيث وصلت إلى العدد الخامس عشر .

وعلى مدى ما يزيد عن عشرين عاماً تم حصر ما يربو على أربعة آلاف موقع أثري في مختلف المناطق ومحافظاتها ، وحددت تواريخ ما يقارب من ٢٤٥٠ موقعاً موزعة على جميع المناطق والمحافظات ، ولعل أهم المواقع التي شملها المسح الأثري : آثار العلا ومدائن صالح ، وتيماء والجوف ، وآثار ثاج والظهران والهفوف ، ونجران ، ومواقع متفرقة في منطقة الرياض والقصيم وجازان ومنطقة مكة المكرمة ، وقد واكب عملية المسح الأثري إجراء بعض الحفريات والمجسات والحفر الاختبارية ، ويجب التنويه في هذا المجال بالدور البارز الذي قام به قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود لتطوير الدراسات والبحوث الأثرية والقيام بحفريات مميزة في كل من الفاو والربذة ، كان لها المردود العلمي في تدريب الطلاب والنهوض بالبحث العلمي والدراسات العليا بالإضافة إلى الكشف عن معثورات ومواد أثرية متنوعة تشكل رافداً مهماً للعروض المتحفية في بلادنا [٢] .

ومن المهمات التي تضطلع بها وكالة الآثار والمتاحف ترميم المباني التاريخية سواء كان ترميماً وقائياً أو شاملاً ، كما تم إنشاء العديد من المتاحف المحلية والإقليمية في كل من نجران وجازان والعلا وتيماء ودومة الجندل والهفوف ، وروعي أن تكون هذه المتاحف بالقرب من المواقع الأثرية في تلك الجهات ، كما تم تحويل بعض المباني التاريخية بعد ترميمها لتصبح متاحف للآثار والحضارة الإسلامية في كل من جدة ، والطائف ، كما بدأت الترتيبات لإقامة متاحف إسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وتبوك [٣] ، وتم الانتهاء من الدراسات

(١) ولتسهيل إجراءات العمل وسرعة البت فقد صدر قرار معالي الوزير رقم ٨٩٣ وتاريخ ٨ / ٥ / ١٤١٨هـ بأن تكون الوكالة مرتبطة مباشرة بمعالي الوزير .

(٢) أنظر : عبد الرحمن الأنصاري، " قرية الفاو : صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية ". سعد الراشد ، " الربذة : صورة للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية " .

(٣) بالنسبة لمكة المكرمة فقد تم ترميم قصر الملك عبد العزيز بحي الزاهر وتحويله إلى متحف إسلامي ، أما المدينة المنورة فسيتم استخدام مباني سكة الحديد بالعنبرية وقد بدئ فعلياً باستخدام المبنى الرئيسي نواة للمتحف ، أما تبوك فالدراسات جارية لترميم محطة سكة الحديد .

الاستشارية والتصاميم الخاصة بإنشاء متحفين في وادي الدواسر والقصيم ، وهناك نواة لمتحف في مدينة حائل وآخر في عنيزة ، كما تم استئجار مبنى لمتحف مؤقت في القنفذة وتم اختيار أحد المباني التراثية في النماص وتحويله متحفاً للتراث .

خامساً : الأعمال والمشاريع :

يصعب في هذه الورقة حصر جميع المشاريع التي تولت وكالة الآثار تنفيذها في مجال المشاريع الإنشائية وأعمال الترميم للمعالم الأثرية والتاريخية وأعمال الحماية والتسوير ، فالإنجازات كثيرة ومتنوعة شملت معظم أرجاء المملكة .

ولم تتركز أعمال الترميم والصيانة في المواقع داخل المدن وفي المواقع التاريخية والأثرية المشهورة التي تحددت ملكيتها للدولة بل وصلت أعمال المشاريع إلى أماكن نائية .

وقد كان طموح الوكالة في أعمال الترميم والحماية كبيراً جداً ، خاصة حينما كانت ظروف الميزانية تسمح بالارتباط لمشاريع الآثار ، وفي السنوات الأخيرة تقلصت أعمال الترميم والصيانة والحماية إلى درجة كبيرة . ومع ذلك فإن حركة الترميم والصيانة والتسجيل والتوثيق لم تتوقف ، وتم إعادة برمجة المشاريع بما يتوافق مع ظروف الميزانية والتعليمات المنظمة لذلك .

والواقع أن ما نفّذ من مشاريع يعد مفخرة لوزارة المعارف ، وكل مشروع من المشاريع المنفذة يحتاج إلى وقت لشرح أهدافه وخطوات تنفيذه .

ولعلنا نكتفي في هذه العجالة بتوضيح أبرز المشاريع التي تم تنفيذها والمشاريع التي يجري العمل فيها ، والمشاريع المستقبلية على النحو الآتي :

أ - أهم المشاريع التي تم تنفيذها :

قامت الوكالة بتنفيذ بعض المشاريع والدراسات الهادفة للمحافظة على آثارنا وتراثنا نذكرها مرتبة حسب تنفيذها تاريخياً على النحو الآتي :

١- دراسة فنية لحي الطريف التاريخي بالدرعية (مرحلة أولى) .

٢- بعثة الآثار المصرية لعمل الدراسات التقديرية لتكاليف التوثيق والترميم لمباني حي الطريف بالدرعية .

٣- ترميم قصر ناصر بن سعود (مرحلة أولى) .

٤- ترميم إنقاذي للواجهات الخارجية لقصر إبراهيم بالأحساء .

٥- دراسات وإعداد مخططات ومواصفات المركز الثقافي بالدرعية .

٦- استكمال ترميم قصر ناصر بن سعود بالدرعية (مرحلة ثانية) .

٧- ترميم قصر المصمك .

٨- ترميم قصر ناصر بن سعود (مرحلة ثالثة) .

٩- ترميم قلعة أجياد بمكة المكرمة .

١٠- إقامة سور من السلك الشائك حول حي الطريف .

١١- بناء سور من اللبن حول الحراشية .

١٢- ترميم المرافق الخارجية لقصر ناصر بن سعود بالدرعية .

١٣- توثيق ست وحدات بحي الطريف بالدرعية وهي :

أ - سور وأبراج حي الطريف .

ب - قصر سلوى .

ج - مسجد سعد .

د - قصر سعد .

هـ- قصر ثنيان بن سعود .

و - حمام حي الطريف .

١٤- تطوير وتحسين المناطق الأثرية بالعلا ومدائن صالح .

١٥- توثيق وتسجيل قصر إبراهيم بالأحساء .

١٦- ترميم مكتب آثار الدرعية، وترميم البركة والمنحاة ومزرعة الحراشية بالدرعية.

١٧- أعمال تسوير المواقع الأثرية بسلك من الشبك الشائك .

(المرحلة الأولى) : تسوير مواقع في المنطقة الشمالية والغربية .

١٨- ترميم قصر الوزية بالأحساء .

١٩- ترميم برج رابغ الأثري (بالتعاون مع بلدية رابغ) .

٢٠- توثيق عدد من المعالم الأثرية والتاريخية بالدرعية وهي :

أ- أسوار وأبراج الدرعية .

ب- امتداد قصر سلوى .

ج- امتداد حمام الطريف وقصر الضيافة .

٢١- ترميم قصر سعد و أبراج حي الطريف .

٢٢- ترميم مسجد الروضة بمكة .

٢٣- ترميم بركة الجميمة والثليمة على درب زبيدة بمنطقة الحدود الشمالية .

٢٤- ترميم السور والبرج القديم بمبنى القشلة بحائل .

٢٥- ترميمات عاجلة بمنزل الربيعة بالمجمعة .

٢٦- تنظيف وترميم أبراج وحوائط قلعة تاروت من الداخل والخارج .

٢٧- إنشاء المتاحف الإقليمية الستة وهي على النحو الآتي :

أ - متحف نجران .

ب - متحف الهفوف .

ج - متحف الجوف .

د - متحف تيماء .

هـ- متحف صبيا .

و - متحف العلا .

٢٨- تسوير المواقع الأثرية في المنطقة الوسطى والغربية والشرقية والشمالية والجنوبية (المرحلة الثانية) .

٢٩- ترميم قصر صاهود بالأحساء .

٣٠- ترميم قصر خزام بجدة (ديوان الملك) .

٣١- ترميم قصر إبراهيم بالأحساء .

٣٢- ترميم مسجد كوت الجهل الأثري بالخرج .

٣٣- ترميم قصر الإمارة بنجران .

٣٤- توثيق قصر عمر بن سعود ومسجد وسبالة موضي بالدرعية .

٣٥- ترميم إنقاذي لأجزاء من مبنى القشلة بحائل .

٣٦- قلعة مارد بالجوف : (توثيق وتسجيل وتقوية الأساسات) .

٣٧- ترميمات متفرقة بحي الطريف بالدرعية .

٣٨- ترميم برج برزان بحائل .

٣٩- ترميم برج الثمد بمحافظة خيبر بمنطقة المدينة المنورة .

٤٠- ترميم منزل الشيخ محمد بن عبد الوهاب [١] .

٤١- عمل بوابات بحي الطريف وقصر إبراهيم بن سعود بالدرعية .

٤٢- ترميم مئذنة الجامع الكبير بعنيزة .

٤٣- تأثيث المتاحف الستة :

أ - متحف نجران .

ب- متحف الهفوف .

ج- متحف الجوف .

د- متحف تيماء .

هـ- متحف صبيا .

و- متحف العلا .

٤٤- ترميم سور وبرج الدلم بالخرج .

---

(١) تمت إزالة المنزل في فترة لاحقة ضمن مشروع تطوير البلدة القديمة بحريملاء .

٤٥- ترميم مباني سكة الحديد بتبوك (بالتعاون مع إمارة المنطقة) .

٤٦- ترميم أسوار وأبراج الدرعية .

٤٧- ترميم بيت البسام بعنيزة .

٤٨- ترميم بيت السبيعي بشقراء .

٤٩- ترميم مبانٍ متفرقة بحي الطريف .

٥٠- ترميم البرج الشمالي من قصر صاهود .

٥١- تجهيز وتأثيث حصن المصمك وتحويله إلى متحف يعرض مراحل تأسيس المملكة (بالتعاون مع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض) .

٥٢- المحافظة على مسجد جواثا الأثري بالأحساء .

٥٣- ترميم قصر أبو ملحة بأبها .

٥٤- ترميم مدرسة الهفوف الأولى بالأحساء (بالتعاون مع جمعية علوم العمران) .

٥٥- تأثيث بيت البسام بعنيزة .

٥٦- ترميم قصر الملك عبد العزيز بالمربع .

٥٧- ترميم مباني متفرقة بحي الطريف .

٥٨- ترميمات بالمقصورة الرئيسية بقصر إبراهيم بالأحساء .

٥٩- ترميم ميناء العقير الأثرى .

٦٠- تسجيل وتوثيق قصر الملك عبد العزيز بالخرج (المرحلة الأولى) .

٦١- ترميم مسجد عمر بالجوف (بالتعاون مع إدارة الأوقاف بالجوف) .

٦٢- ترميم منارة مسجد ابن ماضي ببريدة .

٦٣- ترميم قصبة العوص في وادي العوص برجال ألمع .

٦٤- ترميم قلعة الشعبين برجال ألمع وتحويلها إلى متحف للتراث .

٦٥- إزالة الأتربة والرمال من أسوار وأبواب قرية عشم الأثرية بالقنفذة .

٦٦- استكمال نواقص متحف تيماء .

٦٧- تسجيل وتوثيق وترميم قلعة تبوك (مرحلة أولى).

٦٨- ترميم منزل أحمد الملا بالأحساء .

٦٩- استكمال ترميم الجدار الغربي لقلعة تبوك .

٧٠- ترميم متحف التراث داخل قشلة حائل .

٧١- ترميم قلعة زعبل الأثرية بسكاكا .

٧٢- تأثيث قصر شبرا بالطائف وتحويله إلى متحف للآثار والتراث .

٧٣- تأثيث متحف قصر خزام بجدة .

٧٤- استكمال تطوير و تحسين المناطق الأثرية بالعلا ومدائن صالح .

٧٥- ترميم بيت الربيعة بالمجمعة .

٧٦- تسوير أرض متحف العلا .

٧٧- تسوير مباني سكة حديد تبوك .

٧٨- التصميم النهائي لمتحفي القصيم ووادي الدواسر .

٧٩- تسوير ميناء العقير الأثري .

٨٠- عزل سطح متحف الأحساء بالهفوف .

٨١- مشروع الخدمات الفنية لمشروع المتحف الوطني المركزي بالرياض .

٨٢- تسجيل وتوثيق محطة سكة حديد بالمدينة المنورة .

٨٣- ترميمات متفرقة بحي الطريف .

٨٤- تكسية أرضيات المصمك .

٨٥- استكمال نواقص متحف العلا .

٨٦- ترميم حمام حي الطريف .

٨٧- استكمال ترميمات في قصر سعد بالدرعية .

٨٨- ترميم مباني ميناء العقير الأثري بالأحساء (الخان والمسجد ومبنى الإدارة) .

٨٩- ترميم شامل لقصر شبرا بالطائف [١] .

٩٠- ترميم مسجد طبب بمنطقة عسير [٢] .

٩١- ترميم قلعة ذات الحاج بمنطقة تبوك [٣] .

ب -المشاريع المطروحة حالياً والجاري إنهاء إجراءاتها :

١- ترميم محطة سكة حديد الحجاز بالمدينة المنورة (*) .

٢ - ترميم قصر الملك عبد العزيز بالزاهر بمكة المكرمة (*) .

٣ - ترميم قصر إبراهيم الأثري بالأحساء (*) .

٤ - إنشاء حائط من الخرسانة المسلحة حول متحف صبيا لحمايته من مياه السيول.

٥- تسجيل وتوثيق بيت البابطين في ينبع البحر (*) .

٦ - ترميم مرافق الخدمات الصحية في متحف المصمك .

٧- ترميم برج الشنانة في الرس (*) .

٨ - ترميم مبني المتحف الوطني بالرياض (الشميسي) وتحويله مركزاً لتوثيق التراث.

٩- ترميم مدرسة الصانع بالمجمعة (*) .

ج -المشاريع الجاري تجهيز مستندات طرحها :

١- ترميم بيت السبيعي بمحافظة شقراء (*) .

٢ - ترميم بيت البسام بمحافظة عنيزة .

(*) المشاريع التي أمامها علامة (*) قد شرع في تنفيذها وبعضها في طريقها للانتهاء .

(١) يتم الترميم على حساب وزارة الدفاع بتوجيه كريم من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام .

(٢) يتم الترميم على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني .

(٣) يتم الترميم على نفقة صاحب السمو الأمير بندر بن محمد بن عبد الرحمن آل سعود .

٣- توثيق وتسجيل قلعة القشلة بمنطقة حائل (*) .

٤ - تصميم المتحف الإقليمي بالحديثة (محافظة القريات) .

٥- تصميم المتحف الإقليمي بمنطقة عسير.

٦- ترميم قصر كاف في القريات (*) .

٧ - ترميم برك درب زبيدة في المنطقة الشمالية .

٨- تسوير مجرى عين فرزان بالخرج .

سادساً: التطوير المستقبلي لجهاز الآثار:

أشرنا سابقاً إلى أن إدارة الآثار قد وافق مجلس الوزراء على إيجادها في ١٣٨٣/١١/٨هـ ، وحققت الكثير من الإنجازات ، غير أن ما تحقق ، بعد مرور ما يقارب من سبعة وثلاثين عاماً ، يعد ضئيلاً في حالة المقارنة مع دول أخرى سبقتنا في هذا المضمار ، وقد يعزى ذلك إلى أن نظام الآثار لم يصدر إلا في ١٣٩٢/٦/٢٣هـ مع تشكيل المجلس الأعلى للآثار ، إضافة إلى أن النظام لم يفعل بشكل فوري ، ناهيك عن وجود الكثير من الخلل في بعض فصوله ومواده من جهة ، وعدم وجود آلية عمل واضحة بين قطاع الآثار والوزارة من جهة أخرى ، وإذا كانت وزارة المعارف تفخر بارتباط الآثار بها إلا أن النظام أيضاً لم يوضح الجوانب المالية التي يتطلبها العمل الأثري مما جعل التنظيم المالي والإداري يشوبه شيء من عدم الرؤية والقبول .

كما أن مشاريع الآثار من مسح وتسجيل وتوثيق وترميم وإنشاء المتاحف مرهون بتوافر البنود المالية والتي يسري عليها ما يسري على المشاريع الأخرى في تطبيق الأنظمة المالية دون النظر إلى خصوصية الآثار ، بالإضافة إلى عدم توازن في الفهم عند الإداريين في حالة التفريق بين التعليم والآثار وخصوصية كل منهما .

أما توصيات المجلس الأعلى للآثار وقراراته فغالبها غير ملزم خاصة في النواحي المالية لعدم وجود المسوغ النظامي ، وهي العبارة الشائعة التي يرددها موظفو الجهات الرقابية ، ويعتمد الفهم والإقناع حسب قوة الحجة المسوغة للصرف ، أو المرونة من شخص لآخر ،

ويضـاف إلى ذلك أيضـاً أن مشـاريع المسح الأثري الشـامل للمملكة ارتبطت بخطط خمسية يوافق عليها مجلس الوزراء بناء على توصية من المجلس الأعلى للآثار ، وهذا يعني أن جميع مشـاريع المسح الأثـري والمعاينات والتـحريات والحـفـائر الإنقـاذية وغيـرها مرهونة بهذه الإجراءات ، ولا يمكن للوزير أو أي مسؤول تجاوز ذلك في الوقت الذي تكون فيه المواقع الأثرية عرضة للتخريب والتدمير والنهب ، وإذا سلّمنا جدلاً بذلك فإن البند الذي كانت تؤدى عليه مصاريف المسح الأثري تُحَمَّلَ عليه كذلك إعانات لعدد من المناشط الطلابية ولهذا فإن حصة الآثار من البند المشار إليه تكون ضئيلة في هذه الحالة كما أن خطط تطوير المتاحف وتدريب الكوادر الفنية القادرة على ممارسة العمل الآثاري لم يكن لها برامج ورؤية واضحة .

وقد تنبهت الوزارة مؤخراً في مرحلتها التطويرية إلى العقبات التي تعترض تطوير الآثار، وكان لمعالي وزير المعارف الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد رأي واضح وصريح بأن الآثار يجب أن تأخذ نصيبها من الاهتمام وأنها بوضعها الحالي لا يمكن أن تنهض إلا بدعم مالي وإداري وقد يكون ذلك على حساب البرامج التعليمية الأخرى التي لها أولوية من الاهتمام مثل المباني والتجهيزات المدرسية والمناهج وتطويرها والرقي بمستوى المعلم وتطوير الإدارة ونحوها .

ومن الحلول المبدئية التي سعت الوزارة إلى تحقيقها ما يلي :

١- تخصيص بند دائم لأعمال المسح الأثري - وافق المقام السامي على ذلك - ولكن يبقى الصرف منه مرهوناً بتعليمات الميزانية السنوية .

٢- تم إعادة النظر في نظام الآثار بشكل شامل ليتناسب مع تطلعات الدولة في الاهتمام بالآثار وفي ضوء ما هو معمول به في الدول الأخرى ، والنظام في صورته الجديدة معروض أمام الجهات المختصة لدراسته والتوجيه بشأنه ، علماً بأن النظام يتضمن تطوير جهاز الآثار الحالي ليصبح هيئة عامة للآثار والمتاحف وتكون هيئة ذات شخصية اعتبارية .

٣- استطاعت الوزارة تذليل بعض العقبات في توفير ميزانية لترميم وصيانة وحماية المواقع الأثرية بعد أن كانت مشاريع الآثار متوقفة منذ فترة .

٤- عملت الوزارة في السنوات الأخيرة على إتاحة الفرصة لمنسوبي وكالة الآثار للمشاركة في

المؤتمرات والندوات العلمية على الصعيد المحلي والإقليمي والقاري والدولي ضمن تنظيم يشمل قطاع الوزارة كافة، وكذلك إتاحة فرص الابتعاث والتدريب حسب الميزانيات المتاحة.

٥- وفي الهيكل الجديد لوزارة المعارف وضعت الآثار بمسمى "الهيئة الوطنية للآثار والمتاحف" مرتبطة بالوزير مباشرة ويكون هناك وحدة للآثار والمتاحف في إدارات التعليم .

لقد كانت هذه حلولاً وقتية ، اتخذتها وزارة المعارف ، للنهوض بقطاع الآثار ولكن الوزارة لها طموح أكبر وأوسع لتفعيل جهاز الآثار في ضوء ما يلي :

أ- تدعيم مساعي الوزارة لتكوين هيئة عامة للآثار والمتاحف .

ب- تكون الهيئة ذات شخصية اعتبارية تمارس عملها بيسر وسهولة .

ج- وضع ميزانية خاصة للآثار ضمن ميزانية الدولة يمكنها من القيام بعملها المنصوص عليه في نظام الآثار .

د- تعاون كافة أجهزة الدولة والمؤسسات الحكومية والخاصة والأفراد في حماية الآثار والمحافظة على التراث العمراني .

هـ- تمكين جهاز الآثار من الانفتاح عالمياً للاستفادة من تجارب الدول الأخرى في أعمال الكشف والتنقيب والبحث العلمي .

و- التوسع في إنشاء المتاحف والمعارض الدائمة والمؤقتة في المناطق والمحافظات والمدن والقرى بهدف رفع الوعي الأثري والتراثي بين الناس والاستفادة من الآثار كمصدر من مصادر التاريخ والعلوم وتأكيد دورها التربوي .

ز- استثمار الآثار في السياحة الثقافية .

ح- تفعيل دور الآثار في التوعية الوطنية وإدخالها في المناهج التعليمية حسب المراحل العمرية للطلاب .

ط- دعم جهاز الآثار والوقوف معه بحزم من لدن كافة الجهات المسؤولة في الدولة لمنع التعدي على الآثار ، ومساعدته في استرجاع ما لدى المواطنين من آثار مسروقة أو منزوعة من المواقع الأثرية في عدد من مناطق المملكة ، ووضع استراتيجية وطنية لاسترداد الآثار التي وجدت طريقها إلى خارج البلاد .

سابعاً : الاستفادة من تجارب الدول في رعـاية الآثـار :

يتضح مما سبق أهمية الآثار في المملكة العربية السعودية وأن المحافظة عليها أمر في غاية الصعوبة . والآثار بالإضافة إلى أنها مصدر للعلم والمعرفة فهي ثروة وطنية لا تقدر بثمن، وإن الحاجة العاجلة تدعو لتضافر الجهود بين كافة أجهزة الدولة للإبقاء على الآثار في مواقعها ، والتعامل معها على أسس علمية سليمة ، فالتفريط فيها تفريط في تاريخ بلادنا وحضارتها .

ومن المؤسف حقاً أن الآثار تتعرض للتخريب والإزالة والتشويه بصفة يومية ، بقصد أو بدون قصد ، وتضبط حالات كثيرة تتمثل في الحفر غير المشروع والنبش ونقل ونزع الكتل الصخرية المنحوتة والكتابات الإسلامية ، وغيرها ، من أماكنها وإخفائها ومحاولة تهريبها .

ولا زالت بعض المشاريع تنفذ في مواقع الآثار دون الرجوع إلى الجهة المختصة ، كما أن الشركات والمؤسسات الحكومية لا تضع في ميزانياتها بنوداً خاصة بالحفائر الإنقاذية دعماً لجهاز الآثار ، هذا ما يجري على اليابسة أما في المياه الإقليمية للمملكة فلا أحد يستطيع تقدير الأضرار التي تتعرض لها الآثار الغارقة .

وإذا كانت الدول الأخرى تواجه مشكلات كثيرة في التعدي على الآثار – عصابات تسطو وتسرق ، فإن الأنظمة والقوانين تقف لهم بالمرصاد على الصعيدين الوطني والدولي ، كما أن الوعي الأثري لدى مواطني تلك الدول يدعو للإعجاب ، وتعاون المواطن مع الدولة له مردود كبير وواضح ، فالكثير من الشخصيات والعوائل المرموقة وعامة الناس وهبوا ما لديهم من تحف وآثار للمتاحف المحلية والإقليمية في بلادهم بل إن بعضهم وهب ما لديه من مال وأملاك وضياع للهيئات المختصة بالآثار ، وبعضهم أنشؤوا متاحف على نفقتهم الخاصة .

ولعلنا نشير – على سبيل المثال – إلى الخطوات التي اتخذتها إنجلترا – وليست المملكة المتحدة – في حماية ورعاية الآثار داخل المدن وخارجها بما في ذلك المناطق الطينية والموحلة (Clayands) والمرتفعات (Uperlands) والأودية (River Valleys) والآثار الغارقة (Under water archaeology) ، فقد تم تأسيس هيئة بمسمى التراث الإنجليزي (EH) ويقع تحت مظلتها وحدات وأقسام متعددة ترعى المباني التاريخية والآثار ، وقد بلغ عدد موظفيها

في عام ١٩٩١-١٩٩٢م ما يقارب ١٦٠٠ موظف وارتفعت ميزانية الهيئة إلى أكثر من مئة مليون جنيه إسترليني .

وللهيئة فروع في أنحاء المناطق وتأتيها إعانات من جهات متعددة ، ولن ندخل في تفاصيل التجربة الإنجليزية ولكننا نشير فقط إلى الفقرة الرابعة من الفصل الرابع من نظام الآثار الإنجليزي ونصه الآتي :

" It is important to emphasize that English Heritage allocates the fund at its disposal for recording those archaeological sites which cannot be preserved and whose destruction is taking place beyond the control of agencies with the power and resources to deal with the problem. The commission welcomes participation by developers and other bodies in the funding of rescue programmes for its resources are inadequate to carry that burden alone. In particular local planning authorities have a clear role to play in ensuring that archaeological implications of planning decisions are properly assessed and that where destruction of important archaeological sites is unavoidable due provision for essential archaeological recording is argeed and made before permission for a particular development scheme is given " .

ومضمون هذه المادة التأكيد على أن هيئة التراث الإنجليزي هي الجهة المسؤولة التي يقع تحت تصرفها المخصصات المالية بغرض تسجيل وتوثيق المواقع الأثرية قبل تنفيذ المشاريع الضرورية ، وعندما يكون إزالة تلك الآثار مسألة حتمية فإن على الجهات المنفذة لتلك المشاريع عدم المساس بالآثار قبل تسجيلها وتوثيقها وتحمل المصاريف المترتبة على ذلك .

ولقد شاهدنا في كثير من بلاد العالم الحرص الشديد في المحافظة على المباني التاريخية داخل المدن وخارجها وعدم طمس النسيج العمراني فيها بل إنه ملزم لكافة الناس بعدم المساس به ويقعون جميعاً - مؤسسات حكومية وأهلية ومواطنين ، تحت طائلة القانون ، بل إن المشاريع الإنمائية ، مهما كانت أهميتها وكلفتها ، تتوقف عند العثور على أي معلم أو موقع أثري وتدفع الشركات المنفذة والمصالح المشرفة على تلك المشاريع مصاريف البحث الأثري والحفر والإنقاذ ، وفي أحيان كثيرة تعدل المشاريع في حالة ضرورة بقاء الأثر في مكانه ، بل إن الناس في المناطق والمدن والقرى يتشوقون لوجود معالم تاريخية وأثرية في أراضيهم حتى

تكون نقطة جذب للدارسين والباحثين وتشكل مورداً اقتصادياً في السياحة الوطنية ، ويضاف إلى ذلك أن الشركات المنفذة للمشاريع في تلك الدول تقدم إعانات مالية لهيئات وإدارات الآثار لدعم البحوث والدراسات ، كما أن المصانع والمؤسسات البحثية المعنية بالتقنية تقدم الأجهزة المتطورة بدون مقابل أو بأسعار مخفضة ، خدمة للبحوث الأثرية وكل ما يساعد على الاكتشافات الأثرية في باطن الأرض وفي البحر ، وتسخر مراكز بحوث الطاقة إمكاناتها لتقديم المشورة والمساعدة في تحليل المواد الأثرية المكتشفة ، بل إنها تقيم ورش ومختبرات عالية الكلفة داخل منشآتها مخصصة للنشاط البحثي الأثري .

ويدل كذلك على حرص الدول والحكومات على تراثها الثقافي والأثري ما قامت به الحكومة الفرنسية في كهف لاسكوس (Lascaux) في جنوب غرب فرنسا . هذا الكهف يشتمل على ١٥٠٠رسم صخري منحوت و٦٠٠رسم ملون تعود تواريخها إلى ١٥٠٠٠سنة ، وقد اكتشف هذا الكهف عام ١٩٦٣ م وكان يرتاده آلاف الزوار والدارسين والباحثين ومع ذلك منعت الحكومة زيارته منعاً باتاً للمحافظة عليه باستثناء الباحثين المتخصصين بحيث لا يتجاوز عددهم في اليوم الواحد عن خمسة متخصصين ، ولتعويض الزوار وطلاب العلم أقامت الحكومة الفرنسية كهفاً شبيهاً (Replica) بكافة تفاصيله الداخلية – بالقرب من الكهف الحقيقي ، والسبب في منع الزوار لهذا المعلم الأثري يعود لندرته ، وخوفاً من تأثير الإشعاعات والتلوث وحركة البشر وغير ذلك من المؤثرات الأخرى التي تضر بالأثر . والأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى والتي توضح اهتمام الدول بآثارها الثابتة وبالمواقع النادرة مثل الآثار الحجرية (Stonehenges) وحائط هادريان في إنجلترا ، وآثار بومبي في إيطاليا ، وسور الصين العظيم وغير ذلك .

ومن الأمور التي تعد مفخرة للعرب جميعاً ما قامت به مصر في رعاية آثارها وعلى وجه الخصوص في هضبة الجيزة التي تضم إحدى عجائب الدنيا السبع حيث يوجد فيها هرم خوفو وخفرع ومنقرع ، والأهرامات الثانوية الأخرى ومقابر المملكة القديمة وأبو الهول ، وما قامت به مصر وبدعم دولي عن طريق اليونسكو من عمل عظيم لإنقاذ آثار أبي سنبل عام ١٩٥٩م أثناء إنشاء السد العالي وآثار الأقصر والآثار الإسلامية الكثيرة مثل جامع عمروبن العاص وجامع ابن طولون والأزهر الشريف وغيرها .

وحيث ذكرنا سابقاً فإن الآثار إحدى الركائز الأساسية للسياحة في أي دولة فإننا نتطلع أن تدخل المملكة في هذا الجانب ولكن بشيء من الحكمة والتخطيط السليم مع الأخذ مسبقاً بالأسس العلمية وتوفير البنية التحتية لاستثمار المواقع الأثرية والمباني التاريخية دون تدخل المصالح الخاصة والقرارات الإدارية المتعجلة ، ولكي تنجح الدولة في استثمار الآثار في السياحة فلا بد من توافر عدد من العناصر لكل موقع أثري وهي :

١- العمل بروح الفريق بين الجهة المختصة في الآثار والجهة المعنية بالسياحة لوضع آلية وضوابط لكل النواحي التنظيمية وبعد أن يكون الموقع قد استوفى الشروط المطلوبة تسجيلاً وتوثيقاً وكشفاً أثرياً علمياً ، ومن ثم وضع الخطط لفتحه للسياحة مع ضمان استمرار الصيانة والترميم والتهيئة الإعلامية لذلك .

٢- يجب أن يؤخذ في الاعتبار وعلى مدى الأيام والسنين أن الآثار تبقى آثاراً في مواقعها ولا تخضع في كل الأحوال لإعادة بناء شامل ، وتستمر صيانتها على الحال الذي اكتشفت فيه ، ويعوض عن ذلك بأسلوب المحاكاة بواسطة الأفلام التوضيحية التي تقرب للذهن الصورة التي كان عليها الأثر . وأن تكون النماذج بين الآثار المعمارية والصناعات بأسلوب مبسط ، حتى لا يصبح الزيف هو الشائع ويتبين للزوار المهتمين والسياح أنهم خدعوا عند اطلاعهم على الآثار الثابتة أو المنقولة .

٣- من المسلم به أن الأثريين هم المسؤولون أولاً وأخيراً عن إدارة جميع المواقع الأثرية ، وهم الأقرب لملاحظة المتغيرات وما هو مقبول وما هو غير مقبول إدخاله في المواقع والمعالم التاريخية ، ولابد من وجود لجنة علمية وفنية متخصصة لإدارة كل موقع تاريخي وأثري على حدة .

٤- لابد من توافر وسائل خدمات ومرافق بالقرب من المواقع الأثرية ، أو بجوار الآثار ، شريطة أن تكون مرافق الخدمات في مواضع تحتية أو متوارية بحيث لا تؤثر على المظهر العام للموقع .

٥- تنظيم حملات إعلامية واعية وهادفة بالاتفاق بين الإدارة المعنية بالموقع الأثري والجهة المعنية بالسياحة ، بحيث توضح للزائر الموقع الحقيقي للأثر والمتغيرات والمستجدات

التي تتم فيه من الناحية العلمية والتنظيمية والمعلومات التي يتوقع أن يحصل عليها الزوار والتسهيلات المتوافرة .

٦- أمر مهم يجب تأكيده وهو ألا تكون الناحية الإعلامية وسيلة للاستفادة المادية على حساب الجانب التربوي والوطني ومن ثم ينعكس ذلك سلباً على الثقافة السياحية .

إن هذه النقاط التي نطرحها ما هي إلا مفاتيح مبدئية لمناقشات أوسع ودراسات أعمق ، وأبواب تفتح ، وجسور تبنى وحبل مودة يمتد للتواصل والاتصال بين الجهة المعنية بالآثار والجهة المعنية بالسياحة في بلادنا ، لتشكل بذلك فريق عمل واحد هدفه صالح الوطن والمواطن.

فالسياحة الأثرية والثقافية مكسب ما بعده مكسب ، وإذا توافرت النية الحسنة والتخطيط السليم فإننا سنصل بحول الله وقوته إلى الهدف المنشود .

ويمكن الإشارة إلى الإحصائية الصادرة عن اليونسكو والتي تفيد أن عدد السياح الذين طافوا العالم عام ١٩٩٥م بلغ نحو ٥٣٤ مليون سائح ويتوقع أن يصل عدد السياح في عام ألفين إلى نحو ٦٦١ مليون سائح ولا شك أن معظم هذا العدد إن لم يكن جميعهم سيطلعون على آلاف المواقع الأثرية والمعالم التاريخية والطبيعية ، وسيزورون المتاحف المتخصصة ، وسيتجولون في الأسواق ، وسيتعرفون على ملامح من حياة الشعوب وعاداتهم . بل إن الدراسات الإحصائية العلمية لهذا العدد تبين بنسبة عالية من الدقة والوضوح الأعداد الفعلية التي ستصل إلى مختلف المواقع المقصودة كل شهر ، وعدد الليالي التي سيسكن فيها الزوار في الفنادق ، والمصروفات التي سينفقها السواح في كل زيارة ، والوسيلة التي سيدخلون بها للمناطق ، وحجم المردود الذي سيحصلون عليه ، ونسبة القناعات لديهم من جراء السياحة .

والتخطيط السياحي ومردوده الاقتصادي والثقافي وتأثيره وتأثره باب واسع ليس هذا مكان الحديث فيه ولكن ما نود تأكيده هو أن المعالم الأثرية والتاريخية والمتاحف هي المكان المستهدف للكثير من الزوار الذين يجوبون الكرة الأرضية على مدار العام والمملكة العربية السعودية إحدى الدول المهمة التي يتطلع لزيارتها آلاف الناس للاطلاع على معالمها وحضارتها ونهضتها .

ثامناً : حماية الممتلكات الثقافية:

إن مصطلح (الممتلكات الثقافية) له معنى واسع في بلاد العالم ، فهو يعني كل ما أنتجته الشعوب والأمم ، وما له صلة بتاريخها الديني والفكري والاقتصادي والاجتماعي ، وغير ذلك مما يمارسه الإنسان عبر العصور .

فعلى سبيل المثال : يرى البعض أن لوحة الموناليزا الشهيرة تتساوى كملكية ثقافية مع صورة فوتوغرافية توضح غرفة معيشة لعامل فرنسي يعمل في مصنع للصلب . ومن هذا المنظور فإن الممتلكات الثقافية تبرز إطاراً قوياً وشهادة على جذور الإنسان ، وتطوره ، وتقاليده، وإنجازاته الفنية والعلمية ، والمحيط الذي يعيش فيه بصفة عامة والذي هو جزء منه .

والحقيقة أن هذه المواد التي يتركها الإنسان قادرة على التواصل بشكل مباشر ، أو بالتوافق وتوارد الخواطر ، وهي حقيقة ظاهرة تتجاوز المسافات والزمن وتعطي دلالة خاصة ، وفي ضوء هذه الدلالة فإن شيئاً ما لابد أن يتم للمحافظة على ذلك الإنجاز .

هذه مقدمة عابرة مستنبطة من الدراسات العلمية المتخصصة في مجال الملكية الثقافية ، ولأهمية هذا الموضوع فقد تضافرت جهود العديد من الدول تحت مظلة اليونسكو للمحافظة على التراث الإنساني عبر العصور في مختلف بلاد العالم . والمملكة العربية السعودية من أوائل الدول التي وقعت على تأسيس المنظمة في ١٦ نوفمبر ١٩٤٥م وصادق الملك عبدالعزيز - رحمه الله - عليها في ٢٤ربيع الآخر ١٣٦٥هـ (٢٦ مارس ١٩٤٦م) . وقد انضمت المملكة فيما بعد إلى عدد من الاتفاقيات المتعلقة بالتراث وهي :

١- اتفاقية حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح .

٢- اتفاقية حول التدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة .

٣- اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي .

وكما هو معروف عالمياً فإن الكثير والكثير من تراث الدول في مختلف بلاد العالم قد وجد طريقة خلال القرنين الماضيين خارج موطنه الأصلي إلى بلاد أخرى ، بعضه معروف

ومعروض في متاحف خاصة وعامة في أوربا وأمريكا وروسيا واليابان وغيرها ، وبعضه لا يزال - في غالب الظن - في أقبية المتاحف والمؤسسات ولدى تجار الآثار والتراث ، وهو تراث لا يمكن تقديره بثمن . وفي ضوء الاتفاقيات الصادرة عن اليونسكو ، أو بشكل ثنائي بين الدول نفسها ، تمكنت عدد من الدول من استرداد بعض تراثها المسلوب . وفيما يلي توضيح لبعض ما نعرفه عن الدول التي تمكنت من استرداد بعض تراثها :

* في عام ١٩٣٠م أعادت الحكومة البريطانية إلى متحف كولومبو في سيرلانكا مجموعة من الآثار نقلها روبرت براون ريج في عام ١٨١٥م ، تعود تلك الآثار إلى عهد آخر ملوك كاندي .
* في عام ١٩٥٠م كانت هناك اتفاقية بين فرنسا وحكومة لاوس لإعادة مجموعة من التحف الفنية إلى موطنها الأصلي .
* في عام ١٩٦٢م وهو عام استقلال أوغندا - أعاد متحف جامعة كمبردج عدداً من القطع التراثية التي تعود إلى حضارة كباكا في بوجاندا .
* في عام ١٩٦٤م أعاد متحف فيكتوريا وألبرت تحفة ماندالاي إلى متحف بورما .
* في عام ١٩٦٨م وبناء على اتفاقية بين الحكومة الفرنسية والجزائر تمت استعادة ثلاثمائة لوحة فنية والتي كانت معروضة في الجزائر في المدة ما بين ١٩٣٠ - ١٩٦٢م .
* في عام ١٩٧٠م أعادت الحكومة البلجيكية إلى المتحف الوطني في زائير ما يقارب من أربعين قطعة أثرية .
* في عام ١٩٧٣م أعاد متحف بروكلين بالولايات المتحدة الأمريكية جزء مسلة مسروقة من بيدارس نيجراس إلى حكومة جواتيمالا .
* في عام ١٩٧٣م طلبت هيئة الآثار السورية عودة تحفة من الفسيفساء أخذت من مدينة أباميا التاريخية ، ويعود تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي ، وكانت معروضة في متحف نيوآرك في نيوجرسي .

* في عام ١٩٧٤م أعاد المتحف الوطني في نيوزلندا قناعاً إلى متحف غينيا الجديدة – ميناء مورسباي .

* في عام ١٩٧٦م أعاد متحف بيبودي في جامعة هارفارد مجموعة من التحف العاجية إلى المكسيك .

* في عام ١٩٧٧م أعادت بلجيكا آلافاً من القطع التراثية إلى زائير وتكفلت الحكومة البلجيكية أيضاً بمساعدة الجهات المحلية في إنشاء متحف وطني في زائير .

* في عام ١٩٧٧ م نجحت إندونيسيا في استعادة مجموعة كبيرة من القطع التراثية والكنوز المحفوظة في هولندا ، إما لدى جهات حكومية أو لدى أفراد وكان ذلك مبنياً على توصيات اتخذت بين الحكومتين سنة ١٩٦٨م لعودة الممتلكات الثقافية .

* في عام ١٩٧٧م أيضاً أعاد المتحف الاسترالي إلى المتحف الوطني للفنون في غينيا الجديدة ١٧ تحفة أثرية على سبيل الإهداء بمناسبة افتتاح المتحف الجديد في بورت مورسباي .

* في عام ١٩٧٨م قدم المتحف الاسترالي إلى جزر سليمان بعض المنحوتات على سبيل الإهداء لتتوافق مع إعلان استقلال الجزر من بريطانيا .

وهناك أمثلة كثيرة في تمكن عدد من الحكومات ، على المستوى الدولي ، من استعادة بعض تراثها ومن ذلك :

* تمكنت سوريا عام ١٩٧٩م من استعادة رقم طيني محفوظ في جامعة ييل عندما تبين أن موطنه الأصلي في رأس شمرا (أوجاريت) .

* ١٩٨٠م استعادت الحكومة العراقية من فرنسا قطعاً من مدونة بابلية متزامنة مع مدونة حمورابي حيث كانت محفوظة في متحف اللوفر بغرض الدراسة البحثية ، وعرضت بعد ذلك في المتحف العراقي .

* في عام ١٩٨١م أصدر القضاء الفرنسي حكماً بإعادة تمثال للإله آمون رمين ، بعد أن تبين خروجه من موطنه (مصر) عن طريق الشراء بطريقة غير قانونية .

* في العام ١٩٨١ م أيضاً شهد رجوع عدد كبير من المقتنيات التراثية إلى مواطنها الأصلية ، فقد أعادت نيوزلندا آلاف القطع التراثية إلى جزر سليمان .

* وبمساعدة اليونسكو تم إعادة نقوش حميرية من بريطانيا إلى المتحف الوطني بصنعاء.

* كذلك أعاد متحف بيبودي في هارفارد مجموعة جرار إلى حكومة الهندوراس .

* وفي عام ١٩٨٢ م توصلت الحكومة العراقية إلى حل مع متحفين أمريكيين هما : متحف جامعة هارفارد للساميات ، ومتحف معهد الدراسات الشرقية في شيكاغو فتمت إعادة ٥٤٨ رقماً طينياً تحمل كتابات مسمارية إلى المتحف العراقي في بغداد . وكان من المتوقع أن يعاد ما مجموعه ١٠٥٥ رقماً طينياً فيما بعد .

* وفي العام نفسه أعادت الحكومة الإيطالية إلى إثيوبيا عرش الإمبراطور مينليك الثاني بعد مداولات طويلة بين وزارة خارجية البلدين .

* وفي عام ١٩٨٣ م أصدر القضاء في مدينة تورين حكماً بإعادة تحف خزفية إلى الإكوادور بعد أن تبين أنها خرجت بطرق غير نظامية .

وقد يصعب الإسهاب في الجهود التي بذلتها الدول في المحافظة على تراثها في موطنه الأصلي واستعادة التراث المسلوب والمحفوظ في دول أخرى .

أما عن الدول التي تمكنت من استرداد بعض تراثها من دول أخرى ؛ فإن ذلك لم يتم بيسر وسهولة ، بل اقتضى من تلك الدول مراسلات عديدة وبعثات وتبادل زيارات رسمية بين السياسيين والباحثين ، وتوكيل محامين متخصصين ، وتقديم الإثباتات القانونية والعلمية ، وما يتبع ذلك من جهد ووقت قد يصل إلى عدد من السنوات . وكل هذا يدل على أهمية التراث للدول في إبراز هويتها التاريخية والحضارية دون النظر إلى واقع الدولة صاحبة الحق من حيث موقعها الجغرافي ، أو مساحتها أو قوتها أو ضعفها ، أو غناها أو فقرها .

وإذا كان استعادة أثر مسلوب يعد انتصاراً معنوياً للدولة صاحبة الأثر ؛ فإن ذلك يدل أيضاً على أن التراث أصبح وسيلة لمد الجسور بين الدول بعضها ببعض بعيداً عن الحروب والكره والعداء ؛ بالإضافة إلى فتح آفاق جديدة للتواصل .

لكن الآثار التي تسلب نتيجة الحروب والاعتداءات على أرض الغير وتسترد بقوة النظام الدولي هي الانتصار الحقيقي لكرامة الشعب والدولة . وأبرز مثال لدينا ما قامت به مصر من جهد كبير بعد عودة سيناء محررة ، فقد طالبت الحكومة المصرية بعودة الآثار المسروقة من سيناء لمساس ذلك بكرامة الدولة وسيادتها . ويمكن الإشارة أيضاً إلى الدور الذي قامت به دولة الكويت في استعادة الآثار التي نهبت من دار الآثار الإسلامية في أعقاب العدوان العراقي الغاشم .

ومن خلال تعامل الدول مع بعضها البعض على الصعيد الثقافي ، تم اكتشاف أجزاء من آثار منقولة تتكامل مع آثار مكتشفة في المواقع التاريخية والأثرية ، ولذا يلزم الأمر الوصول إلى وفاق لعودة الجزء المفقود إلى جسمه الأصلي ، ومن الأمثلة على ذلك عودة بعض الأجزاء المعمارية المنقوشة والملونة إلى أماكنها الأصلية في مقابر البر الغربي بالأقصر ومنطقة دير الجبراوي بالصعيد المصري وبعض المعابد المصرية الأخرى . ومما يدعو للفخر والاعتزاز ما قامت به هيئة الآثار المصرية – هذا العام – من جهد للمحافظة على مئات الموميات التي اكتشفت بطريق الصدفة في منطقة الواحات البحرية (واحة الفرافرة) جنوب غرب القاهرة ، والمقتنيات والنفائس التي لا تقدر بثمن . هذه المنطقة لم تكن مدرجة كمنطقة تنقيب أثري ، ولكن شرطة الآثار أحاطت بالموقع بعد ساعات من نبأ الكشف وتم المحافظة على هذه الآثار التي لم ترَ الشمس منذ ألفي عام .

أما بالنسبة للمملكة العربية السعودية فلا يخالجنا أدنى شك بأن بعض آثار البلاد وجدت طريقها إلى الخارج بالرغم من جميع التحرزات الأمنية سواء قبل مرحلة توحيد البلاد ، أو بعد مرحلة التوحيد أو قبل صدور نظام الآثار أو بعده وذلك لعدة أمور :

أولاً : إن المواقع الأثرية المعروفة لدى الجهات المختصة كانت ولا زالت مكشوفة أمام الوافدين الأجانب العاملين في الشركات المنفذة للمشاريع البترولية والجيولوجية ونحوها .

ثانياً : كانت المواقع الأثرية مجالاً خصباً لجذب الجاليات المقيمة في المملكة فيقدمون على جمع الملتقطات السطحية وربما غير السطحية ، وقد يكون الكثير مما جمع وجد طريقه للمتاحف والمؤسسات البحثية أو بقي في حوزة الأفراد والأسر .

ثالثاً : تظهر بين الحين والآخر دراسات وبحوث في المجلات العلمية لمجموعات خاصة من الآثار التي عثر عليها في المملكة ووجدت طريقها للخارج بطرق غير مشروعة ولا تزال في حوزة بعض الأفراد والأسر وبعض تلك الآثار معروضة لدى المؤسسات الرسمية .

ومن الأمثلة التي وصلت لعلمنا مجموعة عملات عددها ٤٢ قطعة فضية تعود للقرن الثامن الميلادي ، عثر عليها أحد عمال أرامكو (م . د . مكلاود) في مارس ١٩٦٦ م بالقرب من قرية الراكة بالخبر بالمنطقة الشرقية ، وقد أهداها المذكور إلى كلية واجنر في جزيرة ستيني بولاية نيويورك حيث تعرض في مكتبة نورمان .

كما تبين أن أول رئيس لشركة ارامكو (توماس بارجر) قد حصل على مجموعة من آثار المملكة ونقلها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهي معروضة في متحف الدراسات السامية بجامعة هارفارد ، ويصل مجموع القطع المعروضة إلى عشر قطع ، أهمها نصب حجري منقوش من مدائن صالح يعود إلى العهد الإغريقي (حوالي سنة ٢٠٠م) (*) .

رابعاً : خروج كميات كبيرة من مواد الحرف والصناعات الشعبية إلى خارج المملكة ، سواء ما كان يباع في الأسواق المحلية أو ما كان يؤخذ من الأحياء والقرى التي هجرها سكانها ، لدرجة أن بعض الهواة أقاموا متاحف خاصة في بلادهم . فعلى سبيل المثال أسس باول نانس في شمال غرب ولاية ميسوري مركزاً متخصصاً يتعلق بتراث المملكة وحاضرها ، أطلق عليه اسم (متحف ومكتبة نانس) . وكان نانس قد عمل إدارياً في شركة أرامكو من الخمسينات وحتى تقاعده عام ١٩٨٣م ، وقد استطاع خلال حقبة ثلاثة عقود تكوين تشكيلة نادرة من المصنوعات اليدوية ، الجلدية ، والخشبية ، والقطع الفخارية ، وصناديق حفظ المجوهرات ، والخناجر ، والسجاد ، والأحجار الكريمة ، وصور تاريخية قديمة وبعض

(*) لقد تضافرت جهود كل من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز أمين الهيئة العليا للسياحة ، وكذلك صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نواف بن عبد العزيز سفير خادم الحرمين الشريفين في روما ، ومتابعة معالي وزير المعارف رئيس المجلس الأعلى للآثار الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد . إضافة إلى ذلك دعم ومؤازرة الأصدقاء في جامعة هارفرد وعائلة بارجر ، وكان جميعهم لهم الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في استرجاع مجموعة بارجر وهي من آثارنا المحفوظة في جامعة هارفرد ، والتي أودعت فيها على سبيل الإعارة المؤقتة . وتضم هذه المجموعة ١٤قطعة أثرية متنوعة قد تحصل عليها توماس بارجر من المنطقة الشرقية ومدائن صالح والفاو . (هيئة التحرير) .

الصحف والمجلات والكتب وغيرها .

ويذكر أن أكثر من ٧٠ شخصاً معظمهم من الأمريكيين الذين عملوا في السعودية خلال الفترة واهتموا بجمع القطع التراثية تبرعوا بها لصالح المتحف .

والواقع أن الجهد الذي قام به السيد (باول نانس) جهد يقدر وفيه فائدة علمية وزيادة الروابط بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية ، ويدل على حسن النية خاصة أن مجموعة كبيرة من زواره المميزين هم أولئك الذين عملوا في شركة أرامكو من الأمريكيين ويرغبون في تذكر أيامهم الجميلة في المملكة من خلال زيارتهم للمتحف .

والإعلان عن الآثار والتراث السعودي وإبرازه للناس أفضل من أن يكون محفوظاً في أماكن غير معلومة أو أن يظهر فجأة في المزادات الخاصة بالتراث .

وعندما نذكر بعض منسوبي شركة أرامكو وولعهم بجمع التراث من المملكة فليس من باب التشهير ، فإذا كان بعضهم قد حملوا معهم إلى خارج المملكة ما خف حمله وغلى ثمنه فإن البعض الآخر قدموا نفائس أثرية مهمة معظمها من المنطقة الشرقية موثقة توثيقاً جيداً كونت لدينا مجموعات متحفية معروضة الآن في المتحف الوطني ، والمتحف الإقليمي بالدمام ، بالإضافة إلى ما تحتفظ به وكالة الآثار والمتاحف في مستودعاتها . ونذكر من هؤلاء اثنتين من زوجات مسؤولين في شركة أرامكو هما جريس بيرك هولدر ومارني جولدنج اللتين قدمتا مجموعة كبيرة تتكون من فخاريات متنوعة ومصنوعات حجرية تعود إلى مواقع أثرية من عصر العبيد وغير ذلك من العصور .

ولعلنا نشير بالتقدير للجهد العلمي لشركة أرامكو عندما أخذت في الاعتبار تحديد المواقع الأثرية على الخرائط الجيولوجية والطوبغرافية في مختلف أرجاء المملكة بوضع علامات لمسار الطرق القديمة والآبار والبرك والمواقع الأثرية والمناجم المشهورة ، ووضعت لها رموزاً في خرائطها ، فكان هذا العمل مصدراً معلوماتياً مهماً للدارسين والباحثين ، ويجب التنويه أيضاً باستقطاب أرامكو في بداية نشاطها في المملكة لعدد من العلماء في الجيولوجيا والنبات والآثار لتقديم المشورة العلمية ، وكان لجهود هؤلاء أثر كبير في التعريف بالحضارات التي شهدتها أرض المملكة وأصبحت بحوثهم ودراساتهم من المصادر المهمة للبحث الآثاري ، ومن

أشهر هؤلاء الباحثين هنري فيليد والبرت جام ، فريد وينيت ووليام ريد وغيرهم . وقد حذر هنري فيليد من الأخطار التي تتعرض لها المواقع الأثرية من المقيمين من عمال أرامكو ، حيث كان لهم نشاط كبير في جمع الملتقطات السطحية من فخار ومصنوعات حجرية وغيرها . وذكر أن أولئك الهواة لا يوثقون المواقع التي يحملون منها الآثار ، ولا يضعون أسماءهم على بطاقات لتمييز المواقع الأثرية عن بعضها البعض ، وشدد على ضرورة بقاء المواد الأثرية التي جمعت من المملكة وأن تُجمّع بكاملها في الرياض .

ومن هذا المنطلق فإن وكالة الآثار تتطلع إلى أن يكون لشركة أرامكو السعودية دور ريادي كما كانت في السابق في دعم مسيرة النشاط الأثري في المملكة ، وأن تكون عوناً في ربط الجسور الثقافية بينها وبين عمالها السابقين ممن كان لهم اهتمام بالتراث السعودي ومحاولة إعادته إلى موطنه الأصلي من خلال آلية عمل مشتركة .

تاسعاً : الحماية في داخل الدولة أولاً :

ذكرنا فيما سبق أن هناك مؤشرات قوية عن تسرب بعض آثارنا للخارج وأن استعادتها أمر في غاية الأهمية وهو واجب وطني على الصعيد الرسمي والشعبي لضمان عودة الآثار في الخارج وبشتى الطرق والوسائل الممكنة وفي ضوء الاتفاقيات والنظم والأعراف والعلاقات الحسنة مع الدول التي قد يظهر أن بعض مؤسساتها ومواطنيها يمتلكون أثاراً من المملكة .

فإذا ما وجدت آلية متفق عليها بين الجهات الحكومية ذات العلاقة (الآثار – الداخلية – الخارجية – المالية) فإننا مع الزمن سنحقق الهدف المنشود .

والمملكة لديها تجربة سابقة في استعادة بعض الآثار التي كانت معروضة في المتحف البريطاني وهي قطع برونزية عثر عليها فيلبى في نجران ، فبعد محاولات وجهود مشكورة لوزارة الخارجية وسفارة المملكة في لندن تم استلام ثلاث قطع برونزية فقط في عام ١٣٩٥هـ .

ولكن إذا أردنا استرداد تراثنا في الخارج فعلينا أولاً استرداد آثارنا في الداخل والتي استحوذ عليها المواطنون وانتزعوها من مواقعها الأصلية ، وبدون تضافر الجهود بين المؤسسات الحكومية والمؤسسات الأهلية والمواطنين على مختلف مستوياتهم فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال المحافظة على تراث الوطن وآثاره الثابت منه والمنقول .

ولعلنا نورد بعض الأمثلة التي نواجهها بصفة يومية على النحو التالي :

قيام المحاكم بمنح الصكوك لأراضٍ فيها آثار ، دون الوقوف على طبيعة المكان وأهميته التاريخية ، خاصة وأن بعض المواقع التي آلت بالتملك تعود تواريخها لآلاف السنين ، وعند توضيح الواقع أو محاولة التوضيح لدى الجهات المختصة لا نجد حلاً للإبقاء على الآثار ، بل تميز الصكوك بإضافة عبارة (لا يوجد ما يدعو للمعارضة) . والشواهد كثيرة على هذا الحال في عدد من المناطق مثل :

قصر إثرا وقصر العقيلية بمحافظة القريات ، وموقع قرن الزعفران ومدينة الأخدود بمنطقة نجران ، وموقع تبالة بمحافظة بيشة ، وفي تيماء وفي مناطق متعددة من المملكة .

وبالإضافة إلى ذلك هناك التعديات على مواقع الآثار المحافظ عليها بأسوار حماية وحراسات ، وعلى عدد من المواقع الأثرية بمنطقة الحدود الشمالية وعلى امتداد طرق التجارة والحج بهدف البحث عن الكنوز من قبل المواطنين بل إن البعض منهم يلجؤون إلى السحرة والعرافين والمشعوذين لمساعدتهم على الحفر تحت جنح الظلام أو حتى في وضح النهار مما يسبب انهيار المعالم التاريخية وتشويه المواقع الأثرية .

وقد حدث ذلك في مواقع عدة منها :

موقع دوقرة غرب محافظة طريف والرشراشية وموقع حرة البصيرة وقصر كاف في محافظة القريات ، وفي أنحاء متفرقة من تيماء وروافة وعدد من القلاع الإسلامية في منطقة تبوك وفي العلا ومدائن صالح ، بل إن بعض المواطنين من ضعاف النفوس يقعون في حبائل أعداء البلاد الذين يتسترون من ورائهم لجمع معلومات بهدف تشويه الصورة الحضارية والثقافية التي كانت سائدة على أرض المملكة للوصول إلى أهداف تضر بمصلحة الدولة وسياستها ، وفي الوقت الذي تبذل فيه الجهات الأمنية جهوداً للقبض على كثير من هؤلاء ؛ فإن العقاب لا يتم بشكل فوري ، ولا يُبَت في كثير من التعديات لظروف كثيرة منها التفاوت في فهم الآثار وأهميتها بين أوساط الجهات الأمنية والجهات القضائية ، دون تقدير الضرر الذي يصيب الآثار وفقدان شواهد مادية للدراسات البحثية ، ولذلك فإن الحماية من الداخل للآثار والمعالم التاريخية والعمرانية أمر في غاية الأهمية ومطلب وواجب وطني ، وبدون تظافر الجهود

على المستويين الرسمي والشعبي فلن نتمكن من المحافظة على هذا التراث ولن نتمكن من دراسته دراسة علمية وتوثيقية .

ولعلنا ونحن نتحدث عن الحماية الداخلية لآثارنا وتراثنا نشير إلى جهود بعض المؤسسات العلمية والإدارات والهيئات الحكومية التي تقيم متاحف خاصة بها ، لأغراض البحوث والدراسات العلمية ، وتوفير وسائل وعينات أثرية وتراثية لإطلاع الطلاب عليها مثل الجامعات والمعاهد والكليات العلمية وعلى وجه الخصوص جامعة الملك سعود وجامعة الملك عبد العزيز وجامعة أم القرى ، أو للتوثيق العلمي حسب الاختصاص مثل مؤسسة النقد العربي السعودي ومكتبة الملك فهد الوطنية ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة وغيرها .

وحرصاً على أن يكون اقتناء المواد الأثرية والتراثية يخضع لأعراف الاقتناء المتعارف عليها عالمياً وفي ضوء القوانين والأنظمة الخاصة بالتراث فلابد من التنسيق مع جهة الاختصاص (وكالة الآثار والمتاحف) لحصر ما لدى تلك الجهات من قطع أثرية مسجلة حسب الأصول العلمية ومعرفة مصدرها وظروف اقتنائها . كما يجب التنبيه على ضرورة التنسيق عند رغبة تلك الجهات في حيازة القطع الأثرية والتراثية ، على سبيل الإهداء أو الشراء ، لتطبيق التنظيمات الخاصة بتداول وشراء وبيع الآثار وتفعيل الاتفاقيات الإقليمية والقارية والدولية التي تنص على حماية الممتلكات الثقافية .

كما يجب التنويه على ظاهرة انتشار المتاحف الخاصة التي يقيمها المواطنون بشكل بدائي وعشوائي ، وقد يبدو ذلك ظاهرة صحية ويشجع المواطنين على عرض ما لديهم من مقتنيات ؛ إلا أن الملاحظ وجود تجاوزات في أسلوب الاقتناء حيث إن بعض المواد التراثية مجلوبة من مواقع معلومة أو مجهولة وغير موثقة كما أن أصحاب المجموعات الخاصة ليس لديهم القدرة العلمية والفنية للمحافظة على المواد الأثرية والتراثية تسجيلاً وتوثيقاً وحفاظاً ، والغالبية العظمى من أصحاب المقتنيات الخاصة لا تتوافر لهم القدرة المالية لتطوير متاحفهم الخاصة .

ما قبل الختام : وفي ضوء ما أوردناه من معلومات موجزة عن الآثار في المملكة العربية السعودية ومراحل تطويرها إدارياً وفنياً وعلمياً وما تحقق من إنجازات حتى الآن ، يتبين أن

الدولة تولي الآثار والتراث أهمية كبيرة سواء بالدعم المالي أو بالتنبيه المستمر على ضرورة المحافظة عليها ، ويتضح ذلك في الآتي :

١- صدور قرار مجلس الوزراء رقم ٧٢٧ في ١٣٨٣/١١/٨هـ بإنشاء دائرة خاصة بالآثار ترتبط بوزارة المعارف ، وكما لاحظنا سابقاً أن حيثيات القرار اشتملت على أهداف سامية ذات عمق حضاري وبعد نظر.

٢- صدور نظام الآثار بموجب المرسوم الملكي رقم م/ ٢٦ وتاريخ ١٣٩٢/٦/٢٣هـ حيث اشتمل النظام على ٧٩ مادة موزعة على سبعة فصول وفي النظام إيجابيات كثيرة في وقت صدوره .

وبالرغم من أن نظام الآثار أُعْلِن عنه رسمياً وعمم على جميع الجهات ، فقد كان من المؤمل أن يكون له تأثير ويراعى من قبل الإدارات الحكومية .

غير أن التجاوزات في التعدي على الآثار إما بالتملك أو بالإزالة أو التخريب تزايدت يوماً بعد يوم ، مما يضطر وزارة المعارف أن ترفع ما يحدث من تعديات إلى مقام رئاسة مجلس الوزراء ، وتصدر بناء على ذلك توجيهات قوية مؤكدة لكافة القطاعات ، ومع ذلك فإن إزالة الآثار والمعالم التاريخية والعمرانية مستمرة دون هوادة مما أدى إلى انشغال إدارة الآثار بالمراسلات والمعارضات على حساب أعمال المسح والتنقيب والتطوير ، ولعلنا نشير إلى أمثلة محدودة من التعاميم والتوجيهات الرسمية التي تدعو للمحافظة على الآثار :

أ - بعد قضية التعدي الحاصل على قلعة وبركة البريكة الأثريتين الواقعتين في الحجر من ضواحي العلا من قبل أحد المقاولين وبعض المشاركين معه من منسوبي وزارة الزراعة والمياه صدر تعميم نائب رئيس مجلس الوزراء رقم ٣ / ح ٢٢٢٩ في ١٣٩٩/١٠/١٢هـ بوجوب التنبيه على الشركات المتعاقد معها لمراعاة عدم التعدي على حرمة المواقع والمباني الأثرية والالتزام بمضمون المرسوم الملكي وفق ما ورد في نظام الآثار وضرورة التنسيق بينها وبين الجهة المسؤولة عن الآثار بالمملكة قبل تنفيذ أية مشاريع جديدة خاصة بالتطوير أو الإنشاء وبالذات الأماكن النائية أو حول المدن حيث تكثر المواقع والمباني الأثرية حتى لا تقع تلك الشركات تحت طائلة العقوبات

التي يقضي بها نظام الآثار .

ب- وجه معالي وزير المعارف خطابه رقم ٣٦ / ١ / ١٨١٩٥ في ١٣٩٩/٧/١٧هـ إلى معالي وزير العدل طالباً التعميم على المحاكم وكتاب العدل بالمناطق عند إفراغ الأراضي البور الموزعة على المزارعين بالتأكيد من خلوها من الآثار حيث يكتشف بعض الأحيان وجود آثار ثابتة في الأراضي الموزعة مما يضطر الوزارة إلى المطالبة بإعادة تلك الأراضي إلى الدولة نظراً لوجود آثار بها .

ج- تلقت الوزارة خطاب معالي وزير العدل رقم ٦٨٦/١/ ق في ١٣٩٩/٨/٢هـ رداً على خطاب معالي وزير المعارف السابق بقوله "نفيد معاليكم بأننا سنتخذ ما يلزم حول هذا الشأن غير أننا نرى أن تحدد المناطق التي يمكن أن تكون بها آثار حيث يكتب للمحاكم وكتاب العدل أما المناطق التي ليست مظنة لوجود آثار بها فلا نرى داعياً للبحث فيها " .

والنتيجة منحت صكوك ملكية لأراضٍ بها آثار شاخصة وواضحة ذات شهرة ويعود تاريخها إلى قرون موغلة في القدم .

د- ورد في المجلد الثالث من التصنيف الموضوعي لتعاميم وزارة العدل ص : ٦٢٤ التعميم رقم ١٠٦ / ١٢ / ت في ١٠ / ٦ / ١٣٩٨ هـ ومضمونه" التنبيه مؤكداً على تلك الشركات بمراعاة عدم التعدي على حرمة المواقع والمباني الأثرية والالتزام بمضمون المرسوم وفق ما ورد في نظام الآثار " .

هـ- تلقت الوزارة صورة من تعميم وكيل وزارة المواصلات (د . ناصر السلوم) بتاريخ ١٣٩٨/٣/٧هـ مشيراً فيه إلى ما أوضحته وزارة المعارف ، أنه بالنظر إلى أن بعض الطرق تتعرض لمناطق الآثار بالمملكة فإنه يلزم التنسيق مع الجهة المختصة بالوزارة وأخذ موافقتها قبل اعتماد مخططات تلك الطرق وذلك لتعارضها مع المناطق الأثرية .

وقد شدد وكيل وزارة المواصلات على جميع الشركات الاستثمارية بالتقيد بدقة ، ومراجعة وزارة المعارف والتنسيق معها في هذا الصدد .. ويقول : " سنحملكم مسؤولية أي تقصير يبدو منكم نحو استكمال ما طلب " .

وبالرغم من التعاون المشكور من وزارة المواصلات في تفادي الإضرار بالآثار فإن الشركات الاستشارية أو المنفذة للطرق لم تتعاون ولم تنسق وقد يلقي اللوم أيضاً على وكالة الآثار والمتاحف بعدم المتابعة .

و- صدر تعميم رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء رقم ٣/ح ٥٢٥١ في ١٤٠١/٣/١٣هـ الموجه لكل وزارة ومصلحة ومؤسسة حكومية مشفوعاً بقرار مجلس الوزراء رقم ٢٥ وتاريخ ١٤٠١/٢/١٥هـ ، ويتضمن القرار الموافقة على طلب وزير المعارف ورئيس المجلس الأعلى للآثار بإلزام الوزارات والجهات المعنية بضرورة المحافظة على المعالم التاريخية والمدن والأحياء القديمة وعدم إزالتها والحرص على تفادي الإضرار بها عند التخطيط .

وللأسف وبسبب عدم التنسيق بين الجهات الحكومية وخاصة أمانات المدن ورؤساء البلديات أزيلت الكثير من المعالم الأثرية والتاريخية بما في ذلك الأحياء القديمة في عدد من المدن على ساحل البحر الأحمر والخليج العربي ومناطق أخرى نظراً لظروف خاصة بالتنمية وعدم وجود خطة وطنية للمحافظة على التراث العمراني ففقد نتيجة لذلك الكثير من المباني الخاصة والعامة بحجة أنها آيلة للسقوط وتسبب خطورة على المواطنين .

ز- استجابت وزارة الصناعة والكهرباء للتعميم السابق ذكره فوجه معالي الوزير (الدكتور غازي القصيبي) تعميماً للجهات المختصة بالوزارة ، ولمحافظ المؤسسة العامة للكهرباء والعضو المنتدب في سابك والدار . وبالرغم من تقديرنا لهذه الاستجابة من معالي وزير الصناعة والكهرباء إلا أن الشركات المنفذة للمشاريع في المنطقة الشرقية على وجه الخصوص وفي مشروع الجبيل وينبع أضرت بعدد من المواقع الأثرية ، وعلى سبيل المثال تم تثبيت أحد أبراج الضغط العالي في وسط بركة أثرية مجاورة لقلعة ذات الحاج التاريخية في شمال تبوك ، ولكن الوزارة وتشكر مرة أخرى أمرت بإزالة هذا البرج عند الشروع في ترميم القلعة والبركة .

ح- وأخيراً وأمام تزايد التعدي على الآثار وجه صاحب السمو الملكي وزير الداخلية التعميم البرقي رقم ٤٣٦٥/٢٩ في ٢٥-١٤١٨/٦/٢٦هـ الموجه لإمارات المناطق ، مضمونه التنبيه على جميع المحافظات والمراكز بعدم التعرض لأي أثر من المعالم

القديمة أو ذات الطابع الأثري والمعماري التقليدي إلا بعد الرجوع لوكالة الآثار والمتاحف .

وقد قامت وزارة المعارف من جانبها أيضاً بتزويد الوزارات والمؤسسات الحكومية بصورة من التعميم كما طلبت الوزارة من جميع إدارات التعليم التنسيق مع الجهات والمؤسسات الحكومية الأخرى - في حالة تنفيذ مشاريعها - وأن تراعي عدم إلحاق أي ضرر بالمعالم التاريخية والأثرية والتقيد بما ورد في تعميم سمو وزير الداخلية .

وقد تقيدت بعض الجهات مشكورة بالتوجيه الكريم ، ولكن للأسف حدثت بعض التعديات والإزالة لبعض الآثار ومن ذلك ما حدث من إزالة لسد أثري مبني على وادي المعيصم بالقرب من منى بمكة المكرمة ، هذا السد أحد سدود ثلاثة من بناء الحجاج بن يوسف الثقفي ولها ذكر في المصادر التاريخية والجغرافية المبكرة .

وفي ضوء التوجيهات السامية والتنظيمات الصادرة والتعاميم المختلفة يتبين أن هناك مشكلة تكمن في عدم التقيد بنظام الآثار وفي إنفاذ التوجيهات الصادرة للمحافظة على الآثار والتراث العمراني . ونعتقد أن أمانات المدن والبلديات تقع عليها المسؤولية الكبرى فيما يحدث . فبين يديها وتحت نظرها معلومات ومخططات ودراسات موسعة للخطط التطويرية والصور الجوية التي تعينها على تفادي الإضرار بالآثار والتراث العمراني .

وأخيراً يمكن الإشارة إلى (عقد الأشغال العامة) الصادر بموجب قرار مجلس الوزراء رقم ١٣٦ وتاريخ ١٤٠٨/٦/١٣هـ والمبلغ لكل وزارة ومصلحة حكومية وعلى كل جهة إبلاغ الجهات التابعة لها أو المرتبطة بها . فالمادة رقم (٢٠) (ح / ٩/ ٢٤) من العقد عنوانها (بقايا الآثار والأشياء ذات القيمة وغيرها) تقول المادة : " تعتبر جميع النقود والأشياء الثمينة والعاديات والأبنية والآثار والأشياء الأخرى ذات القيمة الجيولوجية والأتربة المكتشفة في موقع الأعمال ملكاً خالصاً لأصحاب العمل ، وعلى المقاول أن يتخذ الاحتياطات المناسبة ليمنع عماله أو أي شخص آخر من نقل أو تخريب أي من هذه الأشياء ، كذلك على المقاول فور العثور على مثل هذه الأشياء وقبل نقلها أن يعلم أصحاب العمل أو ممثله والجهة المختصة بهذا الاكتشاف، وأن يقوم بتنفيذ تعليماته فيما يتعلق بالتصرف بها وذلك على نفقة صاحب العمل .

الخـاتمـة :

هذه إلمامة موجزة حاولنا فيها توضيح واقع الآثار في المملكة العربية السعودية ومستقبلها والعوائق التي تقف أمام تطويرها ، ولا شك أن التخطيط العلمي والفني والإداري السليم سيقودنا إلى النتائج المرجوة ومايحقق الآمال والطموحات .

غير أن المملكة وبحكم اتساع رقعتها الجغرافية وتباين تضاريسها وتنامي حركة البناء والتشييد والتطور لما فيه مصلحة المواطن لا مناص من تعرض آثارها للإزالة والتخريب والتشويه أو بالتملك ، وبخاصة إذا ما عرفنا حداثة دخول الآثار في دائرة اهتمام الدولة ، وقلة الوعي بين الناس بصفة عامة وبين المخططين والمنفذين للمشاريع على وجه الخصوص ، ويضاف إلى ذلك عدم توفر الخبرة لدى إدارة الآثار في بداية تكوينها .

غير أننا ونحن نمر في مرحلة جديدة من التطوير ، ولكي تقف الآثار على قدم راسخة وعلى أسس علمية وفنية وإدارية قوية ، فلابد من تضافر الجهود بين جهاز الآثار وبين كافة الأجهزة الحكومية والمؤسسات الأهلية للمحافظة على آثار بلادنا وتراثها العمراني لتكون مصدراً معلوماتياً لتاريخ الأمة وحضارتها ، وتضمن التواصل بين الأجيال الماضية وأجيال الحاضر والمستقبل .

والله الموفق

مراجع البحث

أ ـ المراجع العربية :

١- إدارة الآثار والمتاحف ، مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية ، الرياض ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

٢- أرشيف وكالة الآثار والمتاحف (الحماية والتسجيل - مركز الأبحاث - المتاحف - المشاريع والصيانة) .

٣- أطلال (حولية الآثار السعودية) عدد (١-١٤) .

٤- الأنصاري ، عبدالرحمن " قرية " الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية. (جامعة الملك سعود) الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٥- أغلان ، إبراهيم علي ، " البحث الآثاري في الجزيرة العربية واتجاهاته : دراسة تقويمية " رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٦- خان ، مجيد ، الرسوم الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية (إدارة الآثار والمتاحف - وزارة المعارف) ، الرياض ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م .

٧- الراشد ، سعد بن عبد العزيز ، الربذة : صورة للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية . (جامعة الملك سعود) الرياض ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م .

٨- الراشد ، سعد بن عبدالعزيز ، درب زبيدة : طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة دراسة تاريخية أثرية ؛ (دار الوطن) - الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

٩- الراشد ، سعد بن عبد العزيز ، آثارنا والوعي: دور الدولة دور المواطن ، (مطابع الفرزدق) الرياض ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

١٠- الراشد ، سعد بن عبد العزيز "الآثار في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام" بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام ، (المحور الثامن :التربية والتعليم) ، الرياض ٧-١١ شوال ١٤١٩هـ/٢٤-٢٨يناير ١٩٩٩م .

١١- المديرية العامة للدفاع المدني ، الدفاع المدني ومسيرة ٧٤عاماً ، (روناء للإعلام

المتخصص) مطابع العبيكان ، الرياض (د. ت) .

١٢- اليونسكو ، الاتفاقيات والتوصيات التي أقرتها اليونسكو بشأن حماية التراث الثقافي ، (باريس١٩٨٥م) .

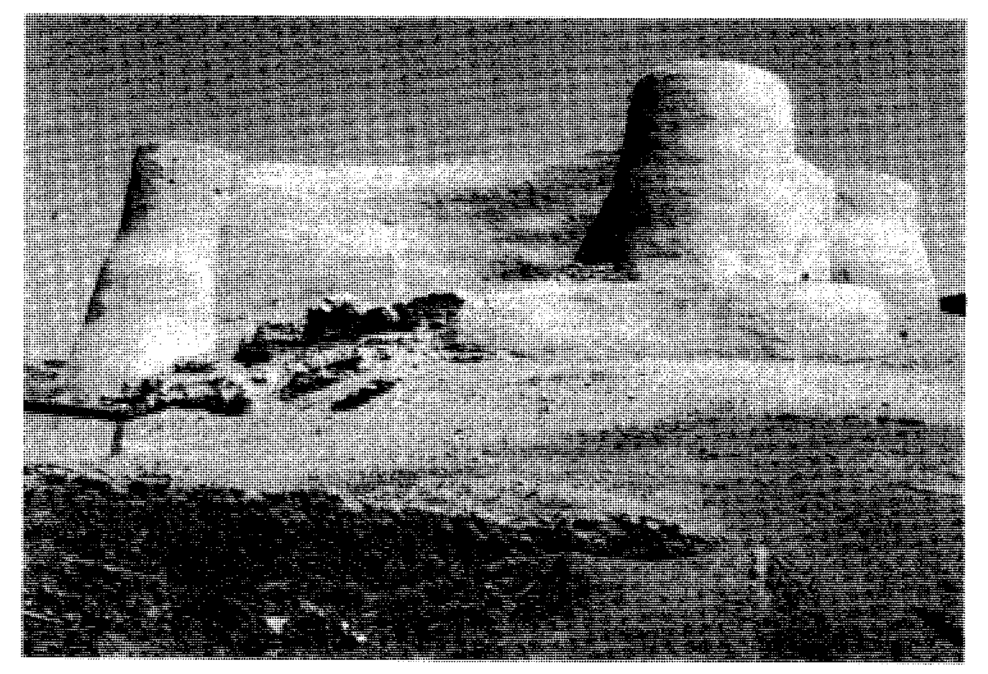
ب ـ المراجع الأجنبية :

REFRENCES

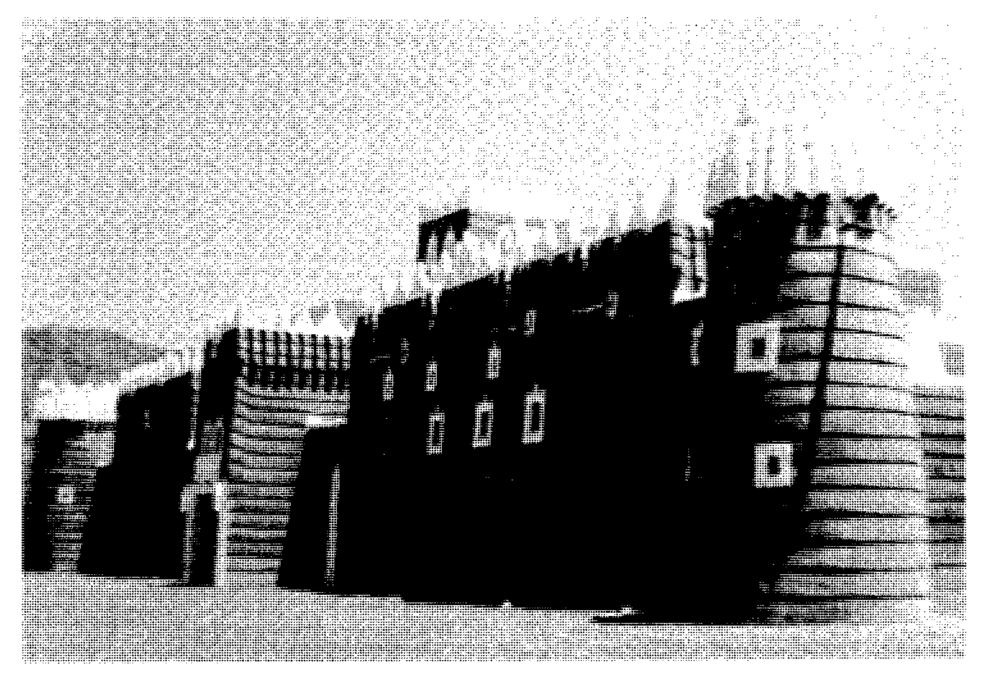
- **Burkholder Grace. An Arabian Collection : Artifacts from the Eastern Province (GB. Puublications) Bulder City 1984**.
- Cay gill Marjorie, **Treasure of British Museum** (British Museum) 1997.
- Greenfield, Jeanette. The Retum of Cultural Treasures (Second) (Cambridge University Press), 1996 .
- Hunter, John and Ian Ralston. **Archaeological Resource Management in the UK. An Introduction.** (Sutton Publishing Limited, Institute of Field Archaeologists), 1997.
- Masry, Abdullah Hassan. **Prehistory in Northeastern Arabia: The Problem of Interregional Interaction.** (Field Research Projects, Coconut Grove, Miami, Florida), 1974.
- **Museum International** (Unesco Press), No 200 (vol. 50, No.4), 1998.
- Kaplan, Flora, E.S. **Museum and Making of "Ourselves". The Role of Objects in National Identity. (Leicester University Press), 1996.**
- Nance Paul J. the Nance Museum. **A Journey Into Traditional Saudi Arabia, 1999 .**



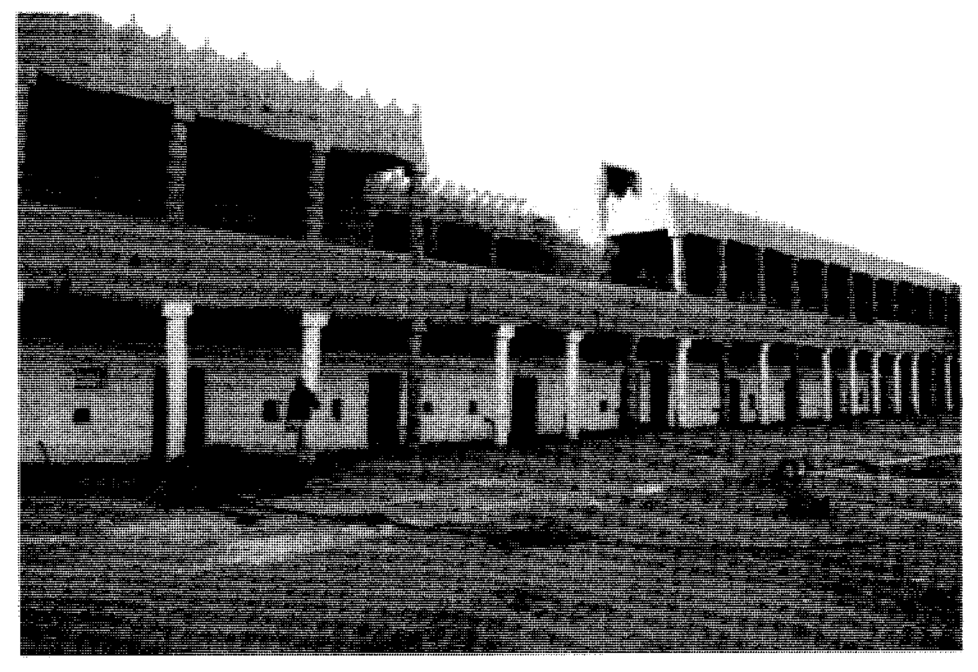
حصن المصمك بعد الترميـم



قلعة تاروت بالأحساء



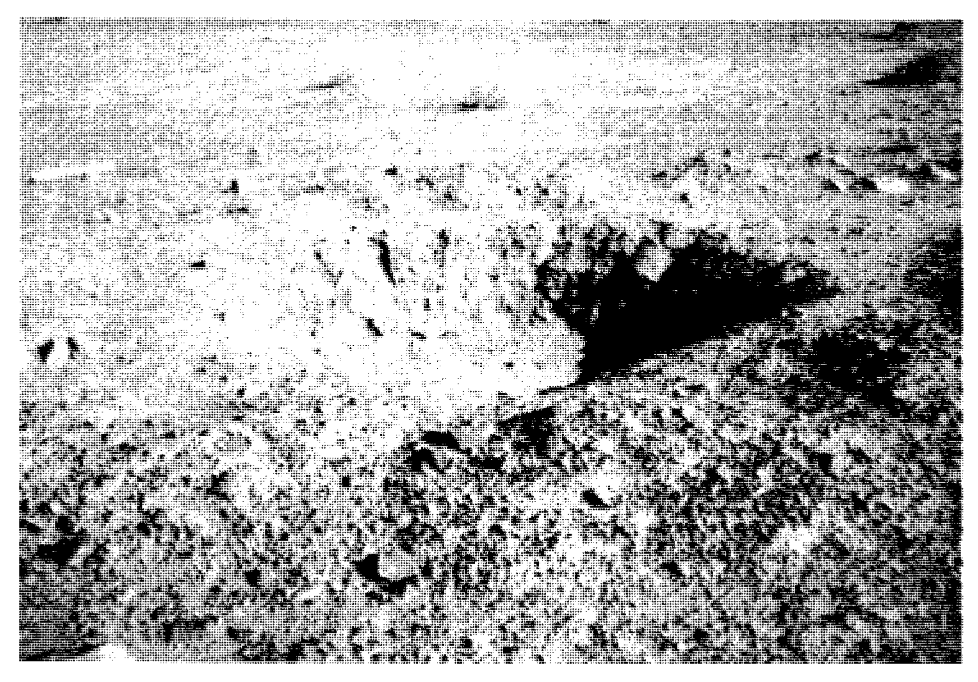
قصر الإمارة بنجران بعد الترميم



القشله من الداخل أثناء الترميم



صورة لحفرية « قرية » الفـاو تمثل سوق المدينة



تل أثـري في عفيف حصل عليه تعـدي



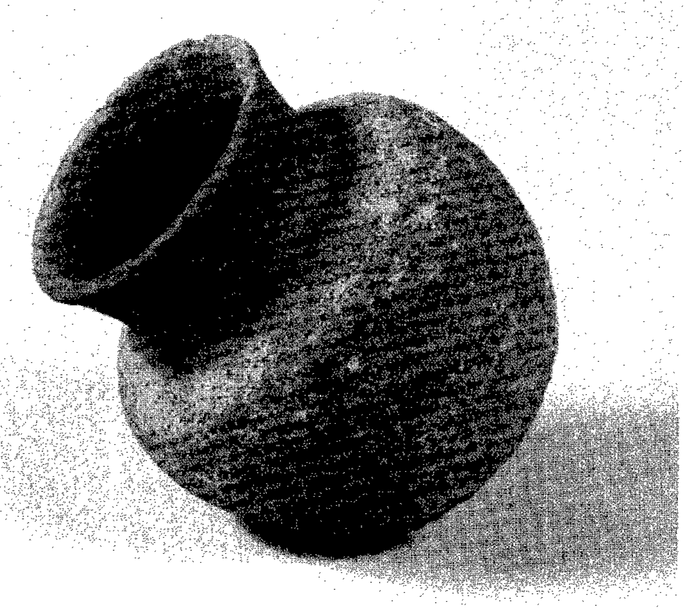
تعديات على أحد المدافن على بعد ٣,٥ كم من قصر دوقره



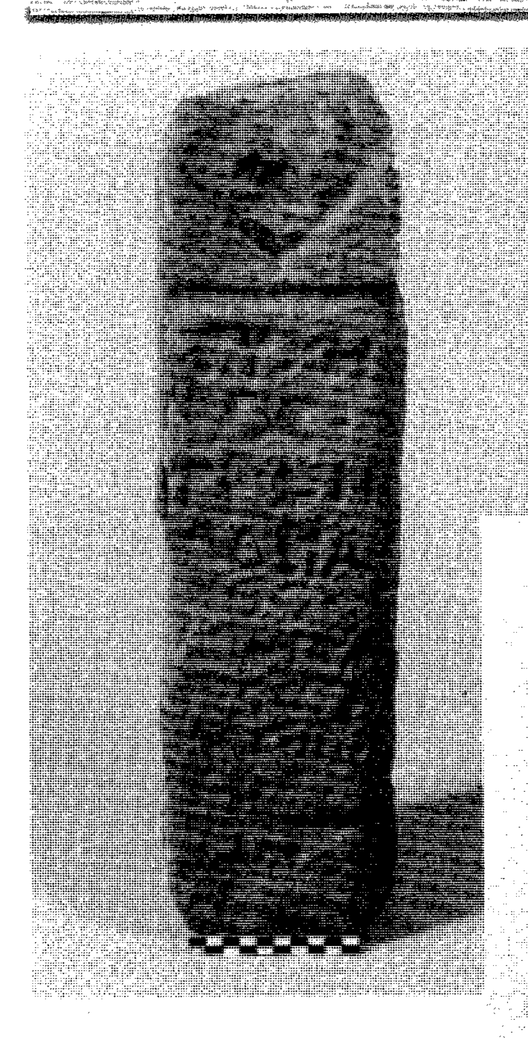
الجهة الغربية من قصر دوقره



القصـر الفـريد (مـدائـن صـالح)



جـرة فخـارية (مجموعة بارجـر)



مسلَّه عليها كتابة إغريقية من مدائن صالح « مجموعة بارجر »



حجر منقول عليه نقش بخط المسند « مجموعة بارجر »



جـرة إسطوانية مفقود جزء من البـدن « مجموعة بارجـر »



موقـع الرجاجيـل (الجـوف)

نقوش تهامه الشاهدية : إهمـالها والعبث بـها

أ . د . أحمـد بن عمـر الزيلعـي (*)

تعد تهامة من المناطق الحضارية المهمة في جنوب غرب المملكة العربية السعودية ؛ فهي منطقة استيطان قديم ، ومعبر هجرات بشرية من اليمن إلى الشام ، وبها أودية مهمة تسيل مياهها من جبال السروات ، وتصب في البحر الأحمر، وتنتشر على ضفافها الأراضي الصالحة للزراعة ، والرعي ، والاستيطان البشري ؛ حيث شهدت ضفاف تلك الأودية نمو عدد كبير من القرى والمدن والحلل السكنية التي نشأت وازدهرت واتسعت طوال مراحل تاريخها .

إلا أنه بمرور الوقت ، ونتيجة لعوامل بيئية وبشرية أخذت بعض تلك المدن في الاضمحلال ، ثم في الاندثار مخلفة وراءها مواقع أثرية على جانب كبير من الأهمية ، وذلك لما تشتمل عليه من كتابات إسلامية رائعة ، وخاصة تلك التي على شواهد القبور .

وأكثر ما عثر عليه من تلك الكتابات يتركز في السّرين بمحافظة اللّيْث ، وعشم بمحافظة القنفذة (منطقة مكة المكرمة) ، والخلف والخليْف بمحافظة قلوة (منطقة الباحة)(١). فما وجد في هذه المواقع الأربعة يقدر بالمئات ، ويغطي فترة زمنية تمتد ستة أو سبعة قرون .

(*) عضو هيئة التدريس - جامعة الملك سعود - قسم الآثار والمتاحف - عضو المجلس الأعلى للآثار .

(١) كُتِب كثيراً عن هذه المواقع الأثرية في الآونة الأخيرة، ولا أود الإطالة في التعريف بها ، وإنما سأذكر مواقعها فقط ، وأحيل القارئ إلى بعض ما كُتِب عن كل منها . أول هذه المواقع السرين، وتقع على ساحل البحر الأحمر إلى الجنوب من مكة المكرمة بحوالي ٢٢٠كيلومتراً في محافظة الليث، وتبعد عن الأخيرة بحوالي ٤٠ كيلومتراً إلى الجنوب أيضاً. وتقع عشَم أو عشْم في محافظة القنفدة على بعد حوالي ٣٠٠كم إلى الجنوب من مكة المكرمة، وعلى بعد ١٩كم شمال شرق مركز المضيلف بمحافظة القنفدة أيضاً .

أما الخلف والخليف فهما مدينتان أثريتان تقعان في تهامة منطقة الباحة، على بعد حوالي ٥ كم إلى الشمال الغربي من مدينة قِلْوة ، مقر المركز الإداري لمحافظة قِلْوة ، أنظر: الزيلعي، أحمد بن عمر ، "مدينة عشم الأثرية : حضارة وتاريخ"، المنهل : الأثر والآثار، العدد ٤٥٤ ، المجلد ٤٨ ، السنة٥٣، جدة : رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونية ١٩٨٧م ، ص ٢٦٠-٢٦٧ ؛ "ميناء السرين" النافذة البحرية الثانية على البحر الأحمر "الحضارة الإسلامية وعالم البحار"، القاهرة ، اتحاد المؤرخين العرب ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ص ١٧٥ - ٢٠٠ ؛ الخلف والخليف : آثارهما ونقوشهما الإسلامية ، الطبعة الأولى ، الرياض ، مطابع الخالد ١٤١٧هـ ؛ الفقيه، حسن بن إبراهيم، مدينة السرين الأثرية ، الرياض ، مطابع الفرزدق ، ١٤١٣هـ ؛ مخلاف عشم ، الرياض ، مطابع الفرزدق ، ١٤١٣هـ .

ولسوء الحظ أن هذا النوع من التحف ينقش على أحجار مقطوعة من الجبال ومسواة بعناية وخاصة أوجهها ، ويسهل نقلها مما يغري كثيرين بحملها من أمكنتها ، والبناء بها ، أو إعادة استخدامها في أي غرض من الأغراض الحياتية اليومية . ولعل ذلك كان من أهم الأسباب التي أدت إلى اختفاء أعداد لا حصر لها من النقوش الإسلامية من مواقعها الأصلية، وأدت كذلك إلى تلف الكثير منها ، سواء أثناء النقل ، أو أثناء الاستخدام .

وسنذكر أهم المخالفات التي أُرتكبت بحق الكتابات الإسلامية بتهامة ، وعرّضت نفائسها المنقوشة على شواهد القبور لكثير من الإهمال ، والعبث ، والامتهان ، وذلك على النحو الآتي :

١- نقلها والبناء بها :

تعد شواهد القبور من أفضل الأحجار الصالحة للبناء بها ؛ ذلك لأنها مقطوعة بعناية ، ومسواة الجوانب في أغلب الأحوال ، وأوجهها التي يكتب عليها مستوية تماماً، وأفضل ما تصلح له في البناء هو استخدام الطوال منها عتبات للأبواب ، أما التي دون ذلك في الطول فتستخدم فوق النوافذ، وفي الواجهات البارزة ، والزوايا التي يراها المارة . وهذا ما أغرى كثيراً من الأهالي بنقلها من أمكنتها ، وإعادة استخدامها في البناء بها في بعض البيوت ، والآبار، والأسيجة الصخرية التي تضرب حول المزارع ، وخصوصاً تلك التي تقع في الأودية ، التي ترويها مياه السيول المنحدرة من الجبال .

ومن الأمثلة على الاستخدام غير المشروع للنقوش الشاهدية مجموعة شواهد قبور منقوشة جمعت من مقابر السرين ، واستعملت في بناء مربعة صغيرة في محطة الوسقة الواقعة على الطريق المسفلت بين مكة المكرمة وجازان (١) . وكذلك شاهد قبر منقوش بكتابة كوفية مبكرة نقل من مقابر مسعودة، واستخدم عتبة في أحد بيوتها القديمة (٢) . وشاهد قبر آخر مؤرخ سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م (٣) ، نقل من مقابر الأحسبة الجنوبية ، وبني به في أحد

(١) انظر: شكل رقم (١) أدناه .

(٢) أنظر:

Al-Zayla' i, "The Southern Area of the Amirate of Makkah (3rd -7th /7th-13th Centuries), its History, Archaeology and Epigraphy, Ph. D. Thesis, Durham University, Nov. 1983, p. 440, no.3.

(٣) الزيلعي ، أحمد بن عمر، "الكتابات الإسلامية المنقوشة على شواهد القبور" ، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص ٤٤١-٤٤٣ .

جدران قصر الشريف بركات أبو هفة ، الواقع بالقرب من تلك المقابر، وظل في جدار القصر المذكور حتى استخرجته إحدى الشركات أو البعثات التي قدمت إلى المنطقة، وغيبته عن موقعه الأصلي إلى الأبد (١) .

أما بيوت الخليف ومزارعها فيوجد في جدرانها عشرات النقوش المؤرخة وغير المؤرخة التي نقلت من مقبرة الرهوة القريبة من الموقع ، وبني بها في جدران البيوت والمزارع المذكورة (٢) . ولكون الخليف أصبحت في عداد المدن المندثرة ، فقد اندثر باندثارها كثير من النقوش الشاهدية ، وبعضها اختفى إلى الأبد ، وأزيل من مكانه في ما أزيل من البيوت التي نزعت ملكياتها لصالح الطريق المسفلت الذي يربط بين مدن تهامة منطقة الباحة ، وهي المخواة ، وقلوة ، والحجرة ، بعضها ببعض ، ويربطها بالتالي بطريق مكة جازان من جهة ، ومكة – محائل إلى أبها وإلى جازان من جهة ثانية ، وكذا يربطها بطريق الطائف – أبها مروراً بالباحة من جهة ثالثة .

ولا يعرف على وجه الدقة من جمع تلك النقوش التي كانت في تلك البيوت المزالة ، ومنها نقشان في مدرسة البنات ، وثلاثة نقوش في مدرسة الذكور، واثنان في بيت مجاور لمدرسة الذكور، وغير ذلك من البيوت التي لم استطع الوصول إلى معظمها (٣).

أما مزارع الرهوة وما حولها فما شوهد من النقوش الشاهدية المبني بها في أسيجتها الحجرية ، فهي لا تزال في أمكنتها ، وإن كانت في وضع سيء للغاية ومعرضة للإهمال ، والتكسير، والزوال بعد أن انصرف الناس عن الزراعة ، وبعد أن هجر بعض أصحاب تلك المزارع ديارهم إلى جدة ، ولم يعد كثيرين منهم تهمهم زراعة أرضهم ، وصيانة أسيجة مزارعهم .

٢- استخدامها زرائب للبهائم :

أكثر ما يمكن ملاحظة هذا النوع من سوء الاستخدام للنقوش الشاهدية في مدينة عشم الإسلامية ؛ لأنها تقع في بيئة رعوية ، وأغلب جيرانها والمنتجعين إليها من ملاك الماشية الذين

---

(١) الفقيه ، مخلاف عشم، ص ٤١٦-٤١٧ ؛ لا يوجد في أي متحف أثري في حدود علمي.

(٢) الزيلعي ، الخلف والخليف ، ص ١٧٠، ١٧٤، ١٨٣، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٠، ٣٥٠ .

(٣) Al-Zayla' i, "The Southern Area of the Amirate of Makkah", p.480 .

يجمعون بين الرعي والزراعة . وهؤلاء البدو ، وخاصة المنتجعين الذين يسكنون في خدورمن الخصف ، لا يملكون زرائب لماشيتهم ، وكثيراً ما يشْكلون كبار الماعز والضأن في ربوق (مفرد ربْق) من الحبال . أما صغارها فيَحْوُوْنها في زرائب مصفوفة من الأحجار. وأفضل ما تتخذ منه تلك الزرائب عندهم ، هي شواهد القبور المنقوشة ؛ لكونها مسواة ، وطويلة نسبياً ، ويسهل حملها ، وغرزها (غرسها) في الأرض .

ومع كثرة الاستعمال ، وتعرضها لسقوط بعضها فوق بعض ، وقفز البهائم فوقها ، أو التمحك بها ، فإنها كثيراً ما تتساقط ، وبالتالي تتكسر إلى أجزاء أصغر، بحيث لا يدل عليها إلا تلك الكسر المتناثرة والمبعثرة في الشعاب ، وعلى سفوح التلال المحيطة بالموقع . ومن المحتمل أن كل مجموعة نقوش مكسرة ومتروكة بعضها إلى جانب بعض بعيداً عن مواقعها الأصلية في المقابر، إنما كانت قد استخدمت لمثل هذا الغرض ، أو غرض ما مشابه من قبل أولئك الحلول الذين تعاقبوا على المكان .

٣- استخدامها مرامياً ، وأهدافاً لتعلم الرماية :

وهذه مخالفة أخرى تعرضت لها النقوش الشاهدية في تهامة ؛ ذلك أن تعلم الرماية من المهارات المحببة لدى العرب ، وهي من الأمور التي حث ديننا الحنيف على تعلمها ، وكثيراً ما كنا نسمع من معلمينا ونحن صغار هذا القول المشهور : "علموا أولادكم الرماية والسباحة ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً " (١).

ولهذا ، فإن تعلم الرماية أو الرمي هو جزء من التنشئة السليمة للأبناء ، ومهارة يتعلمها الصغار والكبار سواء بالسهام والنبال في السابق ، أو بالبنادق والرصاص عندما حلت محل الأُولى . ولا شك أن وجود شواهد القبور منصوبة على نحو بارز وشاخص مما يغري هواة الرماية بالبندق باستخدامها مرامياً ، أو أهدافاً لرمايتهم ، خاصة أنها تقع في أمكنة منبسطة بين سفوح التلال الجبلية ، كما هو الحال في عشم ، والخلف والخليف ، والأحسبة ، والصنقة (٢)، أو مما يلي البحر بالنسبة للسرين التي لا يحول بين مقبرتيها وبين البحر حائل ،

---

(١) كنت أظنه حديثاً شريفاً إلا أنني لم أعثر عليه في حدود اطلاعي على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

(٢) الأحسبة : واد من الأودية المشهورة في تهامة ، ينبع من سراة منطقة الباحة ، ويصب في البحر الأحمر إلى الشمال من مدينة القنفدة به موقعان أثريان أحدهما في شمال الوادي ، وبالتحديد في شعب العَصْدَاء ، والآخر يقابله من =

ولا يحجب رؤية القناصة لما وراء أهدافهم سوى الأفق البعيد ، أو في دُفوْف (مفرد دفة) القيزان ، أو التلال الرملية العالية التي تكتنف مقبرة حمدانة ، ذلك الموقع الأثرى القريب من السرين (١) .

ومع أننا لسنا على يقين عما إذا كان تعلم الرماية قد مورس في جميع هذه الأمكنة ؛ إلا أنه يكاد أن يكون في حكم المؤكد أن بعض شواهد عشم ، والسرين ، والصنقة قد استخدمت أهدافاً للرماية التي تسببت في تكسير بعضها ، ولا سيما في السرين، وتركت آثاراً وندباً واضحة على بعض الشواهد المنقوشة في عشمَ (٢) .

٤- استخدامها مطاحن للحبوب :

تتخذ مطاحن الحبوب ، وبصورة خاصة حبوب الدخن والذرة بأنواعها الحمراء ، والبيضاء ، والصفراء (البجيدي) ، والمفلوج ، والقريني من نوعية معينة من الأحجار المقدودة من محاجر خاصة في اليمن ، وفي منطقة جازان . وهي ذات أوجه مستوية خشنة في الغالب . ولها مساحن طوال أسطوانية الشكل ، سميكة في أوساطها ، نحيلة مدببة في أطرافها ، يقبض على طرفي كل منهما بكلتا اليدين ، ويضغط به كله جيئة وذهاباً على الحبوب المبللة والموضوعة على وجه المطحنة لهوة تلو أخرى حتى يكتمل الطحن ، ويتحول إلى عجينة رخوة ودقيقة (رهيكة) . وهذا النوع من المطاحن معروف وكثير الانتشار في جميع البيوت الريفية المستقرة في تهامة . إلا أنه في البوادي ، وفي بعض الأوساط الريفية الفقيرة لا يستطيع الأهالي اقتناء المطاحن ، ولا نقلها معهم أثناء الارتحال حتى لو كان ذلك الارتحال في حدود دوائر ضيقة

= الجنوب الغربي على الضفة الجنوبية للوادي.

الصنَقة : موقع أثري في سهل الشعراء بتهامة زهران بين قلوة والحجرة. انظر :

Al-Zayla' i,"The Southern Area of the Amirate of Makkah", pp. 360-369, 482;

الفقيه ، مخلاف عشم ، ص ٣٩٥-٤٨٩ ؛ السلوك ، علي بن صالح ، المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ، ط ٣ ، جدة ، مؤسسة المدينة للصحافة ، ١٤١٧هـ ، ص ١٣٤-١٣٥، ٢٨٤ .

(١) حَمْدَانة : اسم بئر تقع في طرف وادي عليب إلى الغرب من مركز الإمارة بالوادي المذكور بحوالي ٧كيلومترات ، ويقع بالقرب منه موقع أثري إسلامي به عدد من النقوش الشاهدية الإسلامية. انظر: الزيلعي، أحمد بن عمر ، "نقوش إسلامية من حمدانة بوادي عليب" ، ط (١)، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر على سبيل المثال :

Al-Zayla' i, "The Southern Area of the Amirate of Makkah", p. 491, no. 710; شكل رقم (٢)

لا تخرج عن إطار الوادي الواحد أو الواديين والثلاثة في أبعد الأحوال . وبدلاً من ذلك يستعيضون عنها بمطاحن صغيرة تسمى المساحق (مفرد مسحقة) ، أو يطحنون حبوبهم على أي حجر كبير مستو يجدونه قريباً منهم حيثما يحلون ، ولا سيما في مناطق التلال الجبلية الطرفية التي تتوافق جغرافياً مع جغرافية عشم .

وتعد شواهد القبور المنقوشة بأوجهها المسواة والخشنة في نفس الوقت ، نتيجة النقش والكتابة عليها من أفضل الصخور لطحن الحبوب عليها بالنسبة لأولئك الناس من البدو، ومن شاكلهم من الريفيين ؛ فهم يعمدون إليها مستخدمينها عوضاً عن المطاحن المشار إليها في طحن الحبوب والأطياب ، وبعض أنواع المواد المستخدمة في دباغة الجلود ، وخلاف ذلك من الأغراض التي تحتاج إلى طحن . وهذا بطبيعة الحال يؤدي مع طول الاستعمال إلى إضعاف الحروف المنقوشة ، أو طمسها ، كما يؤدي سوء استعمالها مطاحن إلى كسر بلاطات الشواهد ، وتفتتها ؛ لأنها ليست معدة أصلاً للطحن عليها كتلك المطاحن التي أشرنا إليها سابقاً (١) . وقد لوحظ استخدام شواهد القبور المنقوشة مطاحن للحبوب ونحوها في بعض تلك الشواهد المنسوبة إلى عشم (٢) ، مما كان سبباً في إضعاف حروفها ، وطمس بعضها ، وتكسير عدد من بلاطاتها خاصة وأنها تنقل من أمكنتها ، وهي منصوبة على القبور، إلى الأماكن التي يحلون فيها قريباً من الموقع .

٥- النقل بهدف وبدون هدف :

كان نقل الأحجار المنقوشة من مواقعها في الماضي يتم للحاجة إلى استخدامها في البناء بها ، ولا سيما في طي الآبار، ووضعها عتبات للأبواب والنوافذ ، وربما استخدامها مرة أخرى شواهد لقبور أحدث من قبورها السابقة . إلا أنه في الآونة الأخيرة ظهرت أهداف جديدة تختلف عن ذي قبل ؛ ذلك لأنه مع الرغبة في اقتناء الآثار، وشراء ما يجلب منها من قبل أصحاب المجموعات الخاصة في المدن الرئيسية ، شجع كثيرين من أولئك الذين يأتون المواقع الأثرية خلسة ليحملوا الحجرين والثلاثة في سياراتهم ، ويذهبوا بها إلى جدة ، ومكة ، والطائف ، وحتى الرياض ، أو يبيعونها على دلالين محليين محترفين يتولون جلبها إلى الأماكن

---

(١) Ibid, p. 457, no. 67.

(٢) انظر : شكل رقم (٣) .

المذكورة . ولا بد أن ما جلب من أحجار المواقع التهامية محفوظ لدى أصحاب تلك المجموعات . ومن المؤمل أن ترى مع الزمن معروضة في متاحف خاصة ، أو حكومية ، أو يتطوع أصحابها بإهدائها للمتاحف الإقليمية في جهاتهم ، أو يضعونها تحت تصرف وكالة الآثار التي لديها الخبرة الكافية لإعادة كل مجموعة إلى الجهات التي جلبت منها ، أو يحتفظوا بها ، ويسجلوها في الوكالة ، وفي كل الأحوال تكون أمكنة وجودها معلومة ، وتحت نظر الوكالة .

غير أن هناك ظاهرة أخرى أشد خطورة من سابقتها ، وهي في الغالب تختص بشواهد مدينة عشم الإسلامية ، ويظن أن هذه الظاهرة إحدى نتائج شهرة عشم ؛ ذلك أنه عندما اشتهرت عشم ، وشاع ذكرها في أوساط الأهالي ، وبين معلمي المدارس ، وكثر المجيء إلى موقعها من قبل المتعلمين والمسؤولين ، وأصبح الحديث يتردد عنها في كل مكان ، وأخذت تتنازع تبعيتها كل من منطقة الباحة ، ومحافظة القنفدة – أصبح الارتحال إليها ، والتفرج على آثارها ، وتقليب شواهدها المنقوشة تقليداً شائعاً في منطقة الباحة، ومحافظة القنفذة ، وأصبح حمل حجر، أو حجرين يوضع في طرف من المنزل ، أو زريبة حب أو ماشية من الأمور المألوفة، وكثيراً ما يعرض عليك مضيفك في القرى والحلل القريبة من عشم التفرج على هذه الأحجار في أقل الأمكنة أماناً وملاءمة لحفظ الآثار في بيته ، ثم ما لبث هذا التقليد أن انتشر بين الأهالي المجاورين ، وهم في الغالب بادية ، أو أهل أرياف لا يجدون أمكنة كافية لخزن حبوبهم، وأعلافهم ، فضلاً عن حفظ الآثار. فهم يضعون ما جمعوه منها كيفما اتفق: في زرائب المواشي والأعلاف ، وأمكنة حفظ الحبوب. ومع الزمن تتعرض هذه النقوش للكسر، والتلف ، وتتعرض كتابتها للمحي والغطش نتيجة تراكم فضلات البهائم عليها ، ونتيجة تعرضها لتساقط بعض مواد البناء عليها ، ومنها الأسمنت ، والجبس، وخلافها [١] ، فتلتصق بها ، وتخفي تحتها ما عليها من كتابات إسلامية رائعة. وقد لوحظ مثل هذا الإهمال في كثير من البيوت التي تحتفظ ببعض شواهد القبور المنقوشة [٢] .

مجموعة العقيلي شاهد على أخطار نقل النقوش الشاهدية :

يندرج تحت نقل شواهد القبور المنقوشة من عشم إلى خارجها بهدف أو بدون هدف ،

(١) انظر : شكل رقم (٤) ، وشكل رقم (٥) ، وشكل رقم (٦) .

(٢) Al-Zayla' i, "The Southern Area of the Amirate of Makkah", p. 232.

تلك الشواهد التي نقلها السيد منسي بن غرفان الزهراني من مقابر عشم إلى بيته بقرية العقيلي الواقعة على بعد حوالي ثمانية كيلومترات إلى الشمال الشرقي من عشم بالقرب من قرية مسعودة الأثرية (١). وهي قرية صغيرة حديثة بها مدرسة ابتدائية ، وليس بها من الدلائل التاريخية ما يدعو إلى الاعتقاد بأنها قرية عريقة ، كما أنها لا تحمل سمات أثرية كتلك التي تحملها جارتها مسعودة التي تعد من القرى التهامية الأثرية، وهي جزء من مخلاف عشم (٢) .

صاحب القرية ، أو الرجل البارز فيها يدعى منسي بن غرفان الزهراني من آل سعد ، أهل ناوان ، قبيلة الشيخ عوض بن قطيمة في زمانه ، ويتبعون إدارياً محافظة المخواة ، على حين أن معظم السكان المجاورين في قرية مسعودة من آل ظهيرة من زهران ، ويتبعون محافظة قلوة إلى الشمال من المخواة بحوالي ٣٠ كيلو متراً . وبين القريتين كثير من المنافسة التي تصل إلى حد الصراع .

عزَّ على السيد منسي (رحمه الله) (٣) – في ما يبدو – ألا تكون قريته بدون آثار على حين أن قرية منافسيه بها آثار يرتحل إليها ، وتذكر على ألسنة المهتمين والمسؤولين ، فعمد إلى جلب حوالي عشرين نقشاً من عشم ، وأودعها في زريبة حقيرة بها (مرماد) علف من قصب الذرة ، وبها مرابط لأبقاره التي يطعمها من ذلك العلف ، وهي في معاطنها لا تبرحها إلا لورود الماء ، أو لحرث الأرض ، أو لجلب بعضها إلى السوق . وكانت تعلف ، وتربض ، وتدور في مرابطها فوق تلك النقوش (٤) .

كان الهدف الذي تعلل به السيد منسي في نقل تلك النقوش هو اعتزامه حفر بئر يستقي منها أهل القرية والوراد إليها من كل مكان ، ولكنه عندما عدل عن مشروعه أبقى تلك النقوش في مكانها على الحال الذي ذكرنا . هذا ما أفادني به الأدلاء قبل ذهابي إلى العقيلي ، ومقابلتي له رحمه الله في بيته ، حيث أفادني بأنها ليست مجلوبة من عشم ، وإنما هي تخص

(١) Ibid, p. 233 .

(٢) Ibid, pp. 199-201 .

الفقيه ، مخلاف عشم ، ص ٣٢٥ – ٣٤٢ .

(٣) بلغني أنه توفي قبل مدة من كتابة هذا البحث، رحمه الله رحمة الأبرار، فقد كان كريماً حيياً، لا يسعك ألا أن تعجب به، وبكرمه، وطيب نفسه ، وحسن استقباله لزائريه.

(٤) شكل رقم (٧) ، وشكل رقم (٨) .

قرية العقيلي ، وأنه نقلها من مقبرتها القريبة (وأشار إليها بيده) خوفاً عليها من السرقة . إلا أن كونها منقولة من مقابر عشم لا تخفى على أحد ممن يعرف نقوش عشم معرفة حقيقية ؛ ذلك أن أسماء الأشخاص ، وأشكال الخطوط ، وكون بعض تلك الشواهد توائم لأخرى ظلت في عشم ، فضلاً عن وجود بعض آباء المتوفين ، وأبنائهم ، بل وأجدادهم ، وأحفادهم في مقابر عشم- كل ذلك يقطع بما لا يدع مجالاً لشك أنها منقولة من عشم ، بل إن الأدلة والقرائن المذكورة تحمل على الاعتقاد أنها التقطت من أمكنة محددة من المقابر الشرقية في عشم ، وليس من كل المقابر. ومهما يكن من أمر، فإن هذه الروائع الخطية المنقوشة تركت في هذه الزريبة تدوسها الأبقار ، وتربض عليها ، وتضفع وتبول فوقها [1] . فأصابها ما أصابها من تكسر ، وتغير في ألوانها ، وتقشر في بعض حروفها ، وغطشها ، وامحائها ، وتكلّس الفضلات ، والمواد العالقة على واجهاتها المنقوشة .

وبعد ذلك بسنتين ، أو أكثر نُقلت الزريبة من مكانها ، ونقل ما كان فيها من شواهد منقوشة إلى سهوة قريبة تستظل فيها الأبقار والأغنام ، فازدادت حالتها سوءاً ، واستشرى الكسر فيها ، فشمل السليم وغير السليم ، والجيد والأقل جودة ؛ ومع ذلك ، فعهدي بالسيد منسي (رحمه الله) أنه لم يكن له أي مطمع في بيعها ، والاستفادة منها مادياً ، وأنه ربما عرضت عليه عروض كهذه فرفضها . ومن المحتمل أنه ليس له أي أهداف سوى حب الظهور، والرغبة في اقتناء التحف ولو من باب التقليد والمباهاة ، ولكنه في جميع الأحوال كان غير قادر على أمر كهذا لا من حيث المادة ولا من حيث الوعي . وظلت مجموعة منسي حبيسة الزرائب ، عرضة للقاذورات ، والنقل غير المتقن من مكان إلى آخر دونما خبرة أو وعي بأهميتها ، وبمضامينها ، وبقيمها العلمية والفنية والأثرية .

وهكذا يلاحظ أن نقوش تهامة تعرضت لشئ غير قليل من الإهمال والعبث وأن آلافاً منها نقدر أنها ذهبت واختفت على مر السنين في جدران المنشآت المدنية ، وفي شعاب الأودية ، وتحت الكثبان الرملية ، فضلاً عما تكسر وتبعثر منها وامّحى من الوجود ، وما ذلك إلا بسبب ما تعرضت له من عبث العابثين ، وإهمال المهملين ، وهو أمر لم يكن متعمداً في الغالب ، وإنما هو نتيجة حتمية لجهل الناس بأهميتها ، وقيمتها التي لا تقدر بثمن .

---

(١) شكل رقم (٩) ، وشكل رقم (١٠) .

ولكي يحافظ على ما بقي من تلك النقوش في مواقعها ، أو قريب منها ، يحسن الأخذ بالتوصيات الآتية :

١- توعية الأهالي بأهمية الآثار والمحافظة عليها ، وأنها جزء من تاريخهم وتراث أجدادهم الذي ينبغي حمايته والحفاظ عليه .

٢- تشجيع من بحوزته نقوش من الأهالي بتسليمها إلى إدارات التعليم كل في جهته ، لعرضها في المتاحف المحلية ، وكتابة خطابات شكر لهم ، أو منحهم شهادات تشجيعية على استجابتهم ، ويمكن التعميم على هؤلاء عن طريق المدارس ، وشيوخ القبائل .

٣- الطلب إلى بلدية قلوة للقيام بتسوير مقبرة الرهوة تسويراً مغلقاً بوصفها مقبرة قديمة ، لا أحد يدفن فيها في الوقت الحاضر.

٤- يتجنب الآثاريون الحديث عن القيمة المادية للآثار أمام العامة أثناء إجرائهم لأعمالهم الميدانية، أو تقدير أثمان لها ، أو التوسع في شرحها، وتبسيطها للعامة ، أو تصحيح بعض المفاهيم المتعلقة بما يحرس الآثار من الجن ، والثعابين ، وغيرها من العفاريت. فما حفظ الآثار حتى اليوم إلا الاعتقاد السائد بأنها محروسة من قبل عفاريت على هيئة ثعابين عملاقة قاتلة .

٥- الطلب من الأهالي الذين توجد في جدران مزارعهم نقوش شاهدية أن يتفضلوا بتسليمها إلى إدارة التعليم في المخواة عندما ينقضون تلك الجدران . أما بالنسبة لتلك التي في جدران المنازل فسيكون من الصعوبة بمكان نقضها ، واستخراجها لارتفاع التكلفة ، وصعوبة التنفيذ ، واحتمال التعرض لمخاطر انهيارات البيوت المبنية أصلاً من الحجارة المحلية الصلدة . إلا أنه في حالة نقضها ، أو سقوطها ، ونقل أحجارها إلى أمكنة أخرى- يراعى استخراج المنقوش منها وتسليمه لإدارة التعليم .

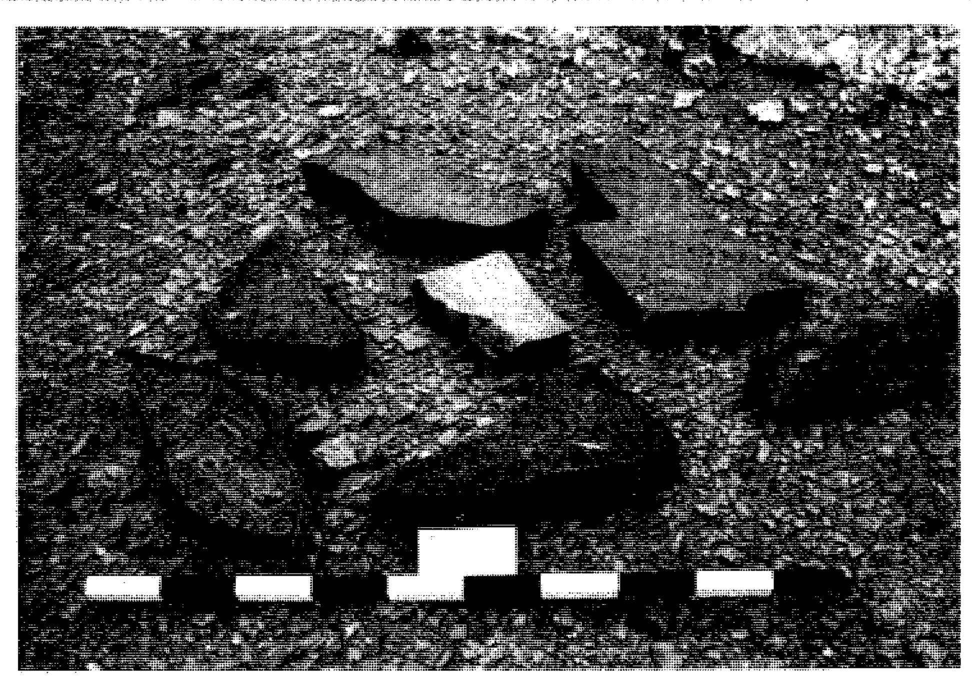
٦- تأخذ إدارات التعليم في تلك الجهات على عاتقها تفقد الآثار في جهاتها ، والعمل على حمايتها والمحافظة عليها ، وتخصيص مكتب أو قسم في إداراتها يتولى شؤون الآثار، على أن تعمل الوزارة جاهدة على تدعيم المكتب بمختصين في الآثار .



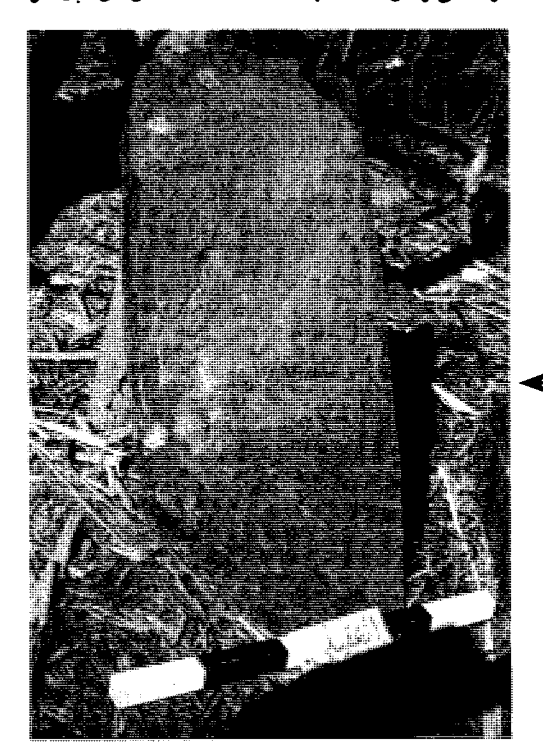
شكل (١) : طرف من شاهد بُني به في جدار غرفة بالوسقة وهو مجلوب من السرين



شكل (٢) : أثر الرصاص في واجهة الشاهد من أثر استخدامه هدفاً لتعلم الرمي (عشم)



شكل (٣) : كسر شاهدية من عشم متناثرة على رأس تلة لعلها استخدمت مساحن من قبل الرعاة



شكل (٤) : شاهد قبر من عشم مؤرخ سنة ٤٤٩هـ يلاحظ عليه أثر التقشر والإمحاء نتيجة النقل وسوء الحفظ



شكل (٥) : شاهد قبر عثر عليه بالقرب من فوهة بئر في وادي قرما

شكل (٦) : أحد الشواهد المجلوبه من عشم إلى العقيلي ، وقد تصدع من أعلاه إلى أسفله في أحد الزرائب



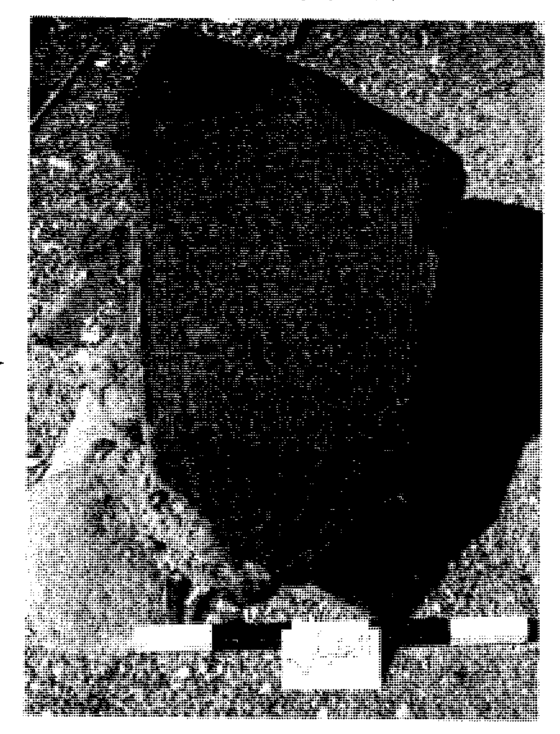
شكل (٧) : مجموعة شواهد جلبت من عشم إلى زريبة أعلاف وبهائم في قرية العقيلي



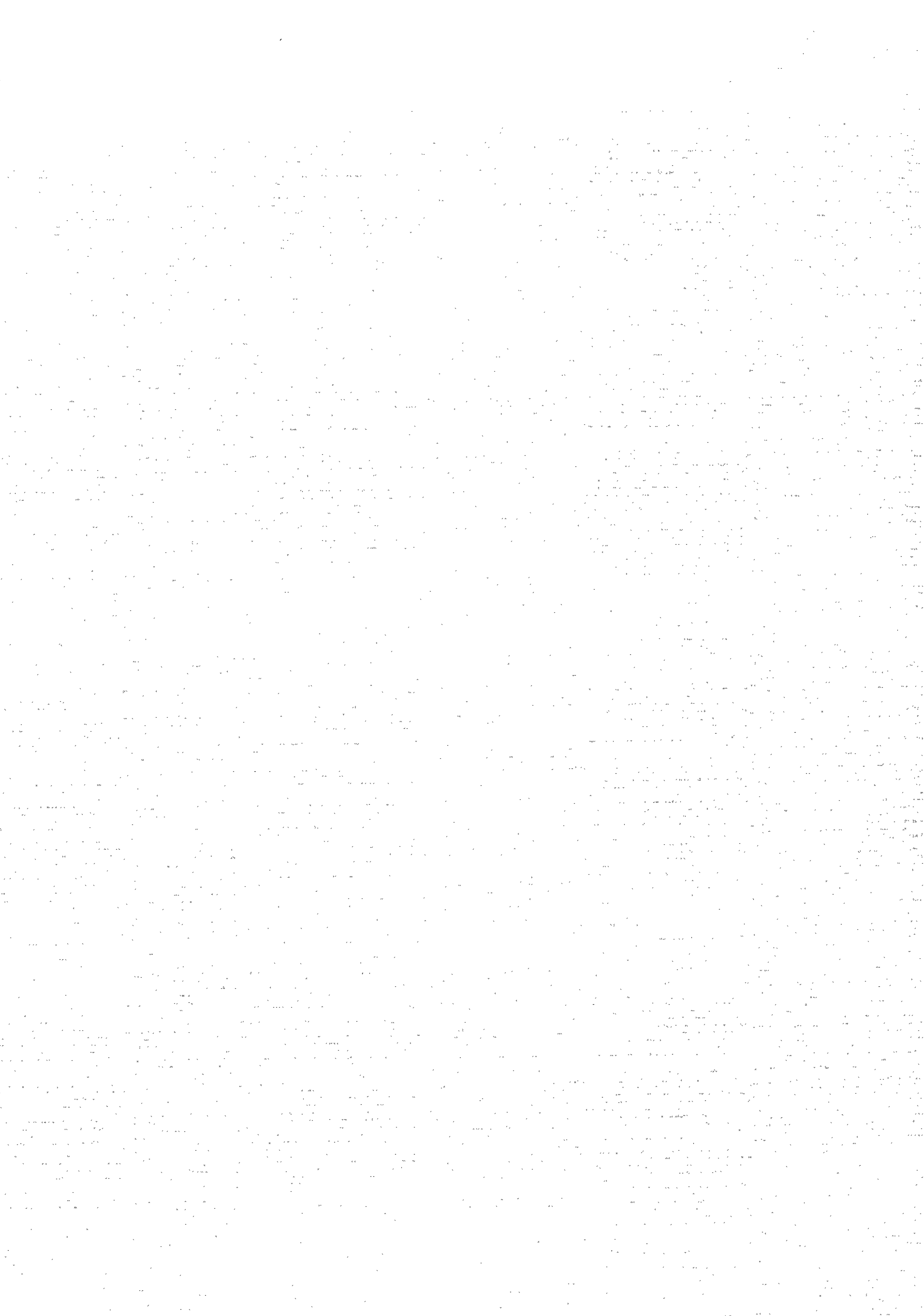
شكل (٨) : شاهد من عشم في زريبة أعلاف وبهائم العقيلي



شكل (٩) : مجموعة من شواهد القبور بعشم جلبت إلى قرية العقيلي



شكل (١٠) : أحد الشواهد الرائعة المجلوبة من عشم إلى قرية العقيلي



السياحة البيئية وسياحة الآثار أداتان للمحافظة على التراث الطبيعي والإنساني

أ . د . عبدالعزيز بن حامد أبو زنادة (*)

مقدمة :

أوضحت الدراسات البيئية الحديثة أهمية القيمة المتزايدة للحياة الفطرية كثروة طبيعية تتعدد منافعها عبر الزمان ، إلاّ أن ذلك جاء بعد فوات الأوان بالنسبة للأحياء الفطرية التي اندثرت بسبب إسراف الإنسان في استخدامها أو نتيجة تجاهله لدورها في برامج التنمية المختلفة . وبمراجعة سريعة لأساليب استغلال الموارد الطبيعية المتجددة ، يتضح مدى الضرر البالغ الذي حاق بالبيئة من جراء الآثار السلبية للتنمية ؛ في الوقت الذي توجد فيه اتجاهات تنموية يمكن من خلالها الانتفاع بالبيئة مع المحافظة عليها . ومن هنا تجيء أهمية الإنطلاقة التطويرية لأساليب استغلال الحياة الفطرية باتجاهات قديمة ومنظورات معاصرة تحقق مواصلة الاستفادة من عناصر التراث الطبيعي وصونها عبر الأجيال . وليس بخاف على الكثير العلاقة الوطيدة بين الحياة الفطرية والآثار ، من حيث أهميتها البيئية والاقتصادية نظراً لتواجدهما وتلازمهما في مكان واحد في كثير من الأحيان ؛ الأمر الذي يحتم العناية بهما كأساس للسياحة الداخلية التي تشهد اهتماماً متزايداً في الآونة الأخيرة .

ولا شك أن الوضع الراهن لأنماط السياحة المتعلقة بالطبيعة في المملكة العربية السعودية وغيرها من الدول العربية شهد اهتماماً متنامياً خاصة في مجال السياحة الداخلية . وكان قد برز في السنوات الأخيرة مفهوم السياحة البيئية ، وهي أحد أوجه الانتفاع الرشيد بالبيئة الفطرية ، التي تنسجم مع مباديء الدين الإسلامي الحنيف في ضرورة الالتزام بعدم الإفساد في الأرض بعد إصلاحها . تفرض تلك المعطيات دراسة إمكانيات تنظيم السياحة البيئية والنظر بعمق في تطبيقها على المستوى الوطني والإقليمي كأحد الحلول للترغيب في الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية والحد من استغلالها بشكل جائر ومن ثم مواصلة المحافظة عليها .

(*) أمين عام الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها .

تطور السياحة المتعلقة بالطبيعة :

تنتشر بعض أنماط السياحة المتعلقة بالطبيعة في دول شبه الجزيرة العربية منذ أزمان بعيدة بحيث تكاد لا توجد منطقة خالية من نمط واحد على الأقل مرتبط بالتراث الثقافي الطبيعيّ المتميز لبيئتنا العربية . من أهم تلك الأنماط التخييم الموسمي المرتبط بتراث البادية في فصل الربيع ، والتنزه في الوديان والرّوضات وعند تجمعات المياه والخضرة ، وعلى الشواطئ البحرية للاستجمام والترفيه إلى جانب رحلات الصيد البري وصيد الأسماك وزيارة المواقع الأثرية في كثير من مناطق المملكة .

وقد لوحظ تزايد الإقبال على السياحة المتعلقة بالطبيعة في الآونة الأخيرة فيما بين المواطنين والمقيمين . وبقدر ما لذلك الاهتمام من إيجابيات ، إلا أن السياحة المكثفة قد تكون مدمرة للتراث الطبيعي خاصة في غياب الوعي البيئي والإدارة السليمة لها .

وقد برز الاهتمام المتنامي بالسياحة المتعلقة بالطبيعة في إنشاء عدد من المواقع السياحية خاصة في المناطق الجبلية والساحلية ؛ كما في إنشاء العديد من المتنزهات الطبيعية دون ما مراعاة لأساليب الاستغلال الحافظ في تلك المواقع . بل لقد صاحب ذلك الكثير من التدمير بسبب أعمال التجريف في البر والبحر .

كما زادت معدلات التخييم في الفيضات والروضات والمواقع البرية حول المدن الكبيرة والسباحة والغوص في المناطق الشاطئية ؛ وزادت أيضاً معدلات زيارة المواقع الأثرية وارتياد بعض المناطق ذات الطبيعة المتميزة لمشاهدة الآثار أو الحياة الفطرية ، ويمكن القول بأن هذه التطورات جاءت عشوائية في معظم الأحيان ؛ إضافة إلى قيامها في مواقع تتصف بالحساسية البيئية .

وهكذا بدأ المجال يتسع لرؤى سياحية أكثر شمولية من خلال البحث والدراسة نظراً لكثرة ما يتوافر من مواطن طبيعية قابلة للاستثمار السياحي ولكن تهددها مخاطر الاستغلال غير الرشيد . وتشير الدلائل إلى أن السياحة المتعلقة بالطبيعة آخذه في الانتشار لا محالة . وتكمن خطورة ذلك حين تفوق أنشطة السياحة قدرة بعض المواقع على تحمل الضغوط الواقعة

عليها وتوقفها عن استمرارية العطاء . ولا شك أنه في غياب ضوابط فاعلة لتلك السياحة ، فإنها ستؤثر سلباً خلال مدة تطول أو تقصر على العناصر الطبيعية والجمالية والتاريخية وغيرها من الدعامات الرئيسية التي تعتمد عليها صناعة السياحة .

وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن أهم سلبيات السياحة المتعلقة بالطبيعة تتمثل في استغلال المناطق الطبيعية بشكل عشوائي عن طريق وضع الأيدي عليها أو تملّكها أو تأجيرها بشكل عشوائي للمستثمرين مما يترتب عليه انحسار النفع العام من تلك المناطق ، وكذلك انتشار أشكال التلوث فيها خاصة بالمخلفات غير العضوية (فوارغ المعلبات والبلاستيك والحفاظات وغيرها) وتدمير الأشجار بقطعها للوقود وسحق الغطاء النباتي بقيادة السيارات ذات الدفع الرباعي خارج الطرق الممهدة وفقدان الحياة الفطرية البرية والبحرية عن طريق الإفراط في الصيد والاستغلال . ويتلازم مع أشكال السياحة تدمير الشعاب المرجانية من قبل مراسي الزوارق وتلويث المياه وتغيير المعالم الجمالية والطبيعية للمواقع بالردم أو التجريف . ناهيك عن المساحات الهائلة التي تقطع عشوائياً من البحر لأغراض إنشاء المجمعات السياحية من دارات وشاليهات وغيرها .

مسئولية الإشراف على السياحة المتعلقة بالطبيعة :

تكللت جهود المخلصين من أبناء هذا الوطن خلال الأيام القليلة الماضية بموافقة مقام مجلس الوزراء على إنشاء الهيئة العليا للسياحة . وتتعدد حالياً مسؤوليات تنشيط السياحة العامة على المستوى الوطني في جهود كل من : الشركة الوطنية للسياحة ولجنة السياحة الوطنية التابعة لمجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية والشركة السعودية للفنادق والمناطق السياحية ؛ إلى جانب ذلك هناك عدد من الجهات الحكومية تشرف على مواقع محددة مثل : إدارة المنتزهات الوطنية التابعة لوزارة الزراعة والمياه وإدارة بعض المواقع السياحية في جنوب غرب المملكة وبعض الشواطئ والروضات التابعة للإمارات والبلديات وإدارة المواقع الأثرية التابعة لوكالة وزارة المعارف لشؤون الآثار وإدارة المخيم البري في الثمامة من قبل الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض وإدارة المناطق المحمية من قبل الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها .

وإذا نظرنا إلى إقليمنا الخليجي فإننا نجده يعج بصنوف عديدة من المواقع الطبيعية المتميزة ويخشى من تدهور المواقع الفريدة في حالة بقاء الممارسات الجائرة التي تصلح للسياحة بالطبيعة ، منها ما هو مستخدم بشكل جائر ومنها ما هو مستخدم بشكل عشوائي ومنها ما هو مهمل ومنها مواقع قليلة لم يصل إليها بطش الإنسان بعد . ويخشى من تدهور المواقع الفريدة في حالة بقاء الممارسات الجائرة أو العشوائية وغياب جهة مسؤولة تنظم استغلال تلك المواقع وتحمي مواردها .

لذلك فإن هناك ضرورة للتنسيق بين الجهات المختصة لتنظيم السياحة المتعلقة بالطبيعة بما يكفل تحقيق العائد الأمثل من استخدامها بشكل رشيد يأخذ في الحسبان بالاعتبارات البيئية ويؤدي إلى تنويع مصادر الدخل السياحي . ومن أفضل صور هذا التنسيق ما يمكن أن يتم بين الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها ووكالة وزارة المعارف لشؤون الآثار لحماية المواقع الأثرية التي ترتبط بمواقع جديرة بالمحافظة على التنوع الأحيائي فيها ، ومن ثم إتاحتها للسياحة البيئية على أساس علمي وبشكل يضمن المحافظة عليها واستمتاع المواطنين والمقيمين بها وتحقيق دخل جيد يدعم الاقتصاد الوطني .

السياحة البيئية استغلال متزن للموارد الفطرية :

برز في السنوات الأخيرة مفهوم عالمي عُرف بالسياحة البيئية التي تعني التمتع بالطبيعة والتجول فيها بغرض دراستها أو التعرف عليها والاستمتاع بظواهرها الطبيعية وتراثها الثقافي ومزاولة أنشطة رشيدة غير ضارة بالبيئة فيها . ويتسع مدى ذلك الغرض من مجرد النزهة سيراً على الأقدام في وادٍ صغير إلى ممارسة البحث والدراسة واستكشاف المناطقة النائية والوعرة .

وتهدف السياحة البيئية إلى تعميق المعرفة بالبيئات الطبيعية ومكوناتها الأحيائية وغير الأحيائية والتعامل معها بعناية خاصة وبدرجة عالية من الأمانة والوعي والإحساس بخصائصها ومتطلباتها . وتتميز باتجاه مجموعات قليلة من الأشخاص إليها ممن يحرصون على التعرف بعمق على أسرار الطبيعة بأقل التكاليف مع الالتزام باستخدام الوسائل التي

تقلل من حجم التأثيرات السلبية على البيئة وبمحدودية خدمات المعيشة وميل السائح إلى تجنب الإقامة والعيش في المباني أو في غابات « الأسمنت أو الخرسانة المسلحة » كما يطلق عليها. ويفضل السائح البيئي الاندماج مع أهل المنطقة والتعرف على التراث الشعبي باعتباره من عناصر البيئة ؛ وبالتالي فإن السائح يثمن الاستخدام التقليدي القائم ويدعم الاستغلال المستدام لتلك العناصر .

توفر السياحة البيئية منافع ثقافية وتعليمية واقتصادية واجتماعية هائلة للمجتمع . لذلك تعد من الوسائل المثلى للمحافظة على موارد صناعة السياحة مثل الحياة الفطرية والآثار التاريخية والمعالم الجغرافية ، فضلاً عن تعزيزها للدخل المحلي والوطني خاصة عند تهيئة مواقع مناسبة للزيارة في كل موسم على مدار السنة . وفوق ذلك فإن السياحة البيئية ترفع من مستوى الوعي البيئي والحسن الوطني لدى المواطنين .

دور الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها في السياحة البيئية :

تعتبر الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها مسؤولة جزئياً في الوقت الراهن عن السياحة البيئية تنفيذاً لما ينص عليه نظام الهيئة من ضرورة تطوير وتنفيذ خطط ومشاريع تهدف إلى المحافظة على الحياة الفطرية في بيئاتها الطبيعية واقتراح إقامة مناطق محمية وملاذات للحياة الفطرية في المملكة ، وإدارتها وتطبيق الأنظمة والتعليمات الخاصة بتلك المناطقة ووضع قواعد تنظيم دخول الأشخاص إلى المناطقة المحمية البرية والبحرية أو عبورهم فيها أو الانتفاع منها . حسب طبيعة كل منطقة محمية .

وتدرك الهيئة أن هناك حاجة ملحة لقيامها بتحمل هذه المسؤولية والانطلاق بها إلى تحقيق الانتفاع من تراثنا الطبيعي بأساليب حضارية نابعة من الجذور العريقة للعادات والتقاليد في هذه البلاد . وهناك اعتبارات أخرى استرعت انتباه الهيئة لإدراج السياحة البيئية ضمن أهدافها لما تحققه من أهداف نشر الوعي والتعليم البيئي . ويستدعي ذلك ضرورة الاستثمار في جعل مثل هذه المناطق مناسبة لاستقبال السائحين . كذلك فإنه من الضروري بذل مزيد من الاهتمام لإعادة تأهيل البيئات الفطرية المتأثرة وحماية المتبقي منها بواقعية وبأساليب عصرية .

مواقع الهيئة المحتمل استغلالها للسياحة البيئية :

المحميّات البرية :

المحميّات الشماليّة (حرّة الحرة والخنفة والطبيق) ، بالقرب من الجوف (دومة الجندل) وتيماء.

محميّة الوعول بالمنطقة الوسطى .

محميّة محازة الصيّد بمنطقة مكة المكرمة .

محميّة جرف ريدة بمنطقة عسير .

محميّة عروق بني معارض جنوب غرب الرّبع الخالي ، بالقرب من قرية الفاو الأثرية .

محميّة مجامع الهضب بالمنطقة الوسطى .

محميات إعادة توطين الحباري (التيسية والجندلية ونفود العريق وسجا وأم الرمث) .

المحميّات البحرية :

محميّة فرسان بالبحر الأحمر .

مشروع محميّة الأحياء الفطرية في الخليج العربي .

محميّة جزيرة أم القماري بالبحر الأحمر .

مواقع محتملة للحماية المشتركة من قبل الهيئة ووكالة وزارة المعارف لشؤون الآثار :

أقر مجلس إدارة الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها مبدأ المشاركة في إقامة المناطق المحمية وتنسيق الجهود بين الجهات ذات العلاقة بالقرار رقم ١٣/٨٤ وتاريخ ١٤١٧/٢/١٤هـ . ومن المعروف أن هذا المبدأ معمول به في كبرى بلدان العالم حيث يساهم في إنجاح جهود المحافظة على الموارد الطبيعية ، فمثلاً تتوزع في الولايات المتحدة الأمريكية مسؤوليات إقامة وإدارة المناطق المحمية بين الحكومة الاتحادية والحكومات المحلية وجهاز الأسماك والحياة الفطرية ووزارة الداخلية ووزارة الدفاع ووزارة الزراعة والجامعات والقطاع الأهلي والأفراد بتنسيق كامل شامل بينها جميعاً.

وتمشياً مع الواقع العملي الذي تنص عليه الأنظمة المعمول بها في المملكة فإن فهناك جهات عديدة مكلفة بحماية جوانب مختلفة من المناطق الطبيعية . تتقاسم المسؤولية إلى جانب الهيئة كل من وزارة الزراعة والمياه ووزارة الدفاع والطيران ووزارة الداخلية ووزارة المعارف والبلديات والمحليات وغيرها .

ولعله من الأهمية بمكان قيام كل جهة بحماية الحياة الفطرية بجانب حماية المناطق التابعلة لها . ويتطلب ذلك إعداد وتنفيذ خطط إدارة واستراتيجيات للاستثمار الحافظ في السياحة وغيرها بالتشاور الدائم بين كل جهة رئيسية والجهات الأخرى ذات العلاقة .

وفيما يلي نذكر بعض أهم المواقع المرشحة للجمع بين سياحة الآثار والسياحة البيئية :

حرة عويرض :

تقع حرة عويرض بالقرب من مدائن صالح ، وبها وعول وغزلان ومواقع ذات جمال جيولوجي خاص . ويرتاد مدائن صالح كثير من المواطنين وأبناء الجاليات الأجنبية . وتصلح حرة عويرض كموقع للتخييم أو لإقامة منتجعات للسياحة البيئية للاستفادة منهم للسائحين بعد زيارتهم لمدائن صالح .

جبل أجـأ :

يعد جبل أجـأ منطقة مفضلة للتخييم من قبل أهالي حائل والقصيم والرياض ، خاصة أثناء الربيع لطبيعتها الفطرية الساحرة . وهناك مخطط كامل وتصميم لمنتزه بري ومركز تعليمي للزوار تم إعداده بالتعاون مع جامعة الملك عبد العزيز في وادي مشار . ويوجد بالمنطقة آثار قصر حاتم الطائي في توارن ؛ كما يوجد بها آثار نقوش قديمة على بعض الصخور، خاصة عند حافة النفود . وهي صالحة لإعادة توطين الوعل والغزال .

جبال قراقر :

تتميز بوجود عيون دائمة الجريان أحدها يشكل مجرى لعدة كيلومترات . وبها مناظر طبيعية خلابة ، والموقع الوحيد للدفلة البري في المملكة . يوجد بالمنطقة أيضاً مواقع أثرية مثل النقوش الصخرية وإلى قصر الروافة الذي يعد الوحيد من المباني الرومانية في المملكة . ويوجد بالقرب منها مواقع متميزة للغوص بين مرجانيات البحر الأحمر .

مقْلعْ طَمِيّة :

يتميز مقْلع ْطَمِيّة بفوهة بركانية بقطر يصل إلى كيلو مترين وعمق ٢٥٠ متراً ، وبها واحة صغيرة تحتوي على عيون جارية وبعض المصاطب الزراعية القديمة المهجورة . وتوجد بقاع المقلع ترسيبات ملحية بديعة المنظر . كما يوجد بالقرب منها حرة وعرة (لابّة شِلْمان) بها مجموعة من أشجار ألبان ومواقع تتحول إلى بحيرات بعد المطر . يوجد بالقرب منها المويه القديم ، وهي عبارة عن قرية مهجورة ، بجانب قلعة تركية عمل على توسعتها الملك عبد العزيز وبعض القلاع الأخرى الصغيرة وبركتان من برك (درب زبيدة) يستفيد منها كثير من الناس .

جبل بثرة (جبل إبراهيم) :

يقع جبل بثرة بين الطائف والباحة ، وهو عبارة عن قبة جرانيتية ضخمة بها قمم متنوعة المظهر وأودية تتجمع في وادي تربة لتشكل مجرى مائي يعد أكبر الأنهار الجارية في المملكة . وبين قمم الجبل هناك قرية ودْ الأثرية المهجورة ، إضافة إلى قرى أخرى في أودية مختلفة وتصلح المنطقة للتخييم لوجود تنوع نباتي وحيواني خلاب فيها إضافة إلى معالمها الأثرية وبينما تصلح المنطقة للسياحة البيئية تصلح مواقع أخرى قريبة للسياحة العامة في الطائف والباحة .

نجران :

يوجد بمنطقة نجران مزار أثري للعديد من رواد المنطقة وهو الأخدود ، وهناك العديد من القصور المبنية من الطين .. بعضها مرممة والبعض الآخر مهجور.. وهناك حمى آل عباس القديم في وادي النهوقة للمحافظة على أشجار السدر المعمرة . وهو من المواقع المفضلة للسياحة إضافة إلى سد نجران .

كما توجد مواقع أخرى كثيرة محتملة لإقامة شراكة في حمايتها مع جهات أخرى كثيرة في أرجاء البلاد .

تطلعات مستقبلية في مجال السياحة البيئية :

لا بد أن نشير هنا إلى أن هناك علاقة وطيدة بين المواقع الأثرية والحياة الفطرية في الموقع الذي يجمعهما معا .. ذلك لأن الآثار أهم معالم البيئة الاجتماعية والثقافية والحياة

الفطرية أهم رموز البيئة الطبيعية ، ويتكامل المجالان في إبراز العمق الحضاري للمنطقة موضع الاهتمام .

وحين يجمع الموقع بين الآثار والحياة الفطرية فإن ذلك يكون سبباً للجذب السياحي المتميز، لاعتبار الموقع حينئذ متحفاً طبيعياً مفتوحاً لكل منهما . كما أن ذلك الجمع يمكن من نشر الوعي البيئي والآثاري بين أفراد المجتمع وبالتالي مؤزارة الجهات المسؤولة . ومن هذا المنطلق كان توجه الهيئة إلى مبدأ المشاركة في الحفاظ على مختلف المناطق ذات القيمة الحضارية . ويصبح دور الجهة التي تدير الموقع تنمية موارده التراثية والطبيعية بشكل مستدام وعصري على بصيرة من أمر الماضي . وفي اعتقادي أن إدارة المناطق بهذه الطريقة تكون مثلى لا تساعها للنشاطات الاقتصادية والترفيهية والثقافية والبيئية ولأجل محافظتها على موارد تلك النشاطات في وقت واحد .

وفي ضوء ما تقدم يجب علينا السعي لإعطاء مزيد من الاهتمام لتنمية السياحة البيئية وتطوير أنماط السياحة المتعلقة بالطبيعة من خلال برامج التعاون مع الجهات ذات العلاقة ، وعلى وجه الخصوص نوصي بما يلي :

١ - إجراء دراسات علمية عن إمكانات السياحة البيئية وحالة السياحة المتعلقة بالطبيعة ويجمع بينهما وبين سياحة الآثار .

٢ - وضع استراتيجية وطنية للسياحة البيئية والسياحة المتعلقة بالطبيعة مستمدة من التراث الشعبي الأصيل مع اقتباس المفاهيم الحضارية لإدارة السياحة البيئية بما لا يتعارض مع العادات والتقاليد المحلية والتأكيد على مبدأ الشراكة في الحماية .

٣ - إشراك القطاع الخاص في استثمارات السياحة المتعلقة بالطبيعة والسياحة البيئية في مواقع خاصة بتفصيلات يتم الاتفاق عليها مع الهيئة في نطاق الاستراتيجية الوطنية المرتقبة للسياحة البيئية بما يحفظ لهذه المناطق ثراءها ويحميها من التدمير .

٤ - إعداد منظومة وطنية للمواقع الحساسة بيئياً أو ذات الأهمية الفريدة للسياحة البيئية التي لا تتطلب سوى خدمات محدودة لتشغيلها لأغراض السياحة البيئية من قبل الهيئة أو جهات أخرى ولو بصفة مؤقتة ، وذلك بتوفير الخدمات التوعوية والتعليمية

والترفيهية وغيرها من متطلبات التشغيل .

٥ - إيجاد مشروعات لإدارة السياحة البيئية في المواقع التي تشرف عليها الهيئة خاصة المناطق المحمية ؛ إضافة إلى بروتوكولات تعاون مع الجهات التي تشرف على مواقع محتملة للسياحة البيئية بحيث تصير نماذج وطنية لتقنين استخدامات البيئة بشكل حافظ لمواردها .

٦- إعداد الكوادر الوطنية والمهارات اللازمة للإرشاد والتوعية في مواقع السياحة البيئية.

٧- العمل على رفع مستوى الوعي البيئي بالسلوكيات السياحية الإيجابية ، بإنشاء مراكز الزوار للتوعية والتعليم البيئي في المواقع السياحية وتوفير خدمة المعلومات عن مواقع السياحة البيئية في صور مختلفة ونشرها لعامة المواطنين .

٨- استصدار التشريعات والضوابط النظامية الخاصة بالممارسات والأنشطة ذات العلاقة بالسياحة البيئية بالتعاون مع الجهات المعنية لتحقيق الاستثمار المستدام من البيئات الفطرية .

٩- إنشاء الخدمات السياحية المتوائمة مع البيئة مثل المخيمات ومراكز الزوار وأماكن رمي النفايات ودورات المياه ومصادر اقتصادية فعالة للطاقة والماء والمراسي الشاطئية العائمة .

١٠- إشراك أهالي تلك المواقع في جميع الأنشطة السياحية في بيئاتهم .

تصميم البرامج التدريبية لحماية الآثار الإسلامية

أ . د . فضل الله علي فضل الله (*)

مقدمة :

الآثار هي وعاء الحضارة وماعون الثقافة . فهي تحفظ الخصائص الجوهرية للأمة التي تميزها عن سواها فتجسد عراقتها وتسجل تاريخها. والتاريخ هو دالة الأمة ومصدر إلهامها ، خاصة إذا كان هذا التاريخ يستند على منظومة حضارية لها تجاربها التي تراكمت عبر العصور فشكلت هويتها ورؤيتها الخاصة وحددت آفاقها المستقبلية ؛ يقول ب . ف . إسكنر في كتابه "ما وراء الحرية والكرامة "حينما تتداعى علينا المشاكل وترمي بثقلها على صدورنا وتحبس أنفاسنا ، نتجه بصورة فطرية إلى المهارات التي نتقنها والأشياء التي نحذقها. نتجه لذواتنا فننضو الغبار عن تجاربنا الخاصة. فمن ثنايا هذه التجارب المتراكمة عبر السنوات ، الممتدة عبر القرون .. والتي نطلق عيها مصطلح التاريخ.. قد نجد خيط الأمل" .

التوثيق القرآني وخصوصية الآثار بالجزيرة العربية :

لم يكن هذا التاريخ ليعنينا بهذا القدر لو لم تمتد جذوره لتطوق حاضرنا وترسم معالم مستقبلنا. فمنذ أن وطأت قدما آدم عليه السلام وحواء أرض جدة [١] مؤذناً ببداية التاريخ الإنساني وبداية الأديان وإلى أن أشرقت البشرية بنور الهداية بمولد الرسول على مقربة نيف وسبعين كيلو متراً شرقاً في البقعة المباركة ، معلناً خاتمة الرسالات واكتمال الدين ، فالتاريخ يجدد نفسه في هذه البقعة المباركة من الكرة الأرضية مرة بهجرة إبراهيم وهاجر عليهما رضوان الله وسلامه ، وتارة بهجرة موسى إلى التخوم الشرقية من مصر تجاه مدين في التخوم الغربية للمملكة . تتكرر الأحداث بقصة عاد وثمود وأصحاب الرس ولوط .

وثّقت هذه الشواهد التاريخية في محكم التنزيل في بيان لغوي رصين وسرد تاريخي واضح المعنى بيّن الدلالة . تم ذلك كله في منظومة قصصية جمعت بين التشويق والترغيب

(*) أكاديمية نايف للعلوم الأمنية – انتقل إلى رحمة الله .

(١) هبوط آدم وحواء على أرض جدة هي من روايات المؤرخين لم تثبتها الدراسات الأثرية (هيئة التحرير) .

والترهيب . ففي سورة واحدة - سورة الأعراف - نجد جملة شواهد تجمع بين قصة آدم وزوجه ، ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهارون والرسول الأمي عليهم الصلاة والسلام ، تجمعت هذه الشواهد في سورة واحدة غطت مساحة زمنية تجاوزت المليون عاماً ، لكنها - وهذا هو مصدر المفارقة - تحققت في دائرة جغرافية لا يزيد نصف قطرها عن الخمسمائة ميل . ومصدر الإعجاز في هذا التوثيق التاريخي أنه جاء من لدن حكيم خبير لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حيث يقول جل وعلى في هذا السياق ﴿ **فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ** ﴾ سورة الأعراف ، آية (٧) . جاء هذا التوثيق لغاية مرسومة ﴿ **وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ الأعراف (٥٢). وثّقت قصة إبراهيم عليه السلام في ثلاثة وسبعين موضعاً في القرآن . تم ذلك كله في خمسة وعشرين سورة .

الحديث عن توثيق الحدث التاريخي يسبق الحديث عن حمايته . التوثيق يعطي للحدث قيمته التاريخية . التوثيق علم له مناهجه وأساليبه العلمية . لكنه علم ظني . فكثيراً ما تثبت الحفريات نظرية تاريخية تظل مناراً يهتدي به المؤرخون ردحاً من الزمن يفسرون به بعض الظواهر ويضعون على هديه فرضيات وقناعات تستخدم كإطار للتحليل التاريخي ، لكن سرعان ما تظهر معطيات جديدة بناء على اكتشافات جديدة تغير القناعات القديمة وتقلب الطاولة ظهراً على قلب [١] . وخير مثال على ذلك التفسير الماركسي للتاريخ والذي نشأ على أن المادة هي أصل الأشياء . فما نشهده اليوم في الكتلة الماركسية والانكسار الذي منيت به سياسياً ، والتصدع في البنية الفكرية للنظرية ما هو إلا هزيمة للتوثيق الذي يقوم على قناعات ظنية .

النقطة التي نريد إثباتها في هذا السياق هي أننا نتحدث عن تاريخ حقيقي وعن حقائق وآثار وثقت بالوحي فتحولت إلى علم يقيني . وخير شاهد على ما ذهبنا إليه هو قوله تعالى جل شأنه ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا**

---

(١) الحفريات الأثرية تعطي دلائل حقيقية من خلال ما يكتشف من عمارة وفنون وكتابات وعملات وغيرها ... وتبقى مصدراً تاريخياً مهماً (هيئة التحرير) .

قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ سورة الأعراف (٧٤) ، فهذه شواهد لا تخطئها عين ، ترى في مدائن صالح كما ترى الآثار الفرعونية في مصر.

ما كان أمر هذه الدائرة يعيننا بهذا القدر إن لم تكن مهداً للرسالات ومركزاً للدائرة المشعة التي اهتدت بنورها البشرية بمجملها . فالدائرة هي مركز للصراع بين الحق والباطل وهي أيضاً بوتقة للصهر الحضاري والتلاقح القيمي ثم هي ملتقى للفرز الجيني والوراثي . وقد كانت قصة نوح أكبر دليل على هذا الفرز الوراثي الذي تحقق بعد الطوفان الذي قضى على كل السلالات ماعدا سلالة نوح إذ يقول الله عز وجل ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ الصافات (٧٧) . ومن ذريته سام الذي ينسب إليه العرب وبني إسرائيل ومن أحفاده هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن غوش بن أرم بن سام بن نوح . وقد كان هود عربياً كما أورد بن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ حدث أبا ذر عن الأنبياء منهم أربعة من العرب هم هود وصالح وشعيب ورسول هذه الأمة . والعرب ينقسمون إلى قسمين : عرب عاربة ، منهم عاد وثمود وجرهم ومدين وقحطان ، وعرب مستعربة من ذرية إسماعيل وهو كنعان . وقصة هود وقومه عاد أو إرم فيها وصف قرآني دقيق للتطاول الحضاري وفي ذكرها هنا معاني أثرية ذات دلالات مهمة للعرب والمسلمين كافة ولعرب الجزيرة على وجه التحديد . وُثِّقَتْ قصتهم في مواقع متعددة من القرآن تُوِّجتْ بصورة الأحقاف . (الأحقاف لغة هي جبال من الرمل) وهي موقع باليمن بين عمان وحضر موت في أرض مطلة على البحر تسمى الشحر . قال تعالى في وصف قصتهم ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ ﴾ الأحقاف (٢١) ، وقوم عاد ولعوا ببناء خيام ضخمة في السهول وقصور شاهقة في الجبال . وقد بنوا حضارة هائلة ساعدتهم في ذلك قوة سواعدهم وضخامة أجسامهم ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ سورة الأعراف (٦٩) ، بنى قوم عاد المنازل الشاهقة والقصور والمصانع والمجاري المائية والمصارف وكانت حضارتهم آية في التطور العمراني . قال تعالى يصف هذه الآثار ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾

سورة الشعراء آية ١٢٨-١٣٤ . هل حَمِدَ قوم عاد هذه النعمة وأوفوها حقها ؟ أم تراهم عاندوا واستكبروا ؟ الإجابة على هذا السؤال تضمنتها الآية ﴿ **فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴾ فصلت (١٥) ، ثم ما هي عاقبتهم في الدنيا والآخرة . أتى الله على بيان قصة نهايتهم في آيات محكمات في سورة الفجر ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ** ﴾ سورة الفجر ، آية ٦-٩ ، مات هود ودفن في حضر موت واستمر الصراع بين الكفر والإيمان يسطر تاريخ الجزيرة العربية وكان مشهد التاريخ هذه المرة في مدائن صالح والتي تقع على مسافة ٣٨٠ كيلو متراً شمال غرب المدينة المنورة . وصالح نبي عربي من أحفاد ثمود وهو صالح بن عبيد بن إيثال بن ماشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عاد بن ارم بن سالم بن نوح ؟ . هاجرت ثمود إلى شمال الجزيرة وسكنوا منطقة الحجر. وُثِّقَتْ هذه الحادثة بالآية الكريمة ﴿ **وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ سورة الحجر (٨٠) . أصحاب الحجر هم قوم صالح - ثمود .

أمن الآثار الإسلامية من أمن العقيدة :

يتجلى الإعجاز في توثيق الحدث التاريخي في قصة صالح والذي قدم إلى المدائن وهو يحمل إرثاً حضارياً في المعمار ورثه قومه من أسلافهم عاد في جنوب الجزيرة العربية [1] وهو فن العمارة ونحتها في الجبال . وُثِّقَتْ هذه الخاصة الحضارية في الآية ﴿ **وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ** ﴾ الفجر (٩) ، وفي الآية ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ** ﴾ هود (٦١) .

لكن قومه أبوا واستكبروا وعتوا عن أمر ربهم فطلبوا آية - ناقة - وحددوا حجمها وشكلها ولونها . فانشقت الصخرة عن ناقة تحمل كل السمات والصفات التي طلبوها لكنهم أيضاً استكبروا فعقروا الناقة ودمدم عليهم ربهم بذنبهم فأهلكهم بالرجفة والصواعق

(١) حتى الآن لم تظهر كشوفات أثرية من جنوب الجزيرة العربية تعود لقوم عاد ولا توجد في جنوب الجزيرة آثاراً مشابهة لآثار ثمود في مدائن صالح (هيئة التحرير) .

والصيحة . وُثِّقَتْ هذه الحادثة في سورة الشمس الآيات ١١-١٥ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ . فكانوا عبرة لمن يعتبر وظلت آثارهم المنحوتة من الصخور دليلاً ناطقاً على أن أمن الآثار من أمن العقيدة . تظل الآثار تذكرة لمسار الدعوة والعقيدة . قال الله تعالى ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾ . مر الرسول في غزوة تبوك على مدائن صالح فذهب بعض الصحابة فأخذوا شيئاً من الماء والأدوات المنزلية من الآثار فأمرهم الرسول بكسر الأواني وإهراق الماء وبكل طعام صنع من مائهم أن يتلف . وأمر الرسول ﷺ في الحديث الصحيح الذي يرويه مسلم والبخاري " لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين" وفي قول آخر " فإن لم تبكوا فتباكوا" ذكرت قصة صالح وقومه في ستة وعشرين موضعاً في القرآن .

يتجلى أمر أمن العقيدة بصورة أوضح في قصة إبراهيم مع أصنام قومه في بابل . أراد إبراهيم أن يظهر العقيدة في صورتها النقية في حواره مع أبيه وقومه النمرود ومع الأصنام ومع الشمس والقمر والنجوم بعد أن دنستها العقائد الفاسدة. وثقت هذه الحوارات في آيات محكمات ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ سورة الأنبياء ، الآيات ٥١-٥٨ .

ربط إبراهيم بين الأمن والعقيدة وعبادة الأصنام في صورة رائعة في توسله لربه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة إبراهيم ، آيات ٣٥-٣٦ . وبذات القدر ربط بين الأمن والعقيدة والأمن الغذائي في ابتهالاته لربه ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ سورة إبراهيم ، آية ٣٧ . فمن ذريته جاء خاتم

المرسلين في ذات البقعة التي أودع فيها سلالته . العلاقة بين أمن العقيدة والأمن الغذائي والأمن بمفهومه الشامل وثقت في آيات بينات ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ سورة قريش (٣-٤) .

كيف نصمم برنامجاً تدريبياً لحماية الآثار الإسلامية ؟

نحن أمام حدث تاريخي استثنائي . هذا الحدث له خصوصيته الدينية التي ترتبط بمشاعر عقدية عميقة . التعامل مع هذا الحدث يحتاج إلى مهارات خاصة . فالأثر الديني مستهدف لأنه ماعون الحضارة وعنوانها . إذا كان الأثر في الأرض المقدسة فهو يأخذ أهميته من قدسية هذه الأرض . فأهميته لا تقف عند بعده التاريخي وإنما تتجاوز ذلك إلى البعد العقدي . المؤرخون يثمنون الحدث التاريخي بعراقته كلما امتدت جذوره في أعماق التاريخ كلما كان ذلك أدعى إلى توقيره. فالآثار الفرعونية على سبيل المثال تتخذ أهمية خاصة لدى المؤرخين لأنها تسجل وقائع تاريخية عفا عليها الزمن ، وتجاوزتها الأحداث اليومية فما عاد الإنسان العادي بوسائله التقليدية قادراً على سبر غورها. المؤرخ وحده هو الذي يملك المهارات لمعرفة دلالات الحدث التاريخي وأهميته .

تفريعاً على ما سبق يمكن القول بأننا نتعامل مع أحداث لها قيمة مزدوجة : بعد تاريخي وبعد عقدي . حماية الأثر التاريخي من هذا النوع تتخذ أهمية خاصة . زرع قنبلة في وادي الملكات بالأقصر أو زرع قنبلة في الفاتيكان يثير مشاعر غبن لدى طوائف متعددة وشرائح مختلفة من المجتمعات . الأول يأخذ بعداً وطنياً – وأحياناً سياسياً – في الدائرة المحلية وبعداً أكاديمياً وتاريخياً لدى شريحة تتجاوز البعد المكاني . والثاني يأخذ بعداً عقدياً لدى طائفة أخرى ويثير مشاعر دينية تمتد آثارها خارج محيط الحدث . لا يقف تخريب الأثر الديني هنا عند حد الغبن الذي يختزن في اللاشعور وإنما يتفاعل الحدث مع مشاعر دينية وثقافية واجتماعية وسياسية . فحرق بيت المقدس نكأ جروحاً عميقة في ذاكرة التاريخ وأثار مشاعر دينية انتظمت العالم الإسلامي برمته. قد يشكل الحدث من هذا النوع منعطفاً تاريخياً يؤثر في مسيرة البشرية بمجملها .

نريد أن نثبت من هذه الفذلكة التاريخية القيمة الاستراتيجية لحماية الأثر الإسلامي وأن

هذه القيمة الاستراتيجية تجعل من حماية الأثر الإسلامي عملاً تعبدياً واجباً على كل مسلم . حفظ الأثر هو حفظ الدين . وحماية الآثار في الأراضي المقدسة هو في واقع أمره تجديد للدين . فإذا اندثر الأثر اندثرت المعاني التي ينطوي عليها . لذلك يتنادى الإصلاحيون بإحياء التراث تجديداً للمجتمع وإبقاء على صفاته المميزة التي يتفرد بها عن سواه . فأمر الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها . فالتأصيل عند الإصلاحيين يتلازم مع التجديد . الثاني من جنس الأول . وقديماً قيل " من لا أول له لا آخر له ".

أرض الجزيرة – والمملكة على وجه التحديد – أرض غنية بتراثها وآثارها فهي أرض الرسالات ، والله يعلم أين يضع رسالاته ، فهي ماعون الثقافة الدينية منذ ولاية آدم عليه السلام مروراً برسالة إبراهيم الخليل وانتهاء بخاتم الأنبياء . قادت التجديد بعد إرساء الإسلام بإحياء الكتاب والسنة على يد شيوخ حملوا مشاعل التنوير والهداية بدءًا بأئمة المذاهب الأربعة مروراً بشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب طيب الله ثراهم وما فتئ الإسلام يجدد نفسه برجال نراهم يسعون بين أيدينا تتجافى جنوبهم عن المضاجع .

النقطة التي نريد أن نثبتها في هذا السياق أن ثمة حاجة لعمل مؤسسي يقوم على استراتيجيات عملية لحماية الآثار الإسلامية حفظاً للدين وترسيخاً لمبادئه السمحة تأخذ أسبقية وأولوية في سلم اهتماماتنا . هذا المؤتمر هو الخطوة الأولى في مشوار الألف ميل جزى الله القائمين على أمره خيراً ، ودورنا في هذا المؤتمر هو تفعيل هذه الحاجة . الخطوة الثانية في مشوار الألف ميل هي تصميم برنامج تدريبي لحماية الآثار يصطحب المبادئ التي أتينا على ذكرها سابقاً .

تصميم البرنامج التدريبي يشبه في جوهره تصميم المشروع الهندسي ، كلاهما يحتاج لإطار وقاعدة نظرية ، فالمهندس الذي خطط لتوسعة الحرم المدني والمهندس الذي بنى برج أيفل في فرنسا كلاهما انطلقا من قاعدة نظرية أجابت عن مجموعة من التساؤلات . ما هي المعاني التي يكرسها المشروع الهندسي ؟ وما القيم التي يروج لها من خلال تنفيذ المشروع ؟ وما المواصفات المطلوبة ؟ أهي المتانة أم الوجاهة وما هي الضوابط التي ينبغي استصحابها لتحقيق الصفات المطلوبة ؟ وما هي المحاذير التي يتعين علينا الاستئناس بها ونحن نخطط

وننفذ المشروع الهندسي ؟ يجيب تصميم البرنامج التدريبي لحماية الآثار الإسلامية عن مجموعة من التساؤلات تبدأ بمن ندرب ، وكم ندرب ، وكيف ندرب ، ولماذا ندرب ، ومتى ندرب، وأين ندرب ؟

ندرب كل العاملين في إدارات الآثار : من الغفير إلى المدير :

كل العاملين في مجال الآثار معنيون بحمايتها ، والآثار الإسلامية كلها مستهدفة لأهميتها الروحية ، ولما كانت الأراضي المقدسة قبلة يؤمها الناس من مختلف أصقاع العالم وعلى مدار السنة ؛ فإن خطورة الاعتداء عليها تظل هاجساً مستمراً لا ينقطع ، والاعتداء يتم بوسائل متعددة منها السرقة والتخريب والتشويه والتزوير والترويع والتشكيك والتبخيس والتضليل والتدنيس والتلبيس والدس ، لاسيما وأن التقنية الحديثة أتاحت فنون مختلفة للتخريب. تتعدد فنون التخريب بتعدد موضوعاته. فقد يكون موضوع التخريب تحريف نص أثري أو سرقة أثر كما رأينا في المحاولات المتعددة لسرقة الآثار الفرعونية ومنها فرعون موسى لأهميته التاريخية للمسلمين واليهود على حد سواء . هناك مهارات أمنية مطلوبة لدى كل العاملين في مجال الآثار . فقد يأتي الخطر من شخص يقتحم الآثار مدججاً بالسلاح يستهدف الزوار أو السائحين كما سنرى في حادثة الأقصر ، وقد يكون حيواناً صغيراً لا نعيره اهتماماً كالأرضة التي قضت على الصحيفة التي وضعها المشركون على الكعبة للتنكيل بالمسلمين . كما قد يكون مادة كيمائية لا ترى بالعين المجردة يكون هدفها تدمير وثيقة تاريخية أو إتلاف رموز أثرية على سقف زمني قريب أو ممتد. هناك أيضاً مهارات متخصصة يتدرب عليها بعض العاملين تحتاج لتخصصات دقيقة مثل الكيمياء وحماية النصوص ضد فيروس الكمبيوتر.. إلخ .

ندرب على كل الوسائل المتاحة لحماية الآثار :

إن مبدأ التدافع الذي يحرك البشر يجعل طائفة من البشر مستهدفين من طوائف أخرى بدافع الغيرة حيناً والحسد حيناً آخر ومقاسمة كعكة الثروة والسلطة في كثير من الأحيان . تستخدم في هذا الصراع كل أنواع الأسلحة بدءاً بالأسلحة البيضاء، مروراً بالأسلحة النارية، وانتهاء بالكيماويات والفيروسات . أمر حماية الآثار أصبح أكثر تعقيداً من أي وقت سبق .

لذلك أضحى التدريب على مختلف أساليب الدفاع والهجوم الوقائي أمراً لا مناص منه . أساليب الدفاع عن النفس وحماية الشخصيات المهمة التي ترتاد الأماكن الأثرية ومعرفة البقع العمياء تأخذ أهمية خاصة في سلم أولويات رجل الأمن . وقد رأينا كيف تحول ضعف التدريب لحرس الآثار ومعرفة الشبان الذين كانوا يرتدون ملابس سوداء منقطة بالبقع العمياء في الأقصر إلى ثغرة أمنية نفّذ عن طريقها المقتحمون الستة مخططهم ، وسنستخدم هنا أسلوب دراسة الحالة للتعرف على البقع العمياء وعلى مواطن الضعف في التدريب وفي تأمين الآثار بوضع أجهزة المراقبة الأمنية بغية تصميم برنامج تدريبي وتحديد أدوات التدريب المناسبة ومجالاته المختلفة .

١- في حوالي الساعة الثامنة و٤٥ دقيقة من صباح يوم الاثنين الموافق ١٨نوفمبر ١٩٩٧م بدأ توافد الأفواج السياحية على معبد الدير البحري .

٢- بعد أن امتلأ المعبد اقتحم ستة أشخاص ملثمون المعبد .

٣- كان الجناة يستقلون سيارة بيجو (استيشن) .

٤- هبط الجناة من السيارة شاهرين البنادق الآلية .

٥- أطلق الجناة الرصاص في البداية على مساعد الشرطة واستولوا على مسدسه وجهازه اللاسلكي .

٦- توجه الجناة بعد ذلك إلى البوابة الرئيسية لمعبد حتشبسوت حيث أطلقوا الرصاص بصورة عشوائية وذلك بعد أن انقسموا إلى مجموعتين في محاولة لمنع السياح من الهرب وإحكام السيطرة على الموقع وفي تلك اللحظة لقي السياح مصرعهم بعد أن تم رشهم بوابل من الرصاص .

٧- حاول الأهالي العزل مواجهة الجناة إلا أنهم قوبلوا بطلقات صوبت باتجاه الفضاء .

٨- حاول الجناة استقلال حافلة تابعة لشركة (فايكنج) إلا أن السائق قام بمطاردتهم محاولاً قتلهم فهربوا إلى حافلة أخرى تابعة لشركة إيزيس للسياحة .

٩- وبعد ركوب الجناة الحافلة قاموا بإطلاق عيار ناري صوب السائق مما أدى إلى تخويفه ، اضطر السائق تحت تهديد السلاح إلى السير بهم باتجاه وادي الملوك

وذلك حسب رغبة الجناة في قتل المزيد من الضحايا .

١٠- قام أحد شرطة الآثار بمطاردة الجناة فأصاب أحدهم إصابة أعاقته عن السير ، فحاول زملاؤه نقله وعندما فشلوا أجهزوا عليه .

١١- نزل الجناة من الحافلة متجهين إلى الجبل المسمى بجبل القرتة وذلك أملاً في الوصول إلى ملاذ آمن .

١٢- كان لأهالي المنطقة دور كبير في الدلالة على مخابئ الجناة في الجبل ومن ثم قتلهم.

أين البقع العمياء والثغرة الأمنية في حادثة الأقصر ؟

يتضح من معاينة مسرح الحدث أن هناك فجوة أمنية تتمثل في غياب التغطية الأمنية الكافية للمناطق الأثرية عدا وجود بعض الأفراد الذين يقومون بالحراسة الروتينية للمواقع . كانت الثغرة الأمنية مدخلاً أسعف الجناة للسيطرة على الموقف منذ اللحظة الأولى . يتضح من قراءات الحدث أن الجناة يتمتعون بمستوى عال من التدريب ، ظهر ذلك في سرعة الحركة وأسلوب استخدام الأسلحة والمرونة في وضع وتغيير الاستراتيجية والقدرة على تفكيك الدفاعات الأمنية عن طريق إثارة الرعب والترويع . فالقدرة على التحرك السريع بين المواقع مكنت الجناة للوصول لأهدافهم في وقت قياسي قبل تكامل الأجهزة الأمنية في مسرح الحادث، مما جعل تأثيرهم أكثر إيلاماً وإرباكاً للسلطات الأمنية . إن معرفة الجناة الدقيقة بموقع الحادث وتضاريسه الجغرافية كان عنصراً هاماً في نجاح مهمتهم ، واستفاد الجناة هنا من جهل السياح بمخارج المواقع الأثرية .

هذا الحدث يجسد إشكالية التدريب على آليات الدفاع كما يكرس عجز المؤسسة الأمنية عن وضع منهج تدريبي نافذ لمواجهة الحدث التخريبي بالقوة والسرعة المطلوبة . لذلك كانت ردة الفعل غاضبة من السلطة السياسية في الدولة والتي قادت إلى إقالة وزير الداخلية . وترجع ردة الفعل الغاضبة إلى أن التحرك الأمني لمواجهة الأزمة جاء متأخراً ، أعلنت حالة حظر التجول وقامت قوات الانتشار السريع المكونة من قوات الأمن المركزي وقوات شرطة الأقصر وقوات الشرطة المنتشرة بموقع الخدمات بالمنطقة الأثرية بتعقب الجناة ومحاصرتهم كما تم تمشيط المنطقة تحسباً لوجود عناصر مساندة أخرى لأولئك الجناة .

هناك عدد من القضايا التدريبية تثيرها أزمة الأقصر أهمها ما يلي :

١- أهمية العلاقات العامة مع الجمهور. اتضح من العرض السابق أن دور الجمهور كان دوراً حيوياً في الإرشاد لمكان الجناة بعد تسلق الجبال . وهذا يطرح قضية تدريبية هامة وهي مهارات التعامل مع الجمهور. الجمهور المتعاون يشكل الذراع الأيمن لرجل الأمن إذا ما كانت هناك قنوات اتصال مفتوحة مع الجمهور .

٢- المعرفة الكاملة بمسرح الحدث ومعرفة تضاريس المنطقة مكن الجناة من مخططهم بدرجة عالية من الكفاءة . هذا يطرح أيضاً قضية تدريبية هامة وهي عدم وجود مخطط لدى السائحين يحدد مسارات آمنة escapes أو مخارج يلجأ لها عند الأزمات . غياب مخارج آمنة شكل ثغرة أمنية . وكما ذكرنا سابقاً فإن الموقع الأثري مستهدف لدى شريحة واسعة من البشر. وجود إجراءات تحوطية تحسباً لعمل إرهابي متوقع أمر لا مفر منه ، كما أن وجود مخطط بالمنطقة يتاح للسائحين يعتبر أمراً بديهياً .

٣- هناك قضية أخرى كانت سبباً مباشراً في الانفلات الأمني وهي عدم وجود أجهزة رقابة ورصد أو استشعار عن بعد لرصد تحركات "مخاطر محتملة".

٤- ضعف التسليح .

٥- ضعف التدريب على السلاح كان سبباً مباشراً في فشل الشرطة في تطويق المشكلة بالسرعة المطلوبة .

٦- تطرح الثغرة الأمنية قضية أخرى وهي مشكلة التنسيق بين أعضاء الفريق المتكامل في مسرح الجريمة حيث يعزف كل من رجال الأمن عزفاً منفرداً ويتصرف بطريقته الخاصة . وهذا يؤشر إلى ضعف المجهودات التي تبذل في مجال بناء الفريق .

٧- الطريقة التي تعاملت بها الإدارة مع الحدث قبل تدخل السلطة السياسية العليا اعتمدت على النموذج البيروقراطي والروتين مما انعكس سلباً على السرعة التي تم بها تطويق الحدث . وهذا يطرح قضية تدريبية أخرى وهي التدريب على إدارة الفريق والإدارة بالاستثناء والتنظيم المصفوفي .

ندرب لتحجيم ووقف ظاهرة العنف السياسي بترويج قيم الحوار:

منذ الاعتداء على بيت المقدس ومنذ مطلع الستينيات من القرن العشرين بدأت دراسة ظاهرة الإرهاب كمادة مستقبلة في موضوع العنف السياسي . ظهرت لغة العنف السياسي في حوادث اللواط في لوس أنجلس في الستينيات وامتدت إلى ديترويت وشيكاغو ونيويورك وأخذت طابعاً عنصرياً سمي بثورة الزنج في الولايات المتحدة . كما أخذت في ذات الوقت طابعاً دينياً حيث فرت الأقليات المضطهدة في الولايات المتحدة إلى الأديان بحثاً عن طوق النجاة تحت مسميات مختلفة مثل العودة للجذور (Roots) حيث ذهبت كل طائفة تبحث عن جذورها العرقية والدينية وظهرت تحت مسميات مختلفة مجموعات تنزع للفرز العرقي والديني بعضها من أصل أوروبي مثل حركة النازيين الجدد وبعضها من أصل لاتيني مثل منظمة الألوية الحمراء وبعضها ذو نزعة إسلامية مثل جماعة البلالين التي نادت بتكوين دولة الإسلام (Nation of Islam) وينتسب لهذه الجماعة اليجا محمد ومحمد علي كلاي وملكم إكس قبل أن يتحول إلى الجماعة السنية . (فضل الله ، ١٩٩٧) .

ظهر اتجاه في الجماعات الأمريكية يقول إن التعرف على دوافع العمل الإرهابي والانفتاح على المجموعات الإرهابية هو أقل كلفة من كبتها وتجاهلها حتى تصل إلى درجة الانفجار. فالتعرف على سيكولوجية الإرهاب عن قرب يوفر فرصاً أفضل في التنبؤ باحتمالات وقوعه واحتوائه . ظهر جدل أكاديمي في هذا السياق في المدرج الجامعي ، امتد إلى أروقة الأمم المتحدة فظهرت الدعوة إلى تأكيد التمييز بين الإرهاب والكفاح المسلح من أجل تحرير أرض محتلة أم من أجل تقرير المصير .

أولى الإعلام الغربي اهتماماً كبيراً بموضوع الإرهاب والإرهابيين لكنه وقع أسير المحدودية الثقافية للغرب وفسر الإرهاب في أتون نظرية الصراع بين الحضارات ليخدم طرفاً واحداً في هذا الصراع . تقول هذه النظرية أن الخطر على الحضارة الغربية بعد نهاية الآيديولوجيات التي رسمت بانهيار الماركسية يأتي من المعسكر الإسلامي . وأن الصراع في المرحلة القادمة سيكون بين الإسلام والمنظومة الغربية . وأن إحدى آليات هذا الصراع سيكون الإرهاب. فالمسلمون قادمون على أسنة الرماح فانتبهوا (هنتينقتون). يقول نكسون في كتاب ما بعد السلام ص ١٢ . (Beyond Peace) إن سياساتنا تجاه الدول النامية لا تحكمها سعادة

الآخرين فحسب وإنما تحكمها المصلحة الذاتية . هناك ثلاثة مجالات رئيسة تتشابك فيها مصالحنا مع الدول النامية وهي اقتصادنا وأمننا وهجمة اللاجئين على بلادنا .

إن ثمة خيبة أمل من النظام العالمي الجديد قد تعبر عن نفسها بوسائل إرهابية و تحمل في طياتها خطراً أكثر من أي وقت سابق . ويرجع السبب إلى انحلال القبضة السوفيتية على الترسانة النووية المنتشرة في عدة جمهوريات تتمتع الآن بالاستقلال وسهولة إنتاج وتداول الأسلحة بما فيها الأسلحة الجرثومية والكيماوية . وعندما تتسرب هذه الأسلحة إلى أيدٍ يائسة تزداد وتيرة العنف . (فهد التميمي ، ١٩٩٩).

نخلص من استعراض نظرية صراع الحضارات إلى ظهور نمط جديد من الإرهاب يأخذ طابعاً آيديولوجياً مصدره الإعلام الغربي الذي يلعب دوراً رئيساً في صياغة المفاهيم وترويجها ويلقي باللوم على الضحية . هذا الإرهاب الآيديولوجي يتعامل مع ظاهرة الإرهاب من زاوية المصلحة الآيديولوجية . كما تتعامل مع ظاهرة الإرهاب على أنها ظاهرة عربية منذ مطلع السبعينيات وعلى أنها ظاهرة إسلامية منذ مطلع التسعينيات . (محمد السماك) .

هذا الفهم للإرهاب يحتاج إلى مراجعة في برامجنا التعليمية والتدريبية فهو أصدق دليل لإخضاع الوعي المعرفي لمتطلبات المصلحة الآيديولوجية للغرب . هذا الفهم قدم دليلاً عملياً للنظرة المزدوجة لظاهرة الإرهاب . فالرؤية التي تفسر الهجوم الذي شنته حكومة الرئيس رونالد ريجان على (جرينادة) والهجوم الذي شنته حكومة مارجرت تاتشر على (جزر فوكلاند) والهجوم الذي لازالت تشنه إسرائيل على (الجنوب اللبناني) على إنه عمل يدخل في إطار الأمن القومي للولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل على التوالي ، هي ذات الرؤية التي تفسر ما يجري في داغستان اليوم من قبل العناصر الإسلامية في داغستان بأنه عمل إرهابي استخدام الغرب لنظرية التجاهل الطفيف (Theory of Beeing Neglect) تجاه ما يجري في الجنوب اللبناني ونظرية رد الفعل العنيف (Theory of Massive Intervention) تجاه داغستان هو الكيل بمكيالين تجاه ذات الحدث . السكوت عن الخيار النووي الإسرائيلي وإثارة الزوابع عن القنبلة النووية الباكستانية لا يمكن فهمه إلا في إطار النظرة المزدوجة والسكوت عن الردع النووي الإسرائيلي يدخل في إطار "الأمن القومي لإسرائيل ومستقبل الاستقرار في المنطقة" .

الاستقرار في المنطقة يبدأ باستقرار المفاهيم وتوحيدها ، ليس فقط في المناهج الدراسية أو في المدرج الجامعي وفي مختبرات التدريب وإنما على مستوى السياسات والإستراتيجيات.

ندرب على بناء الفريق والتنسيق بين أعضاء الفريق المتكامل والتنظيم المصفوفي :

أهم الدروس المستقاة من أزمة الأقصر هي العجز عن العمل في فريق وضعف التنسيق بين أعضاء الفريق المتكامل في مسرح الأحداث . وكما أوضحنا في الصفحات السابقة فإن المشكلة تعود برمتها إلى ضعف التدريب على آليات العمل المرتب المبني على أسس علمية . لكن هناك قصة نجاح أخرى كنت شاهداً على فصولها دارت أحداثها في الأراضي المقدسة وهي حريق منى عام ١٤١٧هـ هذه القصة تعتبر مثالاً حياً لإدارة الأزمة وفق منهج إداري محسوب قام على منهج علمي واضح . دوري انحصر في مراقبة الحدث ومتابعة أسلوب التعامل مع تفاصيله كحاج . كنت مشاركاً مراقباً (Participant observer) من برج الحياد العلمي .

وقع الحادث في الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم التروية الثامن من ذي الحجة ، اندلعت نار في إحدى الخيام في منى . بدأ الحجاج يتوافدون في هذه الساعة ويأخذون مواقعهم في المخيمات المخصصة لهم توطئة للمبيت بمنى في يوم التروية . اندلعت النار وبدأت تنتقل نتيجة لسرعة الرياح إلى المخيمات المجاورة وساعد تطاير أنابيب الغاز والكثافة العالية للخيام على سرعة انتشار الحرائق .

مواجهة الحدث :

كانت هناك عدة تشكيلات إدارية جزء منها يرتبط بالعمل اليومي في الظروف العادية وجزء يعد خصيصاً لمواجهة الظروف الاستثنائية في الحالات التي تتطلب اتخاذ قرارات حاسمة وسريعة تتجاوز الإجراءات الروتينية المعقدة . الإطار التنظيمي الذي يجمع بين هاتين الاستراتيجيتين هو غرفة العمليات التي تجمع كل التخصصات العاملة في الميدان . زودت غرفة العمليات بإمكانيات بشرية وتقنية عالية تستخدم آخر ما توصلت له التقنية الحديثة في مجال الاتصالات وقدرة عالية للتحرك السريع في الظروف الاستثنائية .

إن التنظيم البيروقراطي العادي لا يسمح بهذه المرونة في اتخاذ القرار وذلك للالتزام

الحرفي بالأنظمة واللوائح والقوانين والإجراءات الإدارية المطولة وخطوط السلطة الجامدة وقنوات الاتصال الطويلة والسلاسل الهرمية . لذلك ، كان لابد من اتخاذ أسلوب إداري مرن يسمح بدرجة عالية من المرونة وسرعة الحركة والتحرر من الروتين . هذا الأسلوب هو التنظيم المصفوفي .

يعتبر نظام المصفوفة أفضل نسق تنظيمي لإدارة الكوارث والأزمات ومن أهم مزاياه المرونة المتمثلة في إمكانية تكييفه وفق الظروف البيئية وإعادة تشكيله وفق المستجدات والمغيرات حيث يصلح هذا الأسلوب في التنظيم في الأحوال التي يصعب التنبؤ بها . يساعد هذا الأسلوب على تأصيل المشاركة في اتخاذ القرارات وتنفيذها بين جميع الأطراف المعنية ويتحقق من خلال ذلك تبادل المعلومات وتوافر الفرص لصنع القرارات جماعياً. والمصفوفة تمثل أداة فاعلة لإنجاز المهام المعقدة التي تستوجب استقطاب وتجميع كفاءات إدارية ومهنية وفنية متعددة لأنه يوجه ويوظف كل الخيارات لتحقيق الهدف . (أحمد الزهراني) .

توظيف التنظيم المصفوفي في إدارة أزمة الحريق بمنى كان له الفضل في توجيه كافة الأنشطة والأعمال تجاه اتخاذ مهمة إطفاء الحريق خلال فترة زمنية قياسية . فتم تحريك آليات المطافئ من طائرات وسيارات إطفاء ورشاشات ماء . وقامت فرق الدفاع المدني باقتحام ألسنة النيران في كل المواقع ساعدها في ذلك سرعة الانتشار وقربها من ساحة الحدث . تمت عملية الإخلاء من قبل شرطة المرور والأمن العام بدرجة عالية من الدقة والكفاءة بالرغم من الازدحام في مثل هذه الساعة من أيام التروية . تمت عملية الإخلاء بتنسيق جيد مع فرق العمل المختلفة وتشكيلات الحرس الوطني والقوات الخاصة . ساعد التشكيل المرن لنظام المصفوفة على توظيف الموارد المادية والبشرية والتشغيل الجيد للآليات والتجهيزات ، فتم امتصاص الصدمة وتجاوز المرحلة الحرجة من مراحل الأزمة وهي مرحلة المواجهة .

وظف التنظيم المصفوفي في المرحلة الأخيرة من مراحل التعامل مع الكارثة وهي إعادة الأوضاع إلى حالتها الطبيعية . وتشمل بناء الخيام والكهرباء والماء وصيانة المرافق الصحية اقتضى ذلك إعادة تشكيل مهام الفرق المختلفة بعد إنهاء مهمة الإخلاء وإطفاء الحريق إلى مهمة التعمير . فقد تم إعادة تشكيل فرق العمل على نحو يحقق التنسيق بين أعضاء الفريق المتكامل وتوحيد جهوده يشمل ذلك التنسيق مع البلدية ، والتي تأخذ دوراً رئيساً في هذه

المرحلة ، والمطوفين ورؤساء البعثات.

إن ثمة ملاحظة يتعين التنوية لها في هذا السياق وهي أن إعادة الأوضاع إلى حالتها الطبيعية استغرقت يوماً واحداً هو يوم الوقوف بعرفة . فعند نفرة الحجيج إلى الجمرة الكبرى في يوم العيد كان كل شيء في مكانه .

يلاحظ أن أهم سمات النجاح في تنفيذ مراحل مواجهة الأزمة تكمن في ثلاثة نقاط أساسية على النحو التالي :

١- أسلوب تقسيم العمل :

تم تقسيم العمل على أساس مشروعات . مثل إطفاء الحريق ، إخلاء الحجاج ، إعادة الماء والكهرباء ، بناء الخيام ، معالجة المتأثرين بالحريق..الخ . يساعد تقسيم العمل تبعاً لهذا النهج على تحديد المسئوليات ومنع التداخل في الاختصاصات وتنظيم العمل .

٢- نمط الإدارة :

وظف نموذج المصفوفة في إدارة العمليات وهو تقسيم العمل على مشروعات بأن أوكل لكل فريق تنفيذ مشروع بعينه . يتحكم الموقف حينما تكون القيادة موقفية ، في الكيفية التي تؤدى بها الوظيفة مع وضع أفق واسع للحرية في وضع البدائل السلوكية والمهارات والتقنية المطلوبة . أهم سمات هذا النمط الإداري هو تعويم الوظيفة . وهذا يمثل أهم ميزات هذا النموذج . ففي النموذج البيروقراطي تثبت الوظيفة وتقسم إلى حركات وجزئيات صغيرة ، ويوضع توقيت لأداء الوظيفة ويتم التدريب على هذه الوظيفة وفقاً لقاعدة التخصص . وتدور حياة الموظف حول هذه الوظيفة وتقنن سلوكه الإداري فتحوله الوظيفة إلى ترس في الآلة . فالعسكري الذي يمسك بخرطوم المياه ، والعامل الذي يقوم بتركيب مسمار في سيارة الإطفاء في خط تجميع السيارات ، لا ينتمي من خلال تخصصه الدقيق إلا للخرطوم أو للمسمار . ولا يعنيه الناتج الكلي من العملية . على عكس ذلك ففي التنظيم المصفوفي يرتبط العسكري بمهمة الإطفاء برمتها فهو هنا يمسك بخرطوم المياه وهناك يقوم بعملية الإخلاء وفي موقع ثالث يباشر عملية الإيواء وهذا ما نسميه بالوظيفة العائمة .

٣- العمل في فريق :

أهم سمات التنظيم المصفوفي كما رأينا من استعراض مواجهة الحريق بمنى هو أداء العمل في فريق . حيث يتقاسم الفريق المسئولية في أداء مهمة المواجهة ويعود النجاح والفشل في أداء المهمة للفريق بمجمله . يتم التنسيق بين أعضاء الفريق وبين الفرق الأخرى عبر منسق (مشبك إداري) Linking Pinch يكون في فريقه قائداً وعضواً في فريق آخر ويمثل حبل الوصل الذي يربط الفريق بالفرق الأخرى . (فضل الله ، نظريات التنظيم الإداري) .

متطلبات تصميم البرنامج التدريبي لحماية الآثار والأراضي المقدسة :

هناك متطلبات عديدة لتصميم البرامج التدريبية لحماية الآثار الإسلامية أهمها :

تأمين المناطق الأثرية :

يشمل تأمين المناطق الأثرية عدة محاور نجملها فيما يلي :

١- الموقع الجغرافي : تحدد وسائل تأمين المنطقة الأثرية وفقاً للموقع الجغرافي للمنطقة الأثرية وطبيعة المنطقة المحيطة بها لاختلاف إجراءات التأمين في المناطق الجبلية والسهول والصحاري والمناطق الزراعية والمناطق الصناعية . ومن فضل الله علينا أن الأرض المقدسة محمية حمايةً إلهية إذ تقع في أرض محاطة بالجبال من جميع الجهات لها أربعة مداخل هي المدخل الشمالي الشرقي ويفضي إلى منى والمدخل الجنوبي ويؤدي إلى اليمن والمدخل الغربي ويؤدي إلى جدة والمدخل الشمالي الغربي ويفضي إلى وادي فاطمة .

٢- الكثافة البشرية : تؤثر الكثافة البشرية على البعد الأمني بشكل مباشر فالآثار التي تقع في منطقة ذات كثافة سكانية عالية أكثر تعرضاً للمخاطر من تلك التي تقع في مناطق خالية من السكان .

٣- حجم المنطقة الأثرية : كلما زاد حجم المنطقة الأثرية كان ذلك أدعى لتعقيد المهمة الأمنية وزيادة تكلفة وتنوع وسائل حمايتها .

٤- نوعية الآثار : تختلف إجراءات تأمين الآثار الثابتة من الآثار المنقولة . فقد تحتوي المنطقة الأثرية على الكثير من الآثار المنقولة وفي هذه الحالة تتخذ إجراءات حماية تشمل

أسلوب التخزين والحراسة . وتشمل الآثار الإسلامية في مكة آثاراً ثابتة مثل غار حراء وغار ثور ومقبرة المعلاة (الحجون) ، وتضم قبور بعض الصحابة والتابعين وبني هاشم . كما تشمل أماكن مواقع المعارك مع المشركين في مكة وغيرها من الجزيرة العربية مثل موقعة بدر وأحد . والحماية سواء أكانت للآثار المنقولة أم الثابتة تشمل الحماية من السرقة والحريق وأعمال التخريب والحرائق والزلازل وانجراف التربة والعوامل الطبيعية الأخرى والحرارة الشديدة والبرودة الشديدة ... إلخ . (عبد الله غزاي الحربي وآخرون) .

تحديد أهداف البرامج التدريبية :

تحدد الأهداف التدريبية تبعاً للأنشطة المطلوب حمايتها . وتختلف الاحتياجات التدريبية باختلاف المهام والأهداف التدريبية والظروف المحيطة بالأثر الإسلامي . هناك عنصران هامان عنصر الوقت وعنصر المكان . وهنا نطرح سؤالاً: متى وأين ؟ . حماية الآثار الإسلامية في مكة تختلف عن حماية الآثار الإسلامية في المدينة أو بدر أو تبوك ، كما تختلف في موسم الحج ورمضان عن بقية شهور السنة .

تحديد المادة التدريبية :

تشمل المادة التدريبية عناصر مختلفة باختلاف موضوعات التدريب وأهدافه . فإذا كان موضوع التدريب حماية الشخصيات الهامة في الحج فقد تشمل مواد البرنامج التدريبي مادة الأسلحة ، مادة اللياقة البدنية ، مادة الدفاع عن النفس ، مادة الإرهاب ، التعامل مع المتفجرات وإبطالها .. إلخ . وإذا كان موضوع التدريب بناء الفريق لإطفاء الحريق فقد تتألف مادة التدريب من تشكيل مجموعات التدريب (T. Group) والتدريب المختبري وتدريب الحساسية وتمثيل الأدوار وتمرين السفينة الفضائية وهذا يقودنا للنقطة التالية :

وسائل التدريب :

هناك أيضاً وسائل متعددة للتدريب تختلف باختلاف موضوعاتها . ووسائل التدريب هي وسائط لتوصيل المادة التدريبية للمتدرب فقد تكون المحاضرة والمذكرة والبحث العلمي وتمثيل الدور والتقارير الدورية والحالات الدراسية ، كما تشمل التدريب العملي على ضرب السلاح وتفخيخ المتفجرات والاقتحام وتمارين اللياقة البدنية وتشكيلات مكافحة الشغب مثل المثلث

والمربع ورأس السهم والقلعة المفتوحة وتشكيل القبض وتشكيل الخط المستقيم والخط المائل لليمين والمائل لليسار وإقامة الحواجز والمتاريس والحماية الفردية بالدروع واللبادات كما تشمل برامج التدريب مهارات التفاوض وآلياتها ووسائطها مثل القدرات التعبيرية والبيانية والمهارات السلوكية . وسوف نتناول هذه المهارات بالتفصيل في البرامج المفصلة التي أعدها طلابي في مادة تصميم البرامج التدريبية بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية وسوف نورد هذه البرامج لتذييل هذه الدراسة .

أود أن أشيد في ختام هذه الورقة بالجهود التي تبذلها إدارة المؤتمر لإحياء تراثنا الإسلامي والقومي ففي إحيائه أمن العقيدة وطمأنينة النفس وترسيخ الثوابت .

ملحق (١)

تصميم برنامج تدريبي لحماية الأراضي المقدسة

هدف البرنامج :

يهدف هذا البرنامج لحماية المسجد الحرام من أخطار الحرائق والسيول والفيضانات وحماية زوار المسجد الحرام من أي تهديد أمني . بالإضافة إلى حماية الأراضي المقدسة من أعمال تنافي التشريع الإسلامي .

مواد البرنامج :

يتكون البرنامج من المواد التالية :

١- مادة الدفاع المدني .

٢- مادة حفظ النظام .

٣- مادة أمن وحماية الشخصيات .

٤- مادة الإرهاب .

٥- مادة التنسيق بين أعضاء الفريق وتشمل بناء الفريق والتنظيم المصفوفي .

الوسائل المستخدمة في التدريب :

١- المحاضرات .

٢- دراسة الحالة .

٣- التطبيق العملي .

٤- القيام بعمل فرضيات وتطبيقها على أرض الواقع .

٥- تمثيل الأدوار .

مدة البرنامج : أسبوعان .

مكان انعقاد البرنامج : مكة المكرمة .

اختيار المتدربين :

يتم اختيار المتدربين من العاملين في مهمة الحج لمنسوبي القطاعات المشاركة في حماية المسجد الحرام والمشاعر المقدسة .

اختيار المدربين :

يتم اختيار المدربين من العاملين في مراكز التدريب في القطاعات المشاركة في الحج وخبراء التدريب من أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية .

* شارك في إعداد هذا البرنامج طلاب مادة تصميم البرامج التدريبية تحت إشراف المؤلف ، والطلاب هم :

- عبد الله غزاي الحربي .
- عبد الله عبد العزيز العمار .
- دخيل الله بن سعد الدوسري .

ملحق (٢)

تصميم برنامج تدريبي لحماية وأمن الشخصيات المهمة في الأراضي المقدسة

أهداف البرنامج :

١- حماية الشخصيات المهمة من الوفود والزوار لبيت الله الحرام .

٢- حماية الشخصيات المهمة في مواقع سكنهم بالأراضي المقدسة .

مواد البرنامج :

١- مصادر الخطر على الشخصيات المهمة : الإهانة ، التهديد ، الاختطاف ، التخريب ، المظاهرات ، الاغتيال .

٢- مادة أمن وحماية الشخصيات .

٣- مادة الأسلحة .

٤- مادة اللياقة البدنية .

٥- مادة الإرهاب .

٦- مادة الدفاع عن النفس .

٧- التعامل مع المتفجرات وإبطالها .

أساليب التدريب :

١- المحاضرات .

٢- تمثيل الأدوار .

٣- دراسة الحالة .

٤- التطبيق العملي .

٥- حلقات النقاش .

مدة البرنامج : ثمانية أسابيع .

اختيار المتدربين :

يتم اختيار المتدربين من بين العاملين في أمن وحماية الشخصيات المهمة .

اختيار المدربين :

يتم اختيار المدربين من العاملين في مراكز التدريب وفي أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية .

* شارك في إعداد هذا البرنامج طلاب مادة تصميم البرامج التدريبية تحت إشراف المؤلف وهم :

- محمد مسفر اليامي .
- محمد زويد المطيري .
- محمد أحمد المعيوف .

ملحق (٣)

برنامج تدريبي لإدارة الأزمات في المناطق الأثرية

هدف البرنامج :

يهدف هذا البرنامج لتدريب العاملين في مجال حماية الآثار بالأراضي المقدسة ومنسوبي رجال الدفاع والعاملين في مجال الإنذار والإنقاذ والإخلاء والإيواء لترقية كفاءتهم وتزويدهم بالمهارات الضرورية لمواجهة الأزمة الناتجة عن الأخطار الطبيعية مثل السيول والعواصف الثلجية والحرائق والزلازل وكذلك الأخطار الناتجة عن التخريب والإرهاب . هذا بالإضافة إلى تعلم الأساليب الحديثة لمواجهة الأزمة في مراحلها المختلفة مثل العمل في فريق ، إدارة الفريق، الإدارة بالاستثناء الإدارة بالأهداف والنتائج، وهندسة العمليات الإدارية وإدارة الجودة .

مواد البرنامج :

تعريف الأزمة وتحديد أبعادها ، الإنذار ، العناصر المكونة لنظام الإنذار ، الإخلاء ، أنواع

الإخلاء ، الإخلاء الطبي ، تطبيق الإخلاء الطبي ، الإيواء ، الإسناد ، الأعمال المساندة ، مراحل إدارة الكارثة ، مرحلة الاستعداد ، مرحلة المواجهة ، اتخاذ القرارات في الكوارث ، غرفة العمليات ، مهام ومتطلبات غرفة العمليات ، الإنقاذ - أنواعه ومتطلباته . إدارة الفريق ، الإدارة بالاستثناء ، الإدارة بالأهداف والنتائج ، إدارة الجودة الشاملة ، التنظيم المصفوفي ، إعادة هندسة العمليات الإدارية .

أساليب التدريب :

١- المحاضرات .

٢- تمثيل الأدوار .

٣- حالات تطبيقية .

٤- أساليب بناء الفريق مثل بناء المسلة ، السفينة الفضائية ، المحاكاة ، تدريب الحساسية ، التدريب المختبري .

٥- الزيارات الميدانية .

٦- تنفيذ خطط وهمية في نهاية الدورة للتأكد من أن المتدربين تم تزويدهم بالمعلومات اللازمة لإدارة الأزمة .

* شارك في إعداد هذا البرنامج طلاب مادة تصميم البرامج التدريبية تحت إشراف المؤلف وهم :

- أحمد عبد الله قاسم .
- عبد الباري الحسن الحفظي .
- عبد الله محمد العواد .

المراجـع

١- أحمد جلال عز الدين ، إدارة الأزمة في الحدث الإرهابي ، الرياض : المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب (أكاديمية نايف العربية الأمنية) ، ١٤١٠هـ .

٢- أحمد عبد الله قاسم ، وعبد الباري الحسن الحفظي ، وعبد الله محمد العواد ، "إدارة الأزمات - الإنقاذ" أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٤٢٠هـ.

٣- أحمد محمد صالح عبد الرحمن ، مكافحة حرائق الطائرات والإنقاذ ، الرياض : المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب (أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية) ، ١٤١٢هـ .

٤- أحمد موسى الزهراني ، " الأسس النظرية والعلمية لإدارة الكوارث ومدى تطبيقها في إدارة الأزمة : دراسة تطبيقية على المديرية العامة للدفاع المدني بالرياض"بحث مقدم استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في مكافحة الجريمة ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٩٩٧م .

٥- الجمعية العربية للإدارة ، الملتقى العربي الأول للتدريب حول إشكالية التدريب في العالم العربي ، القاهرة .

٦- المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، القيم الأخلاقية المرتبطة بعمل رجل الأمن ، أبحاث الندوة العلمية الأولى : الخطة الأمنية الوقائية العربية الثانية ، ١٤٠٨هـ .

٧- إلهي إشتياق ، أمن المطارات ، الرياض : أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٤٠٢هـ .

٨- بهيج بحليس ، الدفاع الوطني في خدمة المواطن ، عرض خالد مريشد العتيبي ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٤١٨هـ .

٩- حسن أبشر الطيب ، إدارة الكوارث ، لندن : ميدلاند المحدودة ، ١٩٩٢م .

١٠- خالد سعود البشر ، المواجهة الجنائية والأمنية لخطف الطائرات ، ١٩٩٣م .

١١- سعد أحمد الجبالي ، المهارات الأساسية للتدريس، القاهرة : مكتبة عين شم ، ١٩٩٨م .

١٢- طارق السويدان ، قصص الأنبياء ، الفيحاء : قرطبة للإنتاج الفني ، مادة مسجلة على شرائط الكاسيت .

١٣- عبد الرحمن إبراهيم الشاعر ، أسس تصميم وتنفيذ البرامج التدريبية ، الرياض : دار

ثقيف للنشر والتأليف ، ١٩٩١م .

١٤- عبد الله غزاي الحربي ، وعبد الله عبد العزيز العمار ، ودخيل الله بن سعد الدوسري ، "حماية الآثار والأراضي المقدسة " ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٩٩٩م .

١٥- علي أورفلي ، الإرهاب : العالم في خطر ، عرض ناصر محمد المطوع ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٤١٨هـ .

١٦- فضل الله علي فضل الله ، إدارة التنمية : منظور جديد لمفهوم التحديث ، الرياض : مطابع أكاديمية نايف للعلوم الأمنية ، ١٩٩٧م .

١٧- فضل الله علي فضل الله ، نظريات التنظيم الإداري : دراسة نقدية تحليلية ، دبي : المطبعة العصرية ، ١٩٨١م .

١٨- فهد محمد الشعلان ، إدارة الأزمات ، الرياض : مطابع أكاديمية نايف ، ١٩٩٩م .

١٩- محسن أحمد الخضيري ، إدارة الأزمات : منهج اقتصادي إداري لحل الأزمات على مستوى الاقتصاد القومي والوحدة الاقتصادية ، القاهرة : مكتبة مدبولي .

٢٠- محمد السماك ، الإرهاب والعنف السياسي ، عرض فهد سعد حمد التميمي ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٩٩٨م .

٢١- محمد عبد العزيز السماعيل ، الإرهاب والإرهابيون ، عرض مشعان آل محمد السبيعي ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٤١٨هـ .

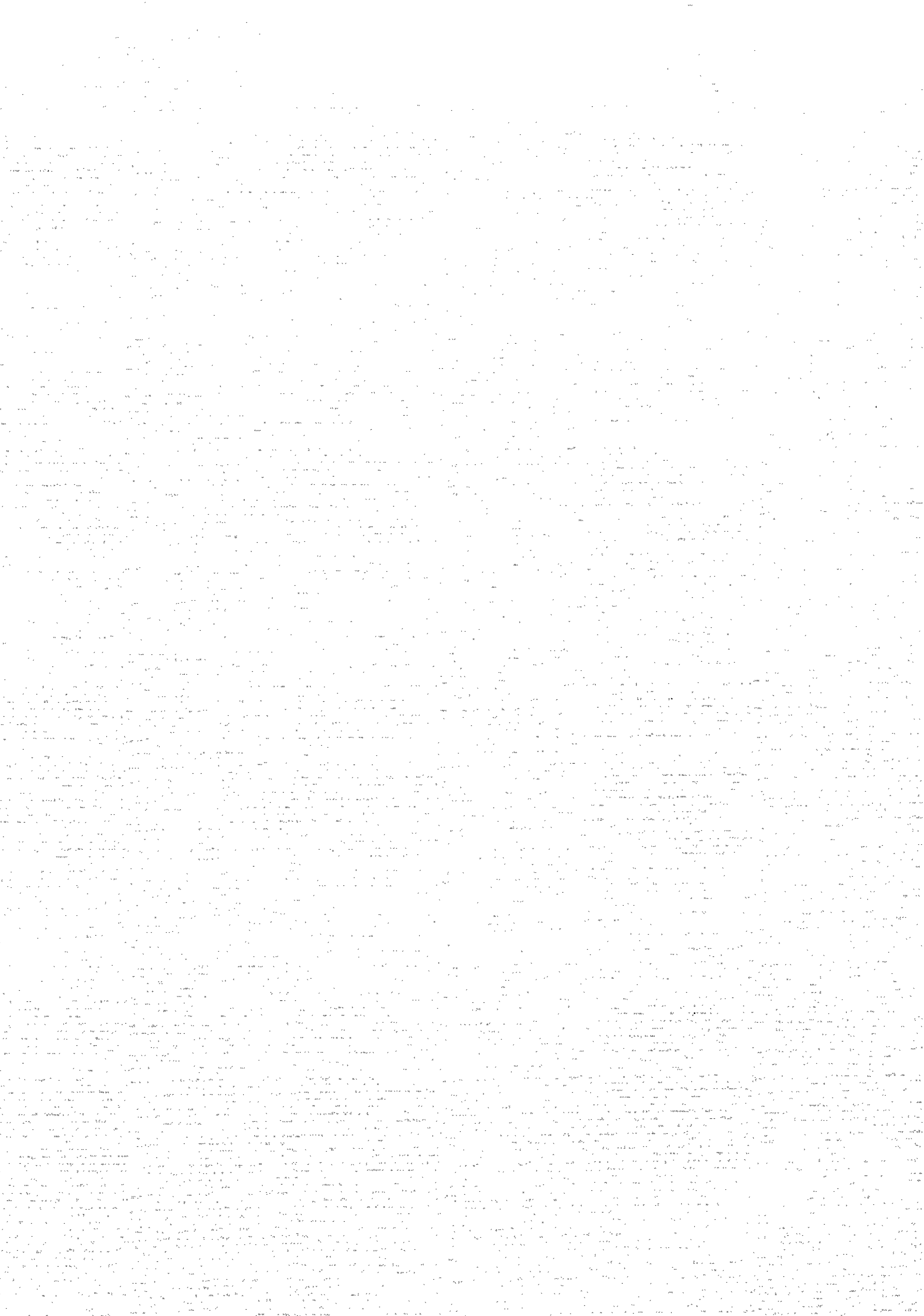
٢٢- محمد مسفر اليامي ، ومحمد زويد المطيري ، ومحمد أحمد المعيوف ، " أمن وحماية الشخصيات الهامة"، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٠هـ. (بحث غير منشور) .

٢٣- محمد موسى عثمان ، الإرهاب : أنواعه - طرقه - أساليبه ، عرض ظاهر حمدان مفرح العمري ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٤١٨هـ .

٢٤- مشعان السبيعي ، " أزمة الأقصر بين الثغرة الأمنية والإدارة بالاستثناء" ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٤١٨هـ (بحث غير مشور) .

٢٥- Nixon, Richard. Beyond Peace. New Youk: Random House 1994.

Skinner, B.F, Beyond Freedom and Dignity.



الآثار في منطقة الباحة

أ . د . ضيف الله بن يحيى الزهراني (*)

موقع الدراسة :

تقع منطقة الباحة في جنوب غرب المملكة العربية السعودية ، بين منطقتي مكة المكرمة من الشمال ، ومنطقة عسير من الجنوب ، وذلك بين خطي طول (٤١ و ٤٢) ، وخطي عرض (١٩ و ٢٠) ، ولها حدود إقليمية مع بعض محافظات المملكة ، فيحدها من الشمال محافظة الطائف (منطقة مكة المكرمة) ، ومن الجنوب محافظة سبت العلايا (منطقة عسير) ومن الشرق محافظة بيشة (منطقة عسير) ، ومن الغرب محافظة الليث (منطقة مكة المكرمة) .

وتنقسم الباحة إلى قسمين رئيسين : الأول ، في السراة و الثاني ، في تهامة ، ويشكل قسم السراة الجانب الأكبر والمهم في المساحة ، وفي عدد السكان ، ويضم المحافظات التالية محافظة بلجرشي ، والمندق ، والعقيق ، والقرى ، بينما يضم القسم التهامي المحافظات التالية محافظة المخواة ، وقلوة ، ويقدر عدد قرى الباحة بأكثر من (٩٣١) قرية موزعة على مساحة تزيد عن (٣٦,٠٠٠) كم٢ ، وهي منطقة جميلة ، تتنوع فيها مظاهر التضاريس والطقس على مدار السنة ، وتنعم بجميع مقومات الحياة العصرية ، وتتكامل فيها الخدمات التنموية يوماً بعد آخر ، وموقعها الجغرافي جعلها منطقة نشطة تجارياً وسياحياً لوقوعها بين منطقتين مهمتين مكة وعسير (١) .

زمان الدراسة :

لم يستطع الباحث تحديد زمن محدد لدراسة الآثار في منطقة الباحة ، نظراً لعدم توافر التاريخ الزمني والأثري لكثير من الآثار ، ولذلك اضطر الباحث مجبراً إلى الدراسة الشاملة (الأفقية) بحيث امتد زمن الدراسة من فترة ما قبل الإسلام (أي الآثار القديمة) ، ثم اتسع نطاق الدراسة ليشمل الفترة الإسلامية بكاملها وكذا لا نغفل عاملاً مهماً ، وهو ندرة المعلومات عن مواقع أثرية مهمة جداً ، لازالت قائمة للعيان ، ولكن المعلومات التاريخية حولها نادرة ، أو

(*) عضو هيئة التدريس - جامعة أم القرى - مكة المكرمة .

ضعيفة إلى حد كبير .

ومن هذا المنطلق جاءت الدراسة في نطاق زمني واسع ، الغرض منه الحصر والتوثيق ، مع التركيز على ضرب مثال أو أكثر لحالة أثرية واحدة . وقد آثرنا أن تكون الدراسة على النحو التالي :

أولاً : الآثار في منطقة الباحة :

لقد قسم نظام الآثار في المملكة العربية السعودية الآثار إلى قسمين ، الآثار الثابتة ، والآثار المنقولة ، وقد جاء في المادة السابعة الفقرة (أ) أن "الآثار الثابتة هي الآثار المتصلة بالأرض مثل الكهوف الطبيعية أو المحفورة ، والصخور التي رسم أو حفر عليها الإنسان صوراً أو نقوشاً أو كتابات ، وكذا أطلال المدن، والمنشآت المطمورة في بطون التلال المتراكمة ، والأبنية التاريخية المنشأة لغايات مختلفة كالمساجد والقصور ، والبيوت والمشافي ، والمدارس ، والقلاع ، والحصون ، والأسوار ، والملاعب ؛ وأطلال تلك المباني ، وما يتصل بها كالأبواب والنوافذ ، والأعمدة " .

أما الآثار المنقولة فهي "التي صنعت لتكون بطبيعتها منفصلة عن الأرض ، أو عن المباني التاريخية ، والتي يمكن تغيير مكانها كالمنحوتات والمسكوكات ،والمنسوجات ، والمخطوطات ، والمصنوعات " (٢) .

والذي يهمنا بالدرجة الأولى هو الآثار الثابتة على الطبيعة ونذكر منها :

العمائر الأثرية ، ونقصد بذلك القرى الثابتة وبعض المواقع التاريخية ، ونضرب على ذلك مجموعة من الأمثلة مثل قرى (معشوقة ، وذي عين ، وعشم ، والخلف والخليف ، وبلدة لغبة ، وروضة بني سيد ، والعصداء ، وطريق الفيل ..) .

قرية ذي عين الأثرية :

نسبة إلى عين ماء جارية منذ زمن بعيد ، تقع إلى الشرق من وادي راش شمال المخواة (٣) وهي قرية جميلة ، بنيت على رأس جبل مرمري يميل إلى البياض ، مبنية بشكل هندسي بديع جداً يدل على مهارة البنائين ، وهي قرية صغيرة تضم (٣١) منزلاً ومسجداً

صـغيراً ، تتكون بيوتها من طابقين إلى سبعة طوابق وارتفاع الطابق يزيد عن مترين ، وهناك مخابئ تحت بيوت القرية ، تستخدم لخزن الحبوب أو الأعلاف ، أو لتربية المواشي ، وتكاد تتشابه منازلها في التكوين المعماري والتخطيط الداخلي ، وهي مسقوفة بالأخشاب ، يتخللها طرقات ضيقة عرفت باسم (المساريب) ، ويوجد بالقرية حصنان يتكونان من أربعة طوابق خصصا لحماية القرية ، وهما يكشفان جميع جهات القرية ، ومن الملاحظ أن القرية تشتهر الآن بالزراعة مثل أشجار الموز والنخيل وبعض الحمضيات ويقدر عمر هذه القرية بما يزيد عن أربعمائة سنة تقريباً [٤] . أنظر اللوحة رقم (١) .

قرية عشم الأثرية :

عشم ، بالعين المهملة المفتوحة ، والشين المعجمة المفتوحة هو الاسم الذي ورثه ويطلقه سكان البيوتات المتفرقة حول موقعها ، وينسبونها إلى بني هلال [٥] وهي تقع غرب المخواة بخمسين كيلو تقريباً ، وبها عدة قرى سكانها من قبيلة باللسود من زهران ، وبها مجموعة قرى أثرية منها (قرية مسعودة ، والعصداء ، ومحلة النصايب) .

وتدل الدراسات والآثار بأن القرية ومناجمها هي من العهد الإسلامي المبكر ، وأن مساحة منجم الذهب تبلغ ٢٠٠ × ٦٠٠م [٦] وكانت منازل عشم تنقسم إلى قسمين ، قسم مبني من العشاش ويمتد إلى السهل المجاور للقرية غرباً ، أما القسم الثاني فهو مبني من الحجارة الجبلية ، ويقع في الشمال الشرقي ، ويحتوي على مجموعة من أطلال المنازل ، ومسجد كبير ، ودار فسيحة لعلها دار للحكومة المحلية ، وآثار طرقات فسيحة وضيقة ، وعلى قمة جبل يوجد حصن مراقبة ، يماثله برج آخر أقل منه ارتفاعاً [٧] ، ومنازل عشم وآثارها بحاجة ماسة إلى دراسة أثرية معمقة جداً .

قرى مسعودة ، والنصايب ، والأحسبة الشمالية والأحسبة الجنوبية :

جميعها قرى أثرية ترجع إلى العصر الإسلامي المبكر ، حسب الدراسات التي أجريت عليها، وهي منتشرة حول مخلاف عشم وبها آثار متنوعة من أطلال المنازل والمساجد، والآبار، والكتابات ، والنقوش ، والشواهد [٨] .. إلخ . وهي في حاجة إلى مسح أثري وتنقيب علمي منظم لاستخراج ما فيها من آثار ومعلومات حضارية مهمة .

قرية الخلف والخليف :

تقع الخلف والخليف ضمن نطاق محافظة قلوة ، في الشمال الغربي ، ويقعان على تلال جبلية تشرف على شعاب وأودية تصب في وادي دوقة ، "وهما موقعان متجاوران ، ولهما تسميتان متلازمتان حتى إنه قلما تذكر إحداهما إلا وتذكر الأخرى معها" (٩) ، وقد ورد ذكرهما في المصادر المكّية مثل كتاب العقد الثمين للفاسي ، وكتاب إ تحاف الورى لابن فهد ، وغاية المرام لعز الدين بن فهد ، وأحمد زيني دحلان في كتابة أمراء البلد الحرام .

وقد ألف فيها الأستاذ الدكتور/ أحمد بن عمر الزيلعي أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة الملك سعود كتاباً آثارياً حضارياً مهمّاً جمع فيه كل ما ورد عن آثار وتاريخ وحضارة الخلف والخليف .

فقد تحدث عن الحي السكني، والمسجد الجامع وعناصره المعمارية مثل المحراب والمنبر، وأروقته ومظلات المسجد ، وكذا الملاحق المعمارية ، وتحدث أيضاً عن البركة والسبيل ، وعن موقع المنزلة أو الكتاب (المعلامة) ، وقد أسهب المؤلف عن مقابرهما من حيث الوصف العام والتصور المعماري ، ثم جعل فصلاً مستقلاً لدراسة النقوش الإسلامية ، وهي دراسة علمية قيمة ، تعد مرجعاً لدراسة الآثار بمنطقة الباحة . أنظر اللوحة (٢) .

قرى معشوقة الأثرية :

قدر عددها بأكثر من عشرين قرية في وادي معشوقة شمال وادي بيدة المشهور بزراعة الرمان ، وهي منتشرة في جهتي الوادي الغربية والشرقية ، تقع على قمم ربوات مرتفعة نسبياً، ويمكن إعطاء وصف عام لإحدى قرى معشوقة وهي قرية (مَزعر) بفتح الميم وتشديد العين مع كسرها "بيوتها متراصة ، وباب البيت لا يزيد عن متر ونصف المتر ، تقدر بيوتها بخمسين بيتاً ، كل بيت يفصل تماماً عن الآخر ، وتلاصق له بجدار آخر عرضه متر واحد من الرخم ، والحصون تحيط بالقرية من جوانبها الأربعة ، ويزيد ارتفاع الحصن عن (٣٠) متراً بدون نوافذ سوى بروج صغيرة ، والجهة الغربية لكل قرية خالية تماماً من النوافذ ، والنوافذ منحصرة في الجهة الشرقية ، والنافذة لا يزيد ارتفاعها عن نصف متر في مثله ، وغرف البيوت ضيقة جداً فأكبر غرفة لا يزيد اتساعها عن مترين في مثلها ، وارتفاعها بقدر قامة

الإنسـان" [١٠] ، واتفق مع مـا ذهب إليه على صـالح السلوك من أن هذه القرى ، هي من قرى أبيدة التي ذكرها ياقوت في معجمة [١١] ، لكونهـا قرى أثرية قـديمة ، (الله أعلم) بعصـرها الزمني ، وهي فيَ حاجة إلى دراسات أثرية .

طـريق الفيـل :

يرتبط طريق الفيل بقصة محاولة أبرهة الحبشي هدم الكعبة إلا أن الله سبحانه وتعالى رد كيده في نحره وأرسل عليه طيراً أبابيل رمته بحجارة من حجارة جهنم [١٢] .

يقع طريق الفيل شمال شرق الباحة بالقرب من محافظة العقيق في مكان يسمى (جرب)، ويبعد عن الباحة (المدينة) بحوالي ٧٥ كم ، وهو طريق مرصوف من حجارة كبيرة جداً لكي تسير عليه الفيلة والخيول المتجهة إلى مكة المكرمة ، وهو بعرض خمسة أمتار ويضيق حتى يصل إلى مترين ونصف المتر ، ويظهر واضحاً في أماكن الصخور البركانية والجبلية ويختفي تماماً في أماكن الرمال والأتربة (*) .

وقد يجد الرائي للطريق بعض المحطات يبدو أنها كانت للراحة والتزود بالمؤن ، وذلك بعد كل ٢٥كم[١٣] وهو في حاجة ماسة إلى مزيد من الدراسات الأثرية المعمقة. أنظر اللوحة رقم (٣).

٢- الرسوم والكتابات والنقوش :

تعددت الرسوم والكتابات والنقوش في منطقة الباحة ، وكانت منتشرة في أماكن عديدة نذكر منها على سبيل المثال :

أ – نقوش جبل القهب قرب روضة بني سيد .

ب – آثار جبل غيب المطل على مدينة الباحة .

ج – آثار جبل قملا على بعد ٢٥كم جنوب العقيق .

د – آثار جبل الرحى قرب روضة بني سيد .

هـ– آثار هضبة أبي الحصين في بادية بني كبير .

(*) طريق الفيل المتعارف على تسميته عند أبناء المنطقة هو في الواقع الطريق القديم وقد أنشئ وبني ورصف قبل حملة أبرهة بقرون ويدل على ذلك الآثار الباقية على امتداد الطريق (هيئة التحرير) .

و- آثار مخلاف عشم .

ز- آثار قريتا الخلف والخليف [١٤] .

ح - نقوش على صخرة كبيرة في حزلة بمحافظة بلجرشي . وكذا في قذانة ، وفي حبل شكران بلجرشي . أنظر اللوحة رقم (٤) .

وإذا تناولنا بالدراسة نماذج لتلك الكتابات والنقوش فإنه يكفينا كمثال ما سطره الدكتور الزيلعي في كتابه السابق الذكر عن بلدتي الخلف والخليف ، حيث عقد فصلاً كاملاً عن النقوش الخطية ، وعددها ثمانية وعشرون نقشاً تغطي فترة زمنية تمتد من النصف الثاني من القرن الثالث الهجري حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، (النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي حتى النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي) ، وهي جميعها منقوشة بالخط الكوفي وأغلب أنواعه (البسيط والمورق ، والمشجر أو المزهر) .

ويعود أقدم تاريخ للنقوش المؤرخة في هذه المجموعة إلى رجب سنة ٢٣٤هـ ، أما أحدث تواريخها فيعود إلى ليلة الأربعاء ، الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٦٨هـ [١٥] .

وكنموذج لهذين النقشين أنظر اللوحتين رقم (٥/٦) ، أما نقوش وكتابات قرى مخلاف عشم وهي (قرية عشم وقرية مسعودة ، ومحلة النصايب ، ومحلة الأحسبه الجنوبية ، ومحلة الأحسبه الشمالية) ، فقد تحدث عنها الأستاذ / حسن إبراهيم الفقيه في كتابه "مخلاف عشم " ، وقد أورد مجموعة كبيرة من اللوحات التذكارية موزعة بين شواهد القبور ، واللوحات التأسيسية ، وقد أكد الفقيه بأن "ممارسة الكتابة النقشية التذكارية قد بدأت في تهامة منذ حوالي منتصف القرن الأول الهجري -غالباً- ويقوي هذا الاستدلال أننا وجدنا نقشاً شاهدياً في إحدى القرى الأثرية القريبة من عشم مؤرخاً في سنة ١٥٧هـ .. يضاف إلى ذلك أن رحلة الكتابة النقشية التذكارية في القرى التهامية استمرت قروناً وصلت في (السرين ، والأحسبة ، والخليف) إلى نهاية القرن السادس الهجري" [١٦] .

فقد أورد الفقيه في كتابه نماذج لمائة وسبعة وثلاثين نقشاً كتابياً لقرية عشم فقط ، وسبعة نقوش كتابية لقرية مسعودة الأثرية ، وخمسة لمحلة النصايب الأثرية ، وستة لمحلة الأحسبة الجنوبية ، وثلاثة عشر لمحلة الأحسبة الشمالية ، وقدم الفقيه جهوداً يشكر عليها في

قراءتها والتثبت من صحتها (*) .

٣- الحصون والقلاع :

وهي كثيرة جداً يزيد عددها عن ألفي حصن فكان لكل قرية أكثر من حصن ، وقد وقفت على ذلك ورأيته بل إن بعض القرى لها ما يقارب من خمسة حصون في مواقع متباعدة " وهذه الحصون تتشابه إلى حد كبير في أسلوب البناء ، وفي المواد المستعملة ، وإن تباينت في الارتفاعات ، والأحجام والأشكال ، فموادها من الحجارة الكبيرة التي تم تهذيبها بشكل هندسي مما يدل على فن بنائي رفيع ، وتتسع قاعدة الحصن ، وتضيق كلما ارتفع البناء – وليس هذا قاعدة في كل الحصون – مع اتساع نسبي في أعلى الحصن وبروز حجارة مستطيلة ،وقد زين بعضها بأحجار الكوارتز على شكل مثلث أو أشكال هندسية جميلة – بما يسمى عند الأهالي باسم الجون – ويوجد بداخله أبراج للمراقبة عبارة عن فتحات تتسع من الداخل ، وتضيق من الخارج بطريقة مائلة مما يتيح مرونة الحركة للمدافعين من داخل الحصن وبالإضافة إلى هدف الدفاع عن النفس والمال ، والعرض والأرض ؛ كانت الحصون تتخذ منابر لإعلام القرى المجاورة عند الشعور بوقوع خطر ما ، تماماً مثلما كان الأقدمون يتخذون من قمم الجبال وسائل اتصال ومفاهمة عند الحرب" (١٧) .

وهي تبنى عادة فوق قمم الجبال ، أو داخل القرية في مكان بارز ومرتفع ، أو على الحدود بين القرى ، والقبائل ، أو على أطراف المناطق الزراعية . واللافت للنظر أن مداخل الحصون في منطقة الباحة مرتفعة عن مستوى الأرض بمقدار يتراوح ما بين مترين إلى خمسة أمتار ، ويتم الدخول عن طريق باب خشبي ، وعن طريق سلم من الخشب يبقى في الداخل ، وكانت بعض الحصون المهمة توصد بصخور كبيرة من الداخل لا يمكن زحزحتها بسهولة ، وتتكون الحصون في الغالب من عدة طبقات قد تصل إلى ست طبقات ، وتزين الحصون من الخارج بحزام من المرو الأبيض في أشكال هندسية بديعة عبارة عن مثلثات معتدلة ومقلوبة ، وفي شكل حزام بارز يسمى الجون ، تتخلله بعض الأبراج الصغيرة للمراقبة ولكي يتم إطلاق نيران البنادق من خلالها ، وقد تهدم أغلب تلك الحصون ، ولم تجد الرعاية الكافية من

(*) الأستاذ الدكتور/ أحمد بن عمر الزيلعي له دراسات موسعة عن نقوش عشم وكتاباتها الإسلامية تضمنتها رسالته للدكتوراة المقدمة لجامعة درهام عام ١٩٨٣م (١٤٠٤هـ) . (هيئة التحرير) .

الأهالي، ولا من الجهات الرسمية .

٤- مناجم التعدين :

هي كثيرة العدد ، حيث قدرت بثلاثة عشر منجماً ، منها المعروف والمشهور ، ومنها المطمور الذي لا يعرف عنه شيء ، ونذكرها على النحو التالي :

١- منجم اللغبة شمال محافظة العقيق .

٢- منجم الوقرة شمال شرق محافظة العقيق .

٣- منجم بغبغ .

٤- منجم العجلة شمال شرق محافظة القرى .

٥- منجم (غير معروف الاسم) يقع شرق الأطاولة .

٦- منجم منحل يقع شرق الأطاولة .

٧- منجم العشة .

٨- منجم حلحال .

٩- منجم بني دكة بوادي الشهم .

١٠- منجم بوبير .

١١- منجم العنق في بادية بني كبير .

١٢- منجم الصفر قرب قرية العصداء الأثرية .

١٣- معملة محوية بمحافظة القرى (١٨) .

ولقد قامت وكالة الآثار بعملية مسح شاملة لأماكن استخراج المعادن بمنطقة الباحة ، وقدمت دراسة أولية جيدة ، شرحت فيها المواقع ضمن جداول محدودة جداً ، ومعروفة ، وتوصلت عملية المسح إلى تقسيم المناجم مبدئياً إلى ثلاثة أنواع من حيث الحجم .

النوع الأول : مرحلة الاستكشاف التعدينية ، وهذا يمثل حفرة أو حفرتين ، مع كومة واحدة من الخبث .

النوع الثـاني : مناجم صـغيرة ، وتمثل حفرتـين أو أكثر مع (٢) إلى (٦) أمـاكن لإلقاء الخبث ، ومن (٢) إلى (٦) مبان .

النوع الثالث : المناجم الكبيرة ، ويوجد بها (١٥) مكاناً أو أكثر لإلقاء الخبث ، ومبانٍ عديدة قد يطلق عليها قرى" [١٩] .

وقد دلت الدراسات على استخراج الذهب ، والنحاس ، والحديد ، وبكميات تجارية كبيرة جداً ، ولعل من المناسب أن نلقي الضوء المختصر على نماذج من أماكن التعدين مثل :

منجم العبلة : يعد أكبر موقع أثري ، حيث احتوى الموقع على أكثر من (٣٠٠) مبنى تقريباً ، وقد اتضح أن العبلة ربما كانت أهم مركز تجاري زراعي ، مثلما كانت في التعدين ، وقد اشتهرت بإنتاج النحاس ، وقد استخرجت المعادن من مركز أسطوانة الفلورايت وهو أهم مدخل أفقي اتساعه (٤) أمتار ، ولا يقل عمقه عن (٢٥) متراً وله فجوات وممرات عديدة ، ويبلغ المدخل متراً ونصف المتر ، و(٢) إلى (٣) أمتار عمقها ، ويوجد النحاس المنصهر منتشراً والخبث الناتج أكثر شفافية ، وهذا يشير إلى استخراج الذهب من هذا المنجم [٢٠] .

منجم العقيق : يقع على ربوة عليها آثار مبانٍ ، وفي الجهة الغربية من المباني تقع آثار استخراج المعدن ، إذا وجدت فتحة يزيد طولها عن (٩٠م) ، وعمقها ما بين ثلاثة إلى خمسة أمتار، وسعتها من مترين إلى ثلاثة أمتار [٢١] .

وقد دلت الدراسات على أنه أكبر منجم للذهب ويوجد به أكثر من (١٠٠) مبنى هي في اعتقادي تكوّن القرية التي وجد المنجم في الجهة الغربية منها [٢٢] .

ومن خلال المسح الذي قامت به وكالة الآثار ، اتضح أن التعدين تم بغرض صهر المعدن مباشرة ، أو استخراج الخام ونقله إلى مصاهر أو مدن أخرى وبكميات تجارية ، ولكن في الغالب الأعم أن عملية الصهر واستخراج المعدن كانت هي السائدة في ذلك .

وقد ركز المسح على أن أهم عصور الاستثمار الطبيعي قد حدثت خلال فترة حضارة جنوب الجزيرة العربية [٢٣] .

وقد انتشرت أو استمرت خلال العصور الإسلامية ، وحتى عصر قريب ولازلْتُ أذكر ما كان يحدثنا به بعض كبار السن عن بعض المناجم واستغلال الصنّاع الأدوات الزراعية

وأدوات البناء وأدوات الزينة من هذه المناجم . أنظر الجدول في (١) .

ثانياً : واقع الآثار في منطقة الباحة :

كما سبق وأن عرفنا فإن الآثار في منطقة الباحة كثيرة جداً وقد تنوعت بين الآثار الثابتة والمنقولة ، ولكن هل واقع الآثار في مكان الدراسة يرقى إلى طموحات المتخصصين والمهتمين بذلك النشاط الإنساني والإرث الحضاري ؟ أعتقد جازماً أن واقع الآثار سيئ للغاية ، نظراً للغموض والتجاهل الذي يكتنف تلك المنجزات الحضارية عبر العصور التاريخية المتلاحقة ، ولقد وقفت على معالم كثيرة سواء كانت قرى أو حصوناً أو مناجم . . إلخ . ولم أشاهد ما يدل على بعث جديد للاستفادة من تلك الآثار ، ولا حتى النظر على معرفة تاريخها وتسجيلها وهذا لا يعني إهمال جهود بعض الباحثين المخلصين الذي كتبوا عن آثار محافظتي قلوة والمخواة في الجزء التهامي ، وإن كانت دراساتهم اتسمت بالتسجيل ثم التوثيق ، ولكن ما مصير ذلك الإرث الحضاري الكبير ؟ .

غالباً ما تكون الدراسات المسحية والميدانية والتسجيلية غير مجدية إذا لم توثق بالصيانة والرعاية والاهتمام من قبل المختصين ، لقد شاهدت من يعتدي بهدم بعض المنازل الأثرية ، وكذلك بعض الحصون ، وتحطيم بعض الشواهد الحضارية ولا حياة لمن تنادي .

لذلك فإن واقع الآثار في المنطقة في حاجة ماسة إلى بذل جهود جبارة جداً لتسجيلها أولاً ، ثم وضع خطط مدروسة لحمايتها وصيانة وترميم ما يمكن ترميمه .

وهذا الكلام لا يغمط الجهود الفردية التي يقوم بها موظف مكتب الآثار بالمنطقة التعليمية، فقد عمل على دراسة مسحية عامة سجل من خلالها أسماء المواقع وأنواعها ، سواء في السراة أو في تهامة أو في البادية ، أنظر الملحق (٢) .

وكذلك قيام المكتب ببعض الدراسات الميدانية السطحية ، التي تخلو من الدراسة الأثرية العلمية ، حيث إنها خالية من عمل المجسات والرفع المساحي ، وإنما كل ما في الأمر أنها كتابة تقارير بناء على حيثيات وتصورات قد تصيب وقد تخطئ ، ومن تلك التقارير :

أ - تقرير عن مقاطع الرحي في وادي مشان بغامد الزناد .

ب - تقرير عن كهف طبيعي في عقبة الباحة .

ج – تقرير عن قلعة عويرة في وادي تربة بالقرب من قرية السهساه في محافظة المندق .

د – تقـرير عن مـواقـع أثرية في غـامـد الزنـاد ، ومنهـا قـبـر يظن أنه لإبراهيم بن الأدهم المتوفى سنة (١٦٢هـ) .

هـ- تقرير عن طريق الفيل بمحافظة العقيق .

و – تقرير عن قرية ذي عين الأثرية بمحافظة المخواة .

وبعد : فإن هذه التقارير ينقصها البحث الأثري المعمق بوسائل التنقيب العصرية ، هذا هو حال الآثار في منطقة الباحة .

ثالثاً : الآثار والنشاط السياحي في مكان الدراسـة :

السياحة حدث حضاري طارئ على مجتمعنا المعاصر ، وهذا الحدث الطارئ لم نعد العدة من أجل استقباله كما ينبغي لذلك فقد فرضت السياحة نفسها علينا شئنا أم أبينا ؟ وبدأت السيـاحـة الداخلية تأخذ نمطاً حـضـارياً مميزاً ، فـهناك فئة كبيرة من الناس تريد السيـاحة من أجل الاستـجمام والترويح عن النفس من خلال الجو البارد أو المعتدل ، ومن خلال المناظر الجميلة ، وهذا يكفيهم إذا توافرت مقومات السياحة المعاشية والمكانية ، وهناك فئة قليلة جداً تبحث عن الفكر والثقافة ، وذلك من خلال الندوات والمحاضرات ، وزيارة المعالم الأثرية والسياحية ، وهـذا الأخيـر كـان مـحـط اهتمام دول العالم قاطبة بتوفير المناخ المناسب لاستقطاب أعداد كبيرة من السائحين لأسباب عديدة وإن كان العامل الاقتصادي من أهمها (٢٤) .

والاهتمام السياحي " لا يأتي أبداً وليد المصادفة أونتاجاً لتوافق ظروف عشوائية ، بل إنه يقوم أساساً على الدراسة الواعية والإدراك الجاد للإمكانات المتاحة ، وكيفية استثمار تلك الإمكانات وترشيدها " (٢٥) .

وارتباط السياحة بالآثار يتحقق بأن تكون الزيارة فيها "للمناطق المشهورة بآثارها القديمة من مختلف العصور والحضارات، ويتعرف السائح من خلالها على المدنيات السابقة ، وتطور العلوم ، ونواحي النشاط الإنساني المختلفة ، ويقف على مدى تقدم الأمم في الأزمان السابقة " (٢٦) .

هذا هو الذي ينبغي لكن هل يطبق في منطقة الباحة ؟ ... أشك في ذلك إلى حد كبير؟ لسببين رئيسين هما :

الأول : عدم اهتمام السائح بالآثار مطلقاً ، ولم تَدُرْ الآثار بخلد الغالبية العظمى منهم ، أما الثاني : فهو عدم وجود الدليل الأثري المباشر في الميدان لكي يذلل ما يمكن تذليله من الصعاب والمشكلات ، لاسيما وأن أغلب آثار المنطقة في جبال عالية ، أو في سهول ورمال مندثرة ووعرة ، أو في صحراء قاحلة وغير واضحة ولا بينة ، مما يزيد من صعوبة المسالك إلى تلك الآثار .

وفي حقيقة الأمر فإن هذا الواقع لا يخص آثار منطقة الباحة وحدها ولكنه أمر عام ينطبق على آثار المملكة العربية السعودية ، لذلك اقتصرت زيارة الآثار في المنطقة على الوفود الرسمية (على حد علمي) ، بما توفره الجهة المضيفة من رعاية واهتمام بضيفها ، أو للوفود الرسمية العلمية مثل البعثات الطلابية ، والزيارات العلمية الشخصية .

ولا يخفى على أحد مدى ارتباط الآثار بالسياحة والسياحة بالآثار ، ومدى المكاسب المادية والمعنوية من وراء ذلك ، ولكن أعتقد إننا لازلنا بحاجة إلى مزيد من الوقت لكي ندرك أهمية ذلك في حياتنا السياحية ، وأرجو أن لا يطول ذلك الوقت حتى لا نبحث يوماً من الأيام عن آثارنا فلا نجدها بسبب ذهاب عوامل الإهمال والدمار بها .

رابعاً : عوامل الرعاية والحماية :

أ- تفعيل دور إدارة الآثار بالمنطقة التعليمية :

عندما أنشئت إدارات الآثار وارتبطت بالمناطق التعليمية ، إنما تم ذلك من أجل رعاية الآثار وصيانتها والمحافظة عليها، وإدارة الآثار بالمنطقة التعليمية بالباحة إدارة متواضعة جداً، لا تملك من مقومات الرعاية والاهتمام أدنى شيء ، وعندما زرت الإدارة من أجل التزود بمعلومات مفيدة ، لم أجد ما يدل على اهتمام تلك الإدارة بتلك المنجزات الحضارية المهمة ، حيث وجدت موظفاً مختصاً بالآثار ، يعاونه موظف آخر متخصص في التاريخ أتي به من التعليم ، يقبعون في حجرة غير منظمة ، ليس لديهم أي معلومات منظمة ، وإنما أوراق وتقارير مبعثرة ، وهو جهدهم ، ويعد جهداً طيباً إذا قيس بعدم اهتمام إدارة التعليم بذلك ، فالإدارة

المذكورة لا يتوافر بها مصور ، ولا يتوافر بها مساح ولا سيارة مخصصة للمسح الأثري ، وليس لدى تلك الإدارة أي استعداد للمحافظة على الآثار نظراً للإهمال الحاصل سواء من وكالة الوزارة لشؤون الآثار ، أو من إدارة التعليم ، لدرجة أن موظف الآثار لا يملك ما يمكن به شراء أفلام ونسخها والاستفادة منها، هذه صورة حقيقية عن واقع إدارة الآثار بإدارة التعليم.

والسؤال المطروح كيف نفعل دور تلك الإدارة في النهوض بمهامها ومسؤولياتها ، لذا لابد من اتخاذ الإجراءات الآتية :

١- دراسة واقع إدارات التعليم وإمكاناتها المادية والبشرية .

٢- دراسة أقسام الآثار بتلك الإدارات ، وإلقاء الضوء على قدراتها العلمية والميكانيكية أو الفنية .

٣- تزويد إدارة الآثار بهيئة إدارية وفنية ذات مسؤولية مشتركة .

٤- تزويد إدارة الآثار بعهدة مالية لتيسير أمور التنقيب الأثري .

٥- تزويد إدارة الآثار بمعدات وأدوات بحثية حديثة .

٦- تحديد منطقة بحثية تمارس فيها إدارة الآثار تخصصها على الوجه المطلوب ، ومن خلالها يمكن تزويد المتحف بمادة أثرية غنية .

٧- مطالبة الإدارة بتقارير شهرية منظمة عن واقع الآثار والإنجازات والمتطلبات والمقترحات .

٨- فصل إدارة الآثار عن الإدارة التعليمية ، وجعلها في إدارة مستقلة ترتبط مباشرة بوكالة الآثار وذلك من أجل تفعيل العمل الأثري .

ومن خلال زيارتي للأخوين الفاضلين في الإدارة المذكورة ، اتضح أن لديهما خطة مقترحة لتفعيل العمل الأثري في إدارتهما لعل وعسى أن يوفقا إلى تحقيق ما فيها ، ونذكر من تلك الخطة :

١- اقتراح تكوين مجلس بإمارة المنطقة للاهتمام بالآثار والمتاحف .

٢- اقتراح تكوين مجلس للمدارس لكي تسهم في تفعيل العمل الأثري .

٣- وضع خطة عامة للقسم المذكور .

٤- تفعيل إدارة التعليم لمتابعة العمل الأثري وذلك من خلال :

أ) إيجاد متحف إقليمي بالمنطقة .

ب) متابعة جمع الآثار وحصرها .

ج) إنشاء متاحف بالمحافظات تتبع متحف المنطقة .

د) رسم الخرائط الأثرية .

هـ) إقامة المعارض الخاصة بالتراث .

و) إجراء المسابقات بين المدارس من أجل نشر الوعي الأثري .

ز) إقامة الندوات والمحاضرات .

ح) وضع اللوحات والعلامات الإرشادية عند المواقع الأثرية (٢٧) .

إن التقرير المقترح الذي أعد من قبل المشرفين على ذلك القسم لهو تقرير جيد بحق ، ويرجى الاهتمام به من قبل الوكالة أولاً ، ثم إدارة التعليم ثانياً .

وخلاصة القول ، إن إدارة الآثار بالباحة في حاجة ماسة إلى بذل أقصى الجهود في سبيل الرقي بالآثار والاهتمام بها والمحافظة عليها .

ب - إنشاء متحف إقليمي :

المتحف هو "مؤسسة دائمة تنشأ بغرض الحفظ والدراسة والعمل على إطراد مجموعات من المقتنيات ذات القيمة الثقافية من النواحي التاريخية والعلمية والفنية والتقنية " (٢٨) .

ومن التعريف يتضح أن الهدف من إنشاء المتاحف هو :

أ - لحفظ المقتنيات .

ب - لدراستها والعمل على التوسع فيها .

ج - لعرضها للجمهور .

وغالباً ما تكون المتاحف ذات مؤسسات ثقافية عالية ، وليس مجرد عرض للأشياء الحضارية ذات القيمة العلمية .

ومنطقة الباحة على كبر مساحتها المترامية الأطراف وعلى عراقة تاريخها وما تضمّه من كنوز أثرية ، مع أن المنطقة تعد ثالث منطقة سياحية بعد الطائف وعسير فهي في حاجة ماسة جداً إلى وجود متحف إقليمي منظم على غرار المتاحف الإقليمية الموجودة في بعض مناطق المملكة التي تعد من أفضل المتاحف العلمية من حيث التصميم وعرض المقتنيات ، ومن حيث عوامل الرعاية والحماية ، وقد رأيت ذلك بنفسي في منطقة نجران ، وفي منطقة الجوف ، وفي دومة الجندل .

ومنطقة الباحة ، كما عرفنا من خلال العرض السابق للآثار تستحق إنشاء متحف إقليمي لأهمية ذلك في حفظ تراث المنطقة وتاريخها ، وكذا نشر الوعي الثقافي والتاريخي والأثري بين الناس ، ولكي يكون معلماً سياحيا يقصده الزائر والسائح . ثم إن الأمر لا يقتصر على إنشاء متحف واحد في منطقة الباحة ، بل يلزم إنشاء فروع في بعض المحافظات التي تزخر بالآثار ، مثل محافظات (قلوة ، والمخواة في الجزء التهامي) ومحافظة بلجرشي ، ومحافظة العقيق ، ومحافظة القرى ، وكذا محافظ المندق .

وكذا ينبغي العمل على تشجيع إقامة المتاحف الخاصة لاسيما إذا علمنا أن هناك مجموعة من أفراد عندهم مقتنيات أثرية جميلة ، وكذا مجموعات كبيرة من مقتنيات التراث الشعبي ، الذي يرجع إلى العصور الحديثة ، أو ما يقرب من مائة سنة ، لهذا لو جمعت في متحف واحد ، وتفرع عنها متاحف فرعية لكان فيها الخير إن شاء الله ، والذي نأمله أن يرى متحف الباحة الإقليمي النور في القريب العاجل .

ج - نشر الوعي الأثري :

الوعي الأثري هو "إدراك من قبل الإنسان لمعنى التراث وأهميته . . ويتيح هذا الإدراك كل السبل أمام العناية والمحافظة على هذا التراث ، ومن ثم فإن هذا الوعي الأثري على مستوى الجماهير يستحق كل موجبات البحث والاهتمام بالتراث .. والوعي الأثري .. هو بلا شك نقطة البداية في العمل الأثري ، فهو الذي يهيئ المناخ البشري المناسب لكل مراحل العمل الميداني

الأثري من مسح وتصوير وتسجيل وتنقيب ، وهو الذي يضع العناية والمحافظة وحسن عرض الآثار على الدرب الصحيح من وجهة النظر العلمية والعملية على حد سواء .. والوعي الأثري مقياس من المقاييس الهامة للأمم ، وفي غيبة هذا الوعي يمكن إهدار التراث الأثري والتفريط فيه .." (٢٩) .

من هذه الكلمات السابقة ندرك أهمية الوعي الأثري ، الذي بدوره يساعد في الحفاظ على الآثار ، ونشرها ، والمحافظة عليها بطرق عملية سليمة ، ولأن الوعي الأثري مهم للغاية فإن مسؤوليته لا يمكن حصرها في جهاز بعينه ، أو في مؤسسة ذات مسؤولية مستقلة ، ومن هنا لابد من وجود "دور لهيئات الآثار ، ودور الجهات المعنية بأمر الدراسات الأثرية ، والأكاديمية ، ودور المؤسسات الثقافية والتعليمية ، ودور وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، ودور مؤسسات السياحة وغيرها " (٣٠) . والسؤال الذي ينبغي طرحه ومناقشته هو ، هل المواطن في منطقة الباحة يعرف الآثار؟ أو يعرف ما هي الآثار؟ ومن ثم هل يعرف الطرق والوسائل في المحافظة عليها ؟ .

أعتقد جازماً بأن الإجابة على ذلك تكون بالنفي القاطع ، وذلك من خلال مشاهدتي وسماعي ، واستطلاعي لبعض الآراء عن الآثار ، فالمواطن لا يعرف عن آثار منطقته أي شيء يذكر باستثناء شريحة المعلمين وخاصة المتخصصين في العلوم الإنسانية ، أما ماعدا ذلك فلا يعرف عن الآثار ما يمكن ذكره ، وليس لدى البعض قناعة بالبحث عن الآثار وحيازتها والاهتمام بها ، هذا في نظري مشكلة كبرى لابد من الوقوف عليها وتشخيصها وعرضها العرض المناسب ، ومن هنا كان لابد من بث الوعي الأثري عن طريق الحلول التالية :

١- الاهتمام بالآثار من منظور حضاري .

٢- ارتباط الآثار بالتربية الوطنية .

٣- دور وسائل الإعلام في نشر الوعي الأثري .

ويمكن مناقشة تلك الحلول كما يلي :

أ - الوعي مطلوب في كل شيء ، والالتزام بقواعد التنظيمات التعليمات وتنفيذها فيه دلالة أكيدة على رقي الأمم والشعوب وتحضرها ونمو فكرها وثقافتها ، فعندما نتعرف على

المواقع الأثرية وأماكن وجودها ، وتصنيفها ، وأنواعها ، ومدى أهميتها إنما ينتج ذلك عن قناعة تامة بتطور الفكر الإنساني والوعي الحضاري تجاه الآثار على كل الناس ، لأن هناك فئة قد لا تحبذ ذلك ولعل لهم عذرهم الشرعي خوفاً من الانسياق وراء التمجيد ، والانبهار الذي قد يفوق العقلانية ، وتصبح الآثار رمزاً للتقديس ، وإذا وصل الأمر إلى هذه المرحلة ، ففي هذا خطورة على العقيدة الإسلامية . ولكن الذي يبشر بالخير ويطمئن أن مجتمعنا مجتمع عقدي سليم الفطرة ، خالٍ من الخرافات والخزعبلات التي لاتمت إلى الدين بصلة .

هناك فئة من المجتمع تعرف تماماً أن الاهتمام بالآثار والعناية بها يأتي من قناعات محددةً بأهمية المحافظة على تاريخنا وتراثنا وأخذ ما فيه من العظات والعبر ، وكذا معرفة الحضارات التي سادت في إقليم الجزيرة العربية منذ أقدم العصور ، لذلك هذه الفئة هي التي تنظر إلى الآثار من منظور حضاري يتطور يوماً بعد يوم ، ولعل إضفاء بعض الأعمال المسرحية والسياحية والثقافية يعزز النمو الحضاري للاهتمام بالآثار ، مثل عرض بعض الأفلام التاريخية "المتعلقة بالتراث في إطار الضوابط العلمية والموضوعية " (٣١) .

وكذا الاهتمام بإنشاء المكاتب السياحية ، والاهتمام بتدريب من يعمل في تلك المكاتب ، كل ذلك عوامل جذب حضاري نحو التعرف على الآثار ، وكذا بث الوعي الحضاري عن طريق الندوات والمحاضرات واللقاءات وكل ما من شأنه أن يساعد في بلورة الذوق الحضاري الأثري الرفيع .

ب – تربية الناشئة من أوليات الحكومات والدول ، ويشترك في ذلك المدرسة والمنزل على حد سواء ، وثقافة الأسرة وتكوينها العلمي يساعد إلى حد كبير في إخراج جيل مثقف مرتبط بمكتسبات وطنه وحضارته وثقافته ، ولقد عالج الدكتور/ عبد الحليم نور الدين (٣٢) هذه النقطة بشيء من الإيضاح على النحو التالي :

١– عناية المناهج بتعميق انتماء الطلاب نحو تراثهم ، وحرصهم على حماية هذا التراث .

٢– إبراز الصلة بين علم التاريخ وعلم الآثار .

٣– دراسة العطاء الفني المتبادل بين الشعوب عبر العصور من حيث التأثير والتأثر .

٤– أن تهتم المدارس بالزيارات الميدانية لتحقيق النظرة المباشرة أو العلاقة المباشرة بين

الأثر والإنسان .

٥- معالجة موضوعات الآثار عن طريق المجلات المدرسية سواء الحائطية أو المعرفية .

٦- إقامة معارض للصور الآثارية ، والفنون والصناعات وكل ما يرتبط بالتاريخ الأثري .

٧- إنشاء المتاحف المدرسية المصغرة لضم بعض المقتنيات والاشتراك في الندوات (٣٣) بما يعزز الحفاظ على المكتسبات الوطنية سواء الأثرية ، أو الحالية .

وهذه التوجيهات يشترك فيها طلاب التعليم العام (بنين وبنات) وكذا طلاب التعليم العالي، ولكن تربية الطفل في هذا الخصوص والتركيب عليه يعد في غاية الأهمية "فالطفل أداة لينة يمكن تشكيلها بسهولة ، وأن تغرس فيه الكثير من المفاهيم السليمة ، والمعلومات المفيدة ، التي يسهل فيما بعد تنميتها وتعميقها بشرط أن تأخذ بالوسائل ، والأساليب التي تناسب مراحل نموه العقلي والجسمي والعصبي ، وأن تربطها باهتمامات الطفل فينشأ مدركاً لتاريخ وحضارة بلاده ، معتزا بها " (٣٤) ، وخلاصة القول : إن التربية الوطنية مطلب ملح ، في الحفاظ على المكتسبات الوطنية أيّا كانت ، وإن الاهتمام بالآثار والعناية بها لهو أمر مهم وحيوي وجزء لا يتجزأ من التربية الوطنية التي نحرص جميعاً على التمسك بها في جميع أمورنا الوطنية .

ج - إن دور وسائل الإعلام في نشر وبث الوعي الأثري أمر مهم جداً، وذو بال، ولا يمكن إغفاله ، أو تجاوزه ، فالإعلام هو المرآة الصادقة لمنجزات الوطن ، والمعبر عن الاعتزاز بمكتسباته عبر الأجيال ، وتعاقب العصور ، ولكن الإعلام حتى الآن لم يأخذ دوره المناسب في الاهتمام بالآثار ، والتنوية بأهميتها ، وأهمية المحافظة عليها ، ونشر الوعي بين الناس ، ولأن الإعلام له قوة مؤثرة في المجتمع من خلال وسائله المتعددة فإن الآمال معقودة عليه أن يتبنى سياسة إعلامية أكثر وعياً بالآثار وأهميتها في حياة المجتمع ، ومن هنا فإننا نطلب من الإعلام أن يأخذ دوره في ذلك ضمن الضوابط التالية (٣٥) :

١- العمل على الزيارات الميدانية للآثار وتسجيلها ، وتصويرها وعرضها ضمن برامج محددة ، أو عرضها ضمن الصفحات المتخصصة أو من خلال المذياع .

٢- التثبت من المادة العلمية بشكل لا يجعل المتلقي يشك في ما يبث وينشر .

٣- إعداد أفلام أو مسلسلات تحكي قصة الآثار في المملكة ويا حبذا لو كانت على شكل حلقات دورية ، سواء كانت يومية أو أسبوعية ، وأن تكون مادة علمية يمكن الرجوع إليها كلما كان المجتمع في حاجة إلى مزيد من الوعي والتنبيه .

٤- محاولة ربط الإعلام بين الآثار والسياحة لتكامل الهدف بينهما ، ولأهمية ذلك عند من يحبذ السياحة من خلال الآثار ، وزيارة المواقع التاريخية .

٥- وضع مادة دعائية إعلانية تحت إشراف وكالة الوزارة لشؤون الآثار لبث الوعي من خلال نماذج مشوقة للأطفال خاصة .

٦- عقد ملاحق دورية في الصحف السعودية خاصة بالآثار تحت إشراف نخبة متخصصة في هذا العلم .

٧- إجراء مسابقة إعلامية خاصة بالتاريخ والآثار من خلال التلفزيون ، ويا حبذا لو تكون دورية كل ستة أشهر مرة .

٨- إجراء مسابقة صحفية للهدف نفسه .

٩- تزويد المكاتب السياحية بدليل مختصر عن الآثار ، مزود بخريطة عامة وشاملة ، وبعض الصور ، أو عمل مجموعة من الأدلة لكل منطقة أثرية ، مزودة بالخرائط والإرشادات ، والصور وخلاف ذلك .

ونحن نتطلع إلى إعلامنا بأن يبادر بدراسة هذا الأمر ، وأن يعد العدة له ، حسب خطة علمية مدروسة .

د - دور البلديات والمجمعات القروية :

لقد حدد دور البلديات تجاه الآثار بموجب نظام الآثار الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٢٦، وتاريخ ١٣٩٢/٦/٢٣هـ ، وذلك على النحو التالي : مادة (١٢) (يتعين عند وضع مشروعات تخطيط المدن والقرى ، أو توسيعها ، أو تجميلها المحافظة على المناطق ، والمعالم الأثرية فيها ولا يجوز إقرار مشروعات التخطيط التي يوجد في نطاقها آثار ، إلا بعد أخذ موافقة دائرة الآثار عليها ، وعلى دائرة الآثار تحديد الأماكن التي يوجد فيها معالم أثرية

وإحاطة جهاز تخطيط المدن علماً بذلك) .

مادة (١٣) (لا يجوز للبلديات أن تمنح رخص البناء والترميم في الأماكن القريبة من المواقع الأثرية ، والأبنية التاريخية إلا بعد الحصول على موافقة إدارة الآثار) .

مادة (١٤) (على دائرة الآثار بالاتفاق مع الإدارات المختصة بمسح الأراضي أو تحديدها، أن تحدد المناطق والمباني والتلال الأثرية القريبة من الأماكن الآهلة بالسكان ، حتى تعمل على عدم إشغال السكان لهذه المواقع أو المباني التاريخية) [٣٦] .

وفي واقع الحال فإن دور البلديات في منطقة الباحة شيء لا يذكر وليس لهم ما يمكن طرحه في هذا البحث ، وهي نتيجة طبيعية سلبية انعكاساً للدور السلبي الذي يقوم به قسم الآثار في تعليم الباحة ، بعدم إشراك الأجهزة الحكومية في التعريف بالآثار ، والعناية بها ، وجعل تلك الأجهزة تشترك معه في عمل أثري منسق ومنظم يخدم المصلحة العامة ، ومن هنا لابد أن نحمل البلديات في المنطقة جزءاً كبيراً من المسؤولية بصفتها المسؤولة عن النشاط السياحي في المنطقة وخاصة فيما يتعلق بالمتنزهات والمواقع التاريخية المهمة ، ومن أجل ذلك فإنه ينبغي تفعيل بلديات المنطقة للقيام بدور مهم وإيجابي تجاه الآثار ، وذلك من خلال المقترحات التالية :

١- الرقابة الصارمة على المواقع الأثرية ، والحفاظ عليها .

٢- الاشتراك مع الإدارة المختصة في ترميم بعض المواقع الأثرية ، وجعلها نواةً لمتحف خاص بالبلدية نفسها ، وهذا ليس له علاقة بالمتحف الإقليمي .

٣- تعبيد الطرق الموصلة إلى الأماكن الأثرية ، لاسيما إذا علمنا أن أغلب المواقع تقع في مسالك وعرة يصعب الوصول إليها بسهولة .

٤- تزيين بعض المواقع مثل التشجير ، والإنارة ، والأرصفة وبقية الخدمات الأخرى .

٥- الاشتراك مع الإدارة المختصة في وضع العلامات واللوحات الإرشادية للمواقع الأثرية .

وبعد : فإننا نأمل من البلديات أن تبادر مبادرة إيجابية بالاشتراك مع إدارة الآثار في وضع برامج وخطط تنفيذية لخدمة آثار المنطقة بما يكفل لها الرعاية والمحافظة الدائمة .

خامساً : الآمـال والتطلعـات المستقبلية :

هذا البحث يقصد به ومن ورائه الدراسة الأثرية عن منطقة مهمة من مناطق المملكة الثلاث عشرة ، وفي منطقة الباحة آثار عديدة جداً ، إلا أن هناك مغزي آخر لهذا البحث وهو إبراز تاريخ المنطقة المجهول في كثير من فتراته ، ولأن الآثار "هي التي يعول عليها عند الدارسين والباحثين في تاريخ البشرية وحضارتها ، ذلك لأنها من أوثق المصادر التاريخية التي لا يتطرق الشك إلى أصالتها والاعتماد عليها ، فبفضل دراستها أمكن الكشف عن حضارات أقوام غابرة لم يكن يعرف شيء حتى عن أسماء كتاباتها ..." .

لذلك فتاريخ منطقة الباحة ، يسود أغلب فتراته الجهل المعرفي ، ولأن الكشوف الأثرية يعول عليها في إيضاح بعض تواريخ المنطقة ، فإننا نأمل أن تنال الآثار عناية الجهات ذات المسؤوليات المشتركة مثل وكالة وزارة المعارف لشؤون الآثار ، ومثل إدارة التعليم ، ومثل الجهات ذات العلاقة كإمارة المنطقة والبلديات وغيرها . ونتطلع إلى إنشاء جهاز إداري عالي المستوى منفصل عن وزارة المعارف ليرعى شؤون الآثار والسياحة لقوة العلاقة بينهما ، وتداخل الاهتمام في ذلك الأمر .

ونتطلع إلى فصل إدارة الآثار والمتاحف عن إدارة التعليم وجعلها في جهاز إداري واحد مستقل تكون علاقته مع الوكالة مباشرة بدون أي وسيط يذكر .

ونتطلع أيضاً إلى إعطاء الآثار في منطقة الباحة المزيد من الرعاية والاهتمام من الوكالة مباشرة ودعم جهازها الإداري والفني بكل ما يحتاجه من مال وعدة وعتاد .

ونتطلع إلى رؤية المتحف الإقليمي لكي يساهم بشكل مباشر وكبير في وضوح رؤية العمل الأثري . والله من وراء القصد .

الهوامش

١- أنظر: علي بن صالح السلوك ، "المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران" مطابع مؤسسة المدينة للصحافة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، إبراهيم بن أحمد الحسيل : غامد وزهران وانتشار الأزد في البلدان ، طباعة شركة دار العلم للطباعة والنشر جدة ، (بدون تاريخ) .

٢- وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، "نظام الآثار" ، الصادر بالمرسوم الملكي رقم/٢٦ ، تاريخ ١٣٩٢/٦/٢٣هـ ، الطبعة الثانية ، مطابع الحكومة ، الرياض ، ١٣٩٩هـ ، المادة السابعة ، الفقرتان (أ ، ب) ص١٣ .

٣- علي بن صالح السلوك ، المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ، ص ٢٢٩ .

٤- تقرير إدارة الآثار والمتاحف بمنطقة الباحة التعليمية لسنة ١٤١٩هـ ، ص ١ ، ٢ ,

٥- حسن إبراهيم الفقيه ،"مخلاف عشم" ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

٦- مجلة أطلال ، الصادرة عن وزارة المعارف ، وكالة الوزارة لشؤون الآثار والمتاحف ، العدد الثامن ، السنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص١٠٧ .

٧- حسن إبراهيم الفقيه ، مخلاف عشم ، ص ، ٢٠-٢١ .

٨- المرجع السابق ، ص ٣٢٥-٤٩٤ .

٩- أحمد بن عمر الزيلعي : الخلف والخليف ، آثارهما ونقوشهما الإسلامية ، مطابع الخالد الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، ص ١١ ,

١٠- علي بن صالح السلوك : المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ص ٢٠٨-٢٠٩ .

١١- ياقوت الحموي : معجم البلدان دار صادر ، ج ١ ، ص ٥٨ .

١٢- نزل في ذلك قوله تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)** ﴾ سورة الفيل .

١٣- تقرير إدارة الآثار والمتاحف بمنطقة الباحة التعليمية أعده الأستاذ/ عبده محمد جراد ، ١٤١٨-١٤١٩هـ .

١٤- وزارة الإعلام : " الباحة مصيف ومشتى" الرياض ، ١٤٠٨هـ ، ص ٢٦ . علي صالح الغامدي : ألحان من غامد وزهران ، دار الحارثي للطباعة والنشر ، الطائف ، ١٤٠٧هـ ، ص١٢٣ . الغرفة التجارية الصناعية بالباحة: منطقة الباحة جوهرة المصايف مطابع مؤسسة المدينة بجدة ، ١٤١٨هـ ، ص٥٣ .

١٥- أحمد الزيلعي : الخلف والخليف ، ص١٦٣- ٢٥٩ .

١٦- حسن إبراهيم الفقيه: مخلاف عشم ، ص ١٠١ .

١٧- أحمد بن صالح سياري: الباحة ، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) ، (بدون تاريخ) ص ٨٤ ,

١٨- وزارة الإعلام : الباحة ، ص٢٥-٢٦ .

١٩- أطلال ، العدد الثامن : ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص١٢٤ .

٢٠- المرجع السابق ، ص ١٣١-١٣٢ .

٢١- على السلوك : المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ، ص٣٨٥ .

٢٢- ملحق المعادن لحمد الجاسر ، ورد ضمن كتاب الجوهرتين للهمداني ، ص٣٩٠ .

٢٣- أطلال ، العدد الثامن ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص١٢٥ .

٢٤- محمد بن مفرع القحطاني ، ومحمد إبراهيم إرباب ، عبد المنعم علي إبراهيم : السياحة الأسس والمفاهيم ، دراسة تطبيقية على منطقة عسير ، مطابع مؤسسة المدينة للصحافة ، دار العلم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، ص ٢٢٥-٢٢٦ .

٢٥- المركز العربي للدراسات الأمنية (أكاديمية نايف للعلوم الأمنية) ، مكافحة جرائم السياحة ، مطبوعات المركز لسنة ١٤١٢هـ ، ص٤١ .

٢٦- المرجع السابق ، ص٤٣ .

٢٧- الخطة المقترحة لتفعيل قسم الإشراف على الآثار والمتاحف بالإدارة العامة للتعليم بمنطقة الباحة ، من إعداد الأستاذ/ عبده جراد ، والأستاذ/ حسن الزهراني .

٢٨- المركز العربي للدراسات الأمنية : مكافحة جرائم السياحة ، ص١٠١ .

٢٩- المركز العربي للدراسات الأمنية (أكاديمية نايف للعلوم الأمنية) ، حماية الآثار والأعمال الفنية ، منشورات المركز لسنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، ص٧٧ .

٣٠- المرجع السابق ، ص ٧٨ .

٣١- المرجع السابق ، ص٨٢ .

٣٢- رئيس هيئة الآثار المصرية ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

٣٣- المركز العربي للدراسات الأمنية ، حماية الآثار والأعمال الفنية ، ص٨١ .

٣٤- المرجع السابق ، ص٨٥ .

٣٥- مقتبسة من المرجع السابق ، ص ٧٩-٨٠ .

٣٦- وزارة المالية والاقتصاد والوطني : نظام الآثار ، ص١٣-١٤ .

الملاحــق واللوحــات

بيان بأسماء المواقع الأثـرية بمنطقة الباحـة ... قطاع البـادية

م	اسم الموقع	نـوعــه	المكــان	الجهة التي يتبعها	ملاحظــات
١	منيجل	مستوطنة سكنية	قرب العقيق	العقيـق	
٢	مشقف	مستوطنة سكنية	الموضوع	العقيـق	
٣	دغش	مستوطنة سكنية	الموضوع	العقيـق	
٤	الروضـة	مستوطنة سكنية	الموضوع	العقيـق	
٥	المركز	مستوطنة سكنية	الموضوع	العقيـق	
٦	الحبياء	مستوطنة سكنية	الموضوع	العقيـق	
٧	المحاضير	مستوطنة سكنية	الموضوع	العقيـق	
٨	خـدعـة	مستوطنة سكنية	الموضوع	العقيـق	
٩	المعملة	مستوطنة سكنية	بغ بغ	العقيـق	
١٠	العنـق	منجـم		العقيـق	
١١	القهـب	كتـاب ونقـوش	قرب العقيق	العقيـق	
١٢	كفت القطـع	مستوطنة سكنية	قرب العقيق	العقيـق	
١٣	اللـواء	مستوطنة سكنية	قرب العقيق	العقيـق	
١٤	لغبـة	مستوطنة ومنجم	قرب العقيق	العقيـق	
١٥	الصـفة	كتـابـات	طريق العقيق	العقيـق	
١٦	جبل قمـلا	نقوش ورسـوم	طريق العقيق	العقيـق	
١٧	وادي بـراء	نقوش ورسوم	ثـراء	العقيـق	

تابع : الملاحق واللوحات

بيان بأسماء المواقع الأثرية بمنطقة الباحة ... قطاع البادية

م	اسم الموقع	نوعه	المكان	الجهة التي يتبعها	ملاحظات
١٨	الزاوية القديمة	مباني	الثراوية		
١٩	المستعاذ	مباني	وادي الصدر		
٢٠	ضربة الهوبان	مباني	وادي الصدر		
٢١	معدن الصغر	منجم	وادي الصدر		
٢٢	الصمامة	مباني قديمة	الصدامة		
٢٣	الخلصة	موقع تاريخي	دوس	دوس	
٢٤	وادي شروق	موقع تاريخي	دوس	دوس	
٢٥	منجم الوقرة	منجم	معشوقة		
٢٦	مقابر الشرى	مقابر	معشوقة		
٢٧	قرى معشوقة القديمة	مستوطنات سكنية	معشوق		
٢٨	طريق الفيل	طريق تاريخي	كر الحائط	كر الحائط	
٢٩	قصر أبي حلسان	مبنى	كر الحائط	كر الحائط	
٣٠	هضبة أبي احصين	نقوش ورسوم	وادي الصدر	بادية بني كبير	
٣١	هويمل	نقوش		العقيق	
٣٢	القراه	منجم	جناب شكر		
٣٣	قبور الزمنية	مقابر	المنزل	بني كبير	

بيان بأسماء المواقع الأثرية بمنطقة الباحة ... قطاع تهامة

م	اسم الموقع	نوعه	المكان	الجهة التي يتبعها	ملاحظات
١	غنيم	مستوطنات وكتابات	تهامة		
٢	العصداء	مستوطنات وكتابات	تهامة		
٣	الخلف	مباني وكتابات	قرب قلوة	قلوة	
٤	الخليف	مباني + مسجد أثري	قرب قلوة	قلوة	+ نفق
٥	مغارات ناوان	رسوم ونقوش	ناوان	ناوان	
٦	المخواة القديمة	مستوطنات سكنية	قرب المخواة	المخواة	مجموعة
٧	ذي عين	مستوطنة سكنية	قرب المخواة	المخواة	ذات طاب

المواقع التعدينية بمنطقة الباحة .. جدول (١)

رقم الموقع	اسم الموقع	نوع الموقع	رقم الصورة	ملاحظات
٢١٦ – ٢٣٤	وادي الشوه	صهر		إسلامية متأخرة
٢١٦ – ٢٣٥	وادي الشوه	نقش		إسلامية متأخرة
٢١٦ – ٢٣٦	حصن الشروه	قرية – برج		إسلامية متأخرة
٢١٦ – ٢٣٧		قرية – برج		إسلامية متأخرة
٢١٦ – ٢٣٨	الحوران	قرية – برج		إسلامية متأخرة
٢١٦ – ٢٣٩	وادي حنف	رحايات		إسلامية متأخرة
٢١٦ – ٢٤٠	جبل نير	فن الصخور		حيار ورعي
٢١٦ – ٢٤١	جبل نير	كهف		غير معروفة
٢١٦ – ٢٤٢	جبل نير	مباني – رحايات		إسلامية ؟
٢١٦ – ٢٤٣	قرية المسعودة	مقبرة		إسلامية مبكرة

تابع : المواقع التعدينية بمنطقة الباحة .. جدول (١)

رقم الموقع	اسم الموقع	نوع الموقع	رقم الصورة	ملاحظات
٢١٦ – ٢٤٤		مقبرة		إسلامية مبكرة
٢١٦ – ٢٤٩		مقبرة		إسلامية مبكرة
٢١٠ – ٩٦	جبل الغوب	فن الصخور		إسلامية متأخرة
٢١٠ – ٩٧	محوية	منجم – صهر		إسلامية متأخرة
٢١٠ – ٩٨		منجم – صهر		إسلامية ؟
٢١٠ – ٩٩	حوش السلمان	منجم – صهر		إسلامية ؟
٢١٠ – ١٠٠	المنهل	منجم – صهر		إسلامية ؟
٢١٠ – ١٠١	المسوكة	قرية – مقبرة – نقوش		غير معروفة
٢١٠ – ١٠٢	المسوكة	صهر		إسلامية متأخرة
٢١٠ – ١٠٣		قرية		إسلامية
٢١٠ – ١٠٤	جبل فلم	قرية		إسلامية متأخرة
٢١٠ – ١٠٥		قرية		إسلامية متأخرة
٢١٠ – ١٠٦		قرية		إسلامية متأخرة
٢١٠ – ١٠٧		قرية		إسلامية متأخرة
٢١٠ – ١٠٨		قرية		إسلامية متأخرة
٢١٠ – ١٠٩		قرية		إسلامية متأخرة
٢١٠ – ١١٠		قرية		إسلامية متأخرة
٢١٠ – ١١١		قرية منجم		إسلامية متأخرة
٢١٠ – ١١٢		قرية		إسلامية متأخرة
٢١٦ – ٢٢١	العصداء	قرية ، مقبرة	٣٠-٣١-٣٢-٣٣ ٣٤-٣٥-٣٦-٣٧	إسلامية مبكرة
٢١٦ – ٢٢٢	عشم	قرية مقبرة		إسلامية مبكرة

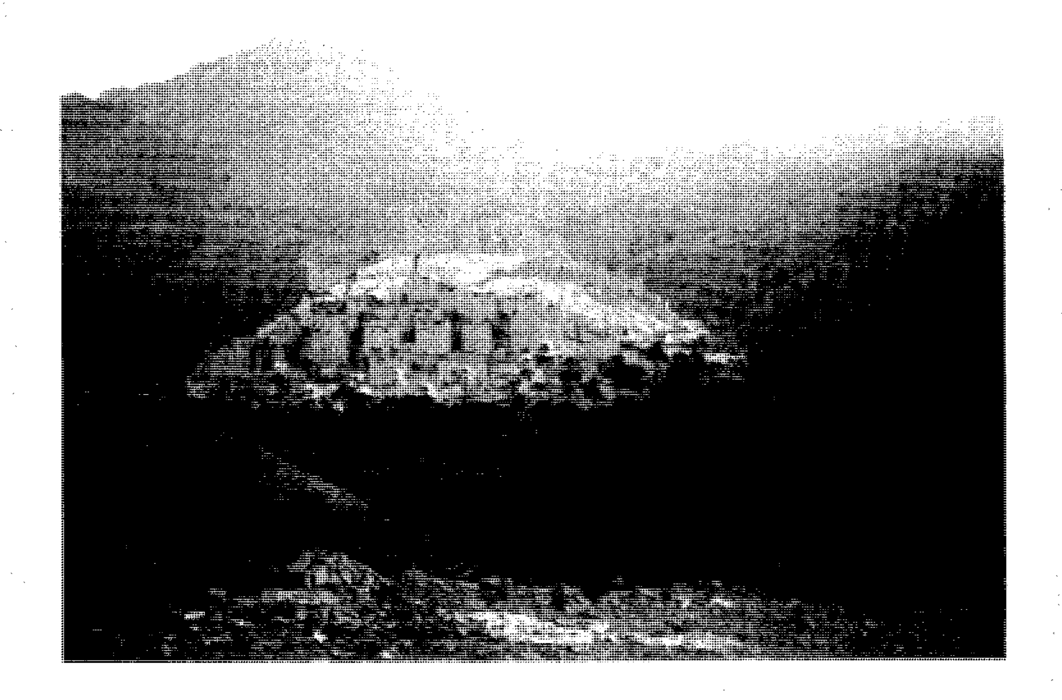
تابع : المواقع التعدينية بمنطقة الباحة .. جدول (١)

رقم الموقع	اسم الموقع	نوع الموقع	رقم الصورة	ملاحظات
٢١٦ - ٢٢٣	جبل الحنف	كتابة منقوشة		إسلامية مبكرة
٢١٦ - ٢٢٤	قرية الشريف	قرية		إسلامية متأخرة
٢١٦ - ٢٢٥		قرية		إسلامية متأخرة
٢١٦ - ٢٢٦	بني شوف الشايعة	مقبرة - برج		إسلامية متأخرة
٢١٦ - ٢٢٧	جبل المخواه	قرية		إسلامية متأخرة
٢١٦ - ٢٣٠	الدريس	قرية		إسلامية متأخرة
٢١٦ - ٢٣١	حصن الحرد ؟	قرية - صهر		إسلامية متأخرة
٢١٦ - ٢٣٢أ	الحريث	قرية		إسلامية متأخرة
٢١٦ - ٢٣٢ب	الشوه	قرية - برج		إسلامية متأخرة
٢١٦ - ٢٣٣		نقش		سبئي

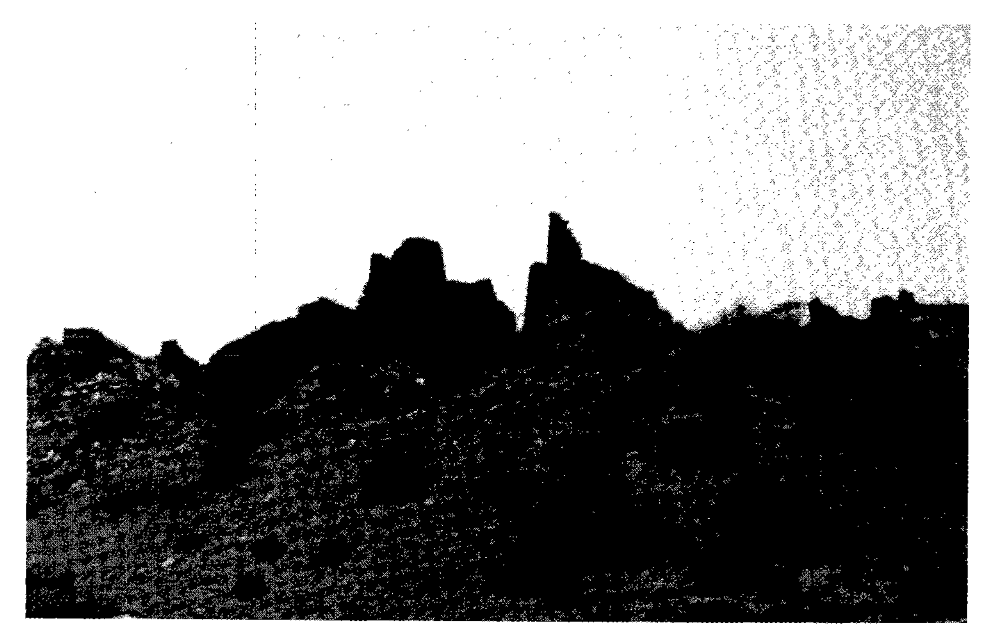
المصدر / مجلة أطلال ، العدد الثامن ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

لوحـة رقم (١)

قـريـة ذي عـين الأثرية



لوحـة رقم (٢)

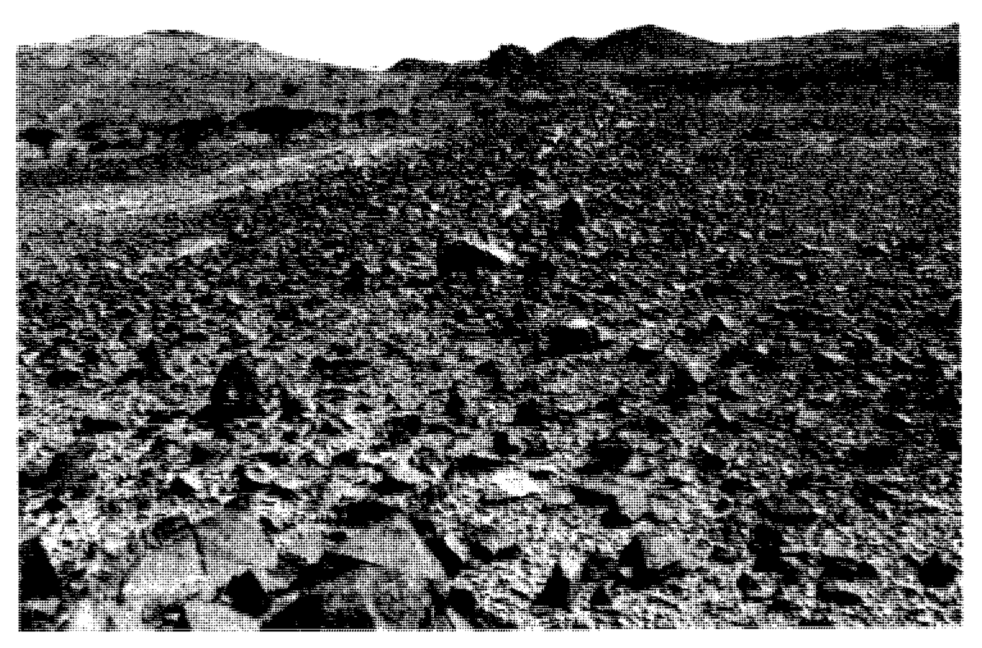


أطـلال بعض المنازل في بلدة الخلـف



ضخامة الجدران وقوة البناء في أطلال منازل بلدة الخلف

لوحـة رقم (٣)



منظر يوضح جزء من طريق درب الفيل (المرجع : وكالة الآثار)

لوحة رقم (٤)

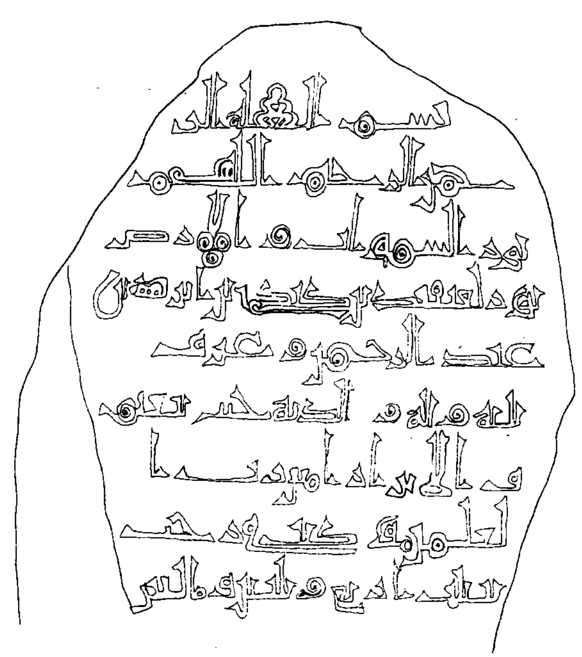
أثر : نقش على صخرة في شكران بلجرشي



المرجع : « إبراهيم الحسين : غامد وزهران »

لوحة رقم (٥)





شاهد قبر من الحجر البازلت ، عثر عليه مرمياً بالقرب من مقبرة الرهوة ، غير منتظم الشكل ، حالته جيدة ، وإن كانت بعض أحرفه ليس على درجة كافية من الوضوح ، عدد أسطره تسعة أسطر نقشت بطريقة الحفر الغائر ، وبخط كوفي متقن ، به بعض الزخارف الخطية ، معدل الجزء المنقوش ٢٩ × ٢٥ سم . وهو مؤرخ في شهر رجب سنة ٢٣٤هـ/ فبراير (شباط) ٨٥٠م .

أنظر اللوحة رقم (٧١أ) ورقم (٧١ب) .

المرجع : « الخلف والخليف آثارهما ونقوشهما الإسلامية » .

النص :

١- بسم الله الرحمن الر

٢- حمن الرحيم اللهم

٣- نور السموات والأرض (١)

٤- نور لعنقيد بن كندي بن إبرهة بن

٥- عبد الرحمن ، وعرف

٦- بلبه نبيه وببر والديه جنة نعيم

٧- والأبرار آمينّ رب ا

٨- لعالمين . وكتب في رجب

٩- سنة (كذا) أربع وثلثين ومئتين .

---

(١) دعاء استهلالي مستوحى من قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ الآية ٣٥ ، من سورة النور .

لوحـة رقم (٦)



شاهد قبر من الحجر البازلت عثر عليه في إحدى مزارع الخليف ، ولعله نقل إليها من مقبرة الرهوة القريبة من الموضع الحالي للشاهد ، وهو غير منتظم الشكل ، وبه كسر في الطرف الأسفل من الجهة اليمنى ، وشعر بسيط في الجزء المنقوش لعله امتداد لطرف الكسر الذي يقع في أسفله من تلك الجهة ، حروف واضحة ومقروءة ، وغير مزخرفة . عدد أسطره سبعة أسطر بالخط الكوفي الغائر . وهو مؤرخ في ليلة الأربعاء الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٦٨هـ/ أبريل (نيسان) ١٠٧٦م .

النص :

١- بسم الله الرحمن الر

٢- حيم ولمن خاف مقام ربه

٣- جنتان [١] هذا قبر محمد ابن (كذا) يعلى

٤- ابن محمد ابن (كذا) اسحاق ابن (كذا) إبراهيم

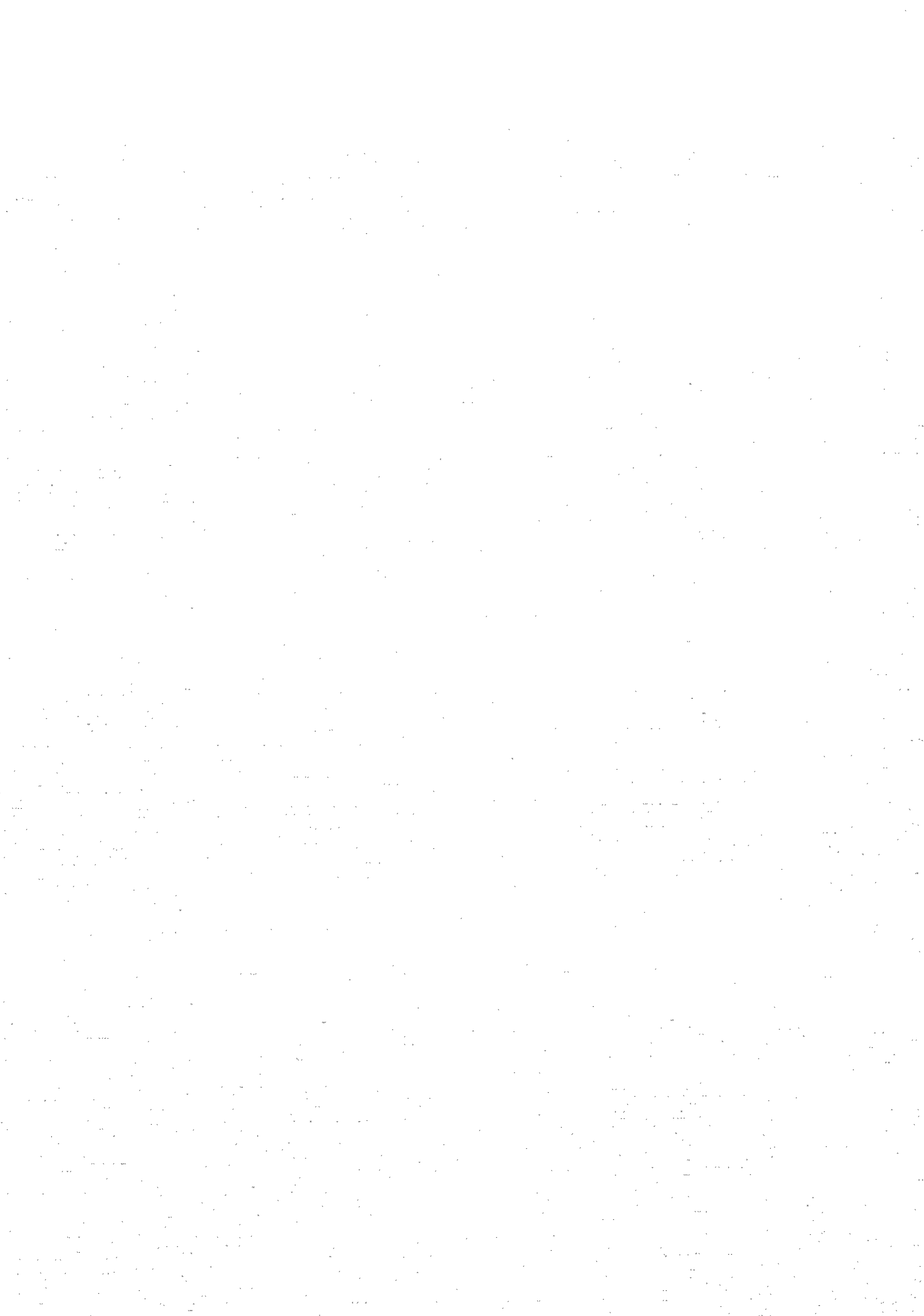
٥- توفي ليلة الأربعاء الأربع عشرة

٦- خلون من شهر رمضان سنة ثمان

٧- وستين وأربع مئة سنة .

---

(١) المرجع السابق .



المتحف الوطني ودوره في حماية وحفظ آثار وتراث المملكة

د . علي بن صالح المغنم (*)

أولاً : مدخل (المتحف الوطني بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي) :

يقع المتحف الوطني بمركز الملك عبد العزيز التاريخي الذي أقيم على أرض مساحتها (٣٦٠,٠٠٠) م٢ وسط العاصمة الرياض في موقع له أهميته التاريخية والسياسية في تاريخ المملكة العربية السعودية . حيث يضم هذا الموقع قصر المربع ديوان الملك عبد العزيز – طيب الله ثراه – ونماذج معمارية من سكن الأسرة السعودية الكريمة ، إضافة إلى مسجد الملك وبيت الضيافة . ويضم المركز أيضاً مباني دارة الملك عبد العزيز وقاعة الملك عبد العزيز التذكارية وقاعة الملك عبد العزيز للمحاضرات ، وفرع مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، وغابة الذكرى المئوية (مائة نخلة) ، وعدد من المتنزهات والميادين المرافق الأخرى . ويقع المتحف الوطني في الجانب الشرقي من الميدان الرئيسي للمتنزه ، على أرض مساحتها (٢١٧٠٠٠)م٢ بينما تصل مساحة مباني المتحف (٢٨,٠٠٠) م٢ ويشتمل على تسع قاعات رئيسية هي : قاعة الإنسان والكون ، وقاعة الممالك العربية ، وقاعة العصر الجاهلي ، وقاعة البعثة النبوية ، وقاعة الإسلام والجزيرة العربية ، وقاعة الدولة السعودية الأولى والثانية ، وقاعة توحيد المملكة ، وقاعة الحج والحرمين الشريفين ، وقاعة العروض المؤقتة والزائرة ، إضافة إلى المكاتب الإدارية والمعامل ومخازن المقتنيات والبهو والخدمات (لوحة ١ ، ٢ مسقط الطابق الأرضي والطابق الأول) .

وقد أنشئ المتحف على أحدث طراز معماري متحفي وزود بأحدث التجهيزات من الوسائل السمعية والبصرية والمتحفية والتعليمية المناسبة التي تخدم زائري المتحف وتمكنهم من الاطلاع على الدور التاريخي المهم للجزيرة العربية في حضارة الشرق القديم . ويبرز المتحف الوجه الحضاري المشرق للمملكة العربية السعودية في الماضي والحاضر .

شاركت وزارة المعارف ممثلة في وكالة الآثار والمتاحف في إنشاء المتحف الوطني

(*) مدير عام المتحف الوطني .

كعنصر من عناصر مركز الملك عبد العزيز التاريخي . وتابع المسئولون فيها مراحل الإنشاء مع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ، التي قامت بإنشاء المركز ليتوافق مع مناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، وبإشراف مباشر من قبل صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس اللجنة العليا للاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة .

وتم افتتاح المتحف الوطني ضمن مركز الملك عبد العزيز التاريخي برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله ، وذلك في صباح يوم الجمعة الخامس من شهر شوال عام ١٤١٩هـ .

ثانياً : وزارة المعارف ومشروع المتحف الوطني :

حماية تراث البلاد وحفظه والعناية به وتنمية الشعور بأهميته ؛ من الأهداف التي سعت وزارة المعارف إلى تحقيقها منذ بداية تأسيسها في ١٨من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٧٣هـ وإدارة دفتها من قبل رائد التعليم الأول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عندما كان وزيراً للمعارف .

وقد وجهت الوزارة عنايتها منذ البداية بالإرث الحضاري والتراثي وضمنت مناهجها إشارات إلى أهمية آثار المملكة لكونها وجه البلاد الحضاري ومصدر تاريخها .

وتبلورت جهود وزارة المعارف في هذا الصدد بعد صدور قرار مجلس الوزراء الموقر رقم ٧٢٧ وتاريخ ١٣٨٣/١١/٨هـ القاضي بإنشاء إدارة للآثار تهتم بالآثار في المملكة وترتبط بوزارة المعارف مباشرة . وتطورت أعمال الإدارة لتشمل العمل المتحفي ، ففي عام ١٣٩٦هـ أنشأت الإدارة قاعة عرض صغيرة بمساحة ٢٠×٢٠م في جناح خاص بمبنى معهد العاصمة النموذجي تعرض مجموعات أثرية من مناطق المملكة المختلفة .

وباشرت إدارة الآثار الإشراف على مواقع الآثار وعملت على حمايتها ووضع الخطط العلمية والعملية لتطوير العمل الآثاري بالمملكة ، وعملت الوزارة على وضع تنظيمات للآثار وكلّلت جهودها بصدور المرسوم الملكي رقم م/ ٢٦ و تاريخ ٢٣ / ٦ / ١٣٩٢هـ بالموافقة على نظام الآثار وتشكيل المجلس الأعلى للآثار لرسم سياسة العمل الأثري بالمملكة . ومنذ ذلك

الحين باشرت العمل في خطة طموحة وفق الأهداف والسياسة المرسومة وتمثلت في :

١- برنامج المسح الآثاري الشامل للمملكة الذي بدأ عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

٢- مشاريع ترميم وصيانة المعالم والمناطق والمواقع الأثرية في مختلف مناطق المملكة .

٣- مشاريع نزع الملكيات وشراء التحف والآثار المنقولة .

٤- برامج الابتعاث والتدريب للكوادر الفنية في مجال الآثار .

٥- مشاريع إنشاء المتاحف .

٦- برامج التنقيبات الأثرية .

٧- البرامج الإعلامية والتعريف بالآثار بالنشر العلمي العام .

وبدئ بإنشاء متحف للآثار والتراث الشعبي بالرياض بالطابق الأرضي بمبنى إدارة الآثار بالشميسي وافتتح المتحف بتاريخ ١٣٩٨/١/٢١هـ برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز وقد ورد في كلمة سموه الكريم المدونة بمناسبة الافتتاح (إذا كان لي ملاحظة فهي أن هذا المتحف على قصر عمره قد خطا بالآثار والتاريخ خطوات طويلة . آمل أن نواصلها بما يحقق الغاية والهدف المنشود والله الموفق) . وجهز المتحف حسب الفترات التاريخية بدءاً بالعصور الحجرية وانتهاء بتراث العصور الإسلامية . وقد جاء في مقدمة دليل الزائر للمتحف أن فكرة متحف الآثار والتراث الشعبي بالرياض ولدت وتجسمت في عهد المغفور له - إن شاء الله - جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز وتحققت في عهد المغفور له - إن شاء الله- الملك خالد بن عبد العزيز .

وعملت وزارة المعارف على تطوير كفاءة أداء إدارة الآثار من حيث الصلاحيات إلى إدارة عامة للآثار والمتاحف ومن ثم رفعها إلى وكالة مساعدة للآثار والمتاحف بموجب القرار رقم ٨/٤٤٨٠ وتاريخ ١٤٠٥/١١/١٢هـ وعملت الوكالة المساعدة للآثار والمتاحف على إنشاء إدارة عامة لتسجيل وحماية الآثار وإدارة عامة للمتاحف لتباشر أعمال التخطيط والتنظيم والتطوير للحركة المتحفية في المملكة العربية السعودية بموجب القرار الوزاري رقم ٤٨/٢٣٠ في ١٤٠٦/٣/٧هـ .

وأنشأت الإدارة أول متحف إقليمي بالدمام بشكل مؤقت بالطابق الرابع بمبنى المكتبة العامة بالدمام وافتتح برعاية صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز أمير المنطقة الشرقية بتاريخ ١٤٠٥/٧/٢٤هـ ، وأشرفت الوكالة المساعدة للآثار والمتاحف على أعمال العروض بمتحف قصر المصمك الذي افتتح برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض وذلك في يوم الأحد الموافق ١٤١٦/١١/٣هـ . ومن ثم أنشأت المتحف الإقليمي بالطائف بقصر شبرا [١] ، والمتحف الإقليمي بجدة بقصر خزام [٢] وقد تم افتتاحه بتاريخ ١٤١٥/١٠/١٧هـ .

والمتحف الإقليمي بحائل بقصر القشلة- ويحتل الآن بشكل مؤقت مبنى مستأجراً ، وهناك خطة لدى الوكالة لاستكمال إنشاء متاحف إقليمية بأبها ، والباحة ، وتبوك ، ومتاحف في المدن الرئيسية في الخرج ، وشقراء ، والمجمعة ، وبريدة ، وعنيزة ، وعفيف ، والدوادمي ، والقنفذة ، وتم إنجاز وتهيئة بعضها للعروض المتحفية ، كما عملت الوزارة على تنفيذ مشروع المتاحف المحلية الستة في كل من : الجوف ومقره مدينة دومة الجندل بجوار قلعة مارد وقد تم افتتاحه بتاريخ ١٤١٦/٢/١٢هـ تحت رعاية سعادة محافظ دومة الجندل ، ومتحف تيماء جوار سور تيماء الأثري وتم افتتاحه بتاريخ ١٤١٣/٦/٧هـ برعاية صاحب السمو الملكي الأمير/ فهد بن سلطان بن عبد العزيز أمير منطقة تبوك ، ومتحف العلا ومقره مدينة العلا قرب مدائن صالح ، ومتحف الأحساء ومقره مدينة الهفوف وتم افتتاحه بتاريخ ١٤١٧/١٢/٢٢هـ برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف بن عبد العزيز نائب أمير المنطقة الشرقية وحضور معالي وزير المعارف ، ومتحف جازان ومقره مدينة صبيا بجوار آثار الأدراسة ، ومتحف نجران بمدينة نجران قرب آثار الأخدود وتم افتتاحه بتاريخ ١٤١٦/١/٢هـ تحت رعاية وكيل إمارة منطقة نجران .

وتتضمن خطة وزارة المعارف المتحفية إنشاء متاحف تتوافق مطالب طبيعة كل مدينة ونوعية آثارها كإنشاء متحف للآثار الإسلامية بمكة المكرمة في قصر الملك عبد العزيز في حي

---

(١) قصر شبرا: من القصور التاريخية في الطائف وقد تم تشييده عام ١٣٢٣هـ واستخدم ديواناً للحكم .

(٢) قصر خزام : يقع بالنزلة اليمانية خارج أسوار مدينة جدة وقد بناه الملك عبد العزيز- يرحمه الله- عام ١٣٥١هـ ليكون قصراً للحكم وداراً لاستقبال المبعوثين الرسميين .

الزاهر ، ومتحف للآثار الإسلامية في محطة سكة حديد المدينة المنورة ، وبدأ المشروع بعرض جزء ، في المبنى الرئيسي من المحطة وافتتح برعاية صاحب السمو الملكي الأمير/ عبد المجيد ابن عبد العزيز أمير منطقة المنورة بتاريخ ١٤١٩/٧/١٥هـ ، علماً أن المتاحف المحلية تم استلامها في عام ١٤١٢هـ وبدأ افتتاحها بشكل غير رسمي منذ ذلك التاريخ .

وكان لتوجيهات معالي وزير المعارف الأستاذ الدكتور/ محمد بن أحمد الرشيد السديدة الأثر البالغ في توجه الوزارة إلى دعم أعمال الآثار والمتاحف وإرساء قاعدة للحركة المتحفية بالمملكة العربية السعودية فقد أصدر معاليه قراراً برقم ٨٩٣ وتاريخ ١٤١٨/٥/٨هـ يتم بموجبه ربط الوكالة المساعدة للآثار والمتاحف بمعالي الوزير مباشرة لتسهيل إجراءات العمل وسرعة البت فيه . ومن ثم صدر قرار رقم ٤٨/١٨٢٩ وتاريخ ١٤١٨/١١/١١هـ باعتماد تسمية الوكالة المساعدة للآثار والمتاحف باسم الهيئة الوطنية للآثار والمتاحف ، ويسمى المسئول عنها وكيل الوزارة للآثار والمتاحف . ووجه معاليه بإنشاء قاعات عرض متحفي بالإدارات العامة وإدارات التعليم بالمناطق والمحافظات التي لا يوجد بها متاحف والعمل جارٍ لتنفيذ توجيهات معاليه .

وكان مشروع المتحف الوطني يشكل هاجساً لوزارة المعارف منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، لهذا عملت الوزارة المشاريع المتعددة لتوفير المادة المتحفية والمحافظة عليها ، وقامت الوزارة باختيار منطقة المربع التاريخية التي تمثل الفترة التاريخية لتأسيس المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز – طيب الله ثراه – وقامت بنزع الملكيات الخاصة ووضع المخططات وعمل الدراسات التوثيقية لإنشاء المتحف الوطني وتم الانتهاء من المخططات النهائية للمشروع واستلامها في ١٤١٧/٥/١٣هـ وتمثل مخططاً للمتحف الوطني ومرافقه الخاصة ، إلا أنه اعترضت الوزارة الكثير من الصعوبات التي حالت دون التنفيذ . وبظهور فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية وبناء على توجيهات المقام السامي الكريم بدأت إطلالة العمل الوطني لهذه المناسبة التي هندسها تخطيطاً وأبدعها فكراً ورعاها حباً صاحب السمو الملكي الأمير/ سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس اللجنة العليا واللجنة التحضيرية للاحتفال . وظهرت فكرة مشروع المعلم الحضاري الرائع بقلب مدينة الرياض ليحمل اسم مؤسس المملكة العربية السعودية (مركز الملك عبد العزيز التاريخي) وضم المركز المتحف الوطني كعنصر أساسي من عناصره ، وقد وضع صاحب

السمو الملكي الأمير/ سلمان بن عبد العزيز حجر الأساس لمشروع المركز يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٨/١/١٤هـ .

أ- مشاركة وكالة الآثار والمتاحف في إنشاء المتحف الوطني :

بعد البدء في تنفيذ توجيهات المقام السامي الكريم بخصوص الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية وجه معالي وزير المعارف الأستاذ الدكتور/ محمد بن أحمد الرشيد بوضع استراتيجية فاعلة للتعاون مع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض لتقديم كل ما لدى الوزارة من معلومات ودراسات ومخططات وإمكانيات لتوفيرها لصالح مشروع المتحف ، وانطلاقاً من توجيهات معالي وزير المعارف ومتابعة سعادة وكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف الأستاذ الدكتور/ سعد بن عبدالعزيز الراشد . قدمت الوكالة منذ بداية العمل الفعلي لمشروع مركز الملك عبدالعزيز التاريخي في شهر رمضان ١٤١٦هـ كل ما يمكن الاستفادة منه من معلومات ومستندات ومقترحات لفريق العمل بالمركز ، وقد شاركت في ذلك جميع الإدارات العامة والأقسام بالوكالة وتمثل عملها فيما يلي :

١- الإجراءات والتنظيمات الأولية :

- تشكيل فريق عمل علمي من الوكالة للقيام بمشاركة الفريق العلمي المشكل من جامعة الملك سعود وبعض أساتذة الجامعات السعودية يشاركهم في ذلك بعض مسئولي المتاحف من المناطق والمحافظات كفريق عمل مساند للفريق العلمي للمساعدة في إعداد المعلومات وتجهيزها .

- المشاركة في وضع خطة العرض المتحفي التي تم إنجازها في شهر ربيع الثاني عام ١٤١٧هـ الموافق سبتمبر ١٩٩٦م بمشاركة فريق من منسوبي قسم الآثار والمتاحف وقسم التاريخ بجامعة الملك سعود والهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض .

- متابعة إجازة خطة العرض وتكوين فريق عمل لهذا الغرض بتاريخ ٢جمادى الثانية ١٤١٧هـ والمشاركة في الاجتماعات ومتابعة تنفيذ المرئيات والمقترحات وتضمينها خطة العرض المتحفي ، وقد عقد فريق العمل اجتماعه الأول بتاريخ ١٤١٧/٧/٧هـ والثاني بتاريخ ١٤١٧/٧/٢٣هـ ورفع الفريق كامل الملحوظات لمعالي وزير المعارف بتاريخ ١٤١٧/٩/٢هـ

لإقرارها .

- متابعة أعمال استشاري التصميم وتقديم الملاحظات على أعمال التصميم والعروض المتحفية اعتباراً من ١٤١٧/١١/١٠هـ حتى اكتمال أعمال التصميم وحضور جميع اجتماعات ومناقشات محتوى العرض المتحفي التفصيلي ، وحضور العروض المقدمة من الاستشاري بالنسبة للتصاميم وإبداء المرئيات حيالها في اللقاءات التي تجرى داخل المملكة بالإضافة إلى مشاركة ممثل من الوكالة في متابعة التصاميم الخاصة بالمتحف مع الاستشاري المنفذ للمشروع خارج المملكة في إنجلترا وكندا خلال المراحل الأربع التي تم إنجازها ووضع ملحوظات الوكالة فيما يختص بالنواحي الإنشائية وأعمال الصيانة وتقنيات العروض .

- متابعة أعمال المكاتبات للجهات ذات العلاقة بموضوعات قاعات المتحف كالوزارات والمؤسسات الحكومية والجامعات السعودية والمتاحف الخاصة والمراكز المرخص لها باقتناء التراث الشعبي والأشخاص والمتاحف الخارجية .

- إعداد خطة التشغيل للمتحف ، وقد تم الانتهاء منها في نهاية شهر جمادى الأولى ١٤١٨هـ وإعداد خطة التكاليف الإدارية المتحفية وتم الانتهاء منها في نهاية شهر رجب ١٤١٨هـ .

٢- تشكيل لجنة الفرز والتصنيف والتوثيق :

تم تشكيل لجنة خاصة مقرها حي السفارات منذ شهر ربيع الثاني ١٤١٨هـ للقيام بأعمال الفرز والتصنيف والتوثيق لموجودات الوكالة من القطع الأثرية المختلفة ، ونقل المواد الأثرية من مستودعات وكالة الآثار والمتاحف إلى مقر اللجنة ، وعملت اللجنة وفق التنظيم التالي :

- **تسجيل المعثورات القديمة** : وتم تسجيل وتوثيق عدد كبير من المعثورات التي تعود إلى فترات مختلفة منذ الألف الرابع قبل الميلاد حتى العصور الإسلامية وتم تسجيل (٢٥٥٥) ألفين وخمسمائة وخمس وخمسين بطاقة خاصة بالمعثورات الأثرية .

- **النقوش والكتابات القديمة والكتابات الشاهدية** : تم تسجيل (٩٣٣) تسعمائة وثلاثة وثلاثين نقشاً منها (١١٣) مائة وثلاثة عشر نقشاً يعود لفترة ما قبل الإسلام .

- **المسكوكات** : تم تسجيل عدد (٥٥٨٥) خمسة آلاف وخمسمائة وخمس وثمانين مسكوكة .

- **العصور الحجرية** : تم تصنيف (٤٨٤٩٤) ثمانية وأربعين ألفاً وأربعمائة وأربع وتسعين أداةً حجرية جمعت من (٤٠٢) أربعمائة واثنين من المواقع الأثرية ، وقد تم اختيار (١٢٣١) ألف ومائتين وإحدى وثلاثين أداةً تمثل فترات العصور الحجرية المختلفة وسجلت في بطاقات خاصة بها .

- **التراث الشعبي** : تم تسجيل أكثر من (٢٠٠٠) ألفي قطعة تراثية في بطاقات خاصة بها ، وجار تسجيل قطع التراث الشعبي .

- إنجاز حوالي (٢١٠٠٠) واحد وعشرين ألف صورة فوتوغرافية ملونة أبيض وأسود ، وإعداد أرشيف خاص بالصور والشرائح التي بلغ عددها حتى الآن (٧٩٥٠) سبعة آلاف وتسعمائة وخمسين شريحة ملونة .

٣- إنشاء إدارة التنسيق :

تم تكليف مدير عام الآثار (بناءً على موافقة معالي الوزير) بالإشراف على أعمال التنسيق مع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض يساعده مدير قصر المربع وذلك في شهر محرم ١٤١٨هـ بهدف تسهيل مهام العمل بين جميع الأطراف ذات العلاقة من العاملين بالمشروع ؛ من الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ، وجامعة الملك سعود ، ووكالة الآثار والمتاحف ، والشركة المنفذة لأعمال التصاميم ، وتقوم هذه الإدارة بالأعمال التالية :

- متابعة أعمال فريق البحث العلمي ، وحضور جميع جلسات المناقشة لجميع اللجان ، ومتابعة توفير المعلومات بشكل متكامل وما يحتاجه التصميم بشكل خاص وفق مراحل التنفيذ وتتمثل في توفير المعروضات والصور والمخططات والخرائط ... إلخ .
- متابعة النصوص العامة والتفصيلية ونصوص المعروضات الخاصة من حيث الإعداد والتصحيح والترجمة .
- التنسيق فيما يختص بالرحلات الميدانية لفريق العمل للمتاحف والمواقع الأثرية التي بها معروضات رئيسية تتطلب نقلها للمتحف حسب الخطة المعدة .

- القيام بمهمة المراسلات والاتصالات الداخلية والخارجية .
- متابعة أعمال الاستلام والتسليم للمعروضات التي يتم الحصول عليها من فريق البحث العلمي وما يقدم لوكالة الآثار والمتاحف أو الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض أو الجامعة من معروضات لمشروع المتحف الوطني ، سواء عن طريق الإهداء أو الإعارة أو البيع بالتنسيق مع إدارة المتحف الوطني .
- تجميع المعلومات الخاصة بالقطع الأثرية والتراثية التي لدى الجهات أو الأفراد للحصول عليها والتنسيق فيما يختص بنقلها وكيفية توثيقها بطرق علمية سليمة ، والإشراف على تخزينها .
- تنظيم زيارات أعضاء فريق العمل للمتاحف والرحلات الميدانية للمواقع الأثرية ومواقع التاريخ الطبيعي ومواقع التعدين .

٤- إدارة مركز التجميع بالدرعية :

بدأت أعمال المحتوى المتحفي مرحلة جديدة منذ نهاية شهر ذي الحجة في ٢٨/١٢/ عام ١٤١٨هـ حيث رأت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض البدء في تجميع المعروضات التي تم إقرارها وفق خطة العرض بالمتحف في مركز أعدّ خصيصاً لهذا الغرض ؛ يضم المركز قسماً لتجميع المعروضات الكبيرة وصيانتها ، وقسماً يضم المحتوى المتحفي الذي سوف يدخل بخزائن العرض ، وقاعة لعرض وحفظ المعروضات الدقيقة ، وورشة لإعداد وسائل العرض من قواعد تثبيت وساندات ومواد تعليق ، وقاعةً للعرض التجريبي المؤقت ، وقاعةً للترميم ، يدير هذا المركز مدير عام المتحف الوطني . (أنظر مخطط الهيكل التنظيمي للمتحف الوطني أ ، ب ، ج) وقد بدأت الوكالة في إيجاد طاقم الهيكل الإداري والفني منذ بدء العمل الفعلي بمركز التجميع بالدرعية .

وقد شكل فريق عمل متكامل من وكالة الآثار والمتاحف للقيام بالمهام التالية :

- تسجيل القطع الواردة وتوثيقها .
- فرز القطع الواردة وتوثيقها واستكمال أعمال الفرز السابقة التي لم تتم بعد .
- فرز معروضات كل قاعة وتسليم مسئولية القاعات لأمناء القاعات من الوكالة .

– تجهيز المعلومات الخاصة بالقطع التي يتم اختيارها وإدخالها بالتسجيل .

– تجهيز معروضات كل خزانة من خزائن العرض لتسليمها لفريق العرض المؤقت لعرضها ومن ثم تجهيزها بشكل نهائي للعرض بالمتحف الوطني .

– وضع تنظيم إداري فني لحركة المعروضات من الاستلام والتسليم والاختيار والترميم والتوثيق والعرض المؤقت والتغليف النهائي .

– العمل ضمن فريق واحد من خلال التنسيق المشترك مع المسئولين بالهيئة كإدارة المشروع والإدارة العامة للصيانة والمسئولين عن أعمال التجهيز والتحضير .

ب - مفاهيم العروض بقاعات المتحف الوطني ودورها في الحفاظ على الآثار وحمايتها :

قصة العرض بالمتحف الوطني ارتكزت على المعيار الزمني حيث انتهجت التدرج التاريخي في ترتيب قاعات العرض مع الأخذ في الاعتبار بمعايير العروض الحديثة من حيث الغرض والاستعمال والقيم الفنية والحضارية . وأبرزت خطة العرض السمة المميزة للمملكة العربية السعودية بحيث راعت ثوابت الشخصية السعودية المميزة على امتداد رقعة الوطن مستهدفة رفع المستوى الثقافي وربط المواطن السعودي بأرضه وتاريخه وحضارته ، وإظهار وجه البلد الحضاري المشرق . واشتملت الخطة على الأهداف العامة والخاصة للمتحف الوطني انطلاقاً من أهداف ومفاهيم العمل الآثاري والمتحفي التي تعمل بها وكالة الآثار والمتاحف .

١- الأهداف العامة :

– غرس مفاهيم روح الانتماء الوطني من خلال زيادة الثقافة العامة وذلك بالتعريف بالآثار والتاريخ السعودي وإيصال الثروة الثقافية للمملكة العربية السعودية عن طريق المعروضات المتحفية الطبيعية والأثرية والتراثية .

– تكوين مفاهيم جديدة حول أهمية التراث الطبيعي الأثري والتراث المدون كالوثائق والمخطوطات وأهمية الحفاظ على الآثار والتراث توثيقاً وتسجيلا وبحثاً .

– إعطاء فرصة للمقيمين والزوار والأجانب للتعرف على آثار وتراث المملكة العربية السعودية .

– المساعدة في رفع المستوى الفني والذوق العام من خلال جماليات العروض المختلفة بالمتحف الوطني ، وزيادة المعرفة بتراث المملكة عن طريق تنظيم عروض حية للتراث السعودي كالصناعات والحرف التقليدية .

٢- الأهداف الخاصة :

تضمنت خطة العرض الأهداف العامة والخاصة ومفاهيم العمل الآثاري إلا أنها تجاوزت ذلك من منطلق تباين العروض المتحفية واختلاف موضوعاتها والبرامج العامة التي يعمل المتحف على تفعيلها ، ولهذا رسمت خطة العرض أهدافاً خاصةً منها :

– مراعاة الاحتياجات التعليمية بمختلف مراحل التعليم والمتوافقة مع المنهج الدراسي ، وإيجاد الصلة بين المعروضات المتحفية والمنهج عن طريق وسائل التعليم المساعدة بقاعات المتحف .

– اعتبار المتحف الوطني معلماً حضارياً متميزاً بمدينة الرياض ، يعكس المستوى الحضاري الذي وصلت إليه المملكة ، ويساهم في تنشيط الحركة السياحية ، حيث إن المتحف يلبي شوق السائح ورغبته في معرفة تاريخ وتراث المملكة العربية السعودية ، وهو أساس في الارتقاء بالسياحة الثقافية فيها .

– اعتبار المتحف الوطني مركزاً لخدمة الآثار والتراث والمتاحف المختلفة في أنحاء المملكة، ويساهم في الحفاظ عليها صيانةً وترميماً وتسجيلا .

– اعتبار المتحف مركزاً ثقافياً لجميع شرائح المجتمع بشكل عام ومركزاً للأبحاث الأثرية المتخصصة .

– إبراز الناحية التربوية المتحفية للنشء بمختلف المراحل السنية .

– تنمية الوعي الآثاري العام عن طريق النشر وإنتاج الأفلام الوثائقية وإقامة الندوات والدورات التعليمية .

– تهيئة الجانب البحثي والدراسي لمن يريد القيام بعمل الأبحاث الأثرية المتخصصة .

– إقامة المعارض لآثار الجزيرة العربية وتراثها الشعبي ، ومعارض العلوم والتقنية والتاريخ الطبيعي ، والفنون ، بالإضافة إلى معارض موضوعية أخرى .

ثالثاً : المتحف الوطني سياج حماية للممتلكات الثقافية :

إضافة إلى معرفتنا بوظيفة المتاحف التقليدية والتي تنحصر في الاقتناء والحفظ والعرض والبحث العلمي نجد أن وظيفة المتاحف الحديثة تتعدى الوظيفة التقليدية إلى الأخذ على عاتقها توصيل القيم العلمية والثقافية والتعليمية والتاريخية إلى المجتمع ومرتادي المتاحف . ولذلك تعدّ المتاحف مراكز علمية وحضارية مفتوحة لها وسائلها الحديثة ونشاطها التعليمي والثقافي والتربوي وهي وسيلة من وسائل نشر الوعي الآثاري في ثقافة المجتمعات بشكل عام والنشء بشكل خاص بما في ذلك ذوو الحاجات الخاصة . ويمكن القول إن المتاحف مظهر وحس وصوت الحضارة الإنسانية تحفظ أرثها وممتلكاتها الثقافية للتعريف بها والإفادة منها لجميع شرائح المجتمع من المواطنين والمقيمين والزوار ، ومن هذا المنطلق أصبح من أهم مسئوليات المتاحف الحفاظ على سلامة المقتنيات المتحفية المعروضة والمحفوظة مناخياً وبيئياً وأمنياً كما أنها مسئولة عن توفير جو من الراحة والأمن والاستمتاع الثقافي لزائريها .

ولهذا فقد صمم المتحف الوطني على نظام حديث ليوفر بيئة من الاستقرار الميكانيكي والكيميائي ولتهيئة ظروف مناخية ملائمة للمحافظة على مقتنيات المتحف المعروضة والمخزنة وذلك لتفادي الأضرار التي قد تحدث بسبب العوامل الأمنية أو العوامل البيئية أو الصناعية الناتجة عن ظروف العرض .

أ- قاعات المتحف الوطني ورسالتها :

خطة العرض لم تغفل أهداف ومفاهيم العروض بالقاعات حيث إن لكل قاعة من هذه القاعات أهدافاً خاصة من عروضها في إطار رسالة المتحف الوطني العلمية والثقافية والتربوية والاجتماعية والترفيهية .

١- قاعة الإنسان والكون :

بهذه القاعة (٢٠) عشرون خزانة تضم (٤٦٤) أربعمائة وأربعاً وستين مادة عرض تمثل مواد طبيعية ومواد تراثية ويشاهد الزائر لهذه القاعة معلومات عن الكون بجهاز العرض التلفزيوني المتعدد (الكوادر سكوب) . وبمدخل القاعة عرض نيزك وثلاثة نماذج من الصخور الرئيسية بالمملكة ؛ الرسوبية والرملية والمتحولة ، وبداخل الكهف الجبلي عرض لعينات من

الصخور والمعادن وعرض مجسم للماموث ، وبعض الأحافير المتحجرة لكائنات حيوانية منقرضة تدل على التغيرات الجيولوجية والجغرافية التي مرت على كوكب الأرض . وبالقاعة عرض سينمائي يوضح هذه التغيرات كما تعرض القاعة بدايات تفاعل الإنسان مع الطبيعية في الجزيرة العربية من خلال عرض بعض أدوات العصور الحجرية المختلفة كما يعرض فيها مواد أثرية توضح جانباً من بدايات حياة الاستقرار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بالجزيرة العربية ، كما تضم القاعة الكثير من الرسومات واللوحات التوضيحية والنماذج المجسمة وبها وسائل سمعية وبصرية حديثة تساعد على التعريف بالإرث الطبيعي والحضاري للمملكة ، وإيضاح الحياة منذ البدايات الأولى للوجود البشري بالجزيرة العربية ، والقاعة تعرف بموقع الجزيرة العربية وأهميته الاستراتيجية في منطقة وسطى بين قارات العالم القديم وأثر ذلك على نشاطها الاقتصادي حتى عرف سكانها بتميزهم التجاري . (لوحة ٤ واجهة قاعة الإنسان والكون ، ولوحة ٥ الإعداد والتجهيز لمعروضات القاعة) .

٢- قاعة الممالك العربية :

بهذه القاعة (٥١) إحدى وخمسون خزانة عرض ومحتوياتها (٤٧٤) أربعمائة وأربع وسبعون مادة أثرية تجسد دور الجزيرة العربية في إثراء الحضارة الإنسانية وتفاعلها مع حضارات العالم القديم . وتؤصل مفهوم التراث والعراقة التاريخية للمملكة العربية السعودية من خلال تأكيد خاصية المحلية لحضارة الممالك العربية ، والقاعات مجهزة بوسائل العرض السمعية والبصرية الحديثة وبها منطقة للكشف الذاتي (DISCOVERY ZONE) لوحة ٦/أ تجهيز معروضات خزانة تعرض بقاعة الممالك) .

٣- قاعة الجزيرة العربية قبل الإسلام (العصر الجاهلي) :

بهذه القاعة (١٧) سبع عشرة خزانة ومحتوياتها (١٣٥) مائة وخمس وثلاثون مادة أثرية تصور جوانب من حياة العرب في العصر الجاهلي من خلال مواقع هذه الفترة في الجزيرة العربية مع عرض مجسمات وصور توضح مفاهيم جديدة لحضارة العرب في الجاهلية ، وأن الجزيرة العربية لم تكن جاهلة بأساليب التحضر والتمدن ، كما يعتقد بعض المؤرخين أو أنها كانت على هامش حضارة الشرق القديم ، وتبرز معروضات القاعة خلاف ذلك ، ويمكن إدراك

أن مفهوم الجاهلية هو جاهلية بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف . (لوحة ٧/أ إعداد وتجهيز المعروضات لقاعة العصر الجاهلي) .

٤- قاعة البعثة النبوية :

بهذه القاعة خزانة واحدة فقط تضم مصحفاً مخطوطاً نادراً ونصوصاً مختلفة من السيرة النبوية ، بدءاً بمولد الرسول ﷺ ثم حياته ودعوته وهجرته حيث ينتقل الزائر عبر ممر يوضح أحداث هجرة الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وما ورد فيها من آيات الذكر الحكيم وأقوال الرسول الكريم ، وتشد القاعة الزائر إلى أرض الرسالة ومهبط الوحي ومولد الرسول ، وإلى ربوع إشراقة نور الإسلام في المملكة العربية السعودية .

٥- قاعة الإسلام والجزيرة العربية :

بهذه القاعة (٣٣) ثلاثة وثلاثون خزانة عرض ومحتوياتها (٥٠٩) خمسمائة وتسع مواد أثرية وتعرض بعض الآثار الإسلامية وفق التدرج الزمني ابتداءً من مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة وتأسيس مسجده ، كما تعرض بعض الأحداث المهمة في تاريخ الإسلام كغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام (قاعة العرض المرئي) ومكاتباته وأعماله لتأسيس دولة الإسلام في المدينة المنورة ، وعهد الخلفاء الراشدين ، والخلافة الأموية ، والخلافة العباسية ، وعصور الدويلات الإسلامية . وبالقاعة قسم خاص بأعمال الكشف والتنقيب بالموقع الإسلامي المهم "الربذة" ، وهو صورة مشرقة للمواقع الإسلامية بالجزيرة العربية ، ويعرض هذا القسم آثار "الربذة" وأعمال الكشف بها ، وبه قاعة تحكي بشكل متكامل قصة "الربذة" ودورها في التاريخ الإسلامي وآثارها واندثارها وأعمال الكشف الآثاري المنظم بها .

كما أن مفهوم الإسلام والجزيرة العربية واضح في تخطيط القاعة حيث تعطي إحساساً بأن الموروث الإسلامي الرائع يجب إبرازه بالقاعة لكون المملكة أرض إشراقة الإسلام ، ولم يغفل هذا الجانب فقد ضمت القاعة قسماً لعرض روائع الآثار الإسلامية وقسماً للعرض السينمائي عن إسهامات علماء المسلمين في العلوم الطبيعية كالفلك والطب والرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها ، وبالقاعة أيضاً العديد من المجسمات والصور والخرائط التي توضح وتركز على التعريف بالآثار الإسلامية في المملكة العربية السعودية . (لوحة ٧/ب إعداد وتجهيز قاعة الإسلام والجزيرة العربية) .

٦- قاعة الدولة السعودية الأولى والثانية :

بهذه القاعة (١٧) سبع عشرة خزانة عرض ومحتوياتها (٣٠٤) ثلاثمائة وأربع مواد عرض تمثل نماذج من التراث المتزامن مع تلك الفترة ، ووثائق ومخطوطات وكتب قديمة توثق أحداث الدولة السعودية في دورها الأول والثاني . وتعطى الزائر فكرة واضحة عن تاريخ الدرعية منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى ، على يد الإمام محمد بن سعود وتعاضده مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لنشر دعوة التوحيد . وتعرض القاعة ميثاق الدرعية الذي تم بين الشيخ والإمام عام (١١٥٧هـ) مكتوباً ومسجلا بصوت روائي . وتصور القاعة المراحل المختلفة لنمو الدرعية كعاصمة أولى للدولة السعودية ومراحل تكوين الدولة وتوسعها وما شهدته من أحداث وحصار وتدمير ، مع عرض لدور الأئمة السعوديين في بناء الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبد الله ، ثم خلفائه من بعده . وتضم القاعة صوراً وخرائط ومخططات وقاعة عرض سينمائي صغيرة توضح أحداث تدمير الدرعية وآثار الدرعية والرياض في عهد الدولتين السعودية الأولى والثانية . (لوحة ٨ تعرض جانباً من تصاميم قاعة الدولة السعودية الأولى والثانية) .

٧- قاعة توحيد المملكة :

بهذه القاعة (٥٥) خمس وخمسون خزانة عرض ومحتوياتها (١٢٧٣) ألف ومائتان وثلاث وسبعون مادة عرض مختلفة ، وتعرض القاعة قصة توحيد البلاد على يد المغفور له الملك عبدالعزيز ابتداءً من دخول الرياض في الخامس من شوال عام ١٣١٩هـ . ويشمل العرض وثائق وصوراً ومخططات وخرائط ولوحات تتعلق بمراحل التوحيد ، كما يشاهد الزائر عرضاً لأدوات التراث الشعبي المتعلق بالحياة اليومية للوحدات المعمارية ؛ تمثل نماذج من العمارة التقليدية بمناطق المملكة العربية السعودية . ويعرض بقاعة العرض شريط تسجيلي عن توحيد المملكة ويصحبه تصوير حي للحدث . (لوحة (٩) إعداد وتجهيز لمعروضات توحيد المملكة) .

وتبرز القاعة للزوار حكمة الملك عبد العزيز وحنكة سياسته في ضم أجزاء البلاد ، وتوضح الأحداث التي صحبت مراحل التأسيس والتي تم استقاؤها من الآثار والوثائق والصور والمكاتبات التي توثق تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث ، وتلفت نظر الزائر من

المواطنين والمقيمين والأجانب إلى أهمية التراث الشعبي السعودي وارتباطه بحياتنا المعاشة .

٨- قاعة الحج والحرمين الشريفين :

بهذه القاعة (٢٧) سبع وعشرون خزانة ومحتوياتها (١٩٦) مائة وست وتسعون مادة عرض وتقسم إلى أربعة أقسام عرض :

القسم الأول :

يركز على دروب الحج والحرمين الشريفين بالمملكة وهي خاصية تميزت بها أرض المملكة العربية السعودية حيث بها مواقع دروب الحج ومساراته التي تؤرخ لحضارة الإسلام في جميع البلاد الإسلامية . وهي درب الحج العراقي (درب زبيدة) ودرب الحج البصري ، ودرب الحج الشامي ، ودرب الحج المصري ، ودرب الحج اليمني ، ودرب حج اليمامة والبحرين .

القسم الثاني والثالث :

يعرف الزوار بمكة المكرمة والمدينة المنورة والحرمين الشريفين ، الحرم المكي والحرم المدني ، عبر مختلف العصور ويبرز أهمية العناصر المعمارية الإسلامية ، وأثار الحرم المكي ، والحرم النبوي ، مع التركيز على جانب عمارة الحرمين الشريفين والتوسعة التي تمت فيهما عبر العصور والعصر السعودي الزاهر خاصة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود .

القسم الرابع :

يعرض الحج عبر العصور ويوضح بشكل موثق مسيرة الحج عبر العصور الإسلامية ، ويعرض نصوصاً من كتابات تؤرخ مسيرة الحج وتصنيف رحلاته وبعض الوثائق الخاصة بذلك ، وتضم القاعة بشكل عام آثاراً ووثائق وصوراً ورسومات وخرائط ومجسمات ووسائل سمعية وبصرية .

إجمالي عدد المعروضات الأثرية بالمتحف الوطني بلغ عددها (٣٤٧٤) ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعاً وسبعين مادة عرض موزعة على عدد (٢٢١) خزانة عرض تضم المعروضات الأثرية بخزائن القاعات وعددها (٣٣٥٦) ثلاث آلاف وثلاثمائة وستة وخمسون مادة عرض

إضافة إلى معروضات فجر التاريخ بقاعة العرض الواصلة ما بين قاعة الإنسان والكون وقاعة الممالك العربية وبلغ عددها (٧٧) سبعة وسبعين مادة عرض أثرية ، والمعروضات الأثرية الكبيرة التي لم تعرض بخزائن عرض وعددها (٤١) إحدى وأربعون مادة معروضة بأماكن خاصة أعدت بقاعات المتحف حسب مناسبتها (لوحة أعداد وتجهيز القطع الأثرية الكبيرة بمركز التجميع بالدرعية) .

ب - محتوى المتحف الوطني وتصاميمه وإمكاناتها في توفير الحفظ والحماية :

١- المحتوى المتحفي :

توفير المقتنيات المتحفية من أصعب الأمور التي تواجه المتحفيين إذا ما قورنت بالأعمال الإنشائية ، فتجميع مادة العرض وفق الخطة وتوثيقها وصيانتها وترميمها وتصنيفها وإعدادها للعرض وعرضها كلها تحديات عظيمة تواجه المتحفيين .

وقد واجَهت فرق العمل التي عملت بمشروع المتحف الوطني تلك التحديات إدارةً وإشرافاً وتنفيذاً . وقد اضطلَعت فرق العمل بتجميع مواد العرض من مخازن وكالة الآثار والمتاحف ، ومواقع الآثار الأصلية ، ومن متاحف الوكالة الإقليمية والمحلية ، والمتاحف الخاصة الداخلية ، والمتاحف الخارجية ، ومن المصالح والجهات الحكومية ، والمكتبات ، والمؤسسات الخاصة والعامة ، والجمعيات ، والأفراد ، حتى أمكن جمع مادة العرض الطبيعية والأثرية والتراثية والوثائق والمخطوطات والصور والمخططات والخرائط . كما قامت الفرق الميدانية بإعداد المخططات والمصورات والخرائط التوضيحية للمواقع الأثرية والآثار الثابتة وعمل المستنسخات والنماذج ونقل بعض الآثار المختارة الضخمة بعد دراستها وتوثيقها ميدانياً . وصَحِبَتْ كل هذه الأعمال مواد النصوص المتحفية الشاملة والخاصة والفرعية . كل هذه الأعمال كان لها أهميتها في الارتقاء بالعمل المتحفي من خلال التعامل مع المادة الأثرية والثقافية ومرجعيتها العلمية والبحثية .

وروعي في اختيار المادة المتحفية شموليتها لجميع أجزاء المملكة من الشمال والجنوب والشرق والوسط والغرب . فقد شمل ذلك الاختيار الموفق المراكز الحضارية في العلا ومدائن صالح وتيماء والجوف وتاروت وثاج والظهران والهفوف ونجران والفاو والربذة . وقد رافقت

أعمال التجميع أعمال الفرز ، والتسجيل ، والتوثيق ، والصيانة ، والحفظ ، والتصنيف ، والعرض المؤقت ، والتغليف ، والنقل ، والعرض النهائي ، وكان لكل هذه العمليات أثرها البالغ في الإعداد العملي للكادر المتحفي المتخصص الذي يقوم على إدارة المتحف الوطني اليوم وهو كسب حقيقي سوف يكون له أثره الطيب على الحركة المتحفية في المملكة العربية السعودية .

وقاعات المتحف الوطني تعرض المحتوى المتحفي في إطار منظم ومتسلسل زمنياً بدءاً بنماذج مختارة من الأحافير المختلفة ونماذج للبيئة الطبيعية ، كما تعرض آثار العصور الحجرية ومراحل التطور لثقافة ما قبل التاريخ ، ونماذج من الرسوم الصخرية لأشكال آدمية وحيوانية البادية ورسومها ، وآثار المراحل الانتقالية والبدايات الأولى للزراعة المبكرة وقيام المستوطنات وظهور الكتابة . وتعرض مختارات من الكتابات والنقوش القديمة وآثار الممالك العربية ونقوش القلم المسند الشمالي والجنوبي والثمودي والصفوي والنبطي ، وآثار محطات ومنازل الحج ، والقلاع ، والحصون ، ومواقع التعدين ، والمواقع الإسلامية بمختلف عصورها وآثار تاريخ الدولة السعودية بمراحلها الثلاث ، ومستندات من الوثائق والآثار وآثار الحرمين الشريفين ودروب الحج وآثارها المتميزة .

هذا الكم الهائل من المقتنيات يمثل نماذج مختارة من تراث البلاد وآثارها؛ وجد العناية ، والتوثيق ، والحفظ ، والعرض المتميز ، ولهذا نرى أن مشروع المتحف الوطني لفت الأنظار إلى أهمية توظيف تراثنا الطبيعي والحضاري في المشروع الثقافي .

٢- البيئة المتحفية :

صمم المتحف الوطني على نظام يوفر بيئة من الاستقرار الميكانيكي والكيميائي ، ولتهيئة ظروف مناخية ملائمة للمحافظة على مقتنيات المتحف المعروضة والمخزونة ، وذلك لتفادي الأضرار التي قد تحدث بسبب العوامل البيئية أو الصناعية الناتجة عن ظروف العرض . وبالمتحف نظام تحكم متكامل (تسخين وتنقية الهواء وتكييفه) (HVAC) وهذا النظام شامل لجميع أجزاء المبنى خلال ساعات اليوم على مدار ٢٤ ساعة وعلى مدار أيام الأسبوع ويضبط هذا النظام جهاز مراقبة دقيقة للحرارة والرطوبة لكامل المبنى (.B.M.S) وجميع القاعات تتمتع بنظام حرارة ورطوبة موحد خلال أيام الشتاء وخلال أيام الصيف ، ففي أيام الشتاء تكون معدل حرارة القاعات ٢٢° مئوية تزيد وتنقص درجة مئوية واحدة + -1° ونسبة الرطوبة

٣٥٪ مئوية تزيد أو تنقص ٥,٧٪ . وخلال أيام الصيف تكون درجة الحرارة بمعدل ٢٤° مئوية تزيد أو تنقص درجة مئوية واحدة + -1° ونسبة الرطوبة ٣٥٪ تزيد أو تنقص ٥,٧٪ . أما قاعة العروض المؤقتة فهي على درجة التحكم نفسها من حيث درجات الحرارة بمعدل ٢٢° درجة مئوية في الشتاء وكذلك في الصيف مع فارق بسيط في عملية التحكم بزيادة أو نقص ٠,٥ نصف درجة مئوية أما نسبة الرطوبة بها ٥٠٪ بزيادة أو نقص ٣٪ ثلاث درجات في المائة .

٣- التخزين والحفظ (المستودعات) :

حفظ المقتنيات المتحفية والأثرية والتراثية من المسئوليات العظيمة التي يقوم بها المتحف ، ونجاح عمل المتحف مرتبط بنجاح وسائل الحفظ والتخزين . والمستودعات بالمتحف الوطني أنشئت وفق مواصفات مستودعية عالية ومرتبة وفق تنظيم مستودعي حديث وهي خاضعة لنظام التحكم بالهواء والرطوبة النسبية والحرارة ، وبها غرفة خزانة للتحف الدقيقة . وبالمتحف ثلاثة مستودعات خاصة صغيرة ، ومستودع كبير عام ، ومستودع علوي خاص بعروض القاعات والدراسات التوثيقية ، وتنظيم عملية الحفظ والتخزين وفق ترتيب خاص تقوم به الإدارة الخاصة عن طريق إدخال بيانات التخزين بالحاسب الآلي وتدوين حركتها سواء داخل المتحف أو مع المتاحف الأخرى بالمملكة .

وتحرص إدارة المتحف على إحكام أعمال الحفظ والتخزين المستودعية لارتباطها بأمن المحتوى المتحفي وجميع أنشطة المتحف ، ولذا تم ربطها بإدارة التسجيل والتوثيق بالمتحف الوطني ، وستعمل إدارة المتحف على تزويد بوابات المخازن بنظام الإنذار المبكر وربط البوابات بكاميرات الكشف الخارجي لمراقبة حركة الشحن والتفريغ .

٤- التسجيل والتوثيق :

تقوم إدارة التسجيل بتسجيل المجموعات المتحفية وفق ما هو معتمد في المتاحف العالمية، وتتضمن عملية التسجيل تسجيل القطع الأثرية بكتابة كل تفاصيلها المرئية والمكتوبة باستخدام الأساليب العلمية في التسجيل وذلك عن طريق تجميع المعلومات الخاصة بالأثر وتصويره فوتوغرافياً وصيانته وترميمه وفق معطيات الدراسة التي أجريت عليه والوصف الأثري وتنظيم المادة العلمية ، علماً أن جميع المعروضات بالمتحف مسجلة وفق نظام تسجيلي متطور .

وسوف تعمل إدارة المتحف على تحديث التسجيل والتوثيق التقليدي المعمول به قديماً

وذلك بتطوير نظام السجل الأثري بما يتناسب ونظام السجل العالمي للمقتنيات التي أقرت من قبل المنظمة العالمية للمتاحف (ICOM) بحيث يكون السجل شاملا لكل المعلومات بما في ذلك السجل الفوتوغرافي وأعمال الصيانة والترميم والتصنيف ونوعية المادة ، والعمل على توثيق الملفات المتحفية وخزن صورها بواسطة (CDs) . ليكون بالإمكان رؤية القطع والمقتنيات الفنية دون الحاجة إلى لمسها وتوفير التصوير الرقمي المجسم بتوفير كاميرات (Digital) الخاصة بالآثار . ويتبع إدارة التسجيل مختبران للصيانة والترميم وغرفة للتعقيم واستديو للتصوير للعمل على صيانة الوثائق والمخطوطات والقطع والمجموعات المتحفية وترميمها . (لوحة ١١ أعمال التسجيل والعرض المؤقت بمركز التجميع بالدرعية) .

٥- العرض المتحفي - فلسفة العرض ووسائله :

العرض الناجح له دوره في تحقيق الرسالة المتحفية وقد روعي في طرق العرض والتصاميم المتحفية بالمتحف الوطني أن تكون على درجة عالية من الإتقان لتساعد على إبراز القيمة الحضارية والجمالية والفنية والثقافية للمعروضات ، وخضعت طريقة العرض لاستجابة ما يراد من التحفة أو المادة الأثرية أن توصله للزائر ولذلك تعددت أنماط العروض لربط المشاهد بالمادة المعروضة وإثارة دهشته لإشعاره بقيمتها ، ولهذا تضمنت العروض مفاهيم مختلفة منها :

- مراعاة العلاقة بين المعروض والموقع الأصلي .
- تقريب العرض من بيئته الأصلية باستخدام الوسائل السمعية والبصرية .
- عروض تظهر السمات الجمالية الخاصة بالمعروضات .
- عروض تظهر الغرض والاستعمال من المعروضات .
- عروض صامتة لتتحدث التحفة أو العرض عن نفسه .
- عروض الغرض منها رسالة خاصة بمادة العرض نفسه .

وقد روعي في العرض المحيط الجمالي ، على أن لا يطغى على العنصر الجمالي بالتحفة حيث إنه عنصر إبهار في المقتنيات الأثرية ، ولهذا أعدت خزائن العرض بالمتحف الوطني وفق الطرق الحديثة في إبراز مفاهيم العروض المختلفة إضافة إلى الحفاظ على المقتنيات وأن لا

تشكل الخزائن خطراً على المعروضات مع الأخذ بكل الاحتياطات لحفظ المحتوى المتحفي . وصممت خزائن العرض بالمتحف الوطني من مادة الزجاج السميك والخشب ، وليست من النوع المضاد للحريق ولكن صمم بالمتحف نظام أتوماتيكي لاستشعار الدخان والحرارة . والخزائن ليست من النوع المعزول فهي خزائن تسمح بتبادل الهواء مع المحيط الخارجي بالمتحف الذي يعدّ معزولاً وذا مواصفات متحفية عالية ولهذا فالخزائن معزولة لحد كبير ، حيث إن مناخ الخزائن متوافق مع ضبط درجات الحرارة والرطوبة بالمتحف . وأقفال الخزائن من النوع العادي وليست موصولة بنظام إنذار كاشف إلا أن إدارة المتحف ستعمل على وضع نظام أقفال موصولة بأنظمة الإنذار المبكر لجميع خزائن العرض ووضع نظام المراقبة لجميع القاعات بعد استكمال أعمال التشغيل . (لوحة ١٢ أعمال الصيانة والترميم لمعروضات المتحف الوطني بمركز التجميع بالدرعية) .

وتخدم العروض الوسائل التصويرية التي تبلغ في مجملها (٩٠٠) تسعمائة وسيلة كما أن العروض مزودة بتجهيزات لها دور مهم في شد الزائر للمعروضات (AUDIOVISUAL). ومن التجهيزات :

- جهاز الشرائح الضوئي لعرض النقوش والرسومات الصخرية ، وعرض أهم الآثار ومواقعها بالمملكة على شاشة العرض المتحرك بقاعة فجر التاريخ .
- أجهزة عرض الصوت الروائي – الموسيقى التصويرية .
- أجهزة العرض التصوري الكمبيوتري المتحرك ، قاعة "الربذة" .
- أجهزة العرض السمعي الموضح بوسائل ضوئية مرسومة – القاعة الإسلامية – غزوات الرسول ﷺ .
- الأفلام السينمائية .
- أجهزة التسيير السمعي (C.D) .

وقد بلغ مجموع الأفلام السمعية والبصرية أربعين فلماً . (لوحة ١٣ ورشة التجهيز لمتطلبات العروض من ساندات ، وأدوات التعليق ، والتثبيت بمركز التجميع بالدرعية) .

٦- الأمن والسلامة بالمتحف :

بالمتحف إدارة للأمن والخدمات تقوم على أمن المقتنيات وأمن الزوار ومقتنياتهم وتعمل على استتباب النظام وتوجيه الزوار للتقيد بالأنظمة المتبعة بالمتحف ، والمتحف محاط بنظام أمين للمراقبة فقد تم تركيب أربع كاميرات مراقبة تكشف الجهات الخارجية الأربع ، وتركيب كاميرتين للمراقبة الداخلية على مداخل قاعات المتحف وتراقب بوابات المداخل الرئيسية وبوابات الطوارئ عن طريق المراقبة الخارجية ، وكذلك جهاز الأمن الخارجي . أما من الداخل فتراقب من قبل إدارة الأمن والسلامة بالمتحف ، علماً أن بالمتحف (١٣) ثلاثة عشر باباً للطوارئ جميعها عادية الفتح من الداخل . ونظام الإقفال بالمتحف نظام إقفال يدوي بمواصفات عالية من حيث الأمن والسلامة ومرتب حسب نظام المجموعات وتفرعاتها Cam Lock System مفتاح رئيس عام ، ومفاتيح خاصة ، ويتدرج التقسيم تنازلياً لكل المجموعات بحيث لكل مجموعة مفتاح رئيس عام ، ومفاتيح خاصة . ومن خلال هذا التنظيم يمكن التحكم في جميع الأقفال عن طريق إدارة الأمن والسلامة والإدارات المختصة كل فيما يخصه ، ويمكن إدخال أنظمة تطوير على نظام الأقفال كإدخال النظام الميكانيكي أو الإلكتروني على بعض الأقفال الخاصة بالمتحف وذلك وفق الاحتياج .

أما بوابة الشحن والتفريغ فيتم التحكم بها من الداخل بزر كهربائي بغرفة الشحن الخاصة بالمستودع ، وجميع أبواب المستودعات ذات مواصفات خاصة ضد الصدمات أو الكسر وتحمل الحرارة والعزل . وبالمتحف ثلاثة أنظمة للحريق شاملة كامل أجزاء المبنى :

- نظام الإطفاء المائي الأوتوماتيكي بالرش الشامل لكل أجزاء المبنى في حالة حدوث الحريق ويعمل وفق درجة تسخين معينة وفي حالات الطوارئ القصوى (SPRINKLERS) .

- نظام الإطفاء المائي بتمديدات الأهواز أو الخراطيم المركزية موزعة على كامل وحدات المبنى وتصل إلى جميع الوحدات بالمتحف (HOSE REEL AND WETRISER) .

- نظام الإطفاء الكيمائي (CHEMICAL EXTINGUISHERS) على جميع أجزاء المبنى . والمبنى مصمم وفق مواصفات مقاومة معينة من حيث المواد المستعملة في البناء والنوافذ والأبواب وهو مزود بنظام شامل لكل أجزاء المبنى ويراقب من قبل غرفة المراقبة لكشف منطقة الخطر التي يتم التحكم فيها من قبل الصيانة والأمن .

الخـاتمـة

للمتحف الوطني دور مهم في تنفيذ سياسة وزارة المعارف المتحفية ، التي رسمها المجلس الأعلى للآثار والمتاحف من خلال معروضاته ونشاطاته المقررة ، التي تضمنت نشر المعرفة المتحفية والتوعية بأهمية التراث في حياة الأمم ، وذلك بإصدار المطبوعات والكتب والنشرات وبرامج العروض المؤقتة للآثار والتراث من الداخل والخارج والاهتمام بتشجيع الحركة المتحفية العامة والخاصة .

والمتحف الوطني من المتاحف المتميزة من حيث البناء والتجهيز وشمولية العروض بقاعاته الثمان ، وخطط لهذا المتحف أن يكون معلماً ثقافياً متميزاً يعمل على تنفيذ البرامج العلمية والثقافية والتربوية والتراثية والترفيهية . ومقتنيات المتحف الوطني تعرض كما من المعلومات موظفة بتقنيات جديدة لها أهميتها في تعريف الزائر بقيمة التراث والحفاظ عليه ، وتساعد الباحثين والدارسين على توفير المادة العلمية لأبحاثهم ، كما أن المعروضات تعرف بالمباني التاريخية والأثرية في المملكة وأعمال الحفريات والمسوحات الآثارية وتعرف بالآثار والمكتشفات الهامة بالمتاحف الخارجية . وقد عالجت مادة العرض الموضوعات المعروضة معالجة موضوعية دقيقة ترضي جميع المشارب مستخلصة من مصادر موثقة من الدراسات والأبحاث الميدانية وموضحة بوسائل الإيضاح بالخرائط والمخططات والرسوم والصور الفوتوغرافية . وتبرز معروضات المتحف ما تتميز به المملكة من تنوع بيئي وجغرافي ، وما تمتلكه من معطيات اقتصادية من معادن وبترول وزراعة وتجارة وإرث حضاري وتراثي ، وتعرف بالمكانة التي تحتلها المملكة العربية السعودية حضارياً وجغرافياً ودينياً ، وتعرف المعروضات أيضاً بأساليب الحياة الاقتصادية من زراعة ، وتجارة ، وصيد ، ووسائل الاتصال الحضاري ، وقد ضم المحتوى المتحفي عروضاً حديثة على أحدث نظريات العرض الفني ونظريات العرض العلمي مستخدمة التقنيات الحديثة ، وكان لكل هذا أثره في إثارة الدهشة بالآثار والتراث مما ساعد على إدراك أهميتها وقيمتها ونشر الوعي الآثاري ، وإعلام الزائر بدوره في حماية المعطيات الثقافية والمحافظة عليها . ومن خلال ما تم استعراضه نجد أن المتحف الوطني يرسخ مفاهيم حفظ وحماية الآثار والتراث من خلال ما يلي :

أ - استخدام التقنيات الحديثة في مجال التسجيل والتوثيق والعرض والمعالجة والصيانة سيساهم في تأسيس نظام معلوماتي متكامل للمعروضات والمقتنيات الطبيعية والأثرية والتراثية التي يمتلكها المتحف الوطني ، وسيساهم في أعمال التخطيط الخاصة بطرق الاستفادة من التراث وإعطاء فكرة متكاملة عن تراثنا ، وهو عامل إيجابي يساعد إيجاد السبل لتوظيف التراث في المشروع الثقافي والسياحي في البلاد ، وهو من أكبر عوامل الحماية للتراث الثقافي .

ب - يقوم المتحف بأعمال البحث ، والتوثيق ، والترميم ، والصيانة ، والعرض للآثار وهي أعمال متعارف عليها لدى كل متاحف العالم ، ولهذا نجد أن البلاد التي ازدهرت فيها الحركات المتحفية كان لإرثها وممتلكاتها الثقافية العناية والحفظ والحماية .

ج - احتوى المتحف الوطني على تدوين وتوثيق للعناصر المعمارية التي تميزت بها مدن المملكة في مختلف مقاطعاتها ، وهذا له أثره البالغ في لفت الأنظار إلى تراثنا المعماري وأهمية توظيفه في حياتنا الحاضرة وهو أمر له أهميته في حفظ تراثنا المعماري الذي كان مستجيباً لحاجاتنا وعاكساً لمعطيات بلادنا .

د- يضم المتحف مجموعة من الوثائق والمخطوطات ، وطرق العرض تؤكد للزائر أن الوثائق والمخطوطات من أهم مصادر التاريخ ويجب الاهتمام بها وحفظها والعناية بها وهذا سوف يعين على حفظ وثائق تاريخنا القديم والحديث .

هـ - الاهتمام بالموروث الثقافي كالصور التاريخية النادرة ، والعملات والطوابع وبقاعة الملك عبدالعزيز مستندات هامة في إيضاح النقلة الحضارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المملكة وتطور مؤسسات الدولة ، والعرض المتحفي يستنطق تلك المستندات لتعبر عن نفسها وهو ما يرفع قيمة المقتنيات التي تشكل مادة تاريخنا الحديث .

ومن أهم وظائف المتحف الوطني تقديم الخدمة الثقافية والتعليمية لجميع شرائح المجتمع؛ للمواطن ، والمقيم ، والزائر ، وإذا تحقق نجاحه في تقديم تلك الخدمات سيكون مردود ذلك

حماية ، وعناية غير مباشرة يقدمها المتحف للآثار والتراث بالمملكة العربية السعودية . والبرامج التعليمية التي سوف تضطلع بها الإدارة التعليمية عنصر أساسي في إرساء نشر الوعي المتحفي لدى الناشئة لإيجاد قاعدة قوية في المجتمع تؤمن بقيمة تراثها وتعمل على حفظه وحمايته .

ومن معرفتنا برسالة المتحف العلمية والثقافية ، التربوية ، والاجتماعية من خلال محتواه المتحفي وعروضه ونشاطاته ؛ يمكننا القول إن المتحف من أهم الوسائل الحديثة التي تتخذها الأمم لحفظ وصيانة وحماية تراثها بمختلف أنواعه ، الطبيعي والثقافي ، المادي منه والمعنوي ، الثابت منه والمنقول ، وأن الحركة المتحفية في المملكة العربية السعودية لها دورها الهام في حماية وحفظ التراث وتعريف المجتمع به ، وأن المتحف الوطني الذي أنشئ وفق أهداف علمية ، وثقافية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وعلى أحدث طراز من التصميم المتحفي أخذت فيه جميع الاعتبارات من خلال طرق العرض ، والوسائل التقنية الحديثة ، والمرافق مع الأخذ في الاعتبار المستوى العالمي للمتحف الوطني .

لذا نؤكد بأن المتحف سيكون له – إن شاء الله – دور فاعل في ترسيخ مفاهيم عن قيمة التراث المعنوية والمادية وسيساعد في حماية وحفظ آثار وتراث المملكة العربية السعودية .

المصـــادر

أ - الأبحاث العلمية :

١- ابن يونس ، الحبيب ، العرض المتحفي : بين مقتضيات الجمالية والمحافظة على المتحف" ملف أوراق العمل المقدمة لمؤتمر الآثار الرابع عشر بالشارقة الإمارات العربية ٢٦/٢١فبراير ١٩٩٨م ص .ص ١٥٧- ١٦٠ ,

٢- الكجك ، يسري ، " استخدام التقنيات الحديثة في عرض الآثار والتراث" ملف أوراق العمل المقدمة لمؤتمر الآثار الرابع عشر بالشارقة الإمارات العربية ٢٦/٢١فبراير ١٩٩٨م ص . ص ١٤٥- ١٥٦ ,

٣- الراشد ، سعد بن عبدالعزيز ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧ . آثارنا والوعي .. دور الدولة دور المواطن، مطابع الفرزدق (الطبعة الأولى) ، الرياض ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

٤- الراشد ، سعد بن عبد العزيز ، "الآثار في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام" بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام (المحور الثامن ، التربية والتعليم) الرياض ١١شوال ١٤١٩هـ/ ٢٤-٢٨ يناير ١٩٩٩م .

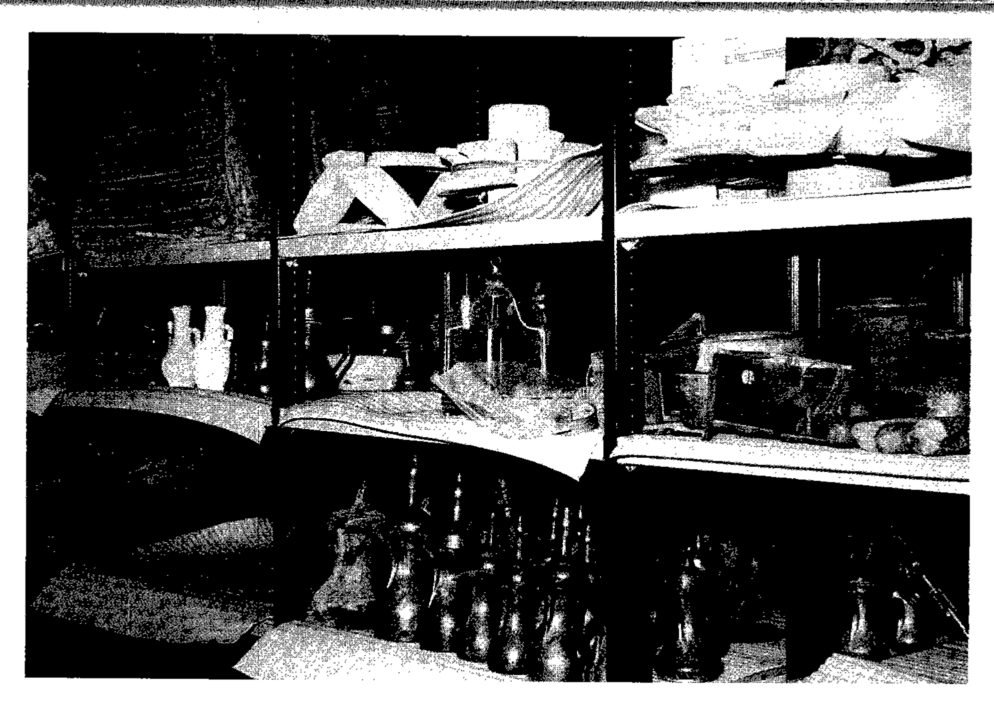
ب - خطط وتنظيمات :

١- الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض" مشروع المتحف الوطني .. سيناريو العرض" ربيع الثاني ١٤١٧هـ سبتمبر ١٩٩٦م .

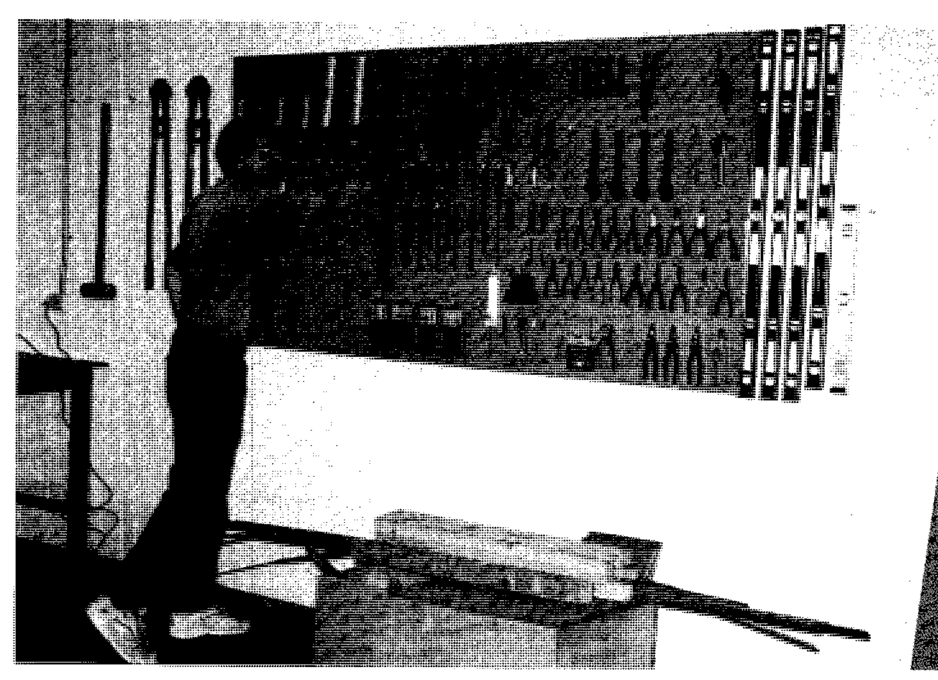
٢- وكالة الآثار والمتاحف (الأرشيف العام) الرياض . (أرشيف الإدارة العامة للمتاحف) الرياض .

٣- المتحف الوطني (الأرشيف العام) الرياض .

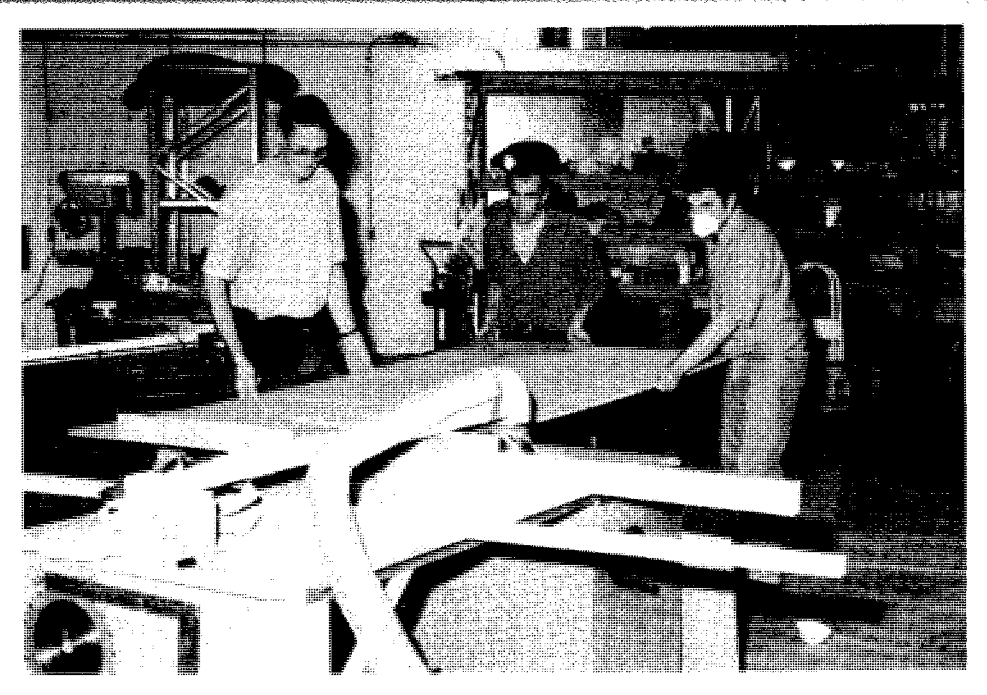
٤- المتحف الوطني (تفاصيل الخطة التشغيلية للمتحف الوطني) إعداد الإدارة العامة للمتحف الوطني ، ٢٠ ذي القعدة ١٤١٩هـ ٨ مارس ١٩٩٩م .



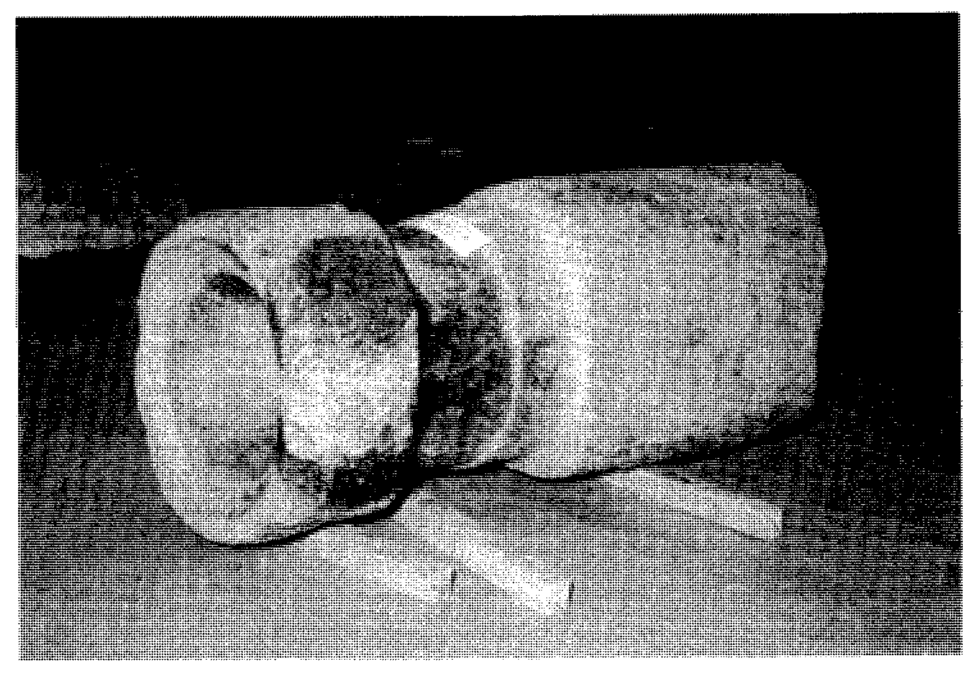
جانب من معروضات قاعة توحيد المملكة



ورشـة العمل في المتحـف الوطـنـي

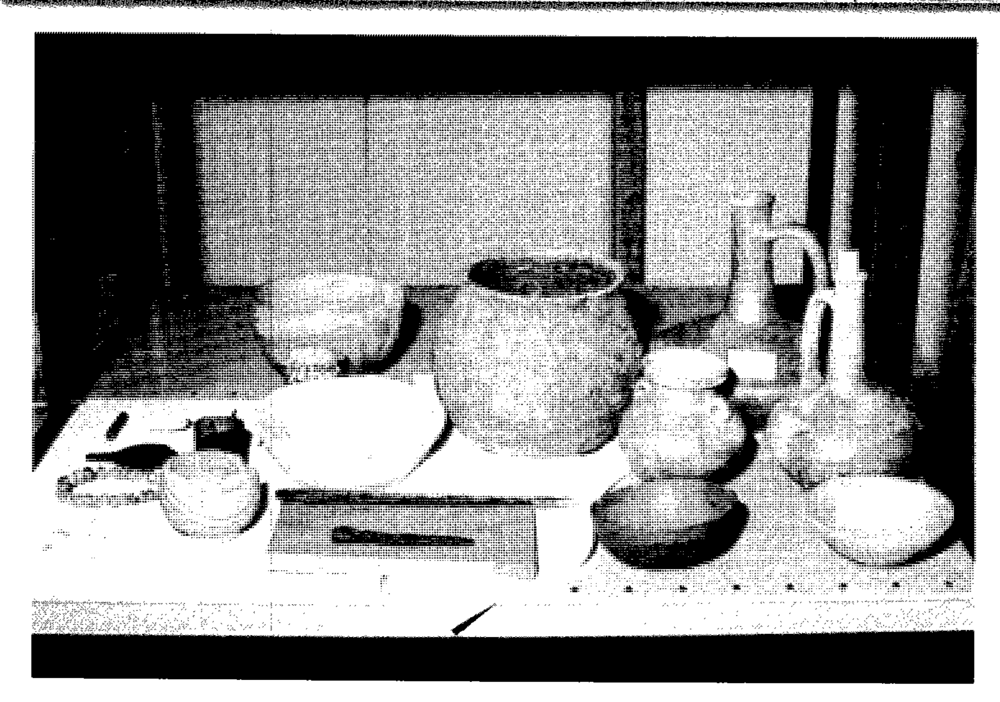


ورشة العرض المؤقت بالمتحف الوطني

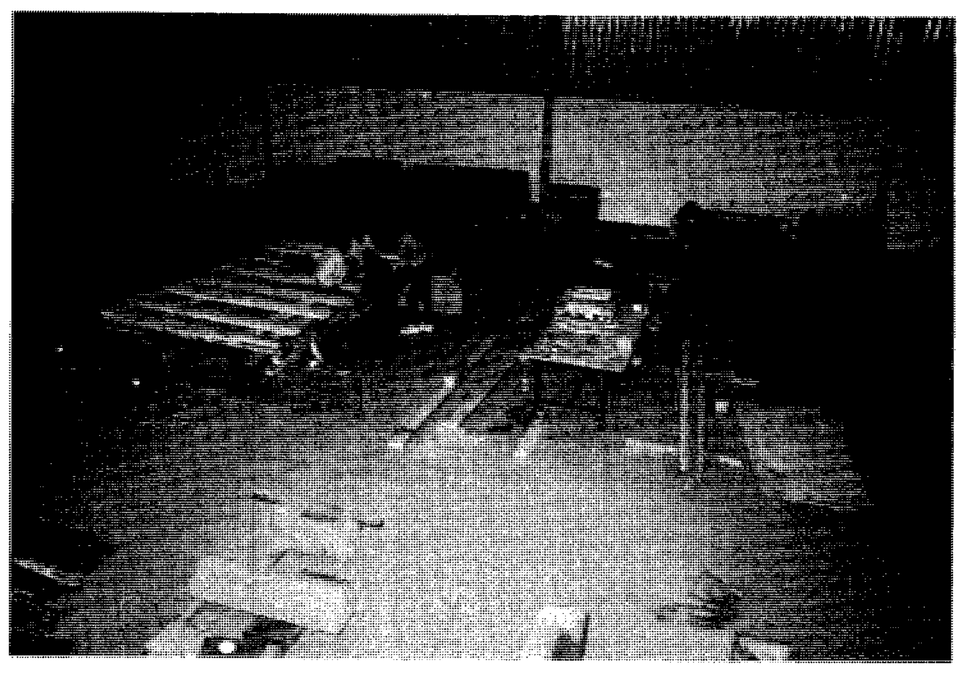


قطعة أثرية كبيرة مرممة

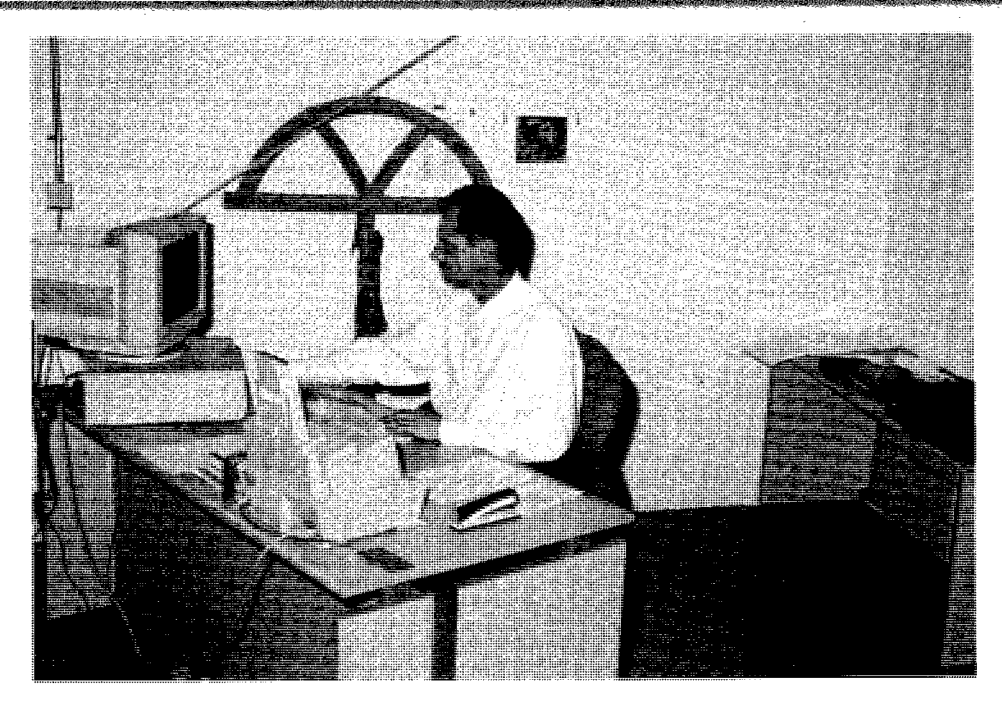




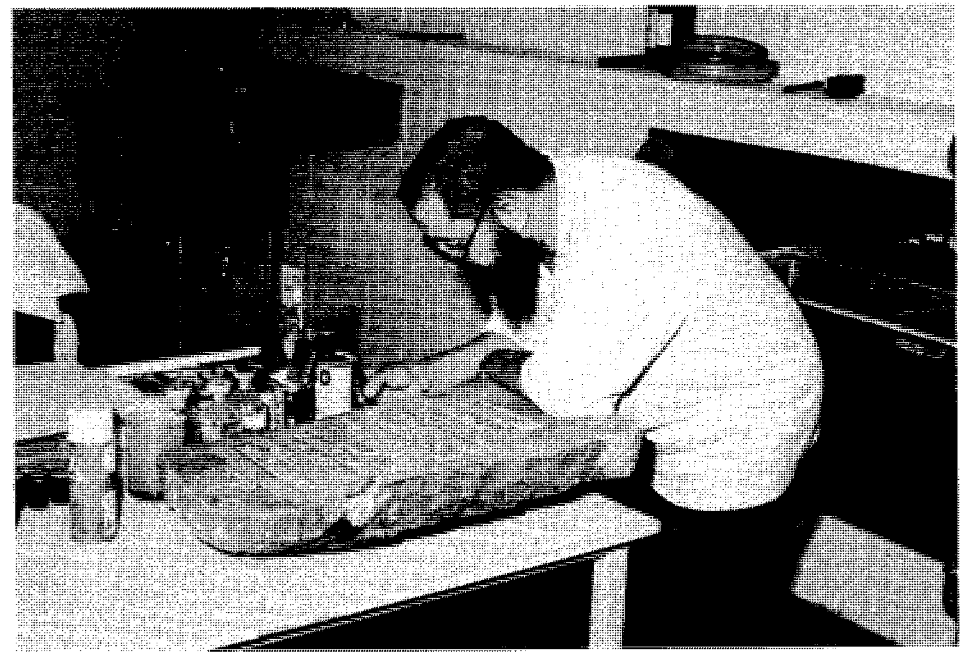
قاعة الممالك العربية (المتحف الوطني)



بوابة المويلح (المتحف الوطني)



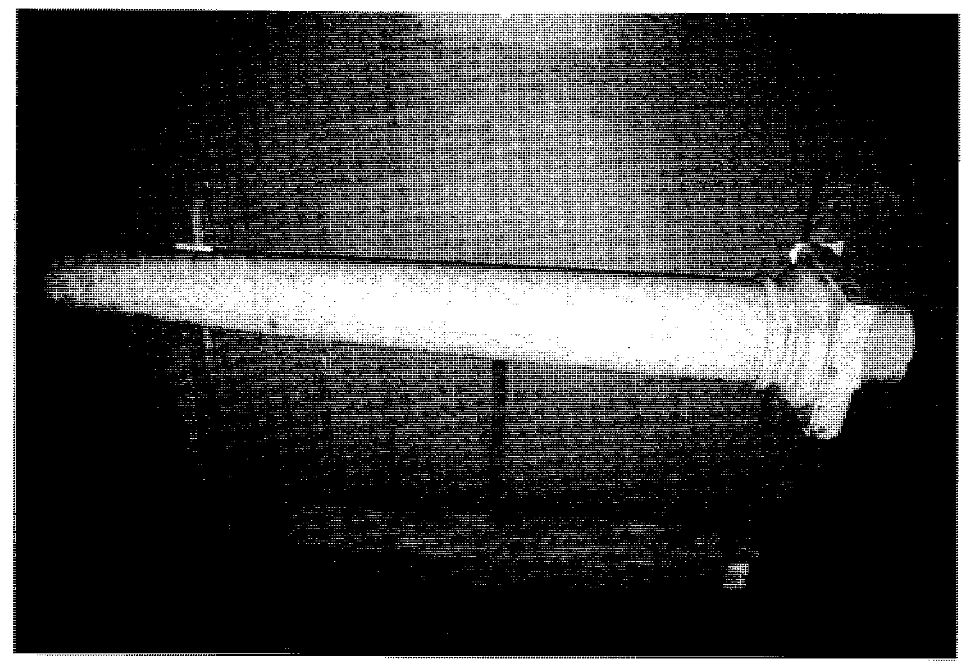
قسم الترميم (المتحف الوطني)



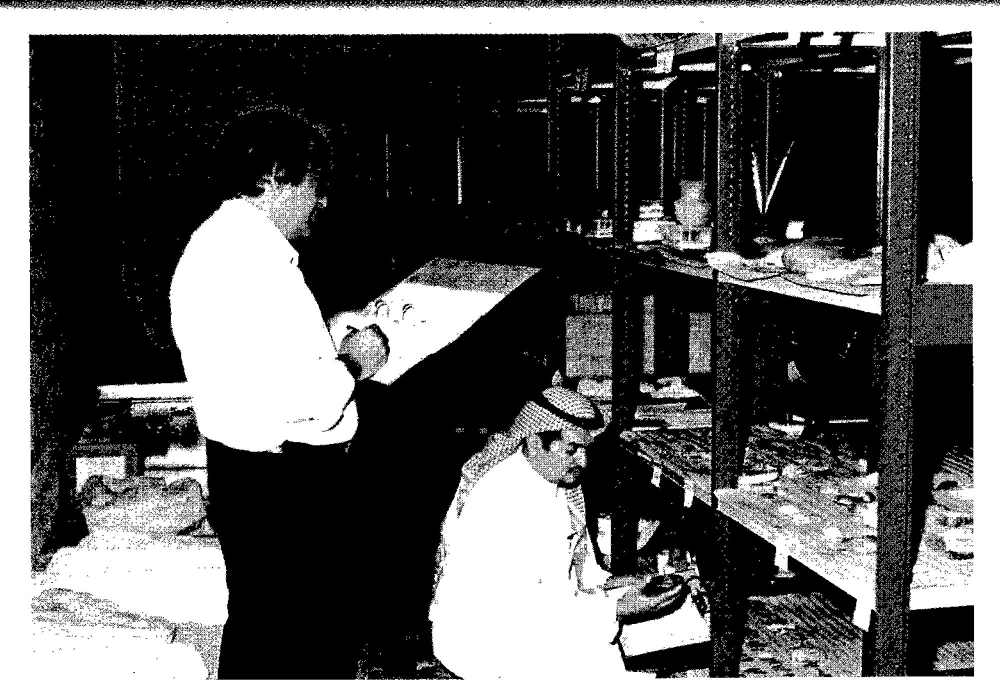
قسم الترميم (المتحف الوطني)



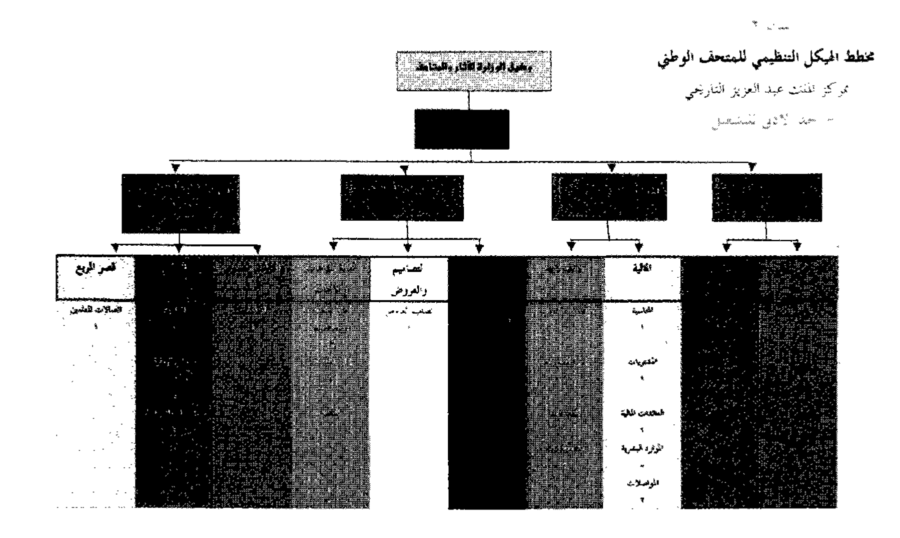
قسـم الترميـم (المتحف الوطني)

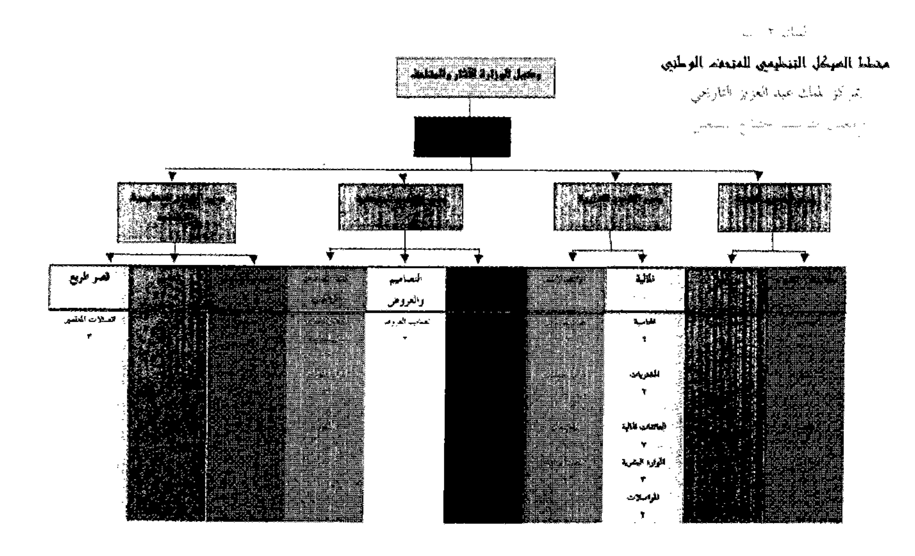


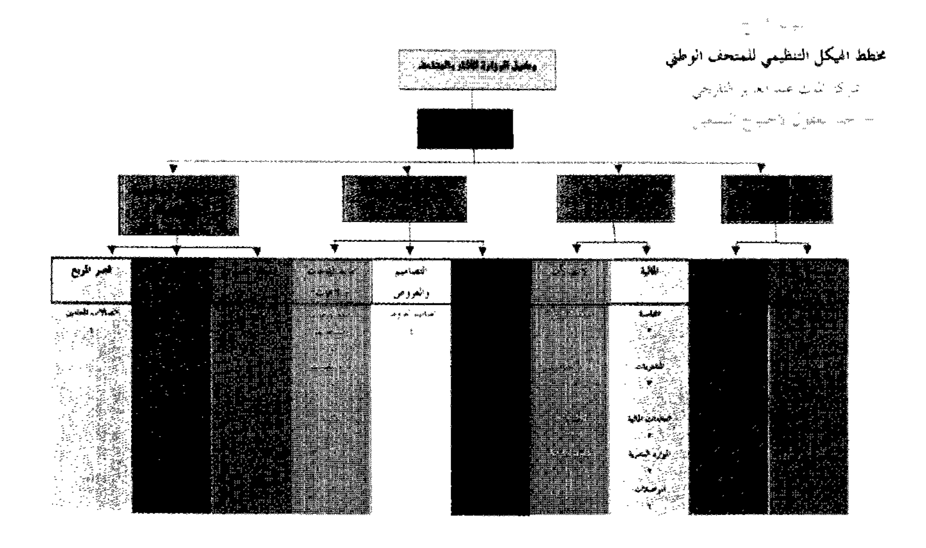
مجموعة من القطـع الأثـرية الكبيرة المرممـة



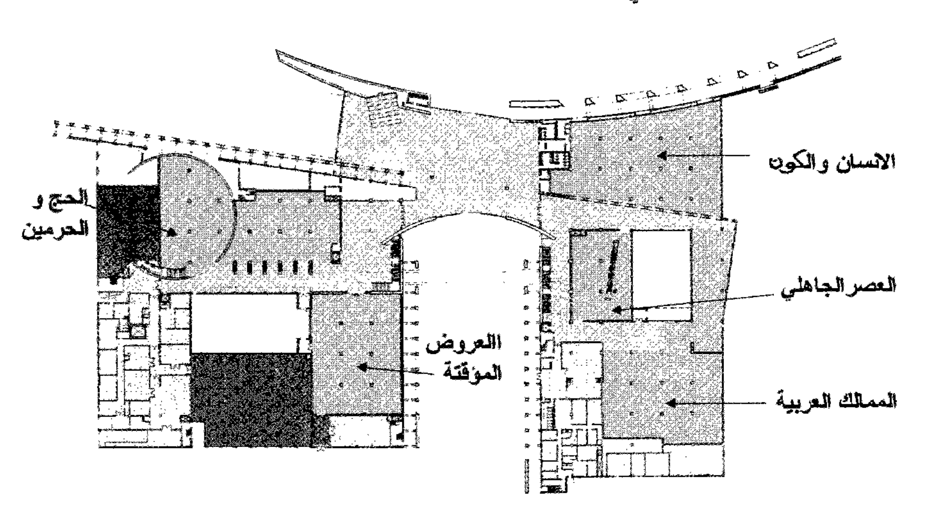
قاعـة الإنســان والكـون



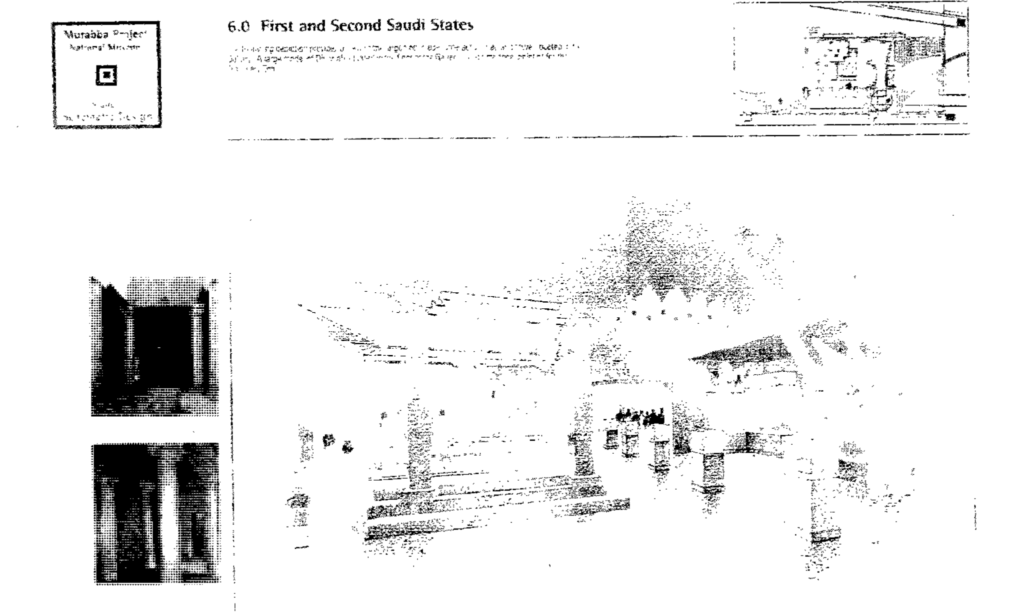

مخطط الهيكل التنظيمي للمتحف الوطني
وكيل الوزارة للآثار والمتاحف
قصر طويق
التصاميم والعروض
المالية


مخطط الهيكل التنظيمي للمتحف الوطني
وكيل الوزارة للآثار والمتاحف
قصر طويق
التصاميم والعروض
المالية

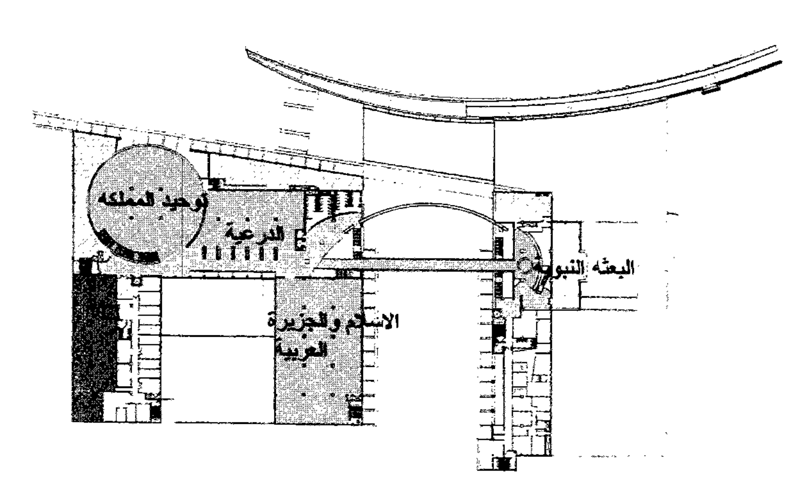
مخطط المتحف الوطني



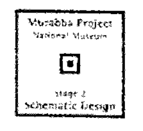
مسقط الطابق الأرضي

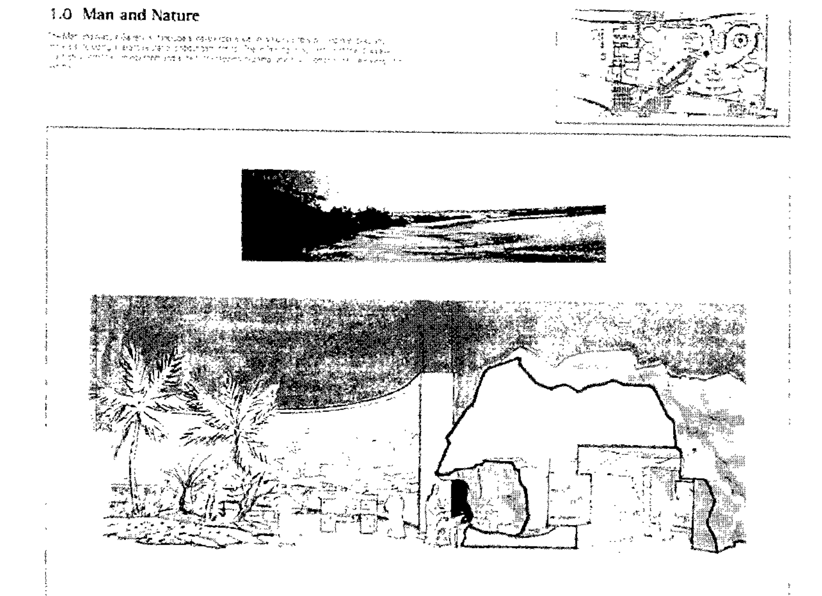


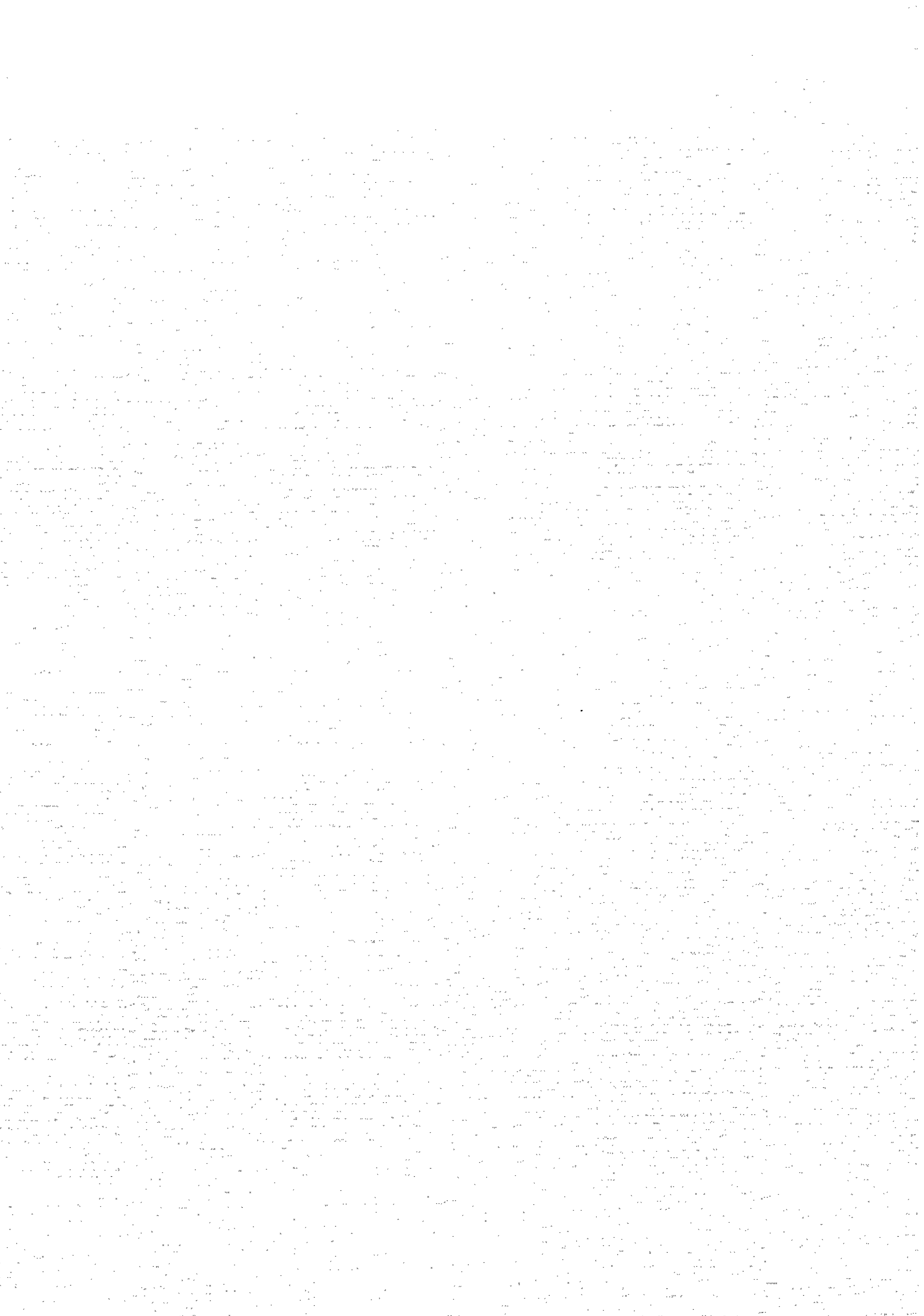
مخطط المتحف الوطني



مسقط الطابق الاول







حماية الآثار الغارقة في المملكة العربية السعودية

د . عبدالله بن سعود السعود (*)

مقدمة :

يعرف الأثر الغارق بأنه كل اثر إنساني موجود تحت الماء لمائة عام خلت على الأقل ويشتمل على :

١- مواقع - إنشاءات - أبنية - مصنوعات - وبقايا إنسانية بأطرها الأثرية والطبيعية .

٢- بقايا حطام السفن ، الطائرات والمركبات أو أية أجزاء منها ، شحناتها أو أية محتويات بها ، جميعها بأطرها الأثرية والطبيعية .

ويعتبر التراث الثقافي تحت الماء جزءاً مكملاً للإرث الثقافي الإنساني وعنصراً مهماً لدراسة تاريخ الشعوب والأمم وعلاقاتها مع بعضها البعض فيما يتعلق بموروثها المشترك .

وفي هذا البحث سوف نستعرض عدة نقاط هامة ترتبط بالأثر الغارق كمفهوم عام وما يعترضه من مخاطر قد تتسبب في زواله كلياً أو تعرضه لتلف جزئي سواء كانت تلك المخاطر بفعل إنساني أو طبيعي . ثم بعد ذلك نستعرض مواقع الآثار الغارقة في المملكة العربية السعودية وتحديداً الموانئ القديمة الواقعة على البحر الأحمر والخليج العربي . ثم نلقي الضوء على عدد من الخطوات المقترحة من وجهة نظريةٍ ، للحفاظ على الآثار الغارقة وحمايتها مع استعراض موجز للاتفاقيات الدولية المبرمة ، أو التي لازالت قيد الدراسة لإقرارها على المستوى الدولي . وفي ختام البحث نؤكد على أهمية الأثر الغارق كمصدر من مصادر التراث الإنساني ووجوب الحفاظ عليه والاستفادة من خبرات من سبقونا في هذا المجال لتنمية قدراتنا الوطنية .

المخاطر التي تهدد الآثار الغارقة :

إن التراث الثقافي تحت الماء مهدد من قبل مصدرين أساسيين هما : العامل الطبيعي

(*) مدير عام المتاحف .

كالزلازل والبراكين والتيارات المائية ، والعامل البشري وبالتحديد الأنشطة التي لا تحترم المبادئ الأساسية للآثار الغارقة ولا تعي الحاجة إلى المحافظة عليها .

وسنقصر حديثنا عن الأنشطة البشرية في تهديد وسلامة الأثر الغارق لأنها هي الأكثر تأثيراً . ومن تلك الأنشطة على سبيل المثال لا الحصر :

١- عمليات الانتشال السرية :

وتتم هذه العمليات من قبل أفراد أو جماعات تعمل على سرقة هذه الآثار دون الاكتراث بالتدمير الذي قد يحصل على البيئة المحيطة بها مما يتسبب في خسائر ذات أهمية تاريخية وعلمية يصعب علاجها .

٢- التهديدات المتنامية من مختلف الأنشطة الأخرى خاصة :

أ - استغلال الموارد الطبيعية للأقاليم البحرية .

ب - أعمال الإنشاء بما في ذلك إنشاءات الجزر الصناعية وأرصفة الموانئ .

ج - أعمال حفر وتنظيف الموانئ .

د - تمديدات الكابلات وخطوط الأنابيب .

الآثار الغارقة في المملكة العربية السعودية :

تمثل المملكة العربية السعودية موقعاً استراتيجياً بين قارات العالم ، وقد ساهمت وبشكل كبير في ازدهار الحضارات منذ القدم حيث كانت حلقة اتصال بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وقد عمل إنسان الجزيرة العربية بالتجارة وكان يمارسها داخلياً وخارجياً وأهتم بها اهتماما كبيراً ، نلاحظ آثار ذلك فيما أنشأه من محطات تجارية كثيرة سواءً داخل البلاد لخدمة التجارة البرية أو على سواحل البحار المحيطة لخدمة التجارة البحرية ، وهذه المحطات ما لبثت أن احتلت مكانة مرموقة تعكس أهميتها الآثار الباقية منها واتساع مساحتها حتى أصبحت مدناً متكاملة ، إضافة إلى ذلك فإن الخليج العربي والبحر الأحمر ومنذ بدايات الألف الأول قبل الميلاد قد أصبحا طريق الإبحار الرئيسي الذي يربط البلدان الأوروبية والأفريقية والآسيوية أو ما يعرف بالعالم القديم . ولموقعهما الإستراتيجي بين حضارات العالم القديم فقد

شهدا حركة بحرية نشطة من خلال السفن التي تعبرها جيئة وذهاباً وعلى مر السنين فلابد أن ذلك النشاط البحري قد خلف الكثير من السفن الغارقة والتي كانت تحمل على ظهرها الكثير من السلع التي نعتبرها اليوم جزءا مهما من التراث الإنساني .

ومن أهم وأبرز الموانئ التاريخية التي كانت قائمة على سواحل المملكة العربية السعودية الموانئ التالية : فعلى ساحل البحر الأحمر موانئ : عينونه (لوكي كومي) ، المويلح ، ضباء ، الحوراء ، الوجه ، الجار ، الشعيبة ، السرين ، عثر . أما على ساحل الخليج العربي فهناك موانئ : العقير ، ودارين .

ونعرض بإيجاز نبذة عن كل ميناء على النحو الآتي :

ميناء عينونة :

يقع على بعد ١٠٠ كم شمالي ضباء ويعود تاريخ هذا الميناء إلي عصور ما قبل الإسلام حيث عرف باسم (لوكي كومي) وكان ميناء الأنباط في شمالي الحجاز . وفي الموقع آثار مهمة تقع في واحة الخريبة على ساحل البحر (الأنصاري وآخرون ١٩٩٩م : م١/٤٤) .

المويلح :

تقع في شمال غرب المملكة العربية السعودية على بعد ٤٥ كم إلي الشمال من مدينة ضباء ، وهي من المحطات الرئيسية على طريق الحاج المصري . وكانت المويلح مرفأ على طريق الملاحة بين جدة والسويس . وقد أنشأ بها السلطان سليمان القانوني قلعة من أكبر القلاع على الطريق وذلك في عام ٩٦٧هـ (غبان ١٩٩٣م : ك ١ /١٠٢) .

ضباء :

تقع ضباء على بعد ١٥٠ كم شمال ميناء الوجه ، وقد وفرت مميزاتها الطبيعية للسفن فرصة الإقتراب الشديد من الشاطئ . وكان ميناء ضبا في القرون الأولى للهجرة مرسى آمنا للحجيج (الأنصاري وآخرون ١٩٩٩م : م ٤٣/١) ، وهي على الطريق الساحلي للحاج المصري والذي يمر بالعقبة وحقل ومدين وعيون القصب والمويلح والأزلم إلى ينبع (العطوي ١٩٩٣م : ٢٩) .

الحـوراء :

مدينة وميناء إسلامي تقع على ساحل البحر الأحمر بين ينبع جنوبا والوجه شمالاً . واسم مينائها القديم الحوراء الذي يقع على طريق الحج الساحلي ويبعد عن مدينة أملج الحالية مسافة عشرة كيلومترات ، وتمتد التلال الأثرية على مسافة كبيرة من الموقع (الجاسر ١٩٧٧م :٤٦٣) ، (غبان ١٩٩٣م : ك٢/٢٤) .

الوجـه :

تقع في شمال غرب المملكة وتبعد عن مدينة ضباء بحوالي ١٤٥ كم إلى الجنوب وكانت مرفأ للحجاج المصريين وطريقاً برياً لهم أثناء توجههم إلى المشاعر المقدسة (العطوي ١٩٩٣م : ٢٩) .

الجـار :

ويعتبر بوابة المدينة المنورة على البحر الأحمر و يبعد عنها حوالي ١٥٠ كم غرباً . وقد أشار إليه المقدسي (٩٨٥م) حين ذكر بأنه هو وميناء جدة ميناءان هامان على ساحل البحر الأحمر ، حيث يربطان أسواق الشرق الأقصى والهند بالأسواق المصرية . وتوجد بموقع الميناء تلال أثرية وأساسات مبان ، كما توجد بعض أجزاء من مرافق الميناء تمتد الى داخل البحر (أطلال ١٩٨١م : ع ٥/٤٦) .

الشعيبه :

ميناء قديم يقع إلى الجنوب من مدينة جدة على مسافة ثمانين كيلو متراً . وقد ذكرت بأنها ميناء مكة قديماً . وقد وقعت بهذا الميناء حادثة جنوح السفينة الرومانية المشهورة قبل الإسلام والتي قامت قريش باستخدام أخشابها في تجديد عمارة الكعبة المشرفة (الجاسر ١٩٨١ م : ١٧٤) .

السـريـن :

يقع على بعد ٥٠ كم جنوب الليث على ساحل تهامة بالقرب من قرية الوسقة . ويوجد بالموقع مجموعة تلال أثرية تمتد إلى مسافة ١٥٠٠ مترا بمحاذاة البحر عثر بها على كميات من

الخزف والفخار ومخلفات المباني التي تعود إلى الفترة الإسلامية المبكرة ، كما توجد بالموقع مقبرة إسلامية عثر بها على الكثير من شواهد القبور (مراد وآخرون ١٩٨٣م : ١٦) .

عـثـر :

يقع ميناء عثر على بعد ٤٠ كم من مدينة جازان على لسان من اليابسة يمتد داخل البحر الأحمر يسمى راس طرفة . أظهرت أعمال التنقيب التي أجريت في الموقع الأثري من الميناء عامي ١٤٠٠ و ١٤٠٤هـ أنه يعود إلى فترة حضارة جنوب الجزيرة العربية والعصر الإسلامي المبكر وصولاً إلى القرن السابع للهجرة حيث ظل الميناء مزدهراً طوال تلك الفترة . وقد اشتهرت مدينة عثر بضرب العملة ، وكان للدينار العثري شهرة واسعة (أطلال ١٩٨٥م : ع٩ ، ٦٩- ١١١) . وقد كانت لهذا الميناء اتصالات تجارية مع موانئ اليمن والحجاز طوال الستة قرون الهجرية الأولى ثم بدأ بالاضمحلال (الأنصاري وآخرون ١٩٩٩م : م ١ / ٤٤-٤٥) .

دارين :

يقع ميناء دارين في جزيرة تاروت على شكل بروز داخل البحر تحيط به المياه من ثلاث جهات هي الجنوب والغرب والشرق . وهو ميناء قديم ومشهور واستمر نشطاً إلى ما قبل نصف قرن تقريبا ، حيث كانت ترد إليه الكثير من السفن من أنحاء العالم كالهند والصين وغيرها من البلاد . (الحماد ١٩٩٨م : ٢٢) .

العقير :

كان ميناء الأحساء الرئيسي على الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية ، يبعد عن مدينة الهفوف بحوالي ١٠٠ كم . ويعتبر هذا الميناء التاريخي أحد أهم الأسواق القديمة في فترة ما قبل الإسلام حيث ارتبط بسوق المشقر وسوق هجر . كما أنه شهد انطلاقة جحافل الجيوش الإسلامية التي فتحت بلاد فارس والهند ووصلت الى مشارف الصين وكان هذا الميناء أبرز منافذ الجزيرة على بلاد الشرق في الفترة الإسلامية المبكرة (الأنصاري وآخرون ١٩٩٩م : م ١ ، ٤٦) .

وهذه الموانئ وما بها من مواقع أثرية تم تسجيلها من قبل وكالة الآثار والمتاحف ضمن برنامج المسح الأثري المبدئي للمملكة العربية السعودية خلال الفترة من منتصف السبعينات

إلى منتصف الثمانينات الميلادية ، ولكن وطوال هذه الفترة لم يتم التطرق إلى موضوع الآثار الغارقة نظراً لأن الاستكشاف والمسح الجوي للبحار وأعمال البحث والتنقيب عن تلك الآثار الغارقة يحتم تطبيق مناهج علمية خاصة واستخدام تقنيات ومعدات مناسبة وكذلك درجة عالية من التخصص المهني ، إضافة إلى ذلك فقد كانت وكالة الآثار منصرفة إلى تسجيل ورصد المواقع الأثرية الموجودة على اليابسة كأولوية ضرورية .

وفي الوقت الحاضر حدثت تغيرات على المستوى العالمي ، بجانب ما يتم بين الفينة والأخرى من قيام بعض هواة الغطس من المواطنين أو الأجانب العاملين لدى بعض المؤسسات والشركات الكبرى والتي تعمل ببعض المدن الساحلية كالجبيل وينبع بالتعدي والغوص والبحث خلسة تحت الماء ، وربما قام بعضهم بأخذ ما يجدونه من مقتنيات دون الرجوع إلى الجهات المختصة ، إضافة إلى ما يتم عالمياً من قبل الباحثين عن الكنوز البحرية والمستفيدين من التقنيات العلمية الحديثة حيث يقوم بعضهم بالإبحار في مواقع معينة من المياه الدولية ، ومن ثم وبمساعدة بعض المعدات والغواصات الخفيفة يقوم بالتسلل إلى المياه الإقليمية لبعض الدول وسرقة ما تصل إليه أيديهم ، دون أن تكون هناك سلطة لمحاسبتهم لاستغلالهم المياه الدولية وغيرها من المخالفات الكثيرة ، لذا كان حتما أن يشرع في الاهتمام بهذا المجال الهام جداً وأن تسخر الجهود حثيثة لحماية تراثنا الثقافي .

الخطوات المقترحة لحماية التراث الثقافي تحت الماء

١- التعاون والتنسيق فيما بين الجهات ذات العلاقة :

من المعروف أن الاختلاف بين التراث الثقافي الموجود على اليابسة والتراث الغارق تحت الماء يأتي من حيث طبيعة المكان والجهة المسؤولة عن حمايته ، فللبحار وضعها الخاص جداً من حيث تعدد الجهات العاملة في نطاق المياه الإقليمية وتعدد مهامها ، فهناك حرس الحدود ، وهناك القوات البحرية ، وهناك المؤسسة العامة للموانئ ، وهناك الجهات التي تقوم بأعمال الحفر والتنقيب عن النفط أو الخامات الأخرى كأرامكو السعودية ومؤسسات التعدين ، ومن جانب آخر هناك وزارة المعارف ممثلة بوكالة الآثار والمتاحف والتي يعتبر الحفاظ على التراث المغمور جزءاً من مسؤولياتها . لذا نرى أنه من الواجب أن يكون هناك تنسيق على مستوى عال بين هذه الجهات مجتمعة وأي جهة نكون قد أغفلنا ذكرها هنا للحفاظ والإبلاغ عن أي أثرٍ غارق يتم العثور عليه وتحديد مكانه وتوثيقه ومنع العابثين من الوصول إليه لحين اكتشافه وانتشاله انتشالاً علمياً صحيحاً بإشراف مختصين في هذا المجال .

٢-التعريف بالآثار الغارقة إعلامياً :

و يكون هذا عن طريق وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون ، وبشكل حملة مكثفة تعكس اهتمام الدولة بهذا الجزء الهام من تراثنا القومي .

٣-إدراج الآثار الغارقة كمادة أساسية في التعليم :

ونقصد به التعليم الجامعي في مجال علم الآثار فمن المعروف أنه ومنذ إنشاء قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب بجامعة الملك سعود كقسم وحيد في جامعات المملكة في أواخر السبعينات الميلادية وحتى الآن لا يزال التركيز على الآثار الموجودة على اليابسة قائماً ولم ينظر إلى الآثار الغارقة على أنها علم يجب أن يدرّس وهو شئ غير مستغرب قياساً بالتجربة القصيرة للقسم ومقارنة بما هو حاصل في كثير من الدول التي سبقت المملكة في هذا المضمار ، إلا أننا نرى بأن الوقت قد حان للنظر إلى هذا الموضوع بجدية وإدخال برامج تعليمية جديدة تتضمن دراسات نظرية وعملية للتعامل مع تراثنا الغارق تحت الماء (*) .

(*) الآثار الغارقة تدخل ضمناً في المواد التي يدرسها القسم ولم يفرد لها مادة مستقلة علماً أن الكشف عن الآثار المغمورة تحت الماء في المملكة العربية السعودية لم يتم حتى الآن (هيئة التحرير) .

٤-نشر الوعي لتأكيد حقيقة أن التراث الثقافي تحت الماء جزء من تراث الأمة والحفاظ عليه مسؤولية مشتركة بين المواطن والمسؤول :

أو بصياغة أخرى توعية المواطن والمسؤول على حد سواء بأهمية تراثنا المغمور بالماء وأنه لا يقل أهمية عن ما هو موجود على اليابسة وأنه مرتبط بتاريخنا وحضارتنا عبر العصور بل إنه يتعدى ذلك إلى كونه تجسيد للعلاقات الحضارية التي تعاقبت على المنطقة في الزمن القديم وقد يكشف حقائق كانت غائبة عن أعين الآثاريين والمؤرخين في تاريخ هذه المنطقة .

٥-التعاون بين المؤسسات العلمية واستقدام الخبراء لتدريب المختصين السعوديين :

أعتقد بأن هذا الجانب جدير بالاهتمام فنحن يجب أن لا نخجل من القصور في النواحي العلمية والفنية للتعامل مع الأثر الغارق ولا يضيرنا بأن نفتح الباب للتعاون الدولي في هذا المجال واستقدام الخبراء لمساعدتنا والرفع من قدراتنا وتدريب جيل من الباحثين السعوديين .

٦- الحاجة إلى تفعيل القوانين والنظم وتطوير الأسس المتصلة بحماية التراث المغمور بالمياه :

نقصد بذلك القوانين والنظم المحلية مثل نظام الآثار والذي تتم دراسته حاليا من قبل القنوات الرسمية في الدولة ، أو النظم الدولية التي تشكل على هيئة اتفاقيات عالمية لحماية التراث الثقافي المغمور بالمياه ولعل من المفيد هنا أن نلقي الضوء على مشروع الاتفاقية الدولية لحماية التراث العالمي التي تتبناها حالياً منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافية والعلوم (اليونسكو) .

مشروع الاتفاقية الدولية لحماية التراث الثقافي المغمور بالمياه :

بدأ التفكير في إعداد ميثاق أو اتفاقية لحماية الموروث الثقافي تحت الماء منذ العام ١٩٩٣م حيث طلبت الهيئة التنفيذية لمنظمة اليونسكو من المدير العام القيام بدراسة جدوى آلية عالمية جديدة لحماية الموروث الثقافي تحت الماء ، وفي العام ١٩٩٤م قامت هيئة القانون الدولي بتقديم مسودة لهذا الميثاق ، وبعد أن تمت دراسة المقترحات الأولية لهذه المسودة في الفترة من عام ١٩٩٥م إلى ١٩٩٧م تم دعوة الدول إلى اجتماع عام لدراسة المسودة وتقديم المقترحات عليها حيث شاركت المملكة في الاجتماعين الأخيرين خلال عامي ١٩٩٨ و ١٩٩٩م وقد وردت

الاتفاقية في خمسة وعشرين بنداً لا يتسع المجال لذكرها جميعاً ولكن نذكر بعضاً من تلك البنود مثل :

١- تحديد مفهوم التراث الثقافي المغمور بالمياه .

٢- استثناء السفن الحربية من القوانين المدرجة في الاتفاقية .

٣- مفهوم حفظ وصيانة التراث الثقافي المغمور لصالح الإنسانية .

٤- التراث المغمور في المياه الداخلية ، مياه الأرخبيل (المياه المحيطة بالجزر) والمياه الإقليمية .

٥- التراث المغمور في مياه المنطقة التجارية المحددة وفي الجرف القاري .

٦- عدم استغلال المناطق الخاضعة لسيادة الدولة من جهات خارجية .

٧- تحريم الأنشطة غير المشروعة للمواطنين أو السفن التابعة لدولة أخرى .

٨- التراث المغمور في المنطقة المشتركة .

٩- التدريب والتعليم .

١٠- الدعم المقدم من اليونسكو .

١١- الخدمات الوطنية (الدعم المقدم من الدولة صاحبة السيادة) .

١٢- حل الخلافات المتعلقة بالتراث المغمور بين الدول المتنازعة سلمياً .

وجميع هذه النظم في مجملها تعكس جدية المجتمع الدولي في التعامل مع التراث الثقافي المغمور بالمياه ، ومحاولة تضييق الخناق على ظاهرة العبث والقرصنة التي استفحلت من قبل صائدي الكنوز وتجار الآثار الذين باتوا يشكلون خطراً كبيراً على هذا التراث العالمي ، وهذه الاتفاقية ما هي إلا محاولة لتطويق مثل هذا الأعمال وإيجاد آلية للتعاون بين الدول التي ستوقع على هذه الاتفاقية في المياه الواقعة خارج نطاق سيادة الدولة ، أما تلك الواقعة ضمن نطاق السيادة كالمياه الداخلية والمياه الإقليمية ، ومياه الأرخبيل فهي بالكامل تحت حماية ومسؤولية الدولة الواقعة ضمن نطاقها ، ومن المتوقع أن تقر هذه الاتفاقية مع بداية عام ٢٠٠٠م (اليونسكو ١٩٩٤م) .

الخاتمة

قد يعتقد الكثير من الباحثين والمختصين في علوم الآثار بمختلف اتجاهاتها أن الوقت لا يزال مبكراً للحديث عن البحث عن آثارنا الغارقة وأنه من الأفضل التركيز على آثار اليابسة ولكن السؤال هو هل نقف نحن بينما العالم من حولنا يتحرك بالإجماع لحماية تراثه الغارق ؟ إن القوانين والنظم الدولية تُسَنُّ لهذا الغرض والقرصنة من قبل صائدي الكنوز وتجار الآثار على أشدها ، لذا علينا أن نضع آثارنا الغارقة نصب أعيننا وأن نبدأ البحث الجاد لاستجلاء تراثنا وأن نستعين بكل الخبرات الممكنة والمتوفرة لتنمية قدراتنا الوطنية للوصول لهذا الهدف ، خصوصاً مع ما تبديه حكومتنا الرشيدة أيدها الله من اهتمام متنام بالآثار والتراث ، والتوجيهات السامية الكريمة توجه بوجوب حفظ تراث الأمة من أيدي العابثين والطامعين .

المراجـع

١- الأنصاري ، عبد الرحمن وآخرون :

المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام – دراسة توثيقية – المجلد الأول (مطابع التريكي) الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

٢- الحماد ، علي :

« أواني الحجر الصابوني من جزيرة تاروت » رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك سعود الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

٣- الجاسر ، حمد :

أ – في شمال غرب المملكة – نصوص ومشاهدات ، الطبعة الثانية (المطبعة الأهلية) الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ب – المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية – شمال المملكة – القسم الأول ، الطبعة الأولى (المطبعة العربية الحديثة) القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

ج – المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية – شمال المملكة – القسم الثاني ، (مطبعة نهضة مصر) القاهرة .

٤- كيليك ، أليستر وآخرون :

« برنامج المسح الأثري الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٠ ـ التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الغربية » أطلال العدد الخامس . الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م . ص ص : ٣٧ – ٥٢ .

٥- غبان ، علي بن إبراهيم :

أ- الكتاب الأول : شمال غرب المملكة العربية السعودية ـ بحوث في التاريخ والآثار . الطبعة الأولى (مطبعة سفير) الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

ب – الكتاب الثاني : شمال غرب المملكة العربية السعودية – الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة – مدخل عام. الطبعة الأولى، (مطبعة سفير) الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

٦- العطوي ، مسعد بن عيد :

تبوك قديماً وحديثا ، الطبعة الأولى (مكتبة التوبة) الرياض ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

٧- مراد ، عبد الجواد وآخرون :

« تقرير معاينة موقع ميناء السرين القديم جنوب الليث » تقرير غير منشور ، (الإدارة العامة للآثار والمتاحف) الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٨- اليونسكو :

مشروع الاتفاقية الدولية لحماية التراث الثقافي المغمور بالمياه ، باريس ١٩٩٤م .

٩- يورس ، زارنس و الزهراني ، عوض :

« الإستكشافات الأثرية في سهل تهامة الجنوبي- موقعي عثر وسهي » أطلال/ العدد التاسع ، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ص : ٦٩ - ١١١ ,

درب البكرة طريق التجارة العربية القديمة بين الحجر والبتراء

د . علي بن إبراهيم غبان (*)

في صيف عام ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م رافقت زوجتي الباحثة حياة بنت عبد الله الكلابي في رحلتها العلمية للمنطقة الشمالية الغربية من المملكة ، وكان الهدف من الرحلة جمع مادة أطروحتها للدكتوراه التي تدرس فيها النقوش الكوفية الباقية على مسار طريق الحج الشامي بين تبوك والمدينة المنورة ، وخلال هذه الرحلة تمكنت من العثورعلى طريق تاريخي قديم ، يبدو إنه طريق التجارة العربية الرئيسي الذي كان يربط بين الحجر (مدائن صالح) والبتراء مروراً بتبوك ، وهذا الطريق لم تطأه قدم باحث من قبل ، ذلك أن الرحالة الأوربيين وعلماء النقوش والباحثين الذين زاروا المنطقة الشمالية الغربية من المملكة ، وأجروا دراسات أثرية فيها ، منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وطوال القرن العشرين ، كانوا جميعا يعتقدون بأن مسار طريق التجارة العربية القديم ، الذي يربط بين الحجر والبتراء ، وباقي المواقع الحضارية في بلاد الشام ، هو مسار طريق الحج الشامي المعروف الذي مدت عليه في بداية القرن العشرين سكة حديد الحجاز (١) . وقد سرت أنا شخصياً على هذا الرأي عشرين عاماً ، إلا أنني وخلال رحلتي الأخيرة للطريق ، وهي السادسة منذ أن بدأت دراساتي الميدانية لطريق الحج الشامي ، فطنت إلى ظاهرة لم ألتفت إليها من قبل ، وهي وجود النقوش النبطية بكثافة على جزء الطريق القريب من الحجر ، ثم انعدامها تقريباعلى بقية أجزاء طريق الحج الشامي الواقعة بين الحجر وتبوك (٢) ، وقد تولدت لدي نتيجة لذلك فرضية باحتمال وجود طريق آخر غير طريق الحج

(*) عضو هيئة التدريس - جامعة الملك سعود - قسم الآثار والمتاحف .

(١) ومن هؤلاء الرحالة والباحثين على سبيل المثال لا الحصر : تشارلز داوتي : وقد سارعلى طريق الحج الشامي سنة ١٨٧٦م ، واهتم بجمع النقوش ، وتشارلز هوبر : الذي زار المنطقة مرتين : الأولى سنة ١٨٧٩م والثانية سنة ١٨٨٣م وقد جمع نقوشاً كثيرة ، بعضها من مسارات الطرق التى سلكها بين تيماء والعلا وتبوك ، ويوليوس أويتنج الذي زار المنطقة سنة ١٨٨٣م برفقة هوبر في رحلته الثانية ، وتحدث عن طرق المنطقة ودرس كثيراً من نقوشها، والأبوان الفرنسيان جوسان وسافنياك : اللذان زارا المنطقة مرتين في بداية القرن العشرين، ونشرا كتابهما الشهير (Mission archeologique en Arabie) الذي يعد أحد أهم المراجع عن آثار المنطقة ونقوشها القديمة .

(٢) تناولت بالدراسة الآثار الإسلامية الباقية على طريق الحج الشامي في أطروحتي للدكتوراه، التي نوقشت بجامعة =

الشامي كانت تسير عليه قوافل التجارة العربية قبل الإسلام ، وأخذت أبحث عن المكان الذي يمكن أن يبدأ منه هذا الطريق بعد الحجر ، واستفدت في ذلك من معرفتي السابقة بجغرافية المنطقة ، وطبوغرافيتها التي تكونت من زياراتي المتكررة لها فبدأت بتحديد نقطة محتملة لبداية الطريق الجديد ، وقمت بفحص ذلك على الطبيعة ، فجاءت النتيجة غير متوقعة ، حيث أهلّت عليّ نقوش النبطية واللحيانية وغيرها من أنواع النقوش بغزارة وتتابع ، ثم عمدت إلى جمع معلومات من بادية المنطقة ساعدت في الاهتداء إلى كامل مسار الطريق ، ويعتبر العثورعلى هذا الطريق إكتشاف أثري وغير مسبوق (١) .

وتنبع أهمية هذا الاكتشاف مما يلي :

– وجود كمية كبيرة من النقوش العربية القديمة يزيد عددها على ثلاثمائة نقش لم يطلع عليها باحث من قبل نفذت بالقلم النبطي واللحياني والمسند وغير ذلك ، وأكثرها نقوش نبطية ، أحسب أنها سوف تغير كثيراً من معرفتنا عن تاريخ المنطقة في العصور السابقة للإسلام ، وبالكتابات النبطية على وجه الخصوص (اللوحات : ١ ، ٢)

– وجود معبد نبطي في منتصف الطريق يبدو أنه كان محجاً لأصحاب القوافل ، إذ تحيط بهذا المعبد جبال وتكوينات صخرية رشقت صخورها بالنقوش النبطية ، وبأعداد غير عادية ، بحيث يمكن اعتبارها أكبر تجمع للنقوش النبطية يكتشف في مكان واحد . والمعبد متهدم وقد جرفت السيول معظم جدرانه إلا أن أحجار البناء التى تحمل نقوش نبطية تتناثر حوله بشكل ملفت للنظر .

– وجود عدد كبير من المحارس وأبراج المراقبة في محطات الطريق وعلى طول مساره ، وأكثرها مبني بالحجر (لوحة ٣) .

– وجود بوابة في منتصف الطريق محددة بأكتاف مبنية بالحجر عليها نقوش نبطية ، وقد

= بروفانس بفرنسا في أبريل ١٩٨٨م وهي بعنوان : " Introduction a l etud archeologique des deux Routes syrienne et Egypteienne du pelerinage au Nord - Ouest de Arabie Saudite ".

كذلك تناولنا بالدراسة عن الطريق نفسه باللغة العربية ولمزيد من التفاصيل أنظر : علي غبان الآثار الاسلامية في شمال غرب المملكة – مدخل عام ، مطبعة سفير ، الرياض ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م .

(١) كنا نتمنى من الباحث توضيح الكيفيّة التي اهتدى بها إلى هذا الكشف المهم والأشخاص الذين أعانوه على هذا الاكتشاف (هيئة التحرير) .

تكون هذه البوابة نقطة جمارك على الطريق (لوحة ٤) .

- وجود قبور نبطية في منازل الطريق بعضها عليه شواهد قبور مكتوبة بالخط النبطي .
- وجود عقبة على الطريق فيها آثار تمهيد ، وتكثر في منطقتها النقوش النبطية (لوحة ٥).

مسار درب البكرة : (أنظر الخريطة المرفقة لوحة ٧) .

يفترق مسار درب البكرة عن مسار طريق الحج الشامي ابتداء من محطة خشم صنعا (١٠٠ كم شمال الحجر) ، ويتجه باتجاه الغرب ، ويسير في مسار سهل وواضح مرورا بحرة عويرض حتى يصل إلى وادي رويشدة ، الذي يسير فيه الطريق باتجاه الشمال الغربي حتى يصل إلى شعيب الأتقة وهو على بعد ٤٠ كم تقريباً من خشم صنعا ، وهنا يدخل الطريق في حرة الرهاة ، ويتفرع منه فرع يتجه جنوباً بغرب باتجاه أبوراكة أما الطريق الرئيسي فيستمر شمالاً حتي يصل بعد ثلاثة كيلومترات من شعيب الأتقة إلى منطقة أم جدايد ، حيث يوجد أكبر تجمع للنقوش النبطية ، وحيث يوجد المعبد النبطى ، في بطن واد يسمي وادي الرويشد .

وفي وادي الرويشد ، وعلى بعد ٣ كم من المعبد يوجد بيت أبوزيد وهو بناء كبير تظهر أساساته على وجه الأرض ، ويزيد طول بعض أضلاعه على ثلاثين متراً ، وهذا البناء قد يكون خاناً للقوافل ، أو خلاف ذلك . وعلى بعد كيلو مترين منه يوجد مفشق الناقة ، وهو عبارة عن بوابة منصوبة على مسار الطريق ، محددة بكتفين مبنيين من الحجارة لابد أن يمر عبرها السائر على الطريق . وقد تكون هذه البوابة نقطة تحصيل جمارك أو نقطة حدود قبلية أو خلاف ذلك (لوحة ٤) ، وعلى أحجار هذه البوابة نفذت نقوش بعضها بالخط الثمودي وبعضها الآخر بالخط النبطي كما توجد بها كتابة كوفية .

وتقع هذه البوابة في أعلى ممر جبلي يختصر الطريق ، حيث أن وادي الرويشد يلتف بانحناءة كبيرة غرباً ، ويبتعد عن المسار ثم يعود مرة أخرى ليلتقي بالطريق على بعد ٣ كم من مفشق الناقة ، وفي مكان التقائه بالطريق يوجد مرصد مبنى بالحجارة على شكل برج دائري مكون من ثلاثة جدران مستديرة ومتتالية ، قطرها ٧ أمتار وارتفاع ما تبقى من مداميكها ثلاثة أمتار ، و تحيط بهذا البرج من جهة الغرب دكة أخرى مستديرة ترتفع ارتفاعاً بسيطاً عن

سطح الأرض ، ويبلغ قطرها ١٧ م ، (لوحة ٣) . وبعد هـذا البرج ينزل الطريق عبر نقيب (ممر ضيق) إلى وادي يسمى الراشدة ، وفي هذا الوادي يمر على غدير أو أبو حلفا ، وهو ممسك طبيعي للمياه ، ينمو فيه نبات الحلفا ، وتجاوره واجهات صخرية عليها نقوش وكتابات نبطية ورسوم صخرية . وبعد غدير أبو الحلفا يسير ثمانية كيلومترات في بطن وادي الراشدة ثم يصل إلى وادي الأخضر ، حيث يعبره في مكان يسمى مفشق شقرا وفي هذا المكان تتوافر أيضا النقوش النبطية على الصخور الجرانيتية التى تبرز في بطن الوادي . وعلى جنباته ، وبعد هذا المكان يستمر مسار الطريق في وادي الأخضر قرابة كيلو مترين ، ثم يصعد بعدها من الوادي ويسير على أرض صخرية مستوية ، ويقطع عدداً من الأودية والشعاب أهمها عميرين ، والحزيم ، وميسورة ، والزرداب ، والردين ، وبهذا الأخير توجد مجموعة قبور على أحدها شاهد قبر نبطي مؤرخ . وبعد شعيب الزرداب بكيلو مترين يصل الطريق إلى رأس نقيب البكرة ، بعد أن يكون قد قطع مسافة ٢٦ كيلو متراً من وادي الأخضر ، ونقيب البكرة عبارة عن منزل شديد الانحدار وممر جبلي متعرج يمتد قرابة نصف كيلو متر تقريباً ، (اللوحة ٥) ، وفي بداية هذا النقيب وفي نهايته توجد مجموعات كثيرة من النقوش النبطية واللحيانية ، وأخرى كوفية يبدو أنها كتبت بيد السكان المحليين ، وبعضها مؤرخ بالقرن الثاني الهجري [١] وبعد هذا النقيب يسير الطريق في سهل واسع محفوف بتكوينات جبلية متوسطة الارتفاع من الجانبين حتى يصل إلى خشم برك ، بعد مسيرة ٢٠ كيلو متر تقريباً ، ثم يتسع الطريق ويدخل في قاع تبوك الواسع ، ويسير باتجاه الشمال الغربي إلى أن يصل رجوم شوهر بعد مسيرة ٢٠ كيلاً أخرى . وبذلك تبلغ مسافة الطريق من مدائن صالح وحتى رجوم شوهر نحواً من مائتين وخمسين كيلاً .

وتعتبر رجوم شوهر محطة الطريق الرئيسية في قاع تبوك ، وقد أثار هذا الموقع دوماً تساؤلات عند بعض الرحالة الأوربيين الذين وقفوا عليه ، نظراً لاحتوائه على مبان حجرية ، ومقابر ، ورجوم ، ووجود كسر فخارية على سطحة ، ووجوده في الوقت نفسه مجانباً

(١) أحد هذه النقوش مؤرخ بسنة ١٥١هـ ، وهو لرجل من قبيلة بلي التى كانت تسكن هذه المناطق في الفترة الاسلامية المبكرة ، ولا تزال تسكنها حتى الوقت الحاضر .

لمسار طريق الحج ، الذى كان يظن بأنه الطريق الوحيد الذي يمر بالمنطقة [١] . ويحتمل أن رجوم شوهر كانت موقع الاستيطان الرئيسي بقاع تبوك خلال فترة استخدام طريق البكرة (لوحة ٦) ، وأن موقع تبوك الحالي كان مجرد منهل ماء متقدم شمالاً وبعيداً عن مسار درب البكرة [٢] ، ويبدو أن طريق التجارة القديم لا يستمر شمالاً بعد رجوم شوهر كما يفعل طريق الحج ، بل يميل بإتجاه الغرب ويطأ طرف هضبة حسمي ، ثم يصل إلي منطقة وادي موسى ، حيث توجد البتراء وقد أثبتت الكتابات التى دونها بعض الرحالة الذين زاروا هضبة حسمى أمثال عبدالله فلبي ، ونتائج المسوحات الأثرية ، وجود أعداد كثيرة من مواقع المستوطنات الأثرية ومواقع النقوش على مسارات الدروب في هذه الهضبة جعلت البعض لكثرتها يصف حسمي بأنها مكتبة العرب ، غير أن مواقع هذه المستوطنات والنقوش لم تدرس على خلفية كونها منازل على طرق مواصلات قديمة .

أما مسار الطريق المتجه من رجوم شوهر إلى البتراء فإنه يسير في منطقة منبسطة وسهلة التضاريس ويمر على ستة منازل رئيسية ، بعد رجوم شوهر هي على الترتيب : عيون رايس ثم الوضام وهو مقيل طبيعي ، ثم المحيبل وهو موقع مستوطنة قديمة ، ثم قرية وهو موقع أثري معروف عثر به على آثار مدينية ونبطية ، ثم الصياني وهو موقع مهم عثر على سطحه على عدد من تماثيل المعبودات القديمة ، وبعد الصياني يدخل مسار الطريق إلى الأراضي الأردنية فيمر على منزل الديسة ثم يصل إلي وادي موسى حيث توجد البتراء حتي يلتقي بوادي الرويشد . وهذا المسار قد يوجد إلى الغرب من مسار طريق الحج الشامي غير أن التأكد من ذلك يحتاج إلى زيارة أخرى للمنطقة . بقي أن أشير إلى أن هذا الطريق سمي بدرب

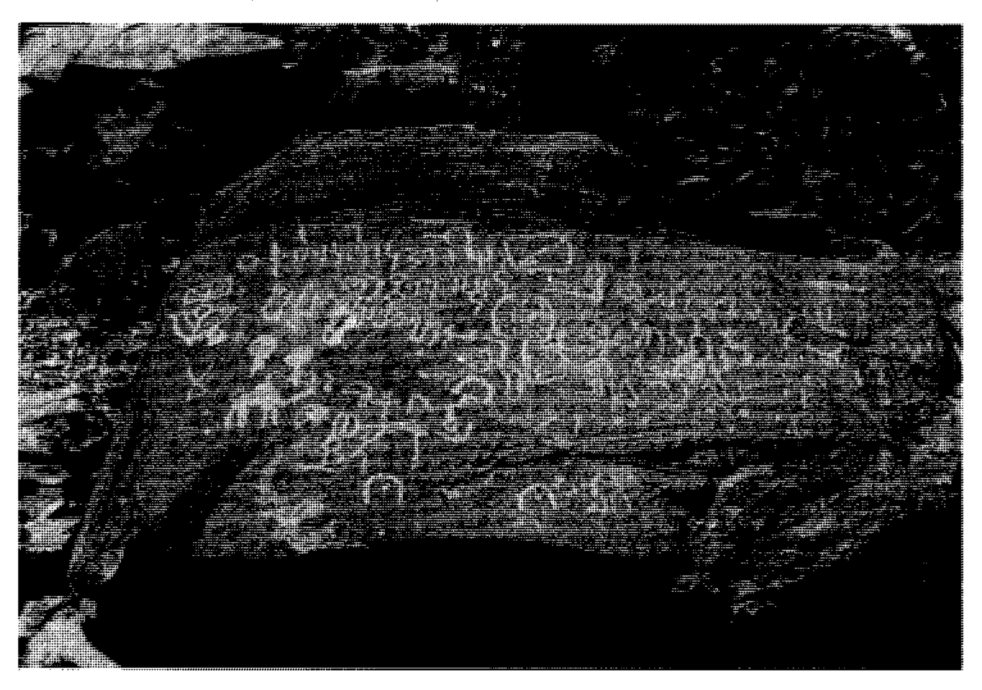
---

(١) من أمثلة ذلك الجدل الذي دار بين أويتنج وهوبر حول رجوم شوهر ، فقد اعتقد الأول أنها أطلال مدينه وعارضه الآخر ، ورجح أنها قبور ، ثم اقتنع الاثنان بأنها مقابر قديمة لمدينة تبوك الواقعة إلى الشمال من الموقع (يوليوس اويتنج ، رحلة داخل الجزيرة العربية ، ترجمة سعيد فايز السعيد ، نشر دارة الملك عبدالعزيز الرياض ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ص ١٧٤) ورجوم شوهر هي المنزل الوحيد من منازل درب البكرة الذي مر به الرحالة الأوربيين الذين زاروا المنطقة ، نظراً لقربه من تبوك ، ومن مسار طريق الحج الشامي ، ولبروز آثاره بحيث ترى من بعيد .

(٢) عندما وصل الرسول ﷺ إلى تبوك توقف بجيشه عند موقع تبوك الحالي الذي كان يمثل أقصى نقطة متقدمة شمالا باتجاه العدو (الروم) وبها مصدر ماء ، وكما تذكر روايات السيرة كانت العين قبل أن يعالجها الرسول ﷺ ضعيفة ولا توجد حولها حياة أو آثار سكنى لبشر ، غير أن هذا المكان لم يلبث أن أصبح بعد غزوة تبوك نقطة الاستيطان الرئيسية بالمنطقة ، وبخاصة بعد أن نشطت الحركة على الطريق التبوكية ابتداء من عهد الخلفاء الراشدين .

البكرة بسبب قصة تروى عند سكان المنطقة مفاداها أن بكرة (ناقة) سرت ليلاً من مراحها وقطعت مسافة طويلة على الطريق ، ولما افتقدها أهلها ساروا في أثرها ، ووجدوها في مفشق الناقة (البوابة التي توجد في منتصف الطريق ، والتي سبقت الإشارة إليها) وقد قفزت بين طرفي البوابة ، ولم تنجح فماتت بين كتفي البوابة . وبسبب هذه الحادثة سمي المكان مفشق الناقة وسمي الطريق بدرب البكرة . وقد تكون هذه القصة غير حقيقية إلا أنها تعطي اسماً جميلاً ومميزاً لهذا الطريق .

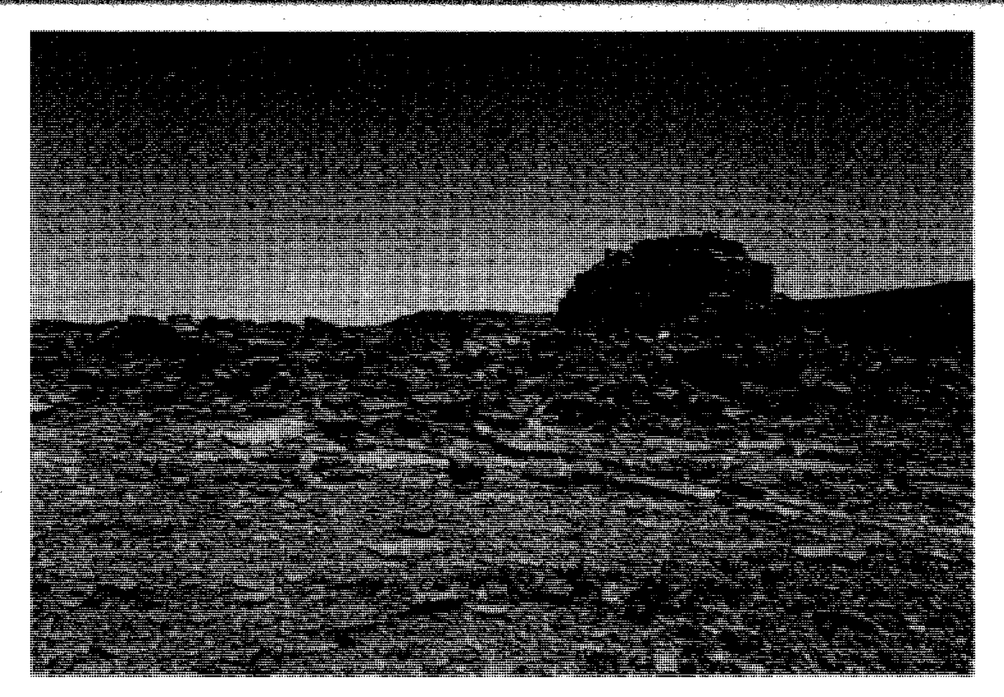
ومن جانب آخر فإنني أتوقع وجود مسار خاص بطريق البكرة في بدايته عند الحجر يسير مباشرة من جوبة الحجر إلى حرة عويرض ، ثم يسير في الحرة .



لوحة (١) : نقوش قديمة من درب البكرة



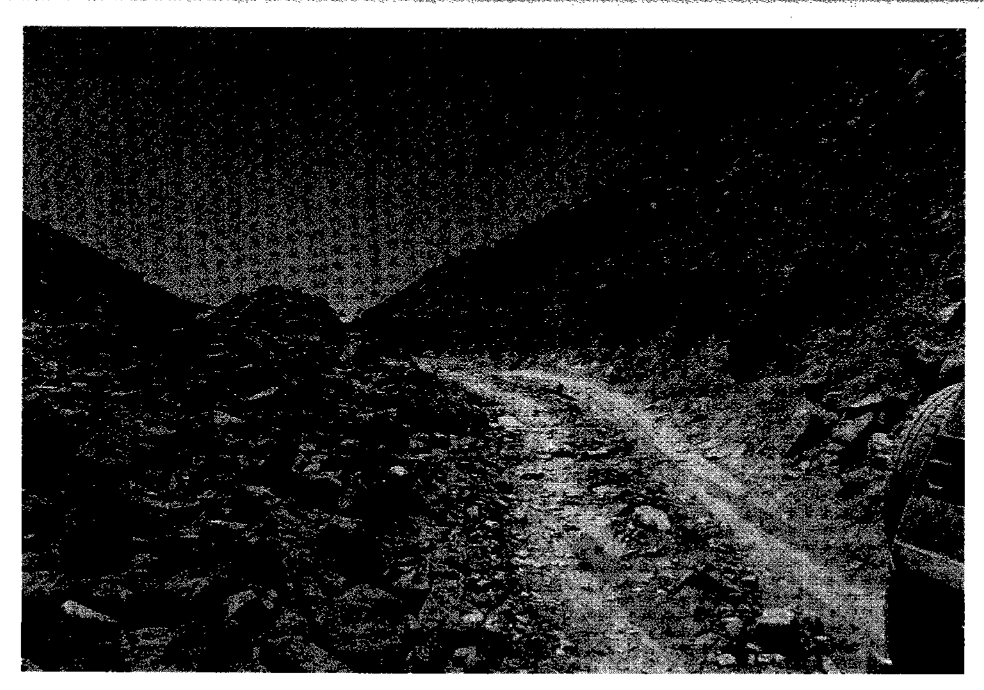
لوحة (٢) : نقوش نبطية من درب البكرة



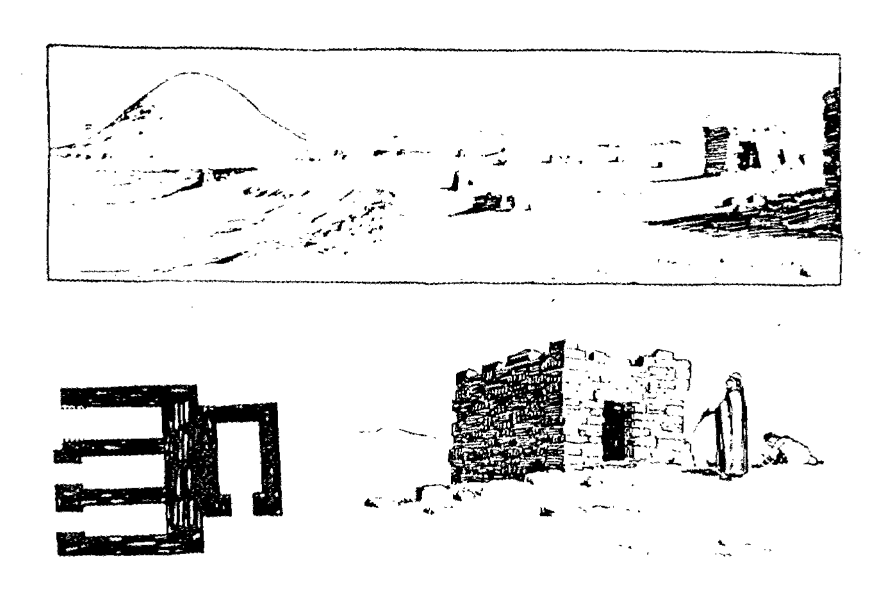
لوحة (٣) : نموذج لأبراج المراقبة على مسار الطريق



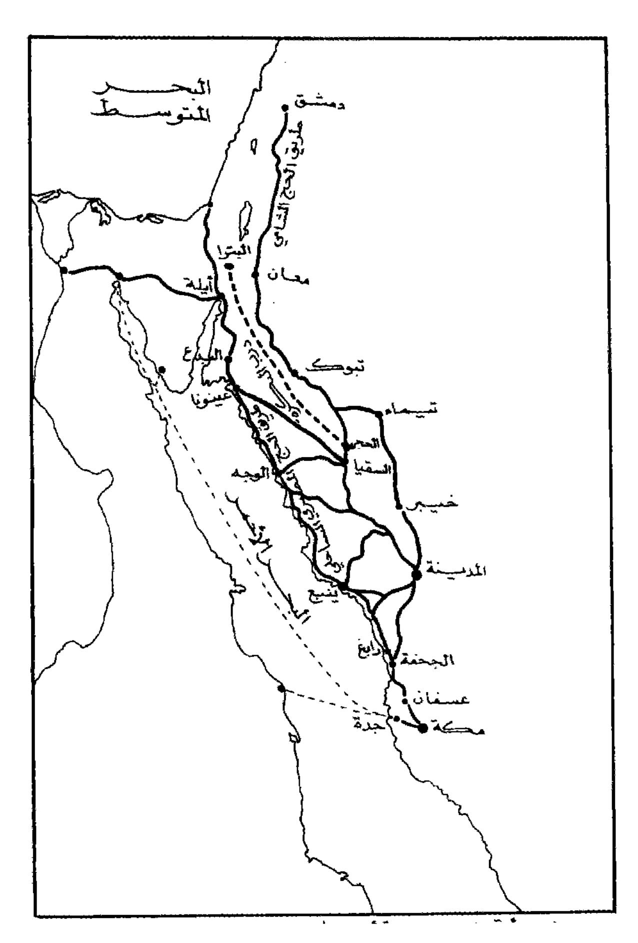
لوحـة (٤) : بوابـة على مسـار الطـريق



لوحـة (٥) : جـانـب من عقبـة النقيـب



لوحة (٦) : رجـوم شـوهر رسم لأويتنج ـ ١٨٨٣م



لوحة (٧) : خريطة توضيحية لمسار درب البكرة

التراث التقليدي بين الاهتمام والاستنزاف

د . عبدالله بن إبراهيم العمير (*)

المقدمة :

يلاحظ المهتم في شئون الآثار والتراث أن هناك توجهاً عالمياً متزايداً نحو توطين التراث المحلي والمحافظة عليه . وعلى الرغم مما نراه من اهتمام مطّرد بآثار وتراث المملكة من قبل الكثير من مؤسسات الدولة وهيئاتها الإدارية والأكاديمية ، إلا أنه لازال هناك ما يبعث في النفس القلق مما نراه يجري حيال إهمال تراثنا التقليدي في كثير من مناطق المملكة . إذ تتعرض للتهجير والتدمير تحف شعبية غاية في الندرة والأهمية وهي وإن كانت حالياً متواضعة الشكل قليلة الثمن زهيدة في نظر الكثير من أبناء المجتمع ، إلا أنها ذات قيمة وشأن عظيم لدى من يدرك أهمية التراث ومكانته . وما نشاهده اليوم من إهمال لموروثاتنا الشعبية في مختلف المجالات التراثية يعد أحد المخاطر المحدقة بحاضر هذا التراث العريق ، وهو جدير بالتشبث به والغيرة عليه .

وإذا كان الكثير ممن تقع على عاتقهم مسئولية التنمية والتطوير يرى أن بعض عناصر التراث ومواده قد تقف عائقاً أمام عجلة التحديث ، كالعمارة التقليدية بأنواعها الدينية والمدنية والدفاعية ، على سبيل المثال ، فإن هناك من السبل العلمية الكفيلة بتلبية متطلبات الرغبة في الانتشار والتوسع العمراني ، دون اللجوء إلى اجتثاث هذه العناصر والقضاء عليها .

وإذا كان هذا الإجراء يحدث حيال عناصر التراث الثابتة ، فإنه يحدث بشكل مضاعف حيال مواد الموروثات التقليدية المنقولة ، على الرغم من أنها لا تشكل أية عقبات أمام أسباب النهوض بمقدرات البلد ومكتسباته . وهذا دليل واضح على مدى استنزاف تراثنا الوطني وعدم توجيه الاهتمام والتوعية المناسبة للمحافظة على هذا التراث من التغريب .

وفي هذه الدراسة سوف نتناول جملة من العناصر من أبرزها ارتباط تراثنا الوطني

(*) عضو هيئة التدريس – وكيل كلية الآداب للشئون الأكاديمية – جامعة الملك سعود .

بالتراث الإسلامي ، ومفهوم التراث التقليدي ، وكذلك عوامل إهمال واستنزاف التراث ، وحالة التراث داخل المملكة ومصيره خارجها ، وفي نهاية الدراسة سوف نقدم بعض التوصيات المتعلقة بالمحافظة على التراث والاهتمام به .

التراث الوطني وارتباطه بالتراث الإسلامي :

يبدو من غير المناسب الحديث عن التراث الوطني التقليدي دون الربط بينه وبين التراث الإسلامي الذي تفرع منه تراثنا في المملكة العربية السعودية . فمن المعلوم أن بذرة تراث الإسلام وجذوره في شتى العلوم والفنون قد أوجدت في أرض هذه البلاد المقدسة ، ومنها انطلقت فروعها إلى كافة أصقاع المعمورة شرقاً وغرباً ، تربطها وشائج متينة متشابهة في أصولها متباينة في فروعها ، وذلك حسب بيئة وطبيعة الأقاليم والأمصار التي وصلها هذا التراث . وهي بذلك تنسجم وأحد أهم المعايير التي تقوم عليها خصوصية الفنون الإسلامية وهو التنوع والوحدة (١) ، أي وحدة الأصل وتنوع الفرع . ومن المسلم به أن دراسة التراث الوطني " لبلد من البلاد أو منطقة من المناطق ، أصبحت اليوم ضرورة علمية يفرضها التقدم الهائل الذي قطعه المشتغلون به على المستوى العالمي . فالتراث الشعبي هو تعبير الإنسان بذاته عن ذاته ، وفي دراسته محاولة الاكتشاف عن ذات الإنسان من خلال صور وأشكال ووسائل خلقه الفني وتراثه الشعبي (٢) .

ولاشك أن تراثنا الوطني في المملكة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتراث الإسلامي الأصيل منذ فجر الإسلام وحتى يومنا الحالي ، كيف لا وهو الأقرب مكاناً إلى منبع هذا التراث والمتصل به عبر سلسلة من الحلقات الطويلة دون انقطاع . وقد لا نبالغ إذا قلنا إن تراثنا المحلي هو إرث لذلك التراث الأصل وهو حلقة الوصل في انتشاره واستمراريته . ولو أمعنا النظر في خصائص ومميزات تراثنا الوطني السعودي لوجدناها تتفق تماماً وأسس التعاليم الإسلامي التي بني عليها ذلك التراث ، سواء كان ذلك في مجال العناصر الثابتة من قبيل العمارة بأنواعها الدينية والمدنية والدفاعية ، وما يتبع ذلك من منشآت مائية كالسدود والقناطر ونحوها ،

(١) الألفي ، أبو صالح ، الفن الإسلامي : أصوله ، فلسفته ، مدارسه ، دار المعارف ، ط٣ ، القاهرة (د . ن .) ، ص٩٨ .
(٢) الناصر ، فهد عبد الرحمن ، "دور التراث الشعبي في الحفاظ على الثقافات المحلية لدول الخليج العربية" الملتقى الخليجي الأول للتراث والتاريخ الشفهي ، العين ، ١٩٩٩م ، ص ٢٨ .

أو المنقولة كالمصنوعات الخشبية والمعدنية والجلدية وغيرها . إذ تتجلى البساطة وعدم التعقيد في شكل وتصميم المواد المشيدة أو المصنوعة دونما إضرار في وظائفها واستخداماتها المناطة بها ، ثم اختيار المواد الخام في البناء أو الصناعة مما هو متوفر في البيئة المحلية مع محاولة تكييف هذه المواد حسب إمكانات ورغبة مستخدمها ، تجنباً لتلك المواد المكلفة التي قد تثقل كاهل البعض عند طلبها . كما ينطبق هذا الأمر على أنماط العناصر الزخرفية النباتية والهندسية والكتابية والحية ، وأساليب تنفيذها المتعددة حينما يلجأ المنفذ إلى اختيار عناصر جميلة قريبة من حس المستخدم وذوقه دون أن يحط ذلك من قدرها وجمالها .

واستناداً على هذه المحاور الأساسية الثلاثة: التصميم ، والمواد الخام ، والعناصر التجميلية ، فإننا نجد الروابط وثيقة بين التراث الإسلامي وتراثنا الوطني في مختلف مواده وعناصره . ومادام الأمر كذلك ، أي أن تراثنا التقليدي جزء لا يتجزأ من ذلك التراث الإسلامي الأصيل ، فإنه ينبغي أن نتلمس أساليب وأسباب النهوض به حتى يجد مكانه بين ثقافات الأمم التي سبقت في هذا الميدان ، كما ينبغي أن يبادر ذوو الاختصاص إلى قطع الطريق على كل من يحاول المساس بكيان هذا التراث الذي طالما كان هدفاً دائماً من قبل طائفة – لا تعي ماهية التراث وجوهره . "كما يجب ألا تقتصر البحوث والدراسات على مجرد الجمع والتصنيف للحفظ والعرض في المتاحف .. بل الواجب الاهتمام بما يتضمنه التراث من مبادئ وأفكار خفية هي جوهره بل جوهر الثقافة ، ثقافة المجتمع ، وهذا أمر يمكن تحقيقه إذا وضع في الاعتبار التيارات الخبيثة التي تنتشر منذ سنوات وتحاول أن تتغلغل داخل كياننا الثقافي والاجتماعي ، مثال ذلك العولمة" (١) .

هوية التراث التقليدي :

أشرنا في الفقرة السابقة إلى أن تراثنا الوطني جزء لا يتجزأ من التراث الإسلامي وأنه حلقة في سلسلة تراثية طويلة وهمزة وصل بين الماضي والحاضر . ولعل السبب في محاولة إيجاد حدود زمانية فاصلة بين الآثار والتراث الأصل ، وبين تراث الشعوب الحالية أو التي تعود لفترة جيل الآباء والأجداد يعود في جوهره إلى أسباب إدارية إقليمية نابعة بُعَيد إحداث

(١) حامد ، السيد ، " الاتجاهات المعاصرة لدراسة التراث الشعبي " ، الملتقى الخليجي الأول للتراث والتاريخ الشفهي ، العين ، ١٩٩٩م ، ص٢٠ .

الحدود الجغرافية بين الأقاليم والبلدان الإسلامية ، سواء كان ذلك برغبتها أو رغماً عنها .

إذ يلاحظ أن هناك توجهاً عارماً من قبل الكثير من الجهات الرسمية وغير الرسمية وعلى مستوى الهيئات الأكاديمية والمؤسسات الإدارية نحو إيجاد وخلق نقاط تباين واختلاف بل ومفاضلة بين تراث البلدان الإسلامية في الوقت الذي يعي فيه الجميع أن هذه البلدان كانت قبل إيجاد حدودها ذات تراث إسلامي واحد متماثل في جوهره ومعاييره ، وهو أمر لابد أن ينطبق على تراث هذه البلدان الوطني طالما استلهم أسسه وضوابطه من أصوله الإسلامية . أما ما يتعلق بخصوصيات تراث كل بلد وبصماته المميزة فهذه تخضع في المقام الأول لعوامل عديدة مادية كانت أو بيئية أو معنوية .

وبالنظر إلى ظروف هذه البلدان الإدارية وخلفياتها الثقافية فإنه من الصعب تحديد تاريخ معين وموحد لبداية الفترة التقليدية في هذه البلدان ، وذلك على عكس تاريخ التراث الإسلامي الذي انطلق مع بداية نور الإسلام في الجزيرة العربية . ولقد تنبهت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) لهذا الأمر فتركت المادة الثالثة من دستور هذه المنظمة للدول الأطراف تحديد هوية ملكياتها الواقعة على أرضها التي تراها جزءاً من هذا التراث (١) . ويلاحظ أن هذه المادة لم تقيد ما نطلق عليه التراث الشعبي التقليدي بفترة معينة ، بل يحدد من قبل كل بلد حسب قدمه واستخدامه واستمراريته . وينطبق ذلك على المقتنيات الشعبية التي صنعت واستخدمت في الماضي واستمر استعمالها وتداولها في الفترات المتأخرة ، وهو أمر يجعل تحديد تاريخ معين لهذه الفترة التقليدية غير ثابت ، حيث إن هناك مقتنيات تراثية عمرها الزمني يختلف عن عمر مقتنيات أخرى .

وإذا كان نظام منظمة اليونسكو لم يحدد هذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها في فترة زمنية معينة ، فإن المملكة قد أشارت إلى ذلك بنظام الآثار في المملكة العربية السعودية الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٢٦ وتاريخ ١٣٩٢/٦/٢٣هـ في مادته الخامسة التي تقول: "تعتبر آثار الممتلكات الثابتة والمنقولة التي بناها أو صنعها أو أنتجها أو رسمها الإنسان قبل ٢٠٠ سنة أو تكون قد تكونت لها خصائص أثرية بفعل عوامل طبيعية قديمة ويجوز لدائرة

---

(١) حمدان ، هشام ، " مسألة الحماية الدولية للآثار " ، الفكر العربي ، مجلة الاتحاد العربي للعلوم الإنسانية ، معهد الاتحاد العربي ، م ٥٢ ، بيروت ١٩٨٨ م ، ص ٢٨ .

الآثار آن تعتبر من الآثار أيضاً الممتلكات الثابتة أو المنقولة التي ترجع إلى عهد أحدث إذا رأت أن لها خصائص تاريخية أو فنية" (١) .

ولاشك أن من يستقرئ نظام الآثار في المملكة الصادر في ١٣٩٢/٦/٢٣هـ أي قبل نحو ثلاثة عقود من الزمن يلاحظ أنه قد أعد في حينه لتنظيم كافة الأمور المتعلقة بالآثار وقضاياها ويركز على أسباب حمايتها وصيانتها وتطويرها . لكن مسألة تحديد الآثار بفترة زمنية هي : "قبل ٢٠٠سنة" مسألة يبدو أنها بحاجة إلى تقويم . فلو عدنا إلى تاريخ صدور نظام الآثار أي سنة ١٣٩٢هـ لعرفنا أن الآثار في هذا التاريخ يقصد بها كل ما هو قبل عام ١١٩٢هـ لكن فترتها اليوم وبعد مرور ثمان وعشرين سنة على هذا النظام تعود إلى سنة ١٢٢٠هـ . وهكذا وبعد مرور سنوات تلو السنوات سوف تتسع الفترة الزمنية الخاصة بتعريف الأثر في حين تنقرض شيئاً فشيئاً فترة ما يعرف بالفترة التقليدية ، أي ما بعد فترة المائتي سنة المتفق عليها . وهذا يبدو لأول وهلة أمر جيد أي أنه كلما تراكمت السنون على قطعة تراثية ما – على سبيل المثال- فإنها تتحول إلى أثر ، أمر يتفق وما نصت عليه المادة الآنفة الذكر ، وإن كان لهذا الإجراء مخاطره من حيث اندماج بعض القطع التراثية الوافدة من خارج البلاد بالتراث الوطني ، أو انصهار قطع حديثة الصنع بذلك التراث دون معرفة منشأ هويته .

ولعل خير سبيل لحل ما قد يحدث من التباس حسابي جراء هذا الوضع هو تحديد تاريخ بعينه يكون نهاية لكل ما يوسم بـ (الأثر) وبداية لكل ما يطلق عليه التراث التقليدي أو الموروثات الشعبية ، كأن يكون تاريخ بداية الدولة السعودية الأولى التي بني صرحها عام ١١٥٨هـ (٢) ، فهو تاريخ دخول هذه البلاد بالعصر الحديث ونهاية ما يعرف بالآثار الإسلامية المتأخرة .

عوامل إهمال واستنزاف التراث :

أشرنا آنفاً إلى أن بعض الجهات الرسمية وغير الرسمية قد بادرت خلال فترة النماء الاقتصادي الذي تمخض في الثمانينات والتسعينات من القرن الهجري الماضي ، إلى تنشيط

---

(١) نظام الآثار الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٢٦ ، ط٢ ، الرياض ، مطابع الحكومة ، ١٣٩٩ هـ ، ص ١٢ .

(٢) ابن بشر ، عثمان ، عنوان المجلد في تاريخ نجد ، مكتبة الرياض الحديثة ، ج ١ ، الرياض (د. ت) ص ١٢-١٣ ، عبدالرحيم عبدالرحمن ، الدولة السعودية الأولى ، دار الكتاب الجامعي ، ط٥ ، ج١ ، القاهرة ١٤٠٧هـ ، ص٦١ .

عجلة النمو والتطور الحضاري في شتى الميادين ، سواء منها الثقافية العلمية أو العمرانية والصناعية والفنية . ولاشك أن هذا أمر محمود ومطلوب شريطة أن لا يؤثر سلباً على عناصر ومود التراث الإسلامي والوطني الذي وجد في هذه المملكة إبان ظروف إدارية واجتماعية خاصة ، طبعت هذا الإرث الوطني ببصمات مميزة قد لا توجد في أماكن خارج هذه البلاد . فقد كان لتخطيط المدن والقرى والأحياء الجديدة والمجتمعات السكنية ، وكذا شق الطرق وتوسعة الشوارع وإيصال الخدمات اللازمة للمنازل ، أكبر الأثر في هجر الأحياء التراثية ، بما فيها من جوامع ومساجد وقصور ومنازل وغيرها . وهذا بالتالي يعني إهمال هذه المرافق والوصول بها في نهاية المطاف إلى الهدم والإزالة . وفي مواجهة هذا الأمر فإن تراثنا الشعبي "سوف يختفي الجزء الأكبر منه بفعل هذه التغيرات والتطورات ، الأمر الذي يفرض على الباحثين والعلماء والمهتمين بدراسة التراث الشعبي والفلكلور بل والدراسات الشعبية والأدبية والتاريخية أن يسجلوا هذا التراث لكي تتواصل الأواصر الرابطة بين حضارتنا القومية وتراثنا الشعبي القديم وأن يطور هؤلاء العلماء دراساتهم وفق أحدث المناهج التي تحرص الأمم المتقدمة على تطبيقها " (١) .

ويلاحظ المراقب لهذه الوضعية أن العناصر المعمارية التقليدية بشتى أنماطها تمر بنفس مراحل الهجر والاستنزاف ثم الإزالة في جميع مناطق المملكة ومدنها وقراها . إذ حدث في مرحلة النمو العمراني الحديث ، أن تركت المنازل مقفلة بادئ الأمر لتستغل كمستودعات لتخزين ما تشمله من محتويات وأثاث منزلي متباين في النوعية والأهمية ، من قبيل أدوات الطبخ والأكل والشرب وأثاث النوم والجلوس ونحو ذلك . ونظراً لأن محتوياتها أصبحت في نظر الكثير في عداد الأثاث المستهلك العتيق فإنها تدخل سريعاً في طي الإهمال والنسيان . حيث تبدأ هذه المنازل بالتشقق والتصدع بل والانهيار شيئاً فشيئاً جراء الأمطار والعبث ووسائل النقل والآفات المتعددة ونحو ذلك .

وعندما تصل المنازل وأبوابها إلى هذه المرحلة من الإنهاك فإنها تصبح طبيعياً عرضة للنهب والتخريب ، وذلك من أناس قد يجدون في استخدام أثاث هذه المنازل ما ينفعهم ، أو من

(١) العدل ، علي ماهر ، مؤتمر التراث الشعبي بين الأصالة والحداثة ، المنصورة ، ١٩٩٨م ، ص ٦ .

قبل طائفة تعي أن محتويات هذه المنازل من المصنوعات المعدنية والجلدية والخشبية ، تختلف عن المحتويات المستوردة للمنازل الحديثة ويعلمون أنها تدخل في عناصر التراث المحلي لكنهم يستغلونها فقط كبضاعة رخيصة لجلب القليل من المال . ولقد اشتهرت قبل نحو ثلاثة عقود من الزمن طائفة من هؤلاء الباعة المتجولين الذين يطوفون بالمدن والقرى بحجة شراء المعادن النحاسية لإعادة صناعتها وتسويقها ، وهم في الواقع من جامعي التراث وهواة المتاجرة به . بل وصل الحد بطائفة من هؤلاء إلى تجنيد العمالة الوافدة لجمع وحمل كل ما يستطيعون حمله من الأدوات والأواني والعدد المعدنية وغيرها مقابل ثمن زهيد أو حتى دون مقابل . ولا يتورع هؤلاء عن بيع هذه القطع إلى جهات تكون في كثير من الأحيان أجنبية تصدرها إلى خارج البلاد دون المرور عبر القنوات الرسمية التي حددت أنظمة وضوابط لبيع التراث أو الاتجار به .

حالة التراث التقليدي داخل المملكة :

يلاحظ المطلع على نظام الآثار والتراث في المملكة الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٢٦ وتاريخ ١٣٩٢/٦/٢٣هـ ، أن هذا النظام لم يترك واردة تتعلق بأمور الآثار والتراث إلا تناولها وسن لها ما تستوجبه أمور المحافظة والصيانة والدراسة ، سواء كان ذلك على نطاق الآثار الثابتة أو الآثار المنقولة ، أو على نطاق تقنين الاتجار بالآثار وتصديرها والتنقيب عنها ، بل وحتى ما يتعلق بالعقوبات الرادعة لمخالفي أنظمة الآثار والتراث . وعلى الرغم من ذلك فإن المتفحص لحال التراث التقليدي وما آل إليه من تشتت واستنزاف ليعتقد أن الأمر لا يعني أصحابه في شيء .

وفيما عدا ما تقوم به وكالة الآثار والمتاحف من إعادة بناء وترميم وصيانة لبعض الأبنية التقليدية في مواقع مختلفة من مناطق المملكة ، وكذا تلقف ما يمكنها من قِطَعْ التراث التقليدي، فإن الوضع الراهن وضع يرثى له ويستلزم سرعة البحث عن حلول جذرية توقف نزف التراث ونسفه . ولا أحد ينكر أن ما تقوم به وكالة الآثار هي جهود جبارة وعظيمة ، وخير دليل على ذلك ما نفذته وتنفذه في أطلال وأسوار وقصور الدرعية ، وغيرها . لكن هذا الأمر لن يكتب له النجاح والاستمرار إذا ترك على عاتق الوكالة بمفردها ، فالجميع يعرف أن هذا الأمر يحتاج إلى مقومات مادية وبشرية ضخمة ، ومسئوليات الوكالة أكبر وأوسع من مجرد ترميم أو إعادة

بناء أو صيانة مسجد أو قصر هنا أو هناك . ولقد حان الوقت إلى أن تتكاتف جهود الجميع من مؤسسات أكاديمية وإدارية وقطاع خاص للقيام بالمسئولية بشكل جماعي ، فالآثار والتراث ملك للجميع ، ولن تستطيع جهة واحدة بعينها أن تقوم بدور الكل في سبيل النهوض بمتطلبات التراث ووقف استنزافه (١) . وإذا كانت هذه الجهة تعمل ما بوسعها في نقاط معينة فإنه يصعب عليها عمل الشيء نفسه في جميع مدن وقرى المملكة المترامية الأطراف . خصوصاً وأن هناك من الجهات المسئولة التي تقوم باكتساح قرى وأحياء تراثية بكاملها في سبيل شق أو تعبيد طريق أو شارع جديد أو حتى بحجة أمن المواطن من خطر الأبنية العتيقة .

أما في مجال التحف والمصنوعات التقليدية فقد عملت وكالة الآثار على إيجاد متاحف إقليمية في بعض مناطق المملكة لإيواء أكبر قدر ممكن من هذا التراث ، وهي وإن كانت خطوة جبارة في هذا المجال إلا أن الوضع لازال بحاجة ملحة إلى تعميم مثل هذه المتاحف على كافة مناطق المملكة ومدنها الكبرى (٩) . أما خلاف ذلك فسيؤدي إلى استمرار نزف التراث بل والآثار عبر شبكة عريضة من المتاجر والحوانيت المنتشرة في الكثير من مدن المملكة ، (لوحة ١) والتي يرى أربابها بأن من حقهم البيع والشراء بهذا التراث كيف يحلو لهم غير آبهين بنظام الآثار الذي يحفظ لهم حقوقهم ويحفظ لبلدهم وتراثهم قدره ومكانته . ففي هذه الحوانيت تباع أصناف التحف التراثية الأصلية بل وفي كثير من الأحيان النادرة جداً ، (لوحة ٢) من قبيل التحف المعدنية الخاصة بالاستخدامات المنزلية أو الخاصة بالصناعة والزراعة والتجارة ، وكذا التحف الخشبية من قبيل أدوات الكيل والوزن وأدوات الكتابة ، وغير

---

(١) قد يصعب تكاتف جهود هذه الجهات في ظل غياب الوعي الآثاري ، وما ينبثق عن ذلك من مفهوم لهذا الوعي ، وأهداف وكيفية نشره ، ثم قيام الأجهزة المنوطة بنشر الوعي الآثاري بواجبها على أكمل وجه . وللاستزادة والتعرف على كثب لما يعنيه هذا الموضوع ، أنظر: الربيعان ، أحمد علي ، "حماية الآثار في المملكة العربية السعودية "، (رسالة ماجستير غير منشورة) قسم الآثار والمتاحف ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤١٨هـ ، ص ص ١٠٤- ١٢١ .

(٢) وإلى جانب المتاحف الحكومية ينبغي تشجيع إنشاء المجموعات الخاصة من قبل الهواة المحليين ، حيث إن "هؤلاء يعتبرون مسؤولين تجاه هذا التراث للمحافظة عليه ومحاولة دراسته ولتيسيره لراغبي العلم والمعرفة ، وهم لا يقلون في الأهمية عن المتاحف الرسمية في محافظتهم على التراث ، فهم يؤدون دوراً طيباً لمساعدة ومعاضدة المتاحف الرسمية في الحفاظ على التراث .." ، القويعي ، محمد عبد العزيز ، تراث الأجداد ، ط٢ ، ج ١ ، الرياض ١٤١٥هـ ، ص٣٢ .

ذلك من الأدوات الحجرية والأسلحة والحلي والمسكوكات والمنسوجات ونحوها (لوحة ٣ ، ٤) .

وعلى الرغم من أن هذه المحلات التجارية تملك تراخيص نظامية ، إلا أن الأمر لا يعني لأصحابها سوى أنها مصدر لكسب الرزق بغض النظر عن كون القطع تسوق داخل أو خارج المملكة . والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل نحن بحاجة إلى هذا الكم الهائل من قطع التراث ، أم أن في الأمر متسع يسمح بتصدير الكثير ويبقي القليل . ولعل الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان هي أنه في حالة وجود متاحف إقليمية في كبريات مدن المملكة ، فسنكون بحاجة ماسة إلى أضعاف ما بين أيدينا من قطع التراث لنكوّن متاحف تتوفر فيها شروط العرض المتحفي المتكامل .

ولعل من أنجح السبل التي قد تساعد على بقاء واستمرار تراثنا التقليدي هو التوظيف ، وذلك يعني " إعادة صياغة الجزئيات والعناصر والشخصيات والآثار المنتمية إلى عالم التراث الشعبي وإلباس هذه الآثار جميعاً أثواباً جديدة وأزياء عصرية تعكس ألوان الواقع وظلال العصر . ويعني التوظيف ضمناً التواصل بين الحاضر الآلي والماضي التراثي" (١) .

مصير تراثنا خارج المملكة :

تزخر متاحف الغرب في أوروبا وأمريكا بتحف إسلامية غاية في الندرة والأهمية . فكيف وصلت هذه الكنوز إلى تلك البلاد؟ . لقد نقلت هذه الآثار إلى الغرب بوسائل مختلفة وخلال معابر عديدة لعل من أهمها نتائج استعمار بعض البلدان العربية ، وما تمخض عن ذلك من تهجير وإفقار لآثار البلدان المستعمرة . ولن نتعرض في هذا المقام إلى هذا الموضوع الشائك المستعصي الطويل ، والذي لم يكن للمستعمر يد على هذه البلاد وآثارها في يوم ما . إن خروج آثارنا الإسلامية من مواطنها الأصلية كان في معظم الأحيان بسبب غياب الوعي لدى المواطن الذي لا يهمه سوى كسب لقمة يومه . إن تهجير الآثار في القرون الماضية من بلدانها إلى الخارج كان يمر بنفس المراحل التي يمر بها تراثنا الوطني اليوم ، أي أن الأمر كان يسند لمثل هؤلاء التجار الذين لا يعنيهم أمر شرعية بيعها من عدمه مبررين تصرفاتهم بما يحوزونه من تراخيص وأذونات نظامية ، ويدعم ذلك غياب عين الرقيب الذي بإمكانه التمييز بين

---

(١) مسلم ، صبري ، "التوظيف ومستقبل التراث الشعبي" ، ضمن أعمال: أبحاث في التراث الشعبي ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م ، ص٢٦٦ .

ما يسوق وما لا يسوق [١] .

ولاشك أن الحديث عن خطر بيع قطع التراث لا يشمل كل ما عرفه الباعة بمصطلح (تراث) ، بل ما نص عليه نظام الآثار الواعي لهذا الأمر ، والخطورة لا تقع من مجرد بيع قطع التراث الاستهلاكية من قبيل أعمال السدو والنسيج الحديثة أو المصنوعات الخشبية المقلدة لقطع أصلية ونحوها ، فالمتسوق والمصدر الأجنبي يميز بين هذا وذاك ، لكن الخطورة تكمن في البحث عن قطع نادرة بعينها وتحمل مواصفات مميزة من قبيل الكتابات والنقوش وأسماء ملاكها وتواريخ صناعتها ، كالأسلحة والحلي وغيرها من النوادر التي يسعد صاحبها ببيعها إلى الأجنبي الذي يدرك قيمتها المعنوية الحالية والمستقبلية ، وقد يزيد في ثمنها بعض الشيء . ولقد نبه وكيل وزارة المعارف لشئون الآثار والمتاحف إلى هذه الظاهرة حينما قال : "كما يخشى على آثارنا أن تجد طريقها إلى خارج الحدود بتسهيلات من ضعاف النفوس من المواطنين . وقد يكون الهدف أبعد من ذلك وهو إزالة هوية المملكة الحضارية وطمس معالم الاستيطان فيها ومحو حضارة الإسلام . كما أن غزو الآثار المزيفة المنقولة إلى الداخل أصبح ظاهرة في بلادنا ويلجأ مهربو تلك الآثار إلى حيل شتى في تأكيد قدم الأثر وأهميته . ." [٢] .

ولاشك أن هذه التحف التي يزهد فيها أصحابها ثم تصل إلى خارج البلاد ، هي محط أنظار المهتمين بالآثار والتراث وستدخل في ديار الغربة في حياة جديدة قد لا تجدها في موطنها الأصلي .

وستجد من العناية والدراسة ما تستحقه ، حتى إذا ظهرت الأبحاث الخاصة بها إلى حيز الوجود ، بدأ مصدّروها باللوم والرثاء ، بل يصل الأمر إلى شد الرحال لمعاينتها ودراستها ، وهي بالأمس القريب سلعة رخيصة لا تجد من يلقى لها بالاً أو اهتماماً [٣] .

---

(١) للتعرف على طرق تسرب الممتلكات الثقافية في الوطن العربي ، أنظر : بهنسي ، عفيف ، "طرق تسرب الممتلكات الثقافية في الوطن العربي إلى الخارج" في التراث الحضاري العربي الإسلامي خارج الوطن العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩١م ، ص٧٧ وما بعدها .

(٢) الراشد ، سعد بن عبدالعزيز ، آثارنا والوعي "دور الدولة . . دور المواطن"، الفرزدق، الرياض، ١٤١٨هـ ، ص٣١ .

(٣) عكفت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ، على وضع اتفاقيات دولية تهتم بالحماية الوطنية والدولية للتراث الثقافي والطبيعي وأوجدت لذلك الكثير من الضوابط والمعايير التي تتعلق بمصير مواد التراث =

توصيات حول سبل الاهتمام بالتراث :

- تهيئة الأوعية العلمية المحكمة المتخصصة التي يمكن من خلالها نشر أبحاث الدارسين، ولتكن حولية (أطلال) التي تصدرها .
- عقد ندوات ومؤتمرات مستمرة ومنتظمة تجمع رجال الآثار وهواته لتلقى فيها إنجازات المهتمين بالآثار ، وليكن ذلك من خلال الجمعية السعودية للدراسات الأثرية .
- التشديد على عدم المتاجرة بالآثار والتراث المادي خصوصاً تلك التي تتسرب إلى خارج البلاد .
- تشجيع الهيئات والمؤسسات الوطنية وكذا الأفراد على اقتناء المجموعات الخاصة وفتح أبوابها للزوار .
- حث القطاع الخاص على المشاركة في الأعمال الأثرية من قبيل إجراء التنقيبات وصيانة المواقع والمباني الأثرية ، وكذا الإسهام في نشر أعمال الباحثين ودراساتهم .
- تنمية حب الآثار والتراث لدى المواطن بشتى الوسائل الإعلامية وجعل الكل يدرك أن المحافظة على الآثار وتطويرها والنهوض بها هي مسئولية كل فرد بعينه وليست مسئولية الجهات المعنية فحسب .

= داخل وخارج البلدان الأعضاء في المنظمة . أنظر : اتفاقية التراث العالمي ، (اليونسكو) . واتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي ، باريس ١٩٧٢م .

مراجع البحث

- اتفاقية التراث العالمي (اليونسكو) .
- اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي ، باريس ، ١٩٧٢م .
- الألفي ، أبو صالح ، الفن الإسلامي: أصوله ، فلسفته ، مدارسه ، دار المعارف ، ط ٣ ، القاهرة (د . ن) .
- ابن بشر ، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض (د . ت) .
- بهنسي ، عفيف ، "طرق تسرب الممتلكات الثقافية في الوطن العربي إلى الخارج" ، التراث الحضاري العربي الإسلامي خارج الوطن العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٩١م .
- حامد ، السيد ، "الاتجاهات المعاصرة لدراسة التراث الشعبي" ، الملتقى الخليجي الأول للتراث والتاريخ الشفهي ، العين ، ١٩٩٩م .
- حمدان ، هشام ، "مسألة الحماية الدولية للآثار" ، الفكر العربي – مجلة الا تحاد العربي للعلوم الإنسانية ، معهد الا تحاد العربي ، م ٥٢ ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- الراشد ، سعد بن عبدالعزيز ، آثارنا والوعي "دور الدولة .. دور المواطن" ، الفرزدق ، الرياض ، ١٤١٨هـ .
- الربيعان ، أحمد علي ، "حماية الآثار في المملكة العربية السعودية " ، (رسالة ماجستير غير منشورة) قسم الآثار والمتاحف ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤١٨هـ .
- عبدالرحيم ، عبد الرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، دار الكتاب الجامعي ، ط ٥ ، ج ١ ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ .
- العدل ، علي ماهر ، مؤتمر التراث الشعبي بين الأصالة والحداثة ، المنصورة ، ١٩٩٨م .
- القويعي ، محمد عبدالعزيز ، تراث الأجداد ، ط ٢ ، ج ١ ، الرياض ، ١٤١٥هـ .
- مسلم ، صبري ، "التوظيف ومستقبل التراث الشعبي" ، ضمن أعمال : أبحاث في التراث

الشعبي ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .

– الناصر ، فهد عبدالرحمن ، "دور التراث الشعبي في الحفاظ على الثقافات المحلية لدول الخليج العربية" ، الملتقى الخليجي الأول للتراث والتاريخ الشفهي ، العين ، ١٩٩٩م .

– نظام الآثار في المملكة العربية السعودية ، الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٢٦ ، ط ٢ ، مطابع الحكومة ، الرياض ، ١٣٩٩هـ .

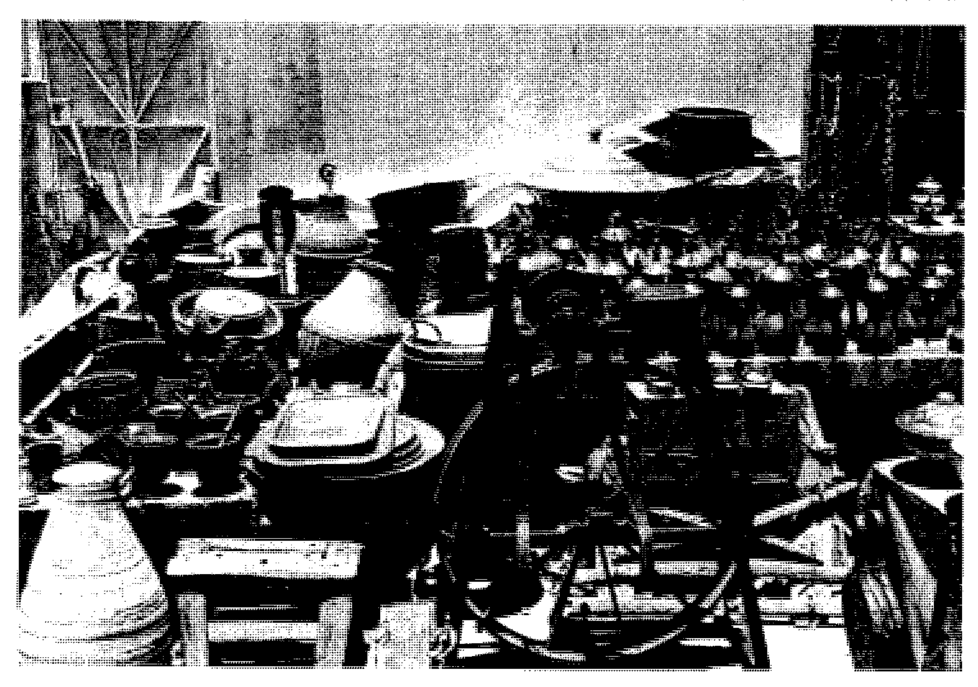


لوحة (١) : قدور وأواني نحاسية تستخدم في الطبخ



لوحة (٢) : نماذج من الملبوسات النسائية الشعبية

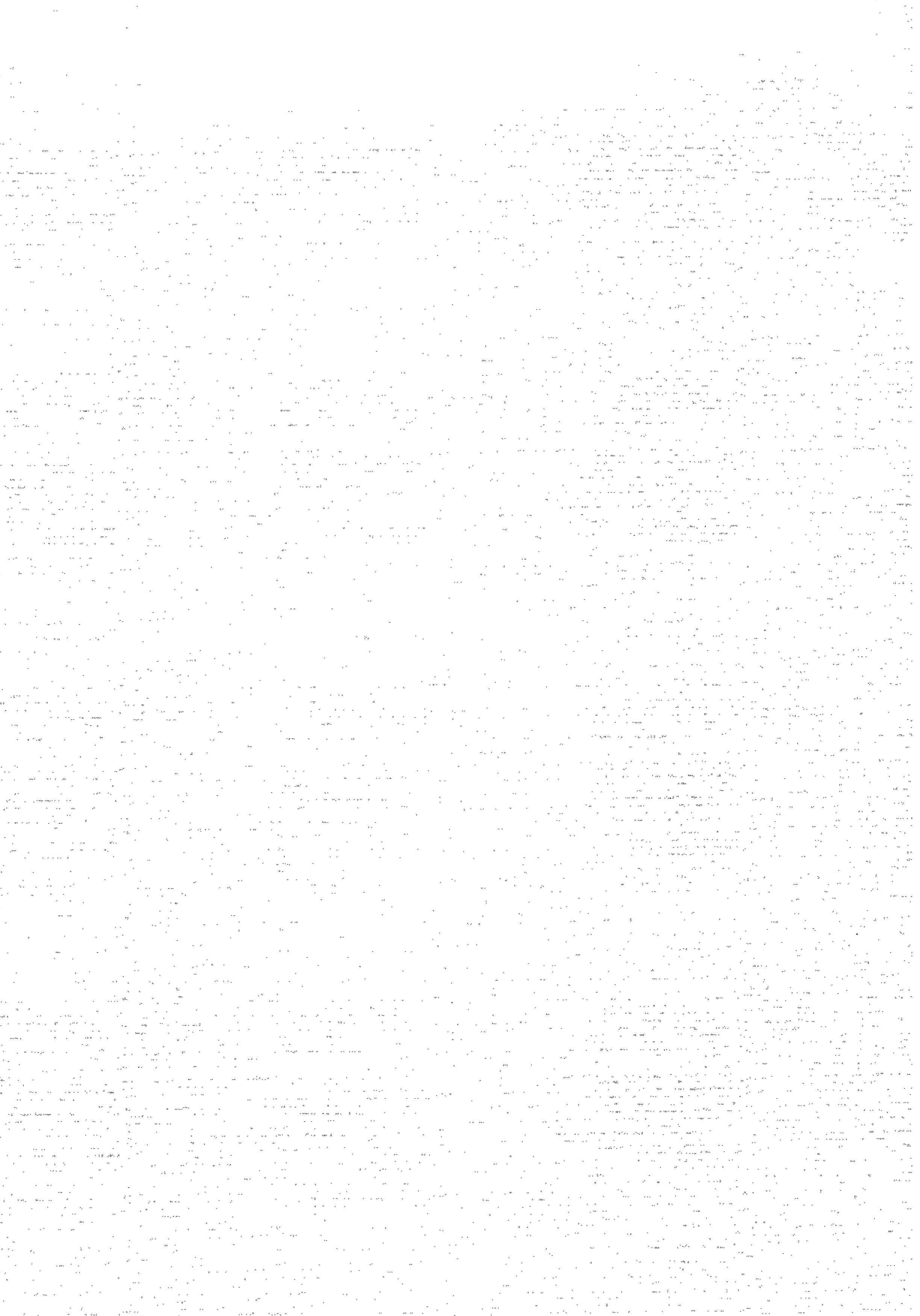




لوحة (٣) : جانب من أحد المحلات التي تبيع بعض الأدوات التراثية التقليدية



لوحة (٤) : مجموعة محلات تمارس بيع أنواع متعددة من الأدوات الشعبية



آثار التعدين القديمة في المملكة العربية السعودية

د . حسين بن محمد صابر (*)

مقدمة :

تفخر المملكة العربية السعودية بما حباها الله من ثروة معدنية واعدة ، تقوم وكالة وزارة البترول للثروة المعدنية بجهود حثيثة لاستكشافها وتطويرها بهدف استغلالها تجارياً .

ويبدو أن التعدين كان صناعة مزدهرة في الجزيرة العربية خلال الفترة الإسلامية المبكرة وخصوصاً في عهد الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦ هجرية / ٧٥٠ - ١٢٥٨ ميلادية) حيث سعى القدماء إلى البحث عن معادن الذهب والنحاس والفضة واستغلالها كما يشهد على ذلك وجود مئات من آثار التعدين القديمة المنتشرة بالقرب من طرق القوافل القديمة في الدرع العربي .

ومنذ بداية أعمال الاستكشاف المعدني الحديث في الثلاثينيات الميلادية . تم إجراء العديد من الدراسات الجيولوجية الهادفة إلى تقويم هذه الآثار التعدينية القديمة ، وتحليل اتجاهاتها العشوائية ، وذلك لما تمثله هذه الآثار من أهمية في توجيه فرق التنقيب الحقلية نحو مجالات جديدة للتواجدات للاستكشافات المعدنية .

١ - تاريخ التعدين والاستكشاف المعدني في المملكة العربية السعودية :

لا يوجد تاريخ معين يشير إلى ابتداء النشاطات التعدينية القديمة في المملكة العربية السعودية ، ويبدو أن التعدين كان صناعة مزدهرة في الجزيرة العربية خلال الفترة الإسلامية المبكرة وخصوصاً في عهد الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦ هجرية ٧٥٠-١٢٥٨ ميلادية) كما تبين من تحديد التاريخ بقياس إشعاع كربون الفحم الخشبي من الخبث وكذلك الكتابات والنقوش الكوفية وبقايا الفخار المطلي ، والأطراف الزجاجية ، ورقاب القوارير التي اكتشفت في مناجم مهد الذهب والنقرة وسمرة (الشنطي ، AL-Shanti ١٩٧٤م).

(*) المستشار بمكتب وكيل الوزارة المساعد للمسح والتنقيب ، وزارة البترول والثروة المعدنية .

ويتبين من مراجعة الكتب والسجلات أن الاستكشافات المعدنية الحديثة في شبه الجزيرة العربية ابتدأت في القرن التاسع عشر عندما قام ريتشارد بيرتون وآخرون ببعثتهم في عام ١٨٧٧-١٨٧٨م بالنيابة عن خديوي مصر إلى (أرض مدين) والتي اكتشفت خلالها عدداً من آثار التعدين العتيقة والحفريات (بيرتون Burton ١٨٧٨م) .

وبعدها ، في أوائل الثلاثينات الميلادية (تويتشل ، Twitchell ١٩٣١م) تجددت نشاطات الاستكشاف المعدني في عهد المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود - طيب الله ثراه - وتم اكتشاف عدداً من آثار التعدين العتيقة ومن بينها تم إعادة فتح منجم مهد الذهب واستغلاله لمدة ١٥ عاماً (١٩٣٩-١٩٥٤م) وذلك من قبل مجموعة التعدين العربية السعودية (سامس) . وخلال هذه الفترة كان برنامج الاستكشاف المعدني ضمن مسئوليات مكتب المناجم والشركات ، بوزارة المالية ، بالمملكة العربية السعودية . وبعد ذلك تولت القيام بالمسئولية المديرية العامة للبترول وشئون المعادن في نفس الوزارة .

وتم في عام ١٩٦٠م تأسيس مديرية مستقلة هي المديرية العامة للثروة المعدنية (حالياً وكالة الوزارة للثروة المعدنية) التابعة لوزارة البترول والثروة المعدنية ، لتقوم بإدارة برنامج منظم للاستكشاف المعدني . وأثمرت هذه الاستكشافات عن إيجاد مكامن النحاس ، الزنك ، الحديد ، الفضة ، الذهب ، والمعادن الصناعية بأهمية اقتصادية متفاوتة .

وفي عام ١٩٨٣م تفضل سيدي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله بافتتاح منجم مهد الذهب تحقيقاً للهدف السامي باستغلال الثروات المعدنية لدعم قاعدة الاقتصاد الوطني . وقد بلغ منجم مهد الذهب مرحلة الإنتاج التجاري في عام ١٩٨٨م . كما دخل المنجم الثاني للذهب وهو منجم الصخيبرات طور الإنتاج التجاري في عام ١٩٩١م .

وبالإضافة إلى عمليات التنقيب المعدني والمسح الجيولوجي المنتظمة ، اتسعت جهود وكالة الوزارة للثروة المعدنية حالياً لتشمل دراسة وتقويم آثار التعدين والمناجم القديمة ، وإعداد دراسات الجدوى الاقتصادية للمكامن المعدنية الهامة بهدف استغلالها تجارياً . كما قامت وكالة الوزارة للثروة المعدنية بتطوير العديد من مكامن المعادن الصناعية ومواد البناء وأحجار الزينة وتنميتها إلى مرحلة الإنتاج التجاري مما كان له مردودات إيجابية على مسيرة الاقتصاد الوطني .

٢ - مناطق انتشار آثار التعدين وعلاقتها بطرق القوافل القديمة :

تتركز معظم آثار التعدين القديمة في منطقة الدرع العربي التي تكون الجزء الغربي من المملكة العربية السعودية . ويشكل الدرع العربي السعودي إقليماً جيولوجياً ومتمعدناً ، كما أنه موقعاً لنشاطات حضارية ، كما يشار إلى ذلك بالكتابات والنقوش والأطلال المبعثرة للقرى والمناجم القديمة .

وقد تم رصد أكثر من ألف من آثار التعدين القديمة المنتشرة في الدرع العربي السعودي ، وتظهر هذه المناجم بشكل حفريات تعدينية مبعثرة ، خنادق ملتوية ضيقة وأكوام من الفضلات والخبث ، أو قرى تعدينية تحتوي على بقايا من المحاجر العتيقة والمطارق الحجرية وأحجار الرحى (صابر ، Sabir ١٩٨٩م) . ونظراً لصعوبة حفرها فإن معظم هذه الأعمال لا يتجاوز عمقها ٣٠ متراً ، إلا أن بعضها كتلك الموجودة في مهد الذهب وسمرة امتدت إلى عمق ٧٠ متراً مما يدل على العزيمة الصلبة للقدماء في استغلال المعادن بالرغم من عظم المشقة والعناء .

وبالنظر إلى توزعها وانتشارها في الدرع العربي ، يتبين أن آثار التعدين القديمة تقع على امتداد وبقرب طرق القوافل القديمة مثل درب زبيدة (الحلوة وآخرون .AL-Helwah et al ١٩٨٢م) وطريق تجارة البخور والتوابل القديم والتي تلتقي في المدينة المقدسة ، مكة المكرمة .

ودرب زبيدة (طريق زبيدة) هو طريق الحج الكبير المتصل بالمدن القديمة في غرب آسيا ويمتد جنوباً إلى مكة المكرمة . وقد أمرت الملكة زبيدة ، زوجة هارون الرشيد في عصر الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦هجرية / ٧٥٠-١٢٥٨ ميلادية) بإنشاء أماكن توقف على امتداد هذا الطريق حيث يستريح الحجاج في طريقهم إلى الحرمين الشريفين .

ومن الظاهر أنها أمرت بحفر بئر مياه في كل موقف وإحاطة البئر بالأحجار وكذلك ببناء حصن للحماية . ويمر درب زبيدة بمناجم قديمة مهمة مثل سميرة والنجادي والنقرة ويمتد جنوباً إلى أم الدمار ومهد الذهب ، حيث توجد قرى قديمة وأعمال تعدينية واسعة .

وبمثل ما وجد على امتداد درب زبيدة ، فإنه تم إيجاد عدد من آثار التعدين القديمة على امتداد طريق تجارة البخور والتوابل القديم ، والذي يصل الساحل الجنوبي للجزيرة العربية

بمدينة نجران ويتجه غرباً إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ليصل إلى دمشق شمالاً . وتشمل هذه الأعمال الهامة ملقطه ، والعقيق ، وعبلة ، وتوجد هذه بجانب كثير من آبار المياه القديمة والتي مازال بعضها مهم حتى الآن ، مثل بئر يدمة ، شمال نجران ، وعين زبيدة جنوب مكة المكرمة .

والمفترض أن هذه الطرق القديمة كانت القناة الرئيسية التي تم على امتدادها التبادل التجاري بالمعادن المستخرجة بين المجتمعات القائمة بالأعمال التعدينية في الجزيرة العربية وشعوب البحر الأبيض المتوسط .

٣ - مناجم الذهب القديمة :

تشير المراجع القديمة (الجاسر ، ١٩٨٧م) المتوافقة مع الإثباتات الحقلية في مواقع آثار التعدين العتيقة إلى أن القدماء سعوا إلى استغلال الذهب والنحاس والفضة .

ومن المرجح أن الذهب كان المعدن المسيطر المستغل من قبل القدماء ، كما يتضح من التوزع المتسع والمتكاثر للآثار التعدينية القديمة المتعلقة به الواقعة في أوسط وغرب الدرع العربي السعودي والتي يوجد معظمها في عروق المرو الحاملة للذهب ، مثل مناجم الصخيبرات وظلم وأم القريات أو في عروق المرو المتعددة المعادن ومثالها النموذجي منجم مهد الذهب .

ويقع منجم مهد الذهب في الجزء الأوسط من الدرع العربي السعودي على بعد حوالي ٣٦٠كم شمال شرق جدة ، وتوجد قرية مهد الذهب القديمة على بعد ٢كم إلى الشمال على امتداد طريق زبيدة القديم للقوافل ، مما يدل على احتمال وجود مركز تجاري قديم في المنطقة . وتشمل الآثار التعدينية القديمة حفريات تعدين ضيقة منحدرة إلى عمق ٨٥ م ، مع وجود نفايات تعدينية واسعة الانتشار قدرت كمياتها بحوالي مليون طن (دولف ، Dolph ١٩٤٢م) مما يدل على أن الإنتاج القديم من هذا المنجم كان مهماً وكبيراً .

ويرتبط التمعدن في المنجم بشبكة من عروق المرو التي تقطع سلسلة متحولة من الصخور البركانية ، ويتميز الخام بتعدد المعادن المكونة من كبريتيدات النحاس ، الزنك ، الرصاص والحديد مع الذهب والفضة الموجودة بشكل ذرات مجهرية من معادن التلوريد المعقدة .

٤ - تنور طبخ الذهب :

وبالرغم من تكون الذهب والفضة بمركب كيميائي معقد ، فقد تمكن القدماء من تدبير الوسائل الحرفية اللازمة لفصل هذه المعادن النفيسة عن الخام واستخراجها . وفي هذا الصدد يشير الهمداني (٢٨٠-٣٤٥ هجرية) في كتابه (الجوهرتين) إلى أن القدماء استخدموا تنور الطبخ وهو تنور من الطين الصلب المخلوط بالأحجار وضع بداخله أكيال مطحونة متساوية الوزن من الخام والملح النقي وحطب الوقود ، يتم إشعالها والنفخ عليها لقرابة ساعة ، وبعد ذلك يرفع غطاء التنور المغلق بإحكام لاستخراج الذهب في قدور صغيرة وضعت في قاع التنور .

ومن الناحية العلمية نجد أن هذه الطريقة لاستخلاص الذهب تتم نتيجة الاحتراق وصهر الخام داخل التنور ، إذ يمثل الملح الممزوج بالخام ، المادة الصهور التي تساعد على الذوبان المبكر لكبريتيدات المعادن والفضة ، والذي يحدث قبل بلوغ درجة انصهار الذهب (١٠٦٣ درجة مئوية) بحيث يتم امتصاص خليط المعادن الذائبة إلى جدران التنور الطينية وبالتالي يترسب الذهب الصافي في التنور .

٥ - مناجم النحاس القديمة :

تأتي الآثار التعدينية القديمة للنحاس ثانية بعد الذهب من حيث الوفرة وهي تتركز على امتداد الجانب الغربي من الدرع العربي السعودي (جبل صايد ، جبل سمران ، العقيق ، المصانع) وكذلك في القسم الشمالي (النقرة ، الصفرا ، أم الدمار) والشمالي الشرقي (الخنيقية ، أم الشلاهيب) حيث يوجد معظمها على امتداد الصخور البركانية الفتاتية .

ويعد منجم أم الدمار الذي يبعد حوالي ٣٠كم شمال شرق منجم مهد الذهب من أهم مناجم النحاس القديمة ، وهو يتميز بوجود قرية تعدين قديمة وآثار تعدينية واسعة مبعثرة على مسافة ٢كم ، ولكنها متركزة في منطقتين ، يشار إليهما بالأعمال الجنوبية والأعمال الشمالية . وتتضمن الأعمال الجنوبية مجموعة من الحفريات الكشفية على خط متجه إلى الشمال الشرقي وتمتد حوالي ٥٠٠ متر طولاً وعدة أمتار عرضاً ، وما بين ٥ - ٣٠ متراً في العمق . أما الآثار التعدينية الشمالية فإنها منتشرة فوق عدة تلال وتغطي مساحة طولها ١٠٠٠متر وعرضها

٨٠٠ متر ، وتتضمن عدداً من حفر المناجم الضحلة التي يتواجد بالقرب منها أكوام هائلة من الخبث جديرة بالملاحظة تقدر محتوياتها بحوالي ١٠٠ ألف طن من المواد (شافنر Schaffner ١٩٥٤م) . ويشكل الخبث بقايا الخام المنصهر وهو مادة صخرية الشكل من النحاس المطفأ ، وقد تحتوي شظاياه على أكسيد النحاس .

٦ - فرن صهر النحاس :

ويستدل من الأعماق الطفيفة للحفريات بأن الاستغلال القديم اقتصر على الطبقات العلوية المتأكسدة للخامات النحاسية والتي تظهر بقعاً سطحية خضراء من كربونات النحاس المسقى (الدهنج أو الملاكيت) على إمتداد الشقوق والفوالق . ويتبين من مواقع الصهر القديمة حيث توجد أكوام من الخبث والنفايات ، بأن طريقة الاستغلال شملت طحن الخام بواسطة الطرق وأحجار الرحى ، ثم صهره لاستخلاص النحاس وفصله عن الشوائب . وتجري عملية الصهر في فرن من الصلصال تم إشعاله بخليط من طبقات الفحم والخام المسحوق والمواد الصهور التي ينفخ عليها لإذكاء النار وتوهج حرارة الاشتعال مما يؤدي إلى ترسب النحاس المنصهر ، بينما تطفو الشوائب وتتدفق من خلال ثقب إلى أوعية صغيرة خارج الفرن .

٧ - مناجم الفضة القديمة :

تتواجد معظم الآثار التعدينية القديمة المتعلقة بالفضة في القسم الشمالي الشرقي من الدرع العربي بالقرب من مدينة الدوادمي وعلى امتداد مواقع سمرة ، أم القصور ، أبو السنون ، أم حديد .

ويعد منجم سمرة أهم مناجم الفضة القديمة المعروفة في المملكة العربية السعودية ، ويقع على بعد حوالي ١٥كم جنوب مدينة الدوادمي . وهناك قرية قديمة يوجد فيها الكثير من أطلال المنازل تقع في جنوب شرق المنجم . وتشمل بقايا النشاطات التعدينية عدداً من الخنادق ومهاوي المناجم ، والحفريات التي يمتد عمقها إلى حوالي ١٥ متراً ، وهي محاطة بأكوام تحتوي على حوالي ٢٠٫٠٠٠ طن من الفضلات التي تحجب الصخر القاعدي .

ومن المحتمل أن المنجم كان منتجاً أثناء عهد الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦ هجرية ، ٧٥٠-١٢٥٨ ميلادية) الفترة التي يدل عليها وجود الكثير من قطع الفخار المطلي الأخضر

والأزرق ، وشظايا الزجاج التي كانت تصنع في ذلك الوقت . ولا توجد مراجع تدل على كمية إنتاج المعادن . ومع ذلك يستدل من حجم الأعمال الظاهرة وأكوام الفضلات ، أنه تم تعدين مواد قدرها ٦٠ر٠٠٠ طن على الأقل (بوج ، Bogue ١٩٥٤م) . وقد وصف الهمداني في كتابه (الجوهرتين) الطريقة التي استخدمها القدماء لاستخلاص الفضة وفصلها عن الخام ، وهي شبيهة بطريقة استخلاص الذهب المذكورة آنفاً .

٨ - أهمية آثار التعدين القديمة في أعمال الاستكشاف المعدني الحديث :

تشكل آثار التعدين القديمة ومصاهر الخام وأكوام الخبث والنفايات ، وسائل هامة يستعين بها الجيولوجيون للاستدلال على وجود المعادن والبحث عنها . وتبعاً لذلك ، يلاحظ أن معظم مواقع الآثار التعدينية القديمة تتطابق ميدانياً مع مواقع الرواسب المعدنية المكتشفة منذ بداية هذا القرن بما في ذلك معظم ما تم إعادة اكتشافه من مكامن الذهب المهمة في مهد الذهب والصخيبرات والآمار ، ومكامن النحاس والزنك في النقرة والخنيقية ، ورواسب الفضة في سمرة الميزة بكثير من الأعمال القديمة الواسعة . وهذه تشهد على مدى أهمية آثار التعدين القديمة نحو الاستكشافات المعدنية الحديثة .

ومع ذلك توجد بعض المواقع المستثناة الهامة التي لا تظهر بها سوى بعض الحفريات الصغيرة ، مثل مكمن النحاس في جبل صايد ومكمن الذهب في الحجار ، وحمضه والتي تم اكتشافها مؤخراً باستخدام طرق استكشافية حديثة .

كذلك فإن هناك معادن أخرى علاوة على الذهب والنحاس والفضة تم اكتشافها باستخدام الوسائل التقنية الحديثة وتشمل النيكل ، الكوبالت ، اليورانيوم ، التنجستن ، القصدير ، الموليبدينوم ، والزركونيوم . ومن المحتمل أن استكشاف واستغلال هذه المعادن كان يفوق علم ومقدرة القدماء الفنية .

٩ - التوصيات :

بناءً على المناقشات والاقتراحات التي طرحت في ضوء المحاضرة بعنوان " آثار التعدين القديمة في المملكة العربية السعودية ، حمايتها والمحافظة عليها " المنعقدة في مدينة الرياض في الفترة (١٥– ١٨ رجب ١٤٢٠هـ) ، فإنه يقترح إقامة تعاون وتنسيق في مجال آثار التعدين

والمناجم القديمة المتواجدة في المملكة العربية السعودية بين كل من وزارة البترول والثروة المعدنية – وكالة الوزارة للثروة المعدنية ووزارة المعارف – وكالة الآثار والمتاحف ، وذلك وفقاً للتوصيات التالية :

١- قيام وكالة الوزارة للثروة المعدنية بالإبلاغ عن مواقع آثار التعدين والمناجم القديمة التي قد تتواجد في نطاق المناطق التي تعمل بها الوكالة ، وتشجع المختصين على تسجيل ودراسة هذه الآثار والمحافظة عليها ، وكذلك الإبلاغ عن المواقع الأثرية التي يكتشفها الجيولوجيون خلال رحلاتهم الحقلية .

٢- قيام وكالة الوزارة للثروة المعدنية بتزويد وكالة الآثار والمتاحف بالمعلومات والتقارير الفنية التي تصدرها والمتعلقة بآثار التعدين والمناجم القديمة .

٣- قيام وكالة الآثار والمتاحف بالإبلاغ عن مواقع آثار التعدين القديمة التي يكتشفها علماء الآثار ، وتزويد وكالة الوزراء للثروة المعدنية بالمعلومات المتعلقة بآثار التعدين والمناجم القديمة ، بما يشمل أعمال المسح الأثري لمواقع التعدين القديمة وكذلك المطبوعات ذات العلاقة مثل (الأطلال) وغيرها .

المراجع

- الجاسر ، حمد (١٩٨٧م) كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء أعده للنشر بإيضاح بعض غوامضه وإعداد فهارسه وإضافة بحث عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب الاستاذ حمد الجاسر .
- الهمداني ، لسان اليمن الحسن بن أحمد (٢٨٠-٣٤٥ هجرية) الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء : أعاد طباعته الجاسر (١٩٨٧م) .

* Al-Helwah, S., Aal al Shaikh, A., and Murad, A.S., 1982, " Preliminary report on the Sixth Phase of the Darb Zubaydah Reconnaissance, 1981 (A.H. 1401) " , Atlal : The Journal of Saudi Arabian Archaeology, vol. 6, pp. 39-62 .
* Al-Shanti, A.M.S., 1974, The silver mineralization in the east part of the Arabian Shield: in The Second Arab Conference for Mineral Resources, Conference Documents, Background Papers, Jiddah, Kingdom of Saudi Arabia, pp. 65-105 .
* Bogue, G ., 1954, Reconnaissance of mineral deposits in a part of western Saudi Arabia: Saudi Arabian Deputy Ministry for Mineral Resources, Jiddah, Open-File Report DGMR-31, 66p .
* Burton, R., 1878, The gold mines of Midian and the ruined Midianite cities: Falcon-Oleander, Italy and the United States, 244 p. (1974).
* Dolph, O.P., 1942, King Solomon's Mine, Arabia : The Mines Magazine, January 1942, vol. 32, pp. 21-24.
* Sabir, H., 1989, Metallogeny of gold deposits in Saudi Arabia and its significance for gold exploration and exploitation: Saudi Arabian Directorate General of Mineral Resources Open-File Report BRGM-OF-09-16, 14p., 9 figs.
* Schaffner, D.F., 1954, Report on Aqiq [23/41 A], Umm ad Damar area: Saudi Arabian Deputy Ministry for Mineral Resources Open-File Report DGMR-35, 20p .
* Twitchell, K.S. 1931, ancient gold mines of Hedjas and Nejd, Arabia: Saudi Arabian Directorate General of Mineral Resources , Jiddah , DGMR unnum bered PRE-SAMS document, 13p .

شكر

أود أن أتقدم بالشكر والتقدير لمعالي المهندس علي بن إبراهيم النعيمي وزير البترول والثروة المعدنية للتوجيهات الكريمة ، ولسعادة الأستاذ/ إبراهيم بن أحمد خبيري وكيل الوزارة للثروة المعدنية وسعادة الدكتور/ محمد بن أسعد توفيق وكيل الوزارة المساعد للمسح والتنقيب لما قدماه باستمرار من دعم وتشجيع وكذلك لتفضلهما بالموافقة على نشر هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر الخاص - لوكالة الآثار والمتاحف - وزارة المعارف ، للتفضل بالدعوة للمشاركة في ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية خلال شهر رجب لعام ١٤٢٠هـ .

أمن المتاحف والآثار

د . معجب بن معدي الحويقل (*)

مقدمة :

يعد الأمن الركيزة الأولى التي تقوم عليها الحياة . وعلى هذا الأساس يعتمد في العلوم الأمنية في العصر الحديث على البحث العلمي للوصول إلى أفضل النتائج نظراً لتشعب الأمن وكونه ضرورة اجتماعية ، فلابد من بنائه على أسس موضوعية قوية . ولا يكفي فيه مجرد الإلمام بالعموميات فلا بد من التخصص فالمساهمة الاجتهادية على سبيل المثال في إطفاء الحريق أمر متاح لكل إنسان . وربما وفق المجتهد صدفة للعمل الجيد أو قاد اجتهاده إلى زيادة حجم الحريق إذا استخدم بعض المواد التي لا تتناسب . وهنا تبرز أهمية المشاركة الفاعلة المبنية على علم بالمواد المساعدة في إخماد الحريق حسب نوعه . فيهيأ الفرد بالعلوم الأمنية الشاملة ثم يشرع في تخصيصه لأحد الجوانب من أجل ذلك تشكل وحدات خاصة بمكافحة الشغب وفض الاختصام ، وأخرى لأمن السجون ، وتخصص وحدات لأمن الطرق . وتشكل وحدات لأمن المنشآت المهمة . ويختلف تكوين كل واحدة تبعاً لمهامها وطبيعة المنشأة ، فهناك المنشأة المالية ، والمنشأة الاجتماعية ، والمنشآت السياسية ، والمنشآت الإعلامية . ومن المنشآت تلك التي تضم المتاحف والآثار . وتختلف بحسب ما تحتويه من آثار ، وتبعاً لنوع المكان الأثري ، متحف أو منطقة مفتوحة . وهي من الأهمية بمكان ، فالمحافظة على الآثار تعني الحفاظ على تاريخ الأمة وتراثها ، وهذا النوع من المنشآت يتطلب تخصصاً أمنياً يعني أهمية الآثار والأخطار التي تهددها .

و تحقيق مستوى جيد من الأمن يتطلب التخصص والتدريب في المجال المطلوب ومتابعة مستمرة لكل جديد في بحر التخصص . وخاصة وأن عالمنا العربي ينظر إلى الآثار والمتاحف نظرة تختلف عن قيمتها الأصلية والكثير لا يدرك أهميتها المطلوبة ولعل هذا سبب في ضياع الكثير من الآثار والتراث القومي الذي تسرب إلى غير موضعه الأصلي .

(*) وكيل مركز الدراسات والبحوث ـ أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية .

وقد حرصت المملكة العربية السعودية على الآثار والمتاحف فأنشأت لها إدارة خاصة تتبع وزارة المعارف عملاً بالمرسوم الملكي رقم م/ ٢٦ في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٩٢هـ ، المتضمن المصادقة على نظام الآثار والقاضي بإنشاء مجلس أعلى للآثار برئاسة وزير المعارف وعضوية وكيل الوزارة وممثلين عن عدد من الوزارات والهيئات المتخصصة ، وقد عمل المجلس منذ تأسيسه على المحافظة على الآثار في المملكة ولعل عقده لندوة الآثار في المملكة العربية السعودية وحمايتها والمحافظة عليها يعكس مدى الاهتمام بالمحافظة على الآثار التي هي في الحقيقة محافظة على تاريخ الأمة وموروثها الثقافي والحضاري .

وهذا البحث يتناول مفهوم الأمن ، وتجربة بعض الدول العربية في مجال أمن الآثار ثم تصور لأمن المتاحف والآثار في المملكة العربية السعودية والخلوص في النهاية إلى بعض التوصيات التي تخدم الموضوع .

المبحث الأول
الأمـــن

الأمن لغة ضد الخوف : وهو مطلب أساسي في المنشآت الهامة ومن ذلك المتاحف والأماكن الأثرية .

واصطلاحاً : الأمن إحساس الأفراد والجماعات التي يشكل منها المجتمع بشعور الطمأنينة والأمان ويحفزهم على العمل ويوفر لهم مناخ الاستقرار اللازم لاستمرت التنمية والإنتاج فلا شك أن الأمن الحقيقي هو الشعور الذي يملأ النفس بالطمأنينة في الوقت الحاضر والمستقبل (١). و الأمن هو الأساس الذي تقوم عليه التنمية ، ويحتل المرتبة الثانية في حياة الإنسان ، حيث يأتي بعد الغذاء الذي لا حياة للإنسان بدونه ، والتي يؤكدها ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ (سورة قريش) . ولذلك أعطى الأمن أهمية بالغة ليضمن انتظام الحياة واستمرارها ، فيأمن الإنسان فيها على نفسه وماله وعرضه . ومهمة الأجهزة الأمنية الأولى خلق الشعور بالطمأنينة وتسعى بكل ما أوتيت من وسائل لتحقيق هذا الهدف .

وتسعى لمباشرة دورها الوقائي من أجل إزالة أسباب الجريمة التي تدعو للخوف وتهدد أمن المجتمع من خلال مباشرة مسؤوليتها وتواجدها المستمر الذي يعين على إجهاض الجريمة قبل وقوعها . كالجرائم التي تحصل بجهل من المواطن بأهمية الآثار والمتاحف ، والتدخل في حالات الاشتباه التي تدعو إلى الريبة في تصرفات بعض الأشخاص في حدود الأماكن المراد حمايتها وكذا القيام بالتفتيش في الحالات التي يصاحبها الشك وتقوي فيها الشبهات – والتي قد تسفر عن جرائم مستترة يراد تنفيذها خفية . لتحقيق ذلك تسير الدوريات بأنواعها الراكبة والراجلة ، وتوضع نقاط المراقبة والحراسة الثابتة كل ذلك من شأنه التقليل من حدوث الجريمة ابتداءً . ولعل ما يعين على اختفاء الجرائم تبادل المعلومات بين الأجهزة الأمنية بمختلف اختصاصاتها حول نشاطات المجرمين التي قد يكون لها مساس بالأمن والطمأنينة بشكل عام والآثار بصفة خاصة . فتؤخذ الحيطة وتوضع الخطط التي تساعد على إحباط مآرب المجرمين

---

(١) القاضي ، أحمد ، أمن وسلامة المنشآت الحيوية ، دار الفكر العربي ، القاهرة .. ط ١ ، عام ١٤١٩هـ ، ص١٠ .

وتتخذ الوسائل التي تضمن سلامة المنشأة الهامة . ومن ذلك المتاحف والآثار والأماكن الأثرية لأهميتها الوطنية .

وكثيراً ما فقدت آثار وكانت السرقة سبباً في ضياع الكثير من التراث القومي وتسرُبه إلى خارج الوطن (١) وقد تتعرض الآثار للتخريب الذي من أشهر وسائله المتفجرات ، والمواد الكيماوية والنار .

ويلجأ المخربون لتنفيذ أعمالهم الإجرامية إلى التخطيط الدقيق لضمان نجاح عملياتهم وتحقيق أهدافهم بأقل الخسائر ويسعون جاهدين إلى جمع المعلومات الدقيقة التي تسهل مهامهم ويعمدون على خطوات مدروسة منها :

- مراقبة المنشأة في أوقات مختلفة لاختيار الوقت الأكثر ملاءمة للتنفيذ ليلاً أم نهاراً .
- التقاط اتصالات الحراسة اللاسلكية ومعرفة التردد المستخدم للاطلاع الكامل على كيفية الحراسة وكشف تعليماتها .
- استعمال التصاريح التي تفيد بمشروعية الدخول إذا استطاعوا ذلك أو استخدام تصاريح مزورة تشبه الأصلية للتمكن من تجاوز نقاط الأمن تحت غطاء المشروعية ، ليصل إلى هدفه في غفلة من الأمن .
- يتخذ جهاز الأمن التدابير الأمنية لمواجهة كافة المخاطر التي تهدد أمن المنشآت الهامة بشكل عام ، ويمكن إجمالها في الآتي :
- إعداد الخطة للمنشأة التي تستهدف حماية الموقع من الأخطار التي تهدده سواء كانت هذه الأخطار متوقعة أم بعيدة الاحتمال . وذلك بمنع الأسباب التي تدعو لذلك واعتماداً على أسس يجب أن توفر في الخطة الأمنية أهمها :

١) **الاستمرارية** : أي أن تكون الخطة قابلة للتنفيذ .

٢) **الشمولية** : تكون الخطة مشتملة على أساليب عمل تكفل التصدي للأخطار التي تهدد الأمن .

---

(١) ياسين ، خير ، الآثار في أرضنا العربية ورحلتها إلى المتاحف الأوربية ، مجلة المتحف العربي ، الكويت ، السنة الأولى ، العدد الأول ١٤٠٥هـ ، رمضان ، ص ص ١٥-١٨ .

٣) **المرونة** : أن تكون الخطة قابلة للتعديل والتطوير بما يتناسب مع المتغيرات الطارئة .

٤) **العلمية** : أن تعتمد الخطة على أسس علمية وأن تستفيد من كل حديث بما يتفق وروح العصر .

٥) **الوقائية** : أن تكون إجراءات الخطة تهدف إلى الوقاية من الجرائم ومنع أسباب الأخطار كالحرائق ، وجرائم التخريب ، ومحاولات التسلل والاقتحام .

٦) **القابلية للتنفيذ** : أي سلامة النواحي الفنية من العوائق في التنفيذ .

٧) **تحديد المسؤوليات** : يجب أن تشتمل الخطة على تحديد دقيق للمسئوليات ، وبما يكفل التنفيذ السليم ووضوح الرؤية حتى لا يكون هناك مجال للغموض .

المبحث الثاني

تجربة الدول العربية في أمن الآثار

حاولت الاستفادة من تجربة الدول العربية في مجال أمن الآثار والمتاحف ، وحصلنا على إجابة بعض الدول ، وكانت الإجابات متباينة ، فبعض الدول لا يوجد فيها أمن يتولى هذه المهمة [1] بينما تهتم بعض الدول وتلحق أمن الآثار بإدارة مكافحة المخدرات من الناحية القانونية ، ويشاطرها في المحافظة على أمن الآثار والأماكن السياحية إدارة الشرطة السياحية . وتتولى دائرة الآثار العامة التابعة لوزارة السياحة عملية الإدارة [2] .

وفي الجمهورية التونسية : اتخذت جملة من التدابير حرصاً على حماية موروثها الثقافي من الناحيتين التشريعية والأمنية ، فعلى المستوى التشريعي ، صدرت مجلة قانونية لحماية الآثار والتراث الأثري بتاريخ عام ١٩٩٤م ، وشددت العقوبات في قانون الآثار .

وعلى المستوى الأمني : أحدثت مصلحة متخصصة في مكافحة جرائم الآثار مهامها ما يلي :

- التصدي لظاهرة الاعتداء على الآثار .
- مركز معلومات لتوثيق الآثار .
- متابعة محلات بيع التحف الأثرية وإلزامهم بمسك دفاتر خاصة بعمليات البيع والشراء.
- إقامة دورات تدريبية لرؤساء الأجهزة الأمنية في المناطق لتحسيسهم بمدى خطورة جرائم الآثار والتصدي لها .
- ربط الصلة بانتظام بالمعهد الوطني للتراث وذلك بقصد الحصول على المزيد من الخبرات في الميدان الأثري وبخاصة من حيث التمييز بين القطع الأصلية والمدلسة .

---

(١) خطاب المدير العام لقوى الأمن اللبناني رقم ٨٩٣ / ٢٠٤ في ٢ / ١٢ / ١٩٩٨م . مدير دائرة المؤتمرات بدولة عمان، م س / ٢ / ٥ / ٢ في ١٣ / ٨ / ١٤١٩هـ .

(٢) خطاب وزير الداخلية الأردني رقم ٢٦ / ٦٤ في ١٩ / شعبان / ١٤١٩هـ .

- إصدار مناشير بالقطع المسروقة تتضمن صوراً واضحة للقطعة المسروقة وجميع مواصفاتها (١) .

أما ليبيا : فقد أصدرت قانوناً لحماية الآثار وتقوم بمراجعته من فترة إلى أخرى وسن القوانين واللوائح المتعلقة بها وقد صدر آخر تشريع عام ١٩٩٤م .

وفي المجال التنفيذي : يقوم على شئون الآثار مصلحة مستقلة ذات شخصية اعتبارية تحت إشراف اللجنة العامة للإعلام والثقافة .

تقوم أجهزة تنفيذية للمدن التاريخية تتولى شئونها وفقاً للقانون واللوائح التنفيذية .

وعلى المستوى الشرطي استحدثت إدارة عامة للشرطة السياحية من أهم اختصاصاتها:

- مرافقة الأفواج السياحية ، ولهذا الدور أهمية كبيرة في المحافظة على الآثار .
- حماية وتأمين المناطق الأثرية ، وتشمل الحماية :

أ- أعمال الحراسة والدورية .

ب - عمليات الضبط القضائي .

ج - إعداد الدراسات والتقارير بشأن طرق الحماية .

د- التنسيق مع الجهات المختصة (مصلحة الآثار ، الشرطة الجنائية الدولية ، مديريات الأمن) .

هـ - وتقوم الإدارة بإعداد وتوزيع نشرات عن القطع المسروقة والمفقودة والمعثور عليها لإجراء التسجيل والبحث والتحري وفقاً لكل حالة وتقوم بعمل البطاقات والصور الخاصة بالقطع الأثرية وتوثيق المعلومات المتعلقة بها (٢) .

أما في دولة الكويت : فقد أعدت دراسة عن كل مكان أثري أو متحف اعتماداً على حجم المكان ونوع الآثار ، وتكون الحراسة بالتعاون مع جهاز أمن الدولة أو أي جهاز مسؤول بوزارة الداخلية وتتوفر الحراسة على مدار الساعة . ويساهم في ذلك الحرس الوطني أو

---

(١) خطاب رئيس الديوان رقم ٣٦٢٤ / ٥ في ٢٣ / ١٢ / ١٩٩٨م ، تونس .

(٢) خطاب الإدارة العامة للشرطة ٩ / ٢٧ / ١٣٧٤ في ٢٣ / ١٢ / ١٩٩٨م ، ليبيا .

شركات الحراسة ، التابعة لإدارة المتاحف والآثار .

وتستخدم الأجهزة الحديثة في الحراسة وتسجل الآثار وتخزن المعلومات في الحاسب وتوضع لها بطاقات تحمل رقماً متحفياً .

وتنظم مواعيد الزيارات بأوقات معلومة ، وتكثف الحراسة في تلك المواعيد. ويتم التنسيق والتعاون بين أجهزة الدولة في حماية المواقع الأثرية ، مما يهددها من أخطار [(١)] .

ويتبين لنا أن حراسة المتاحف والآثار في دولة الكويت تابعة للجهات الرسمية في بعض الأماكن ولشركات الأمن الخاصة في أماكن أخرى .

جمهورية مصر العربية : تهتم بالمتاحف والآثار وتوكل الأمن إلى الإدارة العامة لشرطة السياحة وتقوم تلك الإدارة بالأمن من خلال خطة أمنية توضع لكل موقع سواء داخل الكتلة السكانية أو خارجها وتركز في خطة الأمن على عنصرين أساسيين :

أولهما : العنصر البشري . الذي يتم اختياره وتدريبه من خلال دورات متخصصة تشمل استخدام الأسلحة والأجهزة المتطورة .

ثانيهما : العنصر المادي : لأهمية ما تحتويه المتاحف فإن التأمين ضد السرقات أو التلف يستلزم الاستعانة بالأجهزة التي تعين الحراسة على الكشف المبكر عن الأخطار وكذلك استعمال الدوائر التلفزيونية المغلقة .

وتقوم خطة تأمين المتاحف على مرحلتين :

المرحلة الأولى : خطة التأمين منذ بدء الزيارة إلى نهايتها وتتخذ الخطوات التالية :

- فتح الأبواب للاستقبال بمعرفة لجنة مكلفة بعد التأكد من سلامة الأبواب .
- توزيع نقاط الحراسة على الأماكن السابق تحديدها من الخارج .
- توزيع أطقم الحراسة الداخلية ، والتأكد من سلامة المعروضات والاستعانة بالكلاب البوليسية المدربة على التفتيش عن المواد المتفجرة .
- تشغيل أجهزة المراقبة التلفزيونية ، وأجهزة الإنذار المبكر ضد السرقة والحريق .

---

(١) خطاب وكيل وزارة الداخلية بدولة الكويت رقم ٩ ، ٥٥٢٧٠٥ في ٢٣ / ١٢ / ١٩٩٨م .

- بعد الخطوات السابقة يتم السماح لعمال النظافة وموظفي المتحف بالدخول لمباشرة أعمالهم واستقبال الزوار تحت إشراف الحراسة .
- يسمح بدخول الزوار من الباب الرئيسي تحت إشراف قوات الحراسة ، والتي تستعين في إجراءاتها الأمنية ببوابات الكشف عن المفرقعات والأسلحة ، ولا يسمح بدخول الحقائب .

وتقوم الحراسة الظاهرة والسرية بمنع أية أخطار سواء سرقة ، أو إساءة استعمال من الزوار وتنفيذ اللوائح الخاصة بالتصوير داخل المتحف. وتتابع التعليمات الخاصة بالمرشدين السياحيين وتنظيم حركات المجموعات السياحية. ويزود أفراد الأمن بأجهزة اتصال لا سلكي لتسهيل تبادل المعلومات بين مواقع الحراسة والقيادة .

المرحلة الثانية : تأتي بعد انتهاء الزيارة حيث تقوم الحراسة بإخلاء المتحف وتقوم بالتفتيش وتستعين بالكلاب الشرطية . ويفصل التيار الكهربائي لضمان عدم حدوث حريق ، ثم تغلق الأبواب وتوضع عليها الأختام بمعرفة اللجنة التي تشرف على أمن المنشأة .

وتعين نقاط الحراسة على أسوار المتحف والأبواب الرئيسية والفرعية وتوضع خطة مرور إشرافي على مدار اليوم من القيادات لمتابعة والتأكد من انتظام الخدمات الأمنية (١) .

مما سبق يتبين لنا أن هناك بعض الدول تربط الآثار بإدارة المخدرات لأهمية المحافظة على الآثار وتعقّب الآثار التي تخرج من البلد واعتبار ذلك من الجرائم العابرة للحدود .

ونجد بعض الدول العربية تسند فيها مهمة أمن الآثار والمتاحف إلى قسم من الشرطة متخصص يطلق عليها الشرطة السياحية تجمع بين الصفة الأمنية والمعرفة بأساليب السياحة وما يصاحبها من مشاكل .

وقد تطور العمل في بعض الدول وأدخل الحاسب في موضوع تسجيل الآثار ، ومراقبة بيعها ومعرفة أماكنها ويربط أمن الآثار المهمة بجهاز متطور جهاز أمن الدولة ، وهذا قمة الحرص في المحافظة على الآثار .

---

(١) خطاب مدير الإدارة العامة للمكتب الفني ، وزارة الداخلية المصرية ، رقم ٢٣٢٨٥ بتاريخ ٧ / ١٢ / ١٩٩٨م .

المبحث الثالث

أمن المتاحف والآثار في المملكة العربية السعودية

تهتم الدولة بالآثار والمتاحف لأن المحافظة عليها يعد محافظة على تاريخ الأمة وتراثها ، وقد أضحى من الضرورة حمايتها بجهاز أمني يدرك أهمية الآثار والأخطار التي تهددها .

ولما كانت المتاحف والأماكن الأثرية في أماكن متباعدة في المملكة العربية السعودية ، حيث توجد في جدة وأبها والدمام ، وتبوك ، والرياض ، والهفوف ، والجوف ، وتيماء ، والعلا ، ونجران ، وجيزان ، والقصيم ، ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة [1] . وإدارة هذه الأماكن تتبع إدارة خاصة بوزارة المعارف عملاً بالمرسوم الملكي المؤرخ في ٢٣ جماد الأولى ١٣٩٢هـ فإن تحقيق مستوى عال من الأمن يتطلب مهارات أمنية خاصة في عنصر الأمن البشري ووعيه بما تعنيه الآثار والمتاحف ، والإلمام بمهددات الأمن المتمثلة في :

١- **السرقة** : التي قد يشارك فيها العنصر الأجنبي والتي أصبحت مهدداً رئيساً للآثار .

٢- **الحريق** : الذي يخطط له لأهداف متعددة منها إخفاء العجز في العهدة ، أو إلحاق الضرر بأحد العاملين أو إخفاء معالم جريمة سرقة .

٣- **التخريب** : تعد المتاحف والآثار من أهم مقتنيات الدولة وتمثل تاريخها وتراثها ، ومع تزايد الإرهاب أصبحت المتاحف من الأماكن المستهدفة أو لبعض الجنسيات التي ترتاد تلك الأماكن وبالتالي ينال التخريب الموقع [2] .

ويجب أن تتولى وزارة المعارف الإدارة والحماية القانونية والداخلية للمواقع الأثرية والتي يجب أن تشتمل على الآتي :

أولاً : الحماية التشريعية :

تبرز الحاجة في الوقت الحاضر إلى تطوير نظام الآثار بقصد الحماية التشريعية المطلوبة

---

(١) آل سعود ، محمد بن سعد بن محمد . "دور الإدارة في تحقيق أمن المتاحف والمباني الأثرية" ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، رسالة ماجستير ، ١٤١٥ هـ .

(٢) أمين ، أحمد حلمي ، الوسائل الأمنية لحماية الآثار والأعمال الفنية ، ندوة حماية الآثار والأعمال الفنية ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ١٤١٢ هـ ، ص ١٤٦ .

التي تتناسب وأهمية الآثار ، ومراجعة هذا النظام بصفة دورية كلما ظهرت الحاجة لذلك وعلى ضوء المستجدات في الاتفاقيات الدولية التي تشارك فيها المملكة ، وإعطاء الإدارة المختصة بوزارة المعارف صلاحيات أوسع تشمل التصدي لظاهرة الاعتداء على الآثار ، ومتابعة التحقيق ومراقبة محلات بيع التحف الأثرية وإلزامهم بسجلات خاصة ببيع وشراء ما هو أثري ، تعرف من خلالها هوية البائع والمشتري وتوضح مواصفات القطعة المباعة .

ثانياً : الحماية الأمنية :

ويقترح أن تشترك فيها وزارة المعارف ، ووزارة الداخلية (والأمن العام ، وحدة أمن المنشآت الهامة) ويسند الأمن داخل المتحف والموقع الأثري لوزارة المعارف ، بحكم الاختصاص الدقيق في الجوانب الأثرية ، ويقوم رجال أمن المنشآت بالأمن الخارجي وحراسة المداخل والمخارج .

وتنقسم إلى نوعين خارجية وداخلية :

(أ) الحماية الخارجية :

ولها مبادئ هامة من أبرزها الآتي :

- دراسة طبيعة الموقع وما يحيط به واختيار مواقع الحراسة المسيطرة .
- التوزيع السليم لأفراد الحراسة بما يتطلبه كل موقع .
- السيطرة على طرق الاقتراب المحتملة .
- التدريب الجيد على أعمال الأمن الخاصة بالآثار والمتاحف وبما يناسب أهميتها.

وبذلك تتحقق المراقبة ويمنع ما يهدد أمن الموقع وتحصل السيطرة بشكل فعال ، على :

١) **الأسوار** : التي يجب أن يكون ارتفاعها لا يقل عن مترين سواء كان من الخرسانة أم من الشبك والأسلاك الشائكة والتي لها غاطس تحت سطح الأرض لإعاقة التسلل .

٢) **حراسة الأبواب** : وهي الفتحات المعدة للدخول والخروج من خلال الأسوار الخارجية، ويفضل تخصيص باب للدخول ، وآخر للخروج للعاملين بالمتحف ، ويكون دخول الزوار من الباب الرئيسي تحت إشراف الحراسة التي تقوم بالإجراءات الأمنية

ببوابات الكشف عن المتفجرات والأسلحة إلى جانب التفتيش الظاهري ، ومنع دخول الحقائق والأجهزة الممنوعة ، وذلك للحد من دخول أي مادة خطرة تؤثر على الأمن .

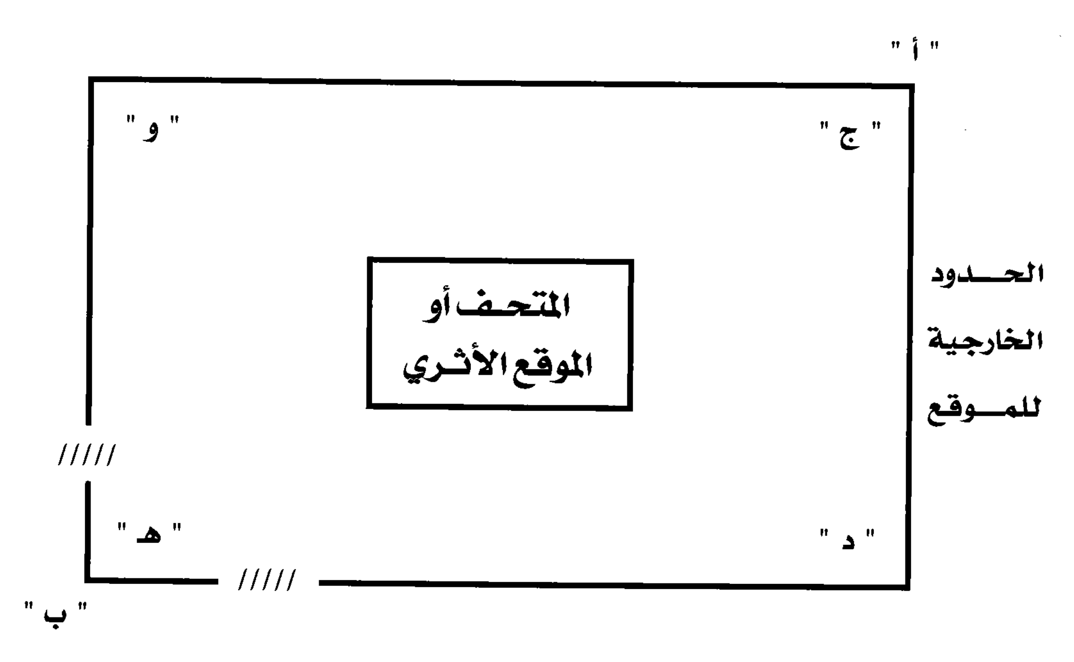
وتعتمد الحماية الخارجية على العنصر البشري الذي يعد هو الأساس في العملية الأمنية و له دور بارز مهما كان ، من استخدام الأجهزة الحديثة ، فالإنسان يملك العقل والقدرة على التعامل مع المواقف المختلفة ، ويستحسن أن يكون الأمن الخارجي من وحدة أمن وحماية المنشآت الهامة باعتبار أن المتاحف والآثار لها أهمية خاصة وهي ذات صلة وثيقة بتاريخ الأمة.

ويجب أن تصمم للوحدات التي تقوم بأمن المتاحف والآثار دورات تدريبية إضافية في مجال أمن المتاحف والآثار ، حتى يدرك من خلالها الفرد المخاطر التي تهدد هذا النوع من المنشآت وما تحتويه من آثار .

ويمكن أن تقسم الحراسة الخارجية إلى فرعين هما :

المراقبة : وتكون من فرد أو مجموعة أفراد حسب أهمية الموقع تحتل موقعاً يمكن من خلاله الإشراف على المكان المراد حراسته ، والدوريات التي تجوب الطرق المحيطة بالموقع وتلاحظ أي أعمال قد تخل بأمن الموقع . ويجب أن تزود نقاط المراقبة بالوسائل التي تعين على المراقبة الليلية . ويكون توزيع المراقبة في مواقع مختارة حتى يكتمل طوق المراقبة الفعالة ، التي تستطيع كشف أي أعمال يشتبه فيها ويعمل منعها من خلال تواجد المراقبة بشطريها الثابت والمتحرك في المواقع المدروسة مسبقاً والمسيطرة على المكان إذا كان ذا أسوار من الداخل والخارج حسب النموذج (١) .

الشكل (١)

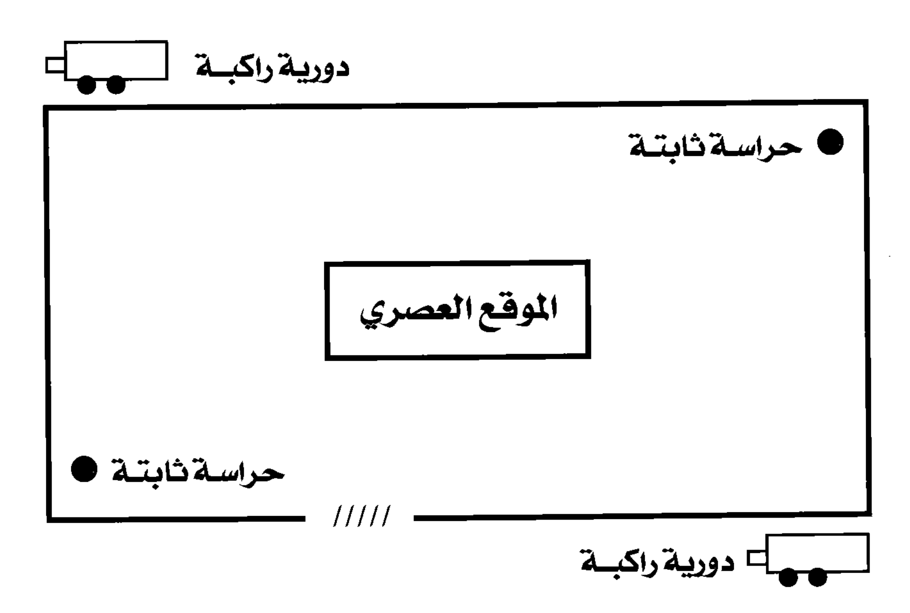


فتغطي نقطة المراقبة الخارجية" أ " ضلع السور الشمالي والشرقي بينما تراقب نقطة المراقبة الخارجية " ب " ضلع السور الجنوبي والغربي .

وتكون هناك دورية راجلة داخل السور وتحرك حول الموقع وتكون على زوايا متقابلة حتى تغطي الدورية الواحدة ضلعين لموقع المتحف من الداخل . كما هو الحال في الدورية " ج " والدورية " هـ" في الموقع " د" والموقع "و" وتكتمل أعمال الدورية الداخلية وتضمن السيطرة بصفة دائمة .

ويحيط بالمكان دورية خارجية راكبة تسير حول المكان شكل (٢) وتتوفر معها وسائل الاتصال الجيدة تراقب المنطقة من الخارج ويسهل توجيهها في حالة الطوارئ لأي مكان يحتاج إلى الدعم .

الشكل (٢)



وإذا كانت المنطقة الأثرية واسعة لا بد أن تحاط بسياج يمنع الدخول لها إلا من خلال الأبواب شكل (٣) .

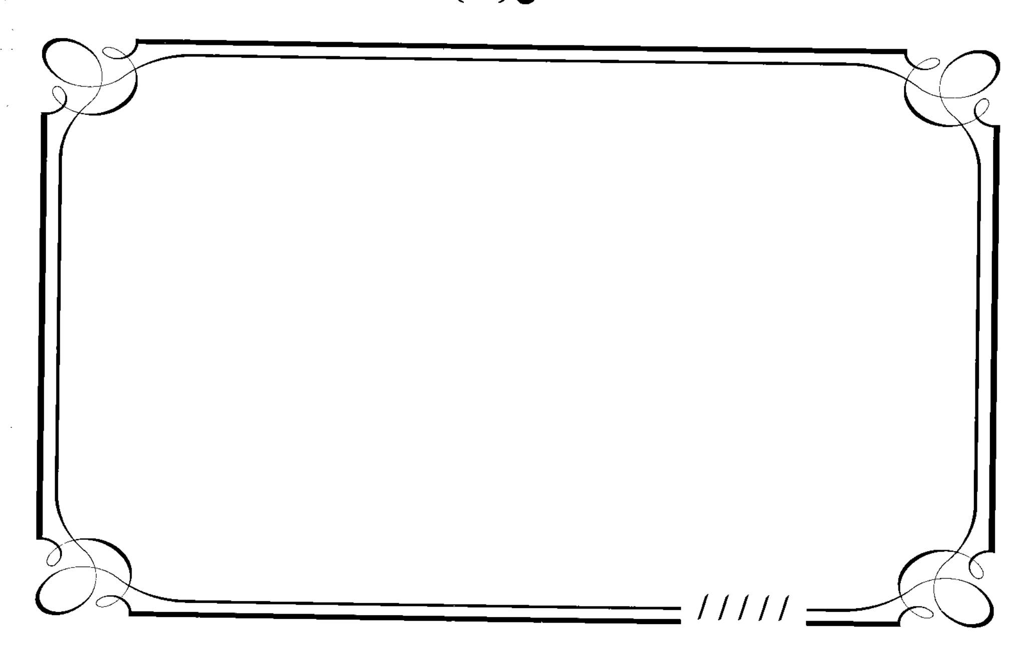
(ب) الحماية الداخلية :

أمن محيط المتحف :

يجب أن تكون أسوار المتحف مرتفعة تمنع الدخول إليه ، ويجب أن تكون الأبواب محدودة وتغلق بأحكام ويصعب فتحها من الخارج ، وأن تتوفر الإضاءة حول مبنى المتحف .

أما إذا كانت المنطقة واسعة ومفتوحة فيجب إحاطة الموقع بسياج أو سور يمنع الدخول إلا من خلال الأبواب . وتسير دوريات حول المنطقة الأثرية بما يناسب أهميتها من الأمن " شرطة" .

الشكل (٣)



أمن المتحف الذاتي :

- يجب التأكد من عدم سهولة دخول المتحف من السطح إن وجدت أبواب على السطح ، ويجب التأكد من إحكام إغلاقها إذ هي في العادة تكون واحدة من أكثر نقاط الضعف التي يسهل اختراقها .

- وأن تكون النوافذ محمية بقضبان من الحديد التي توفر الحماية المناسبة وأن لا يسهل فتح النوافذ من الخارج وأن تكون النوافذ العالية القريبة من السقف محاطة بقضبان الحديد ، فلا يعول على ارتفاعها .

- يجب أن تكون الأبواب الخارجية والداخلية قوية ومثبتة بالحائط بقوة ، وأن يكون لكل باب قفلين على مستوى مختلف .

الأمن داخل المتحف :

يوكل الأمن داخل المتحف إلى هيئة مدنيّة تجمع بين أسلوب الأمن المتخصص والإرشاد

السياحي وتكون مدربة على استخدام الأجهزة الأمنية الدقيقة . مرتبطة إدارياً بوكالة الوزارة لشئون الآثار .

ويتطلب الأمن داخل المتحف أن توضع القطع الأثرية الصغيرة عادة في خزائن للعرض وحتى تسمح تلك الخزائن بالرؤية تكون الواجهات زجاجية مما يعرضها إلى الكسر في أغلب الأحيان ، وتكون تلك الواجهات الزجاجية نقطة هشة لذلك يجب أن يكون الزجاج الذي يستعمل في خزائن العرض من الزجاج المقاوم الكسر ، وأن تثبت الخزائن المعلقة بالحائط بمسامير قوية حيث لا يمكن رفعها أو تحريكها وأن تكون أقفالها خفية قدر الإمكان .

وأن يكون الإطار الحامل للزجاج قوياً لا يمكن فكه بمفتاح "مفك" أو قضبان حديد . وإذا كانت التحف المعروضة ذات قيمة خاصة ، فيمكن تثبيت جهاز إنذار خاص بها ، وكذا اللوحات المعروضة يجب أن تثبت تثبيتاً شديداً محكماً بالحائط بحيث لا يمكن رفعها بسهولة .

أما المعروضات خارج الخزائن Open Display فيجب منع الزوار من لمسها وذلك بوضع حاجز على بعد مترين أمامها عبارة عن حبل على قضبان حديدية .

ويمكن لجهاز الأمن الداخلي الاستعانة بالأجهزة الإلكترونية التي تتناسب وأهمية المتحف مثل :

جهاز الاتصال المغناطيسي Magnetic Contact :

يعمل هذا الجهاز عن طريق الاتصال المغناطيسي ويكون متصلا بالأبواب والنوافذ أو خزائن العرض حسب الحاجة ، ويحصل الاتصال المغناطيسي الذي يشغل الإنذار في حالة كسر الأبواب أو النافذة أو محاولة فتحها بالقوة .

جهاز إنذار سلكي Wiring System :

ويعمل بالتماس الكهربائي ويشغل الجهاز في حالة فتح الباب أو النافذة المربوطة به .

جهاز كشف الاهتزاز Vibration Detector :

يعمل الجهاز في حالة وجود اهتزازات ، وكأن تكون هناك محاولة لتحريك خزانة ، أو يكون موصولاً بالنوافذ والأبواب .

جهاز حساس لكسر الزجاج Break Glass Detector :

يقوم هذا النوع من الأجهزة بالإنذار في حالة كسر الزجاج أو خزانة العرض أو زجاج الإضاءة .

جهاز كاشف للحركة Activity Detection Sensors :

يكشف أي حركة داخل الموقع المعين داخل المتحف ويمكن استعماله في أماكن المتحف التي لا تعطيها الأشعة تحت الحمراء .

جهاز كشف الدخان Smoke Detector :

يعمل في حالة وجود دخان ، ويساعد على كشف حدوث الحريق في وقت مبكر ، ويمكن ربطه أوتوماتيكياً بنظام الإطفاء المثبت بالسقف .

جهاز الأشعة تحت الحمراء Possive Inter Red Sensors :

يوضع هذا الجهاز في الممرات أو في قاعة العرض ، وهو مجهز للكشف عن حرارة جسم الإنسان ويفيد هذا النوع عند إغلاق المتحف .

كل هذه الأجهزة مفيدة وفعالة في حماية المتاحف ومساندة للعنصر البشري ، ويمكن لإدارة المتحف اختيار المناسب من الأجهزة حسب أهمية المتحف .

إجراءات أمن داخلية :

- تسجيل كافة موظفي المتحف في سجل خاص يحدد أوقات دخولهم وخروجهم من مبنى المتحف .

- تسجيل الزوار للأقسام الخاصة (غير المقترحة للجمهور) وأوقات دخولهم وخروجهم، ويزود كل زائر ببطاقة عند دخوله تمكنه من زيارة المكان الخاص ويسلم البطاقة عند خروجه .

- فحص أجهزة الإنذار بشكل دوري لضمان سلامتها .

- وضع خطة للطوارئ ، وتدريب الموظفين والأمن عليها في حالات الطوارئ ، حريق ، سرقة ، أو أي طارئ يحتمل وقوعه (١) .

---

(١) خطاب سفير دولة فلسطين بالمملكة العربية السعودية م س م / ١٥٨٠ في ٩ / ١١ / ١٤١٩هـ .

– يصاحب كل فوج من الزوار في أوقات الزيارة مرشد يقوم بمهمة الإرشاد والمراقبة الأمنية لكل ما يخالف النظام من أعمال داخل المتحف أو المنظمة الأثرية .

– بعد الانتهاء من أوقات الزيارة يقوم جهاز الأمن بشقيه الشرطي والمدني بتفقد المتحف وإعداد محضر الإغلاق وتسليم المفاتيح الداخلية في موقع معين من المفضل أن تكون خزانة ذات مفتاحين أحدهما مع الأمن الداخلي والآخر مع الأمن الخارجي (الشرطي) .

– إطفاء الكهرباء داخل المتحف ، وإغلاق أبواب الدخول وعمل المحضر اللازم بذلك .

– أن يكون هناك تنسيق وتخطيط بين جناحي الأمن الشرطي ، والداخلي ، الإداري . لا يجاد ما يكفل الحماية الفعالة من الإجراءات الأمنية المطلوبة .

النتائج والتوصيات

مما تقدم يمكن القول بأن المتاحف والآثار في الوطن العربي لم تعط الأهمية التي يجب أن تكون ، وأن مهمة الأمن فيها تستند إلى أجهزة ينقصها التخصص إلى حد كبير ، لذلك يجب أن يجد الجهاز الأمني والإداري الذي يدرك أهمية المخاطر التي تهدد أمن المتاحف والآثار وتواكب المستجدات في هذا المجال . ونحن بصدد أمن المتاحف والآثار بالمملكة العربية السعودية أن نخلص إلى التوصيات الآتية :

– تطوير نظام الآثار بما يناسب أهميتها ، وإعطاء وكالة الوزارة للآثار والمتاحف صلاحيات أوسع في مجال الضبط والتحقيق وتطبيق العقوبات ومراجعة النظام كلما دعت الحاجة لذلك .

– إدخال مادة تعريفية بالآثار في المناهج الدراسية ووسائل الإعلام حتى تعي أكبر شريحة في المجتمع أهمية الآثار .

– إنشاء جهاز أمن مشترك بين وزارة المعارف ووزارة الداخلية ، تسند إليه مهمة أمن الآثار والمتاحف ، ويزود بالأجهزة الحديثة التي تعينه على أداء مهامه .

المراجع

١) القاضي ، أحمد ، أمن وسلامة المنشآت الحيوية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ١، ١٤١٩هـ.

٢) ياسين ، خير ، الآثار في أرضنا العربية ورحلتها إلى المتاحف الأوربية ، مجلة المتحف العربي ، الكويت ، السنة الأولى ، العدد ١٤٠٥هـ ، رمضان .

٣) خطاب المدير العام لقوى الأمن اللبناني رقم ٨٩٣/ ٢٠٤ في ٢/ ١٢/ ١٩٩٨م .

٤) مدير إدائرة المؤتمرات بدولة عمان ، م س / ٢/ ٥/ ٢ في ١٣/ ٨ / ١٤١٩هـ .

٥) خطاب رئيس الديوان رقم ٣٦٢٤ / ٥ / في ٢٣ / ١٢ / ١٩٩٨م ,تونس .

٦) خطاب الإدارة العامة للشرطة ٩ / ٢٧/ ١٣٧٤ في ٢٣ / ١٢ / ١٩٩٨م ,ليبيا .

٧) خطاب وكيل وزارة الداخلية رقم ٥٥٢٧٠٥,٩ في ٢٣ / ١٢ / ١٩٩٨م ، الكويت .

٨) خطاب مدير الإدارة العاملة للمكتب الفني ، وزارة الداخلية المصرية ,رقم ٢٣٢٨٥ بتاريخ ٧/ ١٢ / ١٩٩٨م .

٩) آل سعود ، محمد بن سعد بن محمد . "دور الإدارة في تحقيق أمن المتاحف والمباني الأثرية" ,أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، رسالة ماجستير ، ١٤١٥هـ .

١٠) أمين ، أحمد حلمي ، الوسائل الأمنية لحماية الآثار والأعمال الفنية ، ندوة حماية الآثار والأعمال الفنية ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، ١٤١٢هـ ، ص١٤٦ .

١١) خطاب سفير دولة فلسطين بالمملكة العربية السعودية م س م/ ١٥٨٠ في٩/١١/١٤١٩هـ .

التراث الطبيعي ودوره علمياً وسياحياً

د . عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون (*)

المقـدمـة :

أنعم الله على جزيرة العرب بنعم لا تعد ولا تحصى نعم ظاهرة وأخرى باطنة فهي مهبط الرسالات وأرض المقدسات ومهد الحضارات . غدت جزيرة العرب محطّ أنظار الباحثين والدارسين لدراسة القائم من آثار للإنسان الثابت منها على سطح الأرض والمطمور تحت ترابها وكثبانها والمنقول إلى متاحفها والمسروق إلى خارج حدودها والمنقوش على صخور جمالها .

في هذا البحث نلفت الانتباه إلى نوع آخر من الآثار وهو " التراث الطبيعي " التي خلفتها الطبيعة إن صح التعبير بكل عواملها لتدل على آثار قوة الخالق القدير .

هيّأ الله للجزيرة العربية من الظروف الجيولوجية عبر مئات السنين ما جعل منها مستودعاً لنفائس وكنوز احتوتها جبالها وغطتها كثبانها وتخللت مسامات صخورها ثروات استغلتها البشرية منذ قديم الزمن وما زالت بها تستمتع .

ولما كنا سنتطرق للجيولوجيا (geolgy) فلابد من تعريف مبسط لهذا العلم . الجيولوجيا مصطلح معرب من كلمتين إغريقيتين هما (geo) التي تعني الأرض ، ولوجيا (logy) وهي لاحقة من (logos) ومعناها علم أو منطق ، وعليه يكون المعنى الحرفي لمصطلح جيولوجيا هو (علم الأرض) .

علم الأرض هو علم يدرس كل ما يتعلق بالأرض من حيث أصلها وعمرها وحجمها وشكلها وكثافتها وصخورها ومعادنها وظواهرها الطبيعية وتراكيبها البنائية وما يصول فوقها من العوامل الجيولوجية السطحية ويجول في جوفها من تفاعلات جيولوجية باطنية وعلاقتها بالأجرام السماوية الأخرى وما عاش عليها من كائنات وانقرض وما إلى ذلك ، وبهذا تتلخص

(*) مستشار جولوجيا نفط .

أهداف دراسة علم الأرض الرئيسية في :

أولاً : التفكر في عظمة قدرة الله سبحانه وتعالى وعجائب مخلوقاته .

ثانياً : اتقاء الأضرار الطبيعية الناجمة عن ما ينتاب الأرض من حركات وتقليل مضارها وخسائرها .

ثالثاً : التعرف على الثروات الطبيعية التي استودعها الله في الأرض والكشف عنها واستغلالها .

رابعاً : معرفة السبل لحماية البيئة .

وأخيراً : مواصلة البحث العلمي لتحقيق الأهداف أعلاه وغيرها .

ربما يتبادر إلى الأذهان من هو أول جيولوجي ؟

إن أول جيولوجي هو ذلك الإنسان القديم الذي بدأ بالتعرف على ما حوله من صخور ومعادن محاولاً استخدامها ، أو ذلك الإنسان الذي بدأ بالتفكير في الظواهر الطبيعية المفزعة محاولاً تفسيرها ودرء مضارها ، وأياً كانت تلك المادة التي استخدمها الإنسان القديم ، حجر صوان أو غيره للدفاع عن نفسه أو لصيد فرائسه ، وأيّاً كانت تلك الظواهر التي رآها زلازل أو براكين فقد كانت تلك البداية العملية لدراسة علوم الأرض التي أخذ الإنسان في تطويرها منذ ذلك الحين .

أهداف البحث :

تتلخص أهداف هذا البحث في تحقيق ثلاثة أهداف :

١- تسليط الضوء على آثار التراث الطبيعي وتبيان أهميتها .

٢- اقتراح الوسائل لحماية هذه الآثار والمحافظة عليها .

٣- الاستفادة من آثار التراث الطبيعي علمياً وسياحياً .

منهج البحث :

يعتمد هذا البحث على المشاهدة الواقعية للآثار الطبيعية والبحث عنها بشكل رئيس من

خلال العمل الميداني في جميع أصقاع البلاد بحثاً . ومما لا شك فيه فإن معرفة ما كتبه الآخرون حول مشاهداتهم لمعالم أو ظواهر جيولوجية أثر كبير في اكتشاف هذه الظواهر وبالتالي دراستها وتوثيقها .

مجال البحث :

يتطرق البحث إلى مختلف أنواع التراث الطبيعي وذلك من خلال دراسة جيولوجية للمناطق المراد زيارتها ومسح ما قد ينتج عن ظروفها الجيولوجية للمناطق من معالم غريبة ونادرة ثم القيام بعمليات مسح ميداني لاكتشاف تلك المعالم وتوثيقها بالصورة وتعزيزها بالمعلومة .

أهمية التراث الطبيعي :

للتراث الطبيعي أهمية بالغة في مختلف الوجوه فلأنواع من التراث الطبيعي أهمية مادية ولأنواع أخرى أهمية سياحية ولجميع أنواع التراث الطبيعي أهمية علمية .

الأهمية المادية :

لكثير من أنواع التراث الطبيعي وخاصة القابلة للنقل أهمية كبيرة عند فئة من الناس ، فللبلورات والأحجار الكريمة والصخور والمعادن الملونة والغريبة والأحافير النادرة بجميع أنواعها قيمة مادية وتجد لها رواجاً في السوق ولهذا تمتد إليها أيدي المستثمرين في هذه التجارة . وعليه فإن هذه الأنواع من التراث الطبيعي هي في خطر كبير وعرضة للدمار والاستهلاك .

الأهمية العلمية :

تكمن القيمة العظمى لآثار التراث الطبيعي في أهميتها العلمية كمواقع نادرة لنتاج كثير من الظواهر الطبيعية ويجد فيها الطلبة والباحثين أمثلة تطبيقية لدارسات نظرية لكثير من العلوم كدراسة الأحافير نباتية وحيوانية وظروف الترسيب للأنهار والبحار والبحيرات والثلاجات والرياح وتأثير الحركات الأرضية وما ينتج عن الزلال والبراكين والنيازك وغيرها .

الأهمية السياحية :

للعديد من مواقع التراث الطبيعي كفوهات البراكين ورمادها ولاباتها وصخورها والكثبان الرملية والشعاب المجانية والغابات المتحجرة ومواقع الأحافير والصخور والمعادن الملونة والصخور غريبة التجوية وغيرها مواقع ملفتة لنظر العامة . وعليه فإن لهذه الأماكن أهمية سياحياً نظراً لما تمتع به من خصائص تجمع بين العلم والفرجة .

الجيولوجيون والآثار :

بجانب الهدف الرئيسي للعمل الجيولوجي الميداني يعترض طرق الجيولوجيين في كثير من الأحايين مختلف أنواع الآثار التي تركها الإنسان وراءه عبر السنين على هيئة نقوش ورسومات على صخور الجبال الشاهقة أو في المغارات ، وقد تمر بالجيولوجيين الطريق على آثار مدن قديمة أو قلاع أو قصور فينتهزون تلك الفرص (للتطفل) على تلك المعالم بالتقاط صور لها ، وقد تنمو عند بعضهم هواية الاهتمام بالآثار إلى تخصص جانبي ، وبذلك يكون للعمل الميداني الجيولوجي أكثر من هدف .

تعاقبت على الصخور الظاهرة مختلف الظروف الجيولوجية والمناخية عبر ملايين السنين وتركت آثارها عليها نحتاً وتعرية ، فقد تعاقبت عليها سلالات من البشر عبر آلاف السنين ، تركت هي الأخرى آثاراً لحضاراتها التي سادت ما شاء الله لها أن تسود ، ثم بادت لتصبح أثراً بعد عين ، ولتبقى شاهدة حتى وقتنا الحاضر لتكون عبرة لمن أراد الله له أن يعتبر .

اتخذ الإنسان منذ ظهوره على وجه البسيطة من الكهوف بيوتاً ومن الجبال حصوناً وقلاعاً واتخذ من جدرانها وسفوحها سجلات برع بحفر ونقش الكثير من المعلومات التي تحكي شيئاً عن تاريخه ، ورسومات تصوّر صراعه مع ما حوله من الضواري وصيده لها ، لقد وفّرت أنواع من الصخور وساعدت طبيعة ظهورها وتكشفها على إعطاء الفرصة للإنسان القديم للإبداع في هذا المجال .

تنتشر في مناطق متفرقة من الجزيرة العربية أغنى السجلات المنقوشة والمنحوتة لتاريخ البشرية عبر حضاراتها المتعاقبة ، فهناك الكثير من آثار مدن وحضارات ما قبل الإسلام ، فبجانب المساكن والقصور والأسوار والقلاع والمقابر والمعابد هنالك ما لا حصر له من النقوش

المعينية والددانية واللحيانية والثمودية والنبطية وغيرها .

تتركز الآثار قريباً من مصادر المياه أو على امتداد الطرق التجارية القديمة ، كتلك التي تربط الحجاز بالشام واليمن بالعراق مروراً بنجد والأحساء وفي أرض مدين وددان والتي تمتد من المدورة شمالاً إلى المدينة المنورة جنوباً ، وتشمل العديد من المدن القديمة مثل تيماء وخيبر والعلا ومدائن صالح وغيرها .

ومما يلفت الانتباه أن معظم الآثار القديمة والتي شيدت منذ آلاف السنين ولازالت قائمة أو أجزاء منها حتى وقتنا الحاضر ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمكشفات صخور رملية وجيرية ذات خصائص متميزة ، والتي دُرِسَتْ لاحقاً وأُعطِيَتْ لها أسماء وحدات صخرية جيولوجية كالمتكونات والأعضاء ، وعلى سبيل المثال الصخور الرملية التابعة للعصر الكمبري – الأوردوفيشي (صخور ترسبت خلال الفترة تقريباً ما بين ٥٤٥ إلى ٤٨٠ سنة خلت) والمعروفة جيولوجياً باسم متكون ساق اتخذ منها القدماء – كقوم نبي الله صالح عليه السلام– مكاناً لنحت كهوفهم وخزائنهم ومدافنهم على الطريقة النبطية قبل حوالي ٢٠٠٠عام ولا زالت هذه المنحوتات قائمة حتى يومنا هذا وتعرف بمدائن صالح والتي كانت حاضرة ثمود ، وإلى الشمال نحت الأنباط منشآتهم العمرانية في البتراء .

ومثال آخر على ارتباط الآثار بطبقات معينة من الصخور أو طبيعة ظهورها : المعلم الآثري الرائع في منطقة الجوف وهوقصر الحصين في دومة الجندل ، والمعروف بقصر مارد أو الأكيدر ، ويذكر أنه بني في القرن الثالث قبل الميلاد ، وأعيد ترميمه عدة مرات منذ ذلك الحين ، وقد شُيِّد القصر على طبقة من صخور جيرية تابعة لمتكون الجوف الذي يعود عمره الجيولوجي إلى العصر الديفوني المبكر (تقريباً ٤٠٠ إلى ٣٩٠ مليون سنة خلت) ، وقد أطلق على الصخور الجيرية هذه اسم عضو القصر نسبة إلى هذا القصر.

وبالقرب من الحصن يقع مسجد عمر وقد بنى من الصخور الجيرية لمتكون الجوف ، ويتميز هذا المسجد بمئذنته العالية ذات الطراز الهندسي الفريد .

ومن الأمثلة الرائعة الأخرى على استغلال الإنسان القديم لما حوله من جبال نحتها ليجعل منها معالم بقيت بعده أجيالاً عديدة ، تلك التي خلفها الفراعنة وراءهم في وادي النيل ، فقد استعان الفراعنة بصخور جيرية تابعة لعصر الإيوسين ، تظهر بمنطقة الجيزة فنحتوا منها

صنم (أبو الهول) على هيئة رأس رجل، وأرجل أسد، وتظهر في مؤخرة الرأس علامات التطبق المتقاطع الدالة على بيئات الترسيب السائدة وقت ترسيب تلك الصخور قبل ملايين السنين .

كما بنى الفراعنة الأهرامات من كتل من نفس الصخور الجيرية لجبل المقطم . أما مجموعة الأصنام في معبد (أبو سنبل) ومنها صنم رمسيس الثاني فقد نحتت في صخور رملية لمتكون النوبة التابعة للعصر الكريتاسي .

وكما استعان الفراعنة بصخور رسوبية وخاصة الرملية والجيرية منها ؛ فإنهم استخدموا أيضاً صخور نارية وخاصة الجرانيت لنحت أصنامهم وحفر نقوش طقوسهم وعباداتهم عليها ، كتلك التي في معابد الكرنك في الأقصر .

ثانياً : (التراث الطبيعي) :

الآثار و« التراث الطبيعي :

كما ترك الإنسان في حقبة زمنية أثراً يدل على تاريخ الإنسانية في تلك الحقبة ويُعرف بالآثار ؛ فقد تركت كلّ فترة جيولوجية مرت على الكرة الأرضية أثراً مميزاً يحكي شيئاً عن تاريخ تلك الفترة بصورة أو بأخرى وهذا ما نطلق عليه " التراث الطبيعي " .

بجانب الآثار الثابتة والمنقولة التي خلّفها الإنسان هنالك آثار لا تقل أهمية عنها وهي "التراث الطبيعي" التي خلفتها العوامل الجيولوجية المختلفة والتي تصبّ مع الآثار في مصبّ واحد وهو التفكر والاعتبار في خلق الله وعظمته جلّ وعلا .

تعريف (التراث الطبيعي) :

نقصد بالتراث الطبيعي أو الآثار الطبيعية جميع آثار العوامل الجيولوجية وآثار ما ساد على الأرض من حيوانات وحشرات ونباتات وغيرها ، وكما أن الآثار تعد سجلاً لتاريخ الإنسان ؛ فإن هذا التراث الطبيعي يعد سجلاً لتاريخ الأرض وما انتابها من أحداث وما عاش عليها من أحياء وانقرض .

ينقسم التراث الطبيعي إلى قسمين رئيسين : الأول آثار العمليات الجيولوجية ، والثاني الأحافير . آثار العوامل الجيولوجية تتمثل في جميع ما تركته العوامل الجيولوجية

المختلفة من آثار للزلازل والبراكين والبحار والبحيرات والأنهار والكتل الجليدية وتجمعات المعادن والبلورات وغيرها . أما الحفريات (fossils) فهي جميع ما خلفته الأحياء التي عاشت على وجه البسيطة من آثار لبقايا الأحياء التي عاشت فوق سطح الأرض .

١- الأحافير وأنواعها :

الأحافير أو المستحثات أو المُتَحَجِّرات هي : (fossils) كل ما تركته الأحياء المرئية والمجهرية الهابة والدابة والسابحة على الأرض - عبر سجلها الجيولوجي القديم - من أثر في الصخور . وبالإمكان تقسيم الأحافير حسب أحجامها إلى ثلاث مجموعات رئيسية :

١- المستحثات الكبيرة أو التي من الممكن رؤيتها بالعين المجردة : (macrofossils) كالمتحجرة من العظام والأشجار والجذور وطبعات الأوراق والأصداف وغيرها .

٢- المستحثات الدقيقة (microfossils) أو التي لا ترى إلا بالمجهر العادي : كالفورامنيفرا وغيرها من الحفريات الدقيقة .

٣- المستحثات الدقيقة جداً : (nano fossils) وهي الأحافير التي لا يمكن رؤيتها إلا بمجاهر إلكترونية عالية التكبير كحبوب اللقاح والأبواغ (spores & pollens) .

حفظ الأحافير :

عندما تموت الكائنات الحية تترسَّب وتختلط أو تدفن مع حبيبات الصخور ، وتبدأ أجزاؤها الرخوة بالتحلّل أولاً ثم أجزاؤها الصلبة ، إلاّ إذا أتيحت لها الفرصة في الاحتفاظ بشكلها الأصلي أو بأجزاء منه أو بآثارها عند توفر عوامل عدة منها :

١- **هيكل أو غلاف صلب** : لحفظ الكائن الحي لابد أن يكون له هيكل أوغلاف صلب يبقى بعد مماته لمدة من الزمن تكون كافية لطمره بالرسوبيات وحفظه ، أما الأجزاء الرخوة فإنها غالباً ما تتحلّل ولا تترك أثراً لها إلا في حالات نادرة جداً .

٢- **مكان الترسيب** : كلما كان الكائن الحي قريباً من مكان الترسّب أو إمكان نقل هيكل الكائن الحي بعد موته إلى مكان الترسيب بسرعة ؛ أتيحت الفرصة أكثر لطمره بالرسوبيات الناعمة كالطفال والرماد البركاني وغيرها ، وبالتالي حفظه .

٣ - **الدفن المباشر** : يساعد دفن الكائن الحي بعد موته على منع أو تقليل وصول الأكسجين والبكتريا إليه مما يحفظه من التفسخ والتحلل ، كما أن بيئات الترسيب هي الأخرى تؤدي دوراً في حفظ هيكل الكائن الحي بسرعة ، دفنه في المستنقعات والبرك الراكدة ، والمناطق سريعة الترسيب تُهَيئ فرصاً أكثر لحفظه من ترسيبه في المناطق القارية أو بطيئة الترسيب .

الأجزاء الصلبة :

تأخذ الأجزاء الصلبة للكائنات الحية طريقها إلى الحفظ أكثر من الأجزاء الرخوة ، وذلك لمقاومتها للعوامل الطبيعية من تجوية وغيرها حتى تتاح لها الفرصة للحفظ ، لذا فإن معظم المستحثات التي عُثر عليها في الطبقات الصخرية هي للأجزاء الصلبة للكائنات الحية كالعظام والأسنان والأصداف وغيرها على هيئتها الطبيعية ، هذا وقد تترك الأجزاء الصلبة آثاراً لها بإحدى الطرق التالية :

١- **القوالب** : بعد موت الكائن الحي تبدأ عمليات تحللٌ وتفسخ أجزائه الرخوة ، وتبقى الأجزاء الصلبة مختلطة بالرسوبيات التي تحيط بتلك الأجزاء ، وتأخذ شكلها الخارجي ، وبتصلُب تُكَونٌ ما يُعَرفَ بالقالب الخارجي ، ويقابله القالب الداخلي حيث تتحلّل الأجزاء الداخلية الرخوة وتملأ الرسوبيات مكانها فتأخذ الشكل الداخلي للكائن الحي .

٢- **الطابع** : يتميز الطابع أو ما يعرف بالقالب الطبيعي عن القالبين الداخلي والخارجي بأنه يُمثَلِّ الشكل الأصلي للجسم الصلب بوجهيه الداخلي والخارجي ، فبعد امتلاء الجزء الداخلي بالرواسب وإحاطة جزئه الخارجي بها وذوبان ذلك الجسم وامتلاء مكانه بمعادن أو مواد أخرى ؛ فإنها تأخذ الهيئة الأصلية للجسم الداخلية والخارجية .

٣- **التفحُم** : تُدفَن بعض الكائنات الحية مثل النباتات والأسماك وبعض الأحافير الدقيقة فتُعزلَ عن الأكسجين ، إلا أنها تتعرض لعملية تحلُّل بمعزل عن أكسجين الهواء فتفقد العناصر المكونة لها سوى الكربون الذي يتركز على هيئة طبقة رقيقة تأخذ شكل الكائن الحيّ ومثال ذلك طبعات الكثير من الأوراق النباتية التي عثر عليها بمدينة عنيزة وغيرها .

٤- **التحجُر** : تتجمع الأجزاء الصلبة للكائنات الحية وتطمرها الرواسب و بتعرُضها

للمياه الجوفية الغنية بالمعادن التي تملأ الفجوات والفراغات في هياكل وأصداف الكائنات الحية دون المساس بشكل تلك الأجسام ؛ تُسَمَّى هذه العملية بالتحجُّر وغالباً ما تكون تلك المعادن هي الكالسيت والسيليكا والماغنسيوم والحديد والبايرايت ، وبطريقة الحفظ هذه يحتفظ التركيب الداخلي بكل تفاصيله .

٥- **الإحلال المعدني** : بموت الكائنات الحيّة وترسُّب هياكلها الصلبة في مياه أو محاليل غنية بالمعادن أو بتسرب المياه الجوفية الغنية بالمعادن إلى تلك الهياكل بعد طمرها بالرسوبيات ؛ تتخلل المعادن إلى الفراغات بين الخلايا ، فتتبلور وتتصلَّب فتحتفظ الهياكل بشكلها الأصلي بكل أجزائها في عملية استبدال كاملة تُعرَف بالإحلال المعدني وأكثر عمليات الإحلال شيوعاً الإحلال بالكالسيت أو السيلكا أو البايرايت والماغنسيوم والحديد ، ومع احتفاظ الشكل الخارجي للهيكل بعملية الإحلال المعدني إلا أن التركيب الداخلي للكائن الحي يتشوّه .

الأحافير الأثرية :

هنالك نوع آخر من الأحافير وهو ما تتركه الأحياء من آثار ومخلفات كحُفَرها وثقوبها وجحورها أو فضلاتها وإفرازاتها أو آثار سيرها ، وتعرف بالأحافير الأثرية (trace fossils) .

البحث عن الأحافير :

تطلب دراسة الأحافير البحث عنها في طبقات الصخور في مناطق ظهورها أو تكشفها (outcrops) وفي حفر طبقاتها نجن السطحية (subcrop) .

في طبقات الصخور الظاهرة على سطح الأرض يجري البحث عن الأحافير الكبيرة (megafossils) الواضحة للعين المجردة ، وقد يعثر على أحافير دقيقة ترى بالعدسة المكبرة اليدوية ، كالفورا منيفرا أما الأحافير الدقيقة جداً كحبوب اللقاح فإنه من النادر العثور عليها في الصخور الظاهرة لسهولة تحطّمها بسبب عوامل التجوية .

أما في الطبقات تحت السطحية فإن البحث عن الأحافير يتم من خلال عيّنات الآبار ، وخاصة إذا كانت هذه العينات مجروشة أو كسارات (cuttings) ، أو كانت العينات مجسّات اسطوانية لبابية (cores) ، إن عينات الآبار وخاصة الكسّارات يندر أن يعثر فيها على

الحفريات الكبيرة وعندها يتركز البحث في هذه العينات عن الحفريات الدقيقة والتي تتطلب معالجة مختبرية خاصة لتخليصها من الصخور ، مثل : حبوب اللقاح والأبواغ ، أما العينات اللبابية فإنه قد يعثر فيها على أحافير كبيرة ترى بالعين المجردة بالإضافة إلى الأحافير الدقيقة.

أهمية الأحافير :

تحظى الأحافير بأهمية بالغة في الدراسات الجيولوجية نظراً لما تقدمه من دليل قاطع على وجود تلك الأحياء وانتشارها وبيئات وجودها وما يوفره العثور عليها من تعزيز لتقدير عمر الأرض من جهة ومضاهاة طبقات الصخور ببعضها من مكان لآخر من جهة أخرى .

تنتشر الأحافير في طبقات الصخور الرسوبية ؛ إلا أن انتشارها هذا تتحكم فيه عوامل كثيرة منها : الظروف السائدة وقت ترسيب الصخور ، وما عاش عليها من أحياء .. وتهيئ العوامل المناسبة لحفظ آثار تلك الأحياء .. وهذا نادر الحدوث لذا لا نجد إلا آثاراً لا تذكر من الأحافير لعدد لا يحصى من الأحياء .. التي عاشت على وجه البسيطة .

لقد أثبتت الدراسات الجيولوجية المبكرة أن لكل حقبة زمنية أنواعاً خاصة بها من الأحياء النباتية والحيوانية ظهرت وانتشرت خلالها ، وتقلصت أو انقرضت بنهايتها وتركت أثراً لها في الصخور التي ترسبت إبان تلك الحقبة ، إن ظهور أنواع من الأحياء وانقراضها مكّن العلماء من تقسيم طبقات الأرض إلى وحدات زمنية تتميز عن بعضها بمحتواها الأحفوري ، وبالعثور على شيء من هذه الأحافير المرشدة يمكن التعرف على الطبقات وتحديد عمرها .

الأحافير سجل الأرض :

إن لكل عصر أحافيره المميزة والمعرِّفة له ، فصخور العصر الكمبري (Cambrian) ، مثلاً تُميِّزها أنواع معينة من ثلاثيات التفصّص (الترايلوبيت) ، والعصرين الأوردوفيشي (ordovician) والعصر السيلوري (silurian) تعرفهما أنواع من الخيطيات (الجرابتوليت) ، والعصر الديفوني (devonian) تميّزه الأسماك ، أما العصر الكبوني (carboniferous) فيتميز عما قبله بانتشار الغابات الكثيفة وتنوع النباتات والتي تفحمت على هيئة طبقات سميكة ، مما أعطى هذه الصخور صفة مميزة ووصف ذلك العصر بالكربوني أو الفحمي ،

كما وصف العصر الجوراسي (jurassic) بالديناصورات وهكذا .

الآثار و (التراث الطبيعي) عبرة :

لابد من وقفة عند اهتمامنا بالآثار بشكل عام و " التراث الطبيعي " بشكل خاص ، وهي الأخذ في الاعتبار أن معالجتنا لهذه الآثار هي للاعتبار بها لما يقوم أفكارنا وسلوكنا في الحاضر إعتباراً بالماضي إن الانبهار بعظمة آثار قوم يجب أن لا تقودنا إلى تمجيد أولئك القوم إن كان لدينا ما يشير إلى غضب الله عليهم ، بل الاعتبار بما آلوا إليه وزوالهم وبقاء آثارهم شاهداً عليهم وشاهداً لنا للاعتبار بهم ، ويجب أن ننتبه إلى أن من حادّ الله ورسله فإن خاتمته شر الهلاك ، وأن لا نبهر بقوم غضب الله عليهم وإن تطاولوا في البنيان وبقيت آثارهم شامخة من بعدهم لتكون عبرة لمن اعتبر .

الأخطار التي تتهدد التراث الطبيعي :

تتعرض مناطق " التراث الطبيعي " وخاصة تلك المناطق الغنية بالعينات كورود الصحراء ومواقع البلورات والحفريات والأشجار المتحجرة والنارجيل الصخري وغيرها إلى عمليات سطو شرسة وقد أقفرت مناطق شاسعة من آثارها الطبيعية . إن من أهم العوامل التي ساعدت على سرقة هذه الآثار هو غياب الوعي العام وعدم وجود أنظمة رادعة وحراسة لحماية المواقع الأثرية . ومما يؤسف له أن هذه الآثار تتعرض لأخطار عديدة لعدة أسباب أهمها سببان هما :

١- غياب الوعي بأهمية الآثار الطبيعية وبذا خسرنا ونخسر الكثير من تلك الآثار النادرة.

٢- الزحف العمراني والزراعي والتجاري والصناعي والترفيهي وبناء المطارات والقواعد العسكرية ، وشق الطرق وغيرها دون الالتفات إلى آثارنا الطبيعية .

المحافظة على التراث الطبيعي :

إن المحافظة على " التراث الطبيعي " مسؤولية الجميع لما في هذه الآثار من فوائد عامة . ويمكن أن تحقق المحافظة على تلك الآثار الطبيعية من خلال التالي :

١ - التوعيــة :

إن الوعي الآثاري هو إدراك الإنسان لمعنى الأثر الطبيعي وأهميته ، فالأثر ليس مجرد أحفورة غريبة ، أو منظر طبيعي جميل ، أو حجر ملوّن ، بل هو راوية صادق لمعلومة تاريخية وصفحة من سجل تاريخ الأرض الموغل عبر مئات الملايين من السنين .

ترتكز عناصر التوعية على المحافظة على التراث الطبيعي والتعريف بأهميتها العلمية والسياحية ، وإن التعريف بأهمية التراث الطبيعي يجب أن يتم من خلال إبراز ما يعنيه التراث الطبيعي من فائدة علمية ومتنفس سياحي وعبرة وتفكر في مخلوقات الله .

ولا بد للإنسان أن يدرك أن هذا التراث الطبيعي هي ملك مشاع للناس ، لا ينبغي للخاصة تدميره أو تملّكه أو حيازته أو التصرف به أو احتكاره ؛ بل يجب المحافظة عليه وتيسير سبل الوصول إليه ودراسته لتعم فائدته ويطّلع عليها الجميع .

متى تهيّأ الوعي بالأهمية العلمية والسياحية للآثار الطبيعية ؛ فإن الإنسان يكون مهيئ لكل مراحل العمل الميداني لهذه الآثار والكشف عنها ومسحها وحصرها وحمايتها والاستفادة منها .

أ- الدور الإعلامي :

للإعلام الدور الأكبر في نشر التوعية العامة للاهتمام والمحافظة على التراث الطبيعي والاستفادة منها تتمثل في النقاط الرئيسية التالية :

١- عرض مواد إعلامية حول " التراث الطبيعي " بشكل مبسط .

٢- التعاون مع جهات متخصصة لنشر المعلومات الصحيحة حول هذه الآثار .

٣- القيام بجولات ميدانية إلى مواقع التراث الطبيعي وتقديم تفسيرات وتوضيحات لها .

٤- تخصيص صفحات ثابتة لـ " التراث الطبيعي " في الجرائد والمجلات .

٥- إقامة ندوات وإلقاء المحاضرات للفت انتباه العامة إلى أهمية " التراث الطبيعي" وقضاياه .

ب - الدور التعليمي :

للتعليم الدور الأوقع في بث الوعي تجاه " التراث الطبيعي" لما لها من تأثير مباشر في مواد الدراسة علمياً وترفيهياً ويتمثل ذلك في الآتي :

١- المدارس : ربط التراث الطبيعي بمناهج الدراسة المتعلقة به عبرة بدروس الدين ، وتوثيقاً بدروس الجيولوجيا ومعالم بدروس الجغرافيا إلى ذلك .

٢- القيام برحلات ترفيهية جيولوجية ميدانية إلى مواقع التراث الطبيعي .

٣- إقامة معارض مصورة وتسجيلية للتراث الطبيعي .

٤- زيارات جيولوجيين ومهتمين بالتراث الطبيعي لإلقاء محاضرات وعرض وصور .

٢ - التنظيمات الرسمية :

إن واقع آثار الطبيعية في وضع يرثى له ويتطلب الاهتمام بها والمحافظة عليها جهد جميع الجهات الرسمية وشبه الرسمية والعامة وسن الأنظمة الصارمة وتطبيقها للمحافظة على الآثار الطبيعية .

عوائق المحافظة على التراث الطبيعي :

إننا وأمام ثقل المسؤولية الملقاة على عواتقنا للاهتمام والمحافظة والاستفادة من التراث الطبيعي لابد من ذكر بعض الصعوبات التي تواجهنا للقيام بتبعات هذه المسئولية والتي منها :

١- تنوع التراث الطبيعي .

٢- انتشار التراث الطبيعي في جميع أصقاع البلاد ضمن مناطق سكنية وزراعية وصناعية وعسكرية وفي مناطق نائية .

٣- صعوبة حماية الآثار الطبيعية لتناثرها وتباعدها .

٤- عدم وجود الوعي الرسمي والعام حيال المحافظة عليها .

٥- صعوبة توفير المرافق لحمايتها .

٦- صعوبة نقل سكان مناطق التراث الطبيعي خارجها .

٧- عدم توفر الأموال اللازمة لمشاريع حفظها .

خطط المسح :

نظراً لتناثر التراث الطبيعي في مختلف أنحاء البلاد؛ فإنه من الصعب على جهة واحدة القيام بمهمة كشف وحصر ومسح تلك المواقع ؛ لذا لابد لجهات عدة من المشاركة في هذه المهمة الشاقة .

الطلب من جميع الجهات الرسمية والشركات التي تقوم بمشاريع تنموية سكانية وزراعية وصناعية وغيرها والشركات العاملة في مجالات التنقيب عن النفط والمسح الجيولوجي والمسح الزلزالي وغيرها والبعثات الجيولوجية المحلية والأجنبية ؛ أن تضع عمليات البحث عن التراث الطبيعي في حسبانها عند مباشرتها لأعمالها وأن تلزم بالإبلاغ عن وجود مثل هذه الآثار في مناطق عملياتها والمحافظة عليها .

الطلب من الجهات المحلية أن تتولى مسؤولية المحافظة على ما في مناطقها من آثار .

التوثيق :

توثيق مواقع التراث الطبيعي يتطلب دراستها و تحديدها ورسم خرائط تفصيلية لها وسجل مصور لها ووصف لحالتها والعوامل المؤثرة فيها وإبداء ملاحظات وتوصيات حول طرق حماية تلك المواقع وطرق إعدادها لاستقبال الباحثين والجمهور .

ثالثاً : (التراث الطبيعي) في جزيرة العرب :

جزيرة العرب متحركة هائمة :

شبه الجزيرة العربية قديمة قدم الزمن الجيولوجي ، تصادمت فيها قارات ، وانشطرت أُخر ، تباعدت في اتجاه وتصادمت في الاتجاه الآخر ، ثارت فيها البراكين وتطايرت حممها وسالت عليها الصخور النارية المائعة الملتهبة ، تحركت حتى وصلت المنطقة القطبية المتجمدة فغطتها طبقات الجليد لملايين السنين لأكثر من مرة ، تحركت في الاتجاه الآخر نحو مدار الاستواء فنعمت بالدفء ، تعاقبت عليها البحار بين غمر وحسر ، مرت عليها فترات مطيرة فاكتست أرضها بالغابات الخضر الكثيفة الوارفة الظلال ، أعقبتها أخرى فجفت وأجدبت .

لقد تركت كل فترة جيولوجية مرت على شبه الجزيرة العربية أثراً لها يحكي شيئاً عن

تاريخ تلك الفترة في سجل جيولوجي قلما يوجد في منطقة أخرى .

زحف القارات :

كانت شبه الجزيرة العربية تشكل جزءاً من قارة جوندوانا العظيمة التي انفصلت من قارة بانجيا الأعظم وقد أحاط بها محيط التيثس العظيم من الشمال والشرق وبقيت على هذه الحال قبل أن ينحسر ذلك البحر ويزول " تصادم القارات " ويتكوّن بدلاً عنه سلاسل جبال عظيمة . لقد كانت شبه الجزيرة العربية متصلة - وحتى عهد قريب جيولوجياً - بأفريقيا ؛ إلا أنها انشطرت بسبب "تباعد القارات" عن أفريقيا على امتداد أخدود عظيم تكون على امتداده " خليج عدن والبحر الحمر ، وأخذت بالتحرك (ولازالت) باتجاه الشمال الشرقي حتى اصطدمت بآسيا والتحمت بها وتكون على امتداد ذلك الاصطدام سلاسل جبال طوروس وزاغروس وعمان .

التقسيم الجيولوجي :

تنقسم جيولوجية جزيرة العرب وبشكل عام إلى إقليمين رئيسين : إقليم الصخور النارية والمتحولة المعروف بالدرع العربي (Arabian Shield) إلى الغرب ، وإقليم الصخور الرسوبية المعروف بالرصيف العربي (Arabian Shelf) إلى الشرق .

تتكون جزيرة العرب من مختلف أنواع التضاريس المتباينة : من وديان سحيقة وجبال شاهقة إلى سواحل طويلة وسهول ساحلية وواحات وبحار من الكثبان الرملية وصحارى شاسعة ، تقسم تضاريس جزيرة العرب بشكل عام إلى الأقاليم التالية : السواحل والسهول والجبال والمرتفعات والتلال والهضاب والرمال والكثبان الرملية .

هذا وقد ترك كل أقليم من هذه الأقاليم أثره في تقسيم جزيرة العرب إلى مناطق متميزة بتضاريسها وهذه المناطق هي : الحجاز وعسير ونجد والساحل الشرقي ورمال الربع الخالي ومرتفعات اليمن وجبال عمان .

الدرع العربي :

تكونت صخور الدرع العربي بسبب اندفاعات من كتل من الصخور النارية الجوفية والنارية والبركانية وترسيب الصخور الرسوبية ، ثم تعرضت هذه الصخور لعمليات بنائية

معقدة ليتحول بعضها إلى صخور أخرى تعرف بالصخور المتحوّلة ، وبسبب ما يعرف بـ " زحف القارات " - انشطارها وتصادمها - ربما تكونت منطقة الدرع العربي من كتل كانت أصلاً قارات أو كانت كتلاً منفصلة ولكنها اصطدمت ببعضها والتحمت مشكلةً الدرع العربي.

أثناء تكون الدرع العربي تدفّقت الصخور النارية الجوفية وثارت أجزاء منها إلى السطح مسبّبة البراكين وتناثرت حممها وتطاير رمادها في جزيرة العرب وسالت عليها الصخور ملتهبة مائعة ، وتمعدنت المعادن وتبلورت البلورات وتزلزلت الأرض وتصدّعت وتطوّت طبقاتها تحدباً وتقعّراً وتكوّنت الأخاديد العميقة ، وقد تكوّنت بحار في بعض هذه الأخاديد ، وفيها ترسّبت أقدم الصخور الرسوبية .

(التراث الطبيعي) للدرع العربي :

لقد تركت العمليات الجيولوجية التي تعرض لها الدرع العربي آثاراً طبيعية نادرة في مناطق متفرقة في الدرع العربي متمثلة في مختلف أنواع الصخور النارية والمتحولة ومعادنها وبلوراتها وفي سلسلة من الصدوع والانكسارات والبراكين ومخاريطها وفوهاتها وحممها ولاباتها ورمادها ومناجم بمعادنها النادرة ومواقع بلورات وصخور رائعة .

الرصيف العربي :

بعد أن استقر الوضع الجيولوجي للدرع العربي في أواخر العصر ما قبل الكمبري (قبل حوالي ٥٩٠ مليون سنة تقريباً) ، بدأت عمليات ترسيب الصخور في بيئات قارية ونهرية وبحرية ضحلة ، حيث وفّرت صخور الدرع العربي النارية والمتحولة ، وكذلك الصخور الرسوبية القديمة مصدراً رئيساً لكميات هائلة من المواد الصخرية الفتاتية كما وفرت البحار والبحيرات والمستنقعات مصدراً لتكوّن الصخور الكيمائية ، وترسّبت الصخور (الفتاتية والكيمائية) على هيئة طبقات سميكة بلغت الآلاف من الأمتار ، وكوّنت ما يعرف بالغطاء الرسوبي أو الرصيف العربي .

ترسبت هذه الصخور الرسوبية في تتابع وتعاقب في نوعياتها من رملية وطينية وطفالية (طفلية) وجيرية ومتبخرات وغيرها ، و في بيئات ترسيب مختلفة من قارية وكثبانية ونهرية ودلتاوية وبحرية ضحلة وعميقة وجليدية (مجمدات أو ثلاجات) وغيرها .

بيئات الترسيب :

وفَّرت الصخور النارية القديمة والتي يبلغ عمر أقدمها أكثر من تقريباً بليوني (٢٠٠٠ مليون) سنة قاعدة ومصدراً للصخور الرسوبية التي ترسبت في مختلف البيئات من قارية ونهرية ودلتاوية وبحيرات ومستنقعات وبحار ضحلة وسبخات وأحياناً مجمدات (ثلاجات) وغيرها .

(التراث الطبيعي) للرصيف العربي :

لقد تركت ظروف ترسيب الصخور الرسوبية المختلفة آثاراً طبيعية نادرة في مناطق متفرقة في الرصيف العربي ممثلة في تضاريس وأشكال غريبة نحتتها عوامل التجوية في الصخور ومواقع لأحافير نادرة الأحياء عاشت في بحار المنطقة وفوق اليابسة منذ مئات الملايين من السنين ، ومن ذلك تجمعات أحافير الخيطيات « جرابتوليت » (graptolites) التابعة للعصر الأوردفيشي والسيلوري في القصيم القليبة ، والطحالب المتحجرة التابعة للعصر الديفوني في سكاكا ، والغابات المتحجرة التابعة للعصر البرمي في القصيم ، والتابعة للعصر الترياسي في العارض ، والتابعة للعصر الكريتاسي في شرق الرياض وجنوبه ، وعظام الديناصورات في وادي عينونة في مدين ، وعظام الثدييات وأسنان القروش في المنطقة الشرقية .

كما تنتشر في الرصيف العربي أنواع من الصخور والبلورات والمعادن مثل الأملاح والأندهيدرايت في القصيم والنارجيل الصخري في المنطقتين الشرقية والشمالية وكذلك آثار الصدوع والانخفاسات والدحول والكهوف والورود الصحراوية في الصمّان . وبحار الرمال الرائعة أشكالاً وألواناً في النفود " نفد عالج " والدهناء والربع الخالي" الصيهد " وعلى ضفاف وسواحل الخليج العربي والبحر الأحمر تنتشر الشعاب المرجانية الرائعة والسبخات .

البحث عن (التراث الطبيعي) :

كما أن للبحث العلمي والعمل الميداني المتواصل دوراً كبيراً في اكتشاف " التراث الطبيعي " ؛ إلا أن الصدفة قد تتيح للباحثين دوراً مماثلاً في هذا المضمار ، فقد تُقطَع طريق جبل أو تل في الصحراء أو داخل مدينة فتكشف عن كهوف أو طبقات تحتوي على حفريات

مُرشِدَة ، ومثال ذلك ما حصل بالفعل عندما قُطِعَتْ طريق فرعية تلاً صغيراً داخل مدينة عنيزة بالقصيم فتكشَّف مقطع لطبقة رقيقة لا تتجاوز سماكتها البوصتين مليئة بطبعات الأوراق والأغصان والجذوع والجذور والجذيرات والبقايا النباتية الأخرى ، لقد كانت هذه الأحافير مادة غنية لسلسة من الدراسات الجيولوجية والأحفورية التي تمخض عنها عدد من النتائج المهمة .

وكذلك عندما قطعت طريق جبلاً في شمال مدينة الرياض فتكشف كهف عظيم ممتلىء برمال حمراء لفتت أنظار العامة وأسماه بعضهم « الكهف الأحمر » وكان هذا الكهف لغزاً حيّر الجيولوجيين لتفسير حصر هذه الرمال الحديثة العمر جيولوجياً داخل جبل مكون من صخور جيرية تابعة للعصر الجوراسي .

أمثلة لـ (التراث الطبيعي) :

تنتشر في جزيرة العرب آلاف المواقع التي تتميز بآثارها الطبيعية والتي تعد مواقع مثالية للدراسة ومن أبرز الآثار الطبيعية ؛ غابات الطحالب والنباتات المتحجرة وخدوش الجليد ومكشفات بعض الصخور والحفريات النادرة من المالح والشعب المرجانية ومن المواقع التي أزيلت أو في طريقها إلى الزوال الكهف الأحمر والورود الصحراوية أو في طريقها للزوال كمضارب النيازك .

١- الغابات المتحجرة في جزيرة العرب :

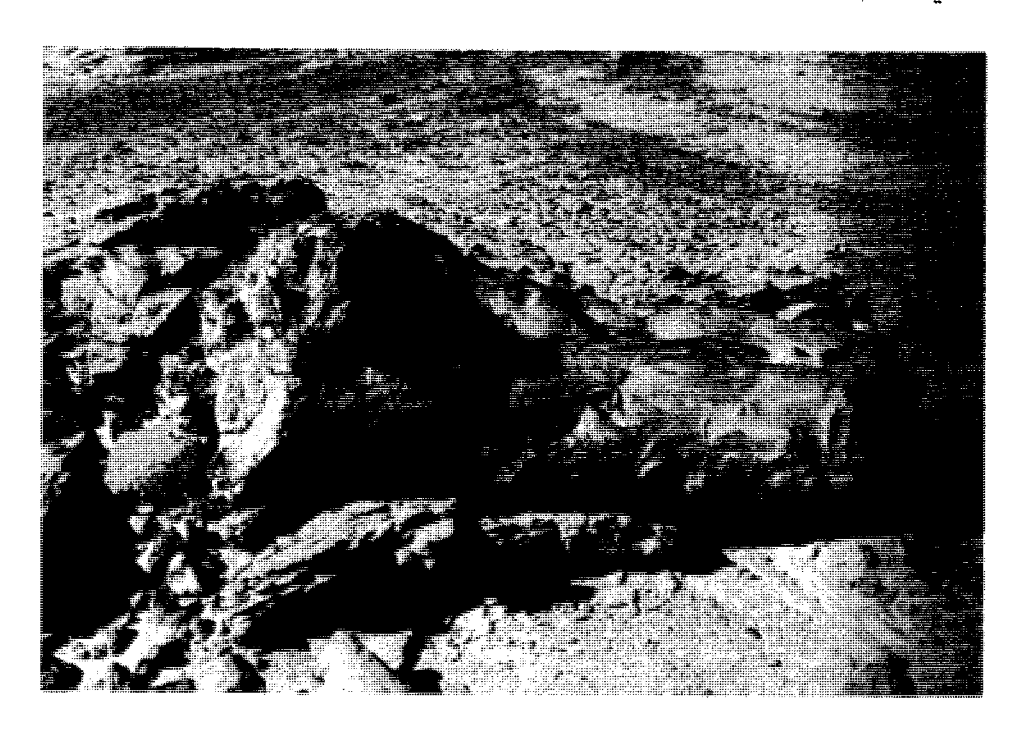
ازدهرت الحياة النباتية في ظروف مناخية معتدلة وأقرب ما تكون إلى القارية أو شبه الاستوائية في جزيرة العرب لأكثر من فترة زمنية وتركت مستحثات نباتية في عدد من طبقات الصخور ، انتشرت الغابات بأشجارها الوارفة الظلال ، والكثيفة تخللتها الأنهار الجارية وغمرتها الفيضانات من وقت لآخر ، وجفّت في أوقات أخرى ، وانتشرت البُحَيْرات والمستنقعات ، وفي هذه البيئات جرفت المياه جذوع الشجار والنباتات الميتة ، وألقت بها في المنخفضات ومواقع الترسيب التي تغطيها المياه ، فَوَجَد جزء يسير من تلك البقايا النباتية طريقه إلى الحفظ .

ومن أوسع أحافير الطحالب واضحة المعالم وكثيرة الانتشار هي التي عثر عليها في

صـخور في الجوبة التـابعة للعصـر الديفوني الأوسط ، وأحـافير النبـاتات في متكونات العصـر البرمي التابعة لمتكون الصفراء ، وبالذات أحجار رمل الشقة وصخور العصر الترياسي التابعة لمتكون منجور ، وصخور العصر الكريتاسي التابعة لمتكوّن البياض الوسيع في منطقة الرياض وغيرها .

أ - طحالب سكاكا المتحجرة : أكبر طحالب العالم المتحجرة :

تنتشر إلى الشمال من مدينة سكاكا أكبر الطحالب المتحجرة في العالم . تعرف هذه الأحافير الطحلبية والتي نمت على هيئة أشجار عملاقة بـ «بروتوتكسايتس» (Prototaxites) ، توجد هذه الأحافير في أحجار رمل الجوبة ، وحددت هذه الأحافير عمر أحجار رمل الجوبة بالعصر الديفوني الأوسط ، تعد هذه الطحالب العملاقة أكبر طحالب على هيئة أشجار يعثر عليها في العالم حتى الآن .



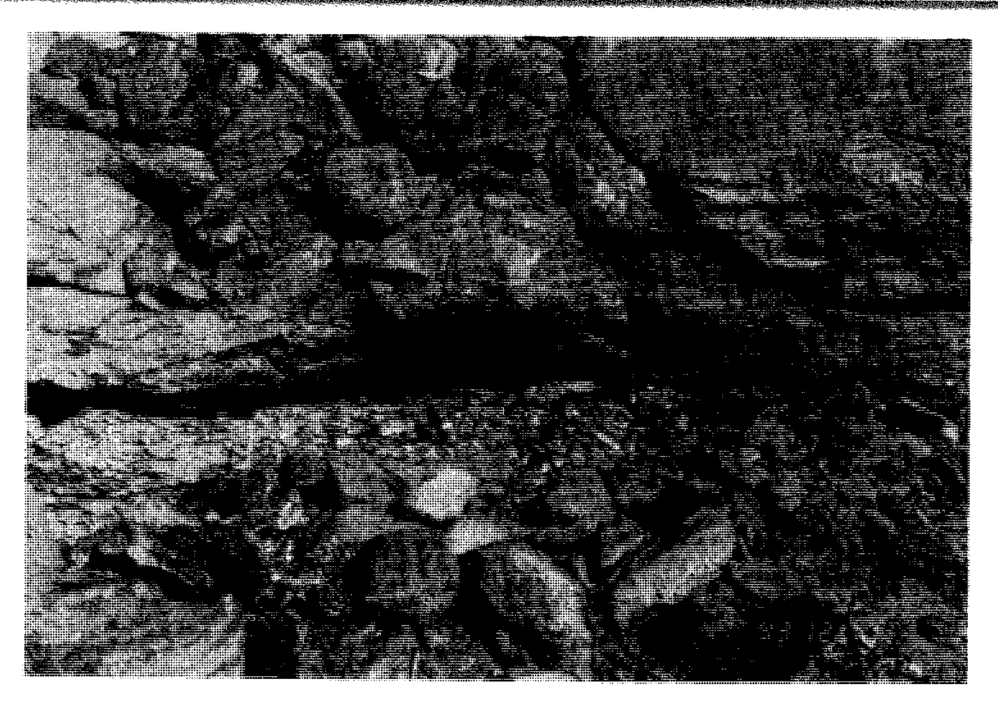
شكل (١) : طحالب البروتوتكسايتس العملاقة نمت على هيئة أشجار باسقة إبان العصر الديفوني الأوسط ، وبقيت حفرياتها جيدة الحفظ في مواقع نموها أو قريباً منها ، كما وجدت في شمال مدينة سكاكا في منطقة الجوف



شكل (٢) : طحالب البروتوتكسايتس متناثرة بين أحجار رمل متكون الجوبة ومتناثرة شمال مدينة سكاكا في منطقة الجوف

ب - غابة القصيم المتحجرة :

عندما نشر الكاتب مقالات ومعلومات عن جذوع وأغصان الأشجار المتحجرة وطبعات الأوراق النباتية وجذورها وجذيراتها التي وجدت في الصخور الفتاتية الرملية والغرينية والطينية داخل مدينة عنيزة وفي منطقة الشقة ووادي الشجرة في منطقة القصيم ؛ أطلق اسم " غابة القصيم المتحجِّرة " على هذه الأحافير النباتية لظهور الصخور الحاملة لها في منطقة القصيم من عنيزة جنوباً إلى قصيباء شمالاً ، إن إطلاق هذه التسمية لا يعنى بأي حال من الأحوال حصر وجود هذ الأحافير في منطقة القصيم إذ إنه قد يعثر على أحافير في طبقات للصخور نفسها في مناطق أخرى ، إلى الجنوب من منطقة القصيم مثلاً .

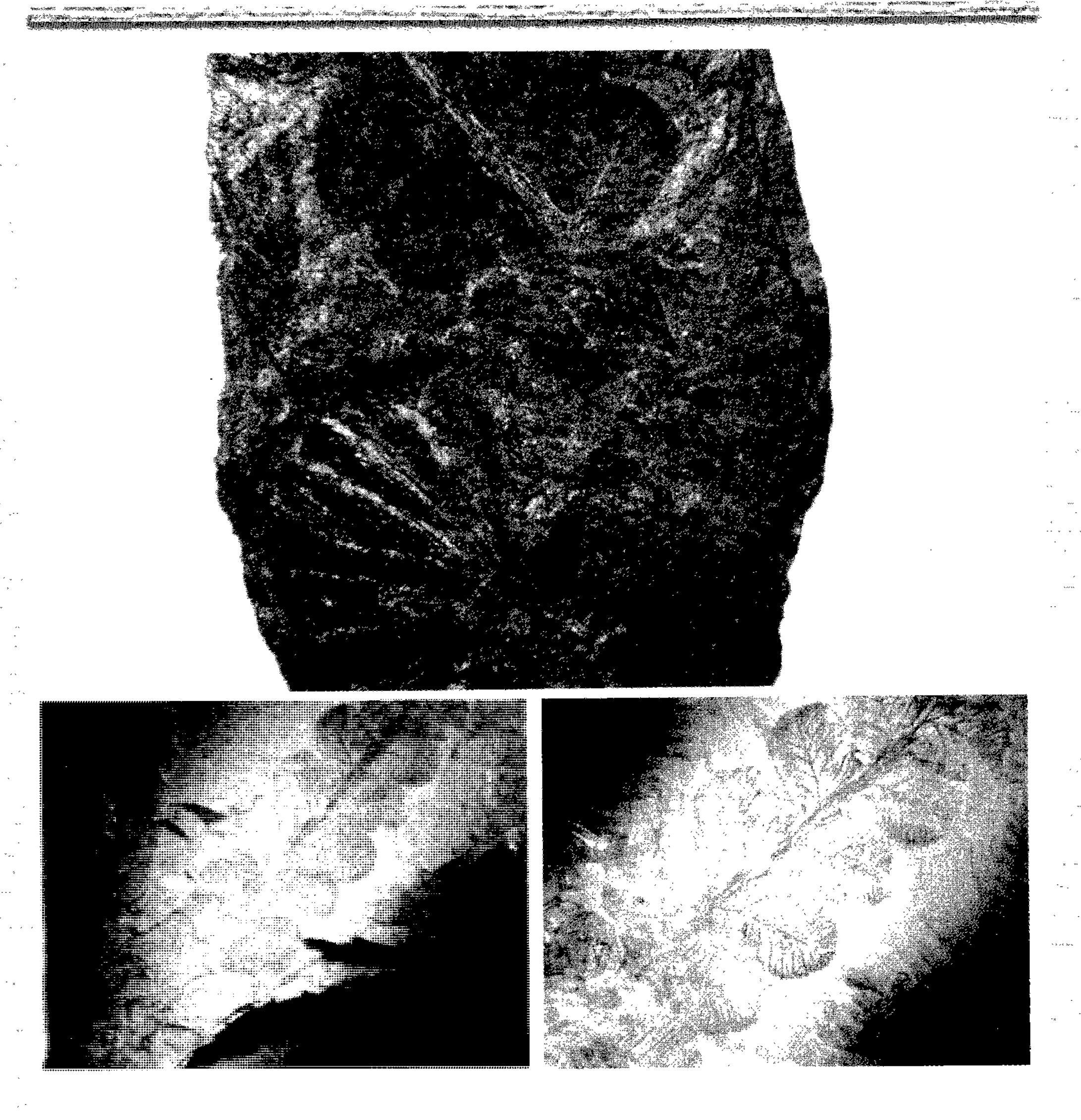


شكل (٣) : طبقة طينية رقيقة تابعة للعصر البرمي المتأخر أدى اكتشافها إلى العثور على عشرات الأنواع من البقايا النباتية عثر عليها في تل أبو كحلة داخل مدينة عنيزة

طبعات الأوراق النباتية :

اكتُشِفَت أحافير نباتية في صخور العصر البرمي المتأخر في مناطق متفرقة من الشرق الأوسط ، إلاّ أن وجود مثل تلك الأحافير النباتية الدقيقة لم يكن معروفاً في جزيرة العرب حتى قُطِعَ " تل أبو كحلة " في داخل مدينة عنيزة بطريق فرعية ، فتكشَّف مقطع لطبقة غنية بالحديد مليئة بطبقات الأوراق والبقايا النباتية .

أدَّى العثور على أحافير نباتية متنوعة في هذه الطبقة إلى دراسة آلاف العينات الصخرية منها ، فتمكن الجيولوجي الفرنسي ليموانيه ١٩٧٨م والخيال وآخرون ١٩٨٠م واللعبون ١٩٨٢م من التعرف على العديد من أجناس وأنواع الوريقات النباتية .



شكل (٤) : نماذج لطبعات لوريقات نباتية تابعة للعصر البرمي المتأخر ضمن نباتات غابة القصيم المتحجرة

الجذور المتحَجّرة :

بجانب طبعات الأوراق النباتية التي عثر عليها في مدينة عنيزة ، تم العثور على طبقات تحتوي على آثار الجذيرات ، وكذلك جذور متحجرة في صخور أخرى لمتكون عنيزة تظهر إلى الجنوب من مدينة عنيزة ، وكذلك في نقرة أبلق إلى الشمال الغربي من مدينة بريدة ، ومن

أجمل الجذور المتحجرة ما عثرنا عليه في طبقة غرينية عند قاعدة " تلّ أبو كحلة " وهي عبارة عن مجموعة من الجذور في مكان نموها يصل قطر مجموعها إلى حوالي ثلاثة أرباع المتر وتبلغ سماكة تفرّعاتها ما بين نصف بوصة إلى بوصة ونصف .



شكل (٥) : جذور شجرة تحجرت في موقع نموها كما تظهر في تل أبو كحلة في مدينة عنيزة بالقصيم

الجذوع المتحَجّرة :

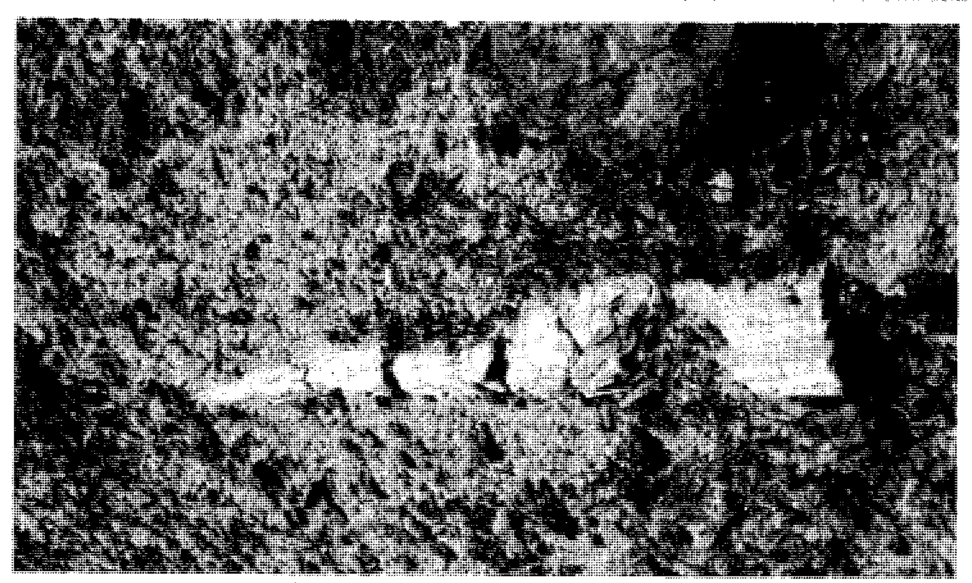
مع أنه كان معروفاً لدى بعض الجيولوجيين الذين عملوا بالقصيم منذ زمن طويل وجود قطع صغيرة متناثرة من جذوع لأشجارٍ مُتَحَجِّرَة في أجزاء مُتفرِّقة من مكشفات الصخور الفتاتية التي تسفل أحجار جير مُتَكَوِّن خف ؛ إلا أن تلك العينات كانت رديئة الحفظ ومتساقطة من مواقعها الأصلية مما يُقَلِّل من قيمتها الجيولوجية ، ومن خلال الدراسات الميدانية المستفيضة ونتيجة لعمليات التوسع العمراني وشق الطرق تكشف مقاطع لطبقات جديدة مما سهل العثور على مجموعات من الجذوع المُتَحَجِّرَة والمحفوظة حفظاً جيداً في مواقع ترسبها.

يصل طول بعض تلك الجذوع إلى أكثر من ستة أمتار ، وقطرها إلى أكثر من ثلاثة أرباع

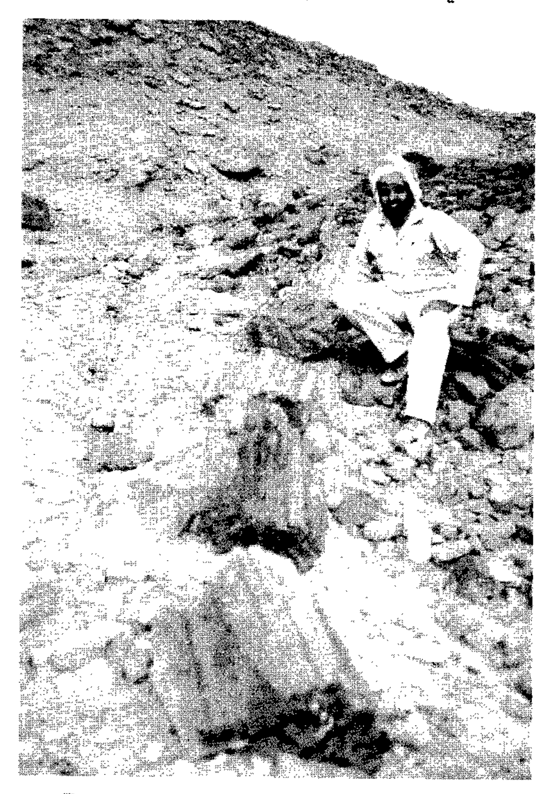
المتر ، ومما يميز بعض عينات هذه الجذوع أنها تبين الكثير من تفاصيل الأنسجة النباتية الخارجية والداخلية وحلقات النمو السنوية ، ويعدّ الكشف عن هذه الأشجار المُتَحَجِّرَة إسهاماً في تعزيز معلوماتنا الجيولوجية حول طبيعة غابات العصر البرمي المتأخر التي نمت في جزيرة العرب .



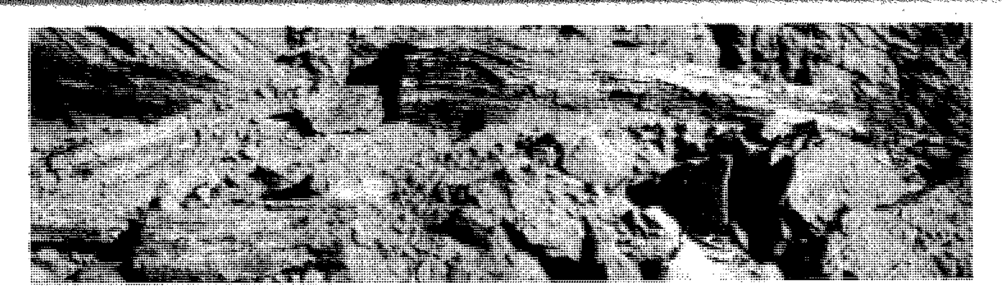
شكل (٦) : قطع من جذع شجرة كبيرة متحجّر ، وحفظ بصورة نادرة ويبيّن تفاصيل التركيب النباتي للشجرة قرب مدينة قصيباء في منطقة القصيم



شكل (٧) : غصن شجرة متحجر يعود للعصر البرمي المتأخر بقي محفوظاً بين أحجار رمل الشقة في وادي هريرة قرب مدينة قصيبياء في منطقة القصيم



شكل (٨) : أجـزاء من جـزع شـجرة متحجـرة تصل في مجموعها إلى أكثر من سبعة أمتار في منطقة قصيبياء والباحث وسط الغـابـة المتحجرة



شكل (٩) : جذع شجرة يبلغ طوله أكثر من سبعة أمتار وسماكته ثلاثة أرباع المتر يستقر محفوظاً بين أحجار الرمل إلى الشمال من مدينة بريدة وقد قام الكاتب وبالتعاون مع بلدية مدينة بريدة بحمايته ليكون معلماً من معالم المنطقة

نباتات « الغابة المتحَجّرة » :

من خلال دراسة ما أمكن العثور عليه من حفريات نباتية تم التعرُّف على مجموعات نباتية مختلفة تتبع النباتات البذرية ، ففي صخور مُتَكَوّن الصفراء والشقة تكثر طبقات وريقات نباتية من جنس كوردايتس ، وهي أوراق بسيطة شريطية متوازية التعرّق ، وطويلة يصل طول الورقة منها إلى حوالي القدم ، ومما هو معروف عن هذا الجنس أنه من طائفة الكوردايتوبسيدا ، وهي نباتات عالية الأشجار قد يبلغ ارتفاعها حوالي الثلاثين متراً ، وجذوعها عالية قائمة ، ولا يبدأ تفرّع أغصانها وأوراقها إلا في الجزء العلوي من الشجرة .

ربما كانت مجموعة الجذور التي عثرنا عليها عند قاعدة " تل أبو كحلة " ذات التفرُّعات الثنائية وأحياناً الثلاثية الأذرع والعقد والتغلّظات الثانوية هي جذور لأشجار هذا الجنس التابع لقسم النباتات المخروطية أو الصنوبرية ، ومن الأوراق النباتية أيضاً الجنس سفينوبترس نيوروبترس وهي من السراخس البذرية التابعة لطائفة البذريات التريدية بيترويدو سبرموبسيدا من قسم النباتات السيكادية وكلا القسمين يتبع النباتات عاريات البذور . أما جذوع الأشجار المُتَحَجِّرة فربما تكون من جنس أريكاريو زيلون .

صخور " الغابة المتحَجّرة " :

تنتشر أجزاء الأشجار المُتَحَجِّرة من جذيرات وجذور وجذوع وطبعات أوراق في الصخور الفتاتية التي تسفل أحجار جير متكون خف ، والظاهرة على امتداد مكشفاتها تحت جال هذه الصخور الجيرية ، فقد وجدت طبعات الأوراق في طبقة رقيقة لا تتجاوز سماكتها خمسة

سنتيمترات ومكونة من صفائح رقيقة جداً من مواد طينية (ليمونيتية) ناعمة ترسبت في بيئات هادئة ربما كانت مستنقعات ، وبتساقط الأوراق عليها تركت طبعاتها وبكل تفاصيلها ، أما الجذور الكبيرة فقد وجدت في طبقات غرينية تحت أحجار الرمل المتوسطة والخشنة الحبيبات، وفوق الطبقات الطينية التي احتوت على جذيرات صغيرة رديئة الحفظ ، احتوت أحجار الرمل المتوسطة والخشنة والحبيبات ، على قطع طويلة وسميكة من الجذوع والأغصان المتحجرة . وربما تكون هذه الأشجار قد جرفتها الأنهار ورسّبتها مع أحجار الرمل في قيعان القنوات ، وهذا ما يفسر وجودها في هذه الأماكن التي تمتاز بنشاط بيئاتها الترسيبية غير المناسبة لحفظ البقايا النباتية والحيوانية ، هذا ويكاد ينحصر وجود الجذوع المتحجرة في أحجار رمل الشقة .

عمر " الغابة المتحَجّرة " :

تشير الدراسات التي قام بها كل من ليموانيه والخيال وآخرون وابن لعبون على آلاف العينات الصخرية المحتوية على طبقات نباتية جمعت من الطبقة المتكشفة في مدينة عنيزة ؛ إلى أن العصر الجيولوجي لتلك الطبقات وما تحتويه من نباتات هو العصر البرمي المتأخر (٢٧٠ – ٢٥٠ مليون سنة تقريباً) .

أما فيما يتعلق بالعمر الجيولوجي لمتكون عنيزة وأحجار رمل الشقة ومتكون الصفراء والشقة ككل ، وخاصة في الطبقات تحت السطحية إلى الشرق من مكشفاتها ، فإن ما عثر عليه من حبوب لقاح وأبواغ وغيرها يشير إلى أن عمرها الجيولوجي ربما يمتد من العصر الكربوني المتأخر إلى العصر البرمي المتأخر (٣٣٠ – ٢٥٠ مليون سنة تقريباً) .

المناخ وظروف الترسيب :

تحركت جزيرة العرب (ضمن قارة بانجيا العظيمة) ببطء مُبتعدة عن القارة المتجمدة الجنوبية ، فبدأ الجليد الذي كان يغطي أجزاءها الجنوبية إبان العصر الكربوني المتأخر والبرمي المبكر بالانحسار والذوبان ، وباقتراب جزيرة العرب من مدار الاستواء – مع حلول العصر البرمي المتأخر – نعمت باعتدال الجو وسيادة الدفء والرطوبة مما هيأ الظروف

لازدهار الحياة النباتية وتنوعها ، وجعل الغابات تغطي وبشكل كثيف مساحات شاسعة من جزيرة العرب .

يدل الحفظ الجيِّد لطبعات الأوراق والبقايا النباتية الأخرى التي عثر عليها في مدينة عنيزة وطريقة ترتيبها أنها ترسبت في بيئات هادئة جداً مع رسوبيات ناعمة الحبيبات في بحيرات ضحلة المياه أو مستنقعات . هذا ؛ وقد ساعد تشبُّع المياه بالسليكا إلى حفظ أدق التفاصيل للبقايا النباتية التي تكدَّست عليها .

وما انتشار الجذيرات والجذور والأوراق النباتية في طبقات قريبة من بعضها إلا دليلاً على أن تلك النباتات ترسبت في أو قرب مواقع نموها . أما جذوع الأشجار المُتَحَجِّرة فإن معظمها عُثر عليه بين صخور رملية خشنة الحبيبات في قيعان الأنهار والقنوات مما يشير إلى أنها ترسبت في بيئات ترسيب نشطة أو عالية ، مما يرجح الاعتقاد بأن جذوع الأشجار تلك ربما جرفت بفعل الأنهار الجارية إلى مواقع ترسيب ليست بعيدة عن أماكن نموها ، أما ما عثر عليه من جذوع أشجار في مواقع نموها فهو خير دليل على أن هذه المنطقة وهذه الطبقات بالذات هي مكان نمو هذه الأشجار .

انتشار الغابة المتحجّرة :

شجَّع اكتشاف الطبقة المليئة بطبعات الأوراق والبقايا النباتية في مدينة عنيزة البحث عن طبقات أخرى ، فعثر ابن لعبون ١٩٨٢م على طبقة غرينية تحتوي على أحافير نباتية في مقطع الطريق المؤدية إلى مبني الأرصاد التابع لوزارة الزراعة والمياه القابع على "جبل الصنقر" داخل مدينة عنيزة ، كما عثر الخيال وواجنر ١٩٨٣م على طبقات أخرى في الشقة وجال الوطاة شمال مدينة بريدة بالقصيم ، هذا وما زال البحث جارياً عن المزيد من الطبقات الغنية بمحتواها النباتي الأحفوري .

بالإضافة إلى الطبعات في مدينة عنيزة وشمال مدينة بريدة ، فإن قطعاً متناثرةً من الجذوع المتحجرة تنتشر على امتداد مكشفات متكون عنيزة ، ولمسافات طويلة تتجاوز المئة كيلو متر ، من مدينة عنيزة جنوباً حتى منطقة قصيباء شمال القصيم ، وما ظهور بعض

الصخور المحتوية على هذه المستحثات النباتية إلا دليل على انتشار الغابات في جزيرة العرب آنذاك .

٢ - الصخور الجليدية :

كما أن الكرة الأرضية في حركة دائمة في جوفها فإن الحركة على سطحها أوضح ، إن القشرة الأرضية من قارات ومحيطات كأنها ألواح طافية على سائل تتحرك بالنسبة لبعضها اقتراباً وابتعاداً وتتغير مواقعها بالنسبة لخط الاستواء قرباً وبعداً . تقترب أجزاء من القشرة الأرضية وتلتحم لتكوّن كتلة واحدة وتتقطع أجزاء أخرى وتتباعد إلى أجزاء أصغر متنافرة كل منها يهيم باتجاه ثم تعود فتلتحم وهكذا . تبتعد أجزاء الأرض عن بعضها في اتجاه وتتصادم في اتجاه آخر ، تهيم على وجهها فوق سطح الأرض فيتجه بعضها نحو القطب تارة وتبتعد أخرى عنه نحو خط الاستواء تارة أخرى ، ثم تعود إليه بعد رحلة ربما استغرقت مئات الملايين من السنين وهكذا .

إن وجود صخور ترسبت في بيئات جليدية تقع الآن في منطقة الاستواء يعني أن تلك المنطقة كانت في عصر من العصور تقع في المنطقة القطبية أو قريباً منها . لقد أثبتت الدراسات الجيولوجية وجود صخور ترسبت في بيئات جليدية في مناطق متفرقة في شبه جزيرة العرب كتلك التي في منطقة القصيم وحائل وجنوب وادي الدواسر وبني خطمة وفي عمان . إن وجود مثل هذه الصخور وغيرها من آثار بيئات الترسيب الجليدية لهو دليل على أن جزيرة العرب تعرضت لفترات كساها الجليد وانزلقت فوقها الكتل الجليدية .

الرواسب الجليدية الحريثية (التلليت) :

تتميز الصخور التي ترسبت في بيئات ترسيب جليدية عن الصخور الرسوبية الأخرى بكونها تتكون من مختلف أنواع الصخور والأحجام وأنها عديمة الفرز تختلط فيها الصخور الناعمة بالكتل الكبيرة دونما تدرج في أحجامها ، ويعرف هذا النوع من الصخور الرسوبية بالصخور الحريثية « التلليّت » (tillite) .

خلال فترات الجليد تعمل الثلاجات والأنهار الجليدية على حت الصخور وتكسيرها ،

وشق الأودية المتميزة بأشكالها المتسعة أو المفتوحة القاع ، وحمل كميات هائلة من صخور غير متجانسة الأنواع والأحجام والمصادر ونقلها لمسافات بعيدة عن مصادرها ، وعند انخفاض سرعة جريان الجليد أو تقهقره أو ذوبانه تترسب هذه الكميات من الصخور على هيئة " أكوام" في الأودية العميقة والمناطق المنخفضة ومصبّات الأنهار الضحلة .

هذا بالإضافة إلى ما تحمله الصخور من علامات متميزة كالتجلد ، والملمس الناعم الأملس ، والاستدارة ، والخدوش الدقيقة المتوازية وغيرها .

السـواقط :

وأثناء زحف الثلاجات وجريان الأنهار الجليدية ، ونتيجة لانخفاض سرعة جريانها أو بداية ذوبانها تبدأ كتل الصخور الكبيرة بالتساقط فتترسب فوق الصخور الأقدم ، وتعرف عندئذ بالصخور المتساقطة أو السواقط (dropstones) ، هذه أيضاً من ميزات الترسيب في ظروف جليدية .

الأرصفة الجليدية :

خاصية ثالثة تدل على الظروف الجليدية هي الأرصفة الجليدية (glacial Pavements) ، أو الحزوز الجليدية (striations) ، فعندما تحمل الثلاجات كتل الصخور المختلفة وتنزلق بها فوق الصخور الأقدم ؛ فإنها ونتيجة لسرعة حركات الثلاجات وما تحمله من صخور ، تسبب خدوشاً على تلك الأسطح تظهر على هيئة حزوز متوازية تعرف بحزوز الجليد . كما تتأثر كتل الصخورر المحمولة ونتيجة لتدحرجها خلال فترة نقلها واحتكاكها ببعضها وانزلاقها فوق الصخور الأخرى ؛ فإنها تستدير حوافها وتصبح أسطحها ملساء وقد تظهر عليها خدوش دقيقة متوازية .

هذا ؛ وقد تشق الثلاجات والأنهار الجليدية أخاديد عميقة في الأرصفة والصخور الأقدم ثم تملأ هذه الأودية والأخاديد براوسب مختلفة في بيئات ترسيب لاحقة .

الدورات الجليدية في جزيرة العرب :

كانت قارات اليوم متصلة ببعضها مكونة قارة عظيمة هي قارة بانجيا ، لقد كانت أجزاء من هذه القارة العظيمة تقع ضمن المنطقة المتجمدة القطبية أو قريباً منها وإن وسط أفريقيا كان في يوم من الأيام حيث القطب الجنوبي اليوم .

لقد أثبت الدراسات الجيولوجية لصخور قارة بانجيا التي تناثرت أجزاؤها بين قارات اليوم أن الجليد قد كساها لأكثر من فترة خلال تاريخها الجيولوجي.

إن جزيرة العرب الواقعة في وقتنا الحاضر شمال خط الاستواء ذات الشمس الساطعة والحرارة العالية قد كستها الثلوج وتحركت فوقها الثلاجات وتخللتها الأنهار الجليدية في يوم من الأيام .

إن ما تركته الثلاجات من سجل لها في الصخور المتناثرة في مناطق متفرقة في وسط وشمال غرب جزيرة العرب وفي جنوبها ؛ يؤكد أن أجزاء منها قد تعرضت لما لا يقل عن فترتين جليديتين رئيسيتين خلال حقب الحياة القديمة ، الأولى في أواخر العصر الأوردوفيشي المتأخر (تقريباً ٤٤٥ إلى ٤٤٠ مليون سنة خلت) والثانية في أواخر العصر الكربوني أوائل العصر البرمي (تقريباً ٣٢٥ إلى ٢٦٠ مليون سنة خلت) ، وبالإضافة إلى هاتين الفترتين هنالك دلائل جيولوجية ربما تشير إلى تعرض المناطق العالية في جنوب غرب الجزيرة العربية إلى فترة جليدية قصيرة في عهد البليستوسين . فقد عثر على صخور رملية تحمل آثار الثلاجات في جبال المرتفعات الوسطى في اليمن ، وكذلك في جبل النبي شعيب عليه السلام جنوب صنعاء حيث وجدت صخور بركانية فتاتية عليها علامات تدل إلى ترسبها في بيئات جليدية ، ونظراً لأن هذا الجبل هو أعلى جبل في الجزيرة العربية حيث يبلغ ارتفاعه ٣٦٢٠ متراً فوق سطح البحر؛ فإن ذلك يشير إلى أن مرتفعات أخرى في شبه الجزيرة العربية ربما تكون قد تأثرت بجليد البليستوسين . وربما كانت الجلاميد والحصى الكبيرة التي تتكون من صخور مختلفة النواع من نارية ورسوبية والتابعة لتكون الأجفر والتي تنتشر في مناطق شاسعة في وسط جزيرة العرب قد نقلت بواسطة الثلاجات خلال تلك الفترة الجليدية القارية .

تظهر الآثار الواضحة للصخور الجليدية التي تركتها الفترة الجليدية الأولى في أواخر

العصر الأوردوفيشي المتأخر في مناطق متفرقة من القصيم وحائل ، أما الدورة الجليدية الثانية فتمثلها الصخور الجليدية التابعة للعصر البرمي وتظهرفي جبال الخرب جنوب وادي الدواسر وفي بني خطمة ، وسنلقي الضوء على الصخور الجليدية للدورة الأولى في القصيم وحائل .

الرواسب الجليدية : دراستها وتسمياتها :

مكلور ١٩٧٨م :

قام الجيولوجي هارولد مكلور (١٩٧٨ م) بدراسة الصخور الظاهرة في مناطق جال الساقية وخشم الرعن وخناصر صارة ومضاهاتها بما نشر عن صخور شمال أفريقيا فأكد التشابه بينها ، واستنتج أن صخور وسط جزيرة العرب هي الأخرى قد ترسبت في بيئات جليدية وأن عصر هذه الصخور هو الأوردفيشي المتأخر ، ومع دراسته لهذه الصخور إلا أن مكلور لم يقترح لهذه الصخور اسماً ، واكتفى بالرواسب الجليدية .

كلارك ١٩٨٠م :

في عام ١٩٨٠م قام الجيولوجي كلارك لويس بإعداد تقرير عن منطقة القصيم فدرس سحنات وخصائص وبيئات ترسيب صخور حقب الحياة القديمة . خلال دراسته لصخور متكون تبوك درس كلارك أحجار الرمل التي فسرها مكلور على أنها ترسبت في بيئات جليدية وبين علاقتها بما يسفلها من أعضاء متكون تبوك ، وقام بتعريفها وتسميتها بعضو صارة نسبة إلى سلسلة جبال خناصر صارة .

يونج ١٩٨٠م :

وفي عام ١٩٨٠م نشر يونج بحثاً عن الصخور الجليدية التابعة لحقب الحياة القديمة في شمال جزيرة العرب .

ابن لعبون ١٩٨٢م :

قارن المؤلف أحجار الرمل التي تعلو طفال الرعن في الطبقات تحت السطحية بأحجار

الرمل التي تستقر بلا توافق فوق طفال الرعن في منطقة القصيم وجال الساقية في وسط جزيرة العرب ، وبناءً على المحتوى الأحفوري لأحجار الرمل في الطبقات تحت السطحية فقد أطلق عليها المؤلف اسم أحجار رمل الأوردوفيشي – السيلوري .

البعثة الفرنسية ١٩٨٦م – ١٩٨٧م :

الدراسات الجيولوجية التفصيلية التي قام بها جيولوجيو البعثة الفرنسية في وسط جزيرة العرب ، وبالذات الجيولوجي ويليامز وآخرون في عام ١٩٨٦م ، وفاز ليه وآخرون في عام ١٩٨٧م تمخض عنها نتائج عدة منها تعريف وحدتين صخريتين وتفسير بيئات ترسيبها في بيئات جليدية أو شبه جليدية ، وتفصل بين الوحدتين علاقة لا توافق واضحة ، وأُعطي كل من هاتين الوحدتين الصخريتين رتبة متكون ، قام ويليامز وآخرون في عام ١٩٨٦م بدارسة الوحدة الصخرية العلوية ، وعرفوها باسم متكون صارة بعد أن رفعوا رتبة عضو صارة إلى رتبة متكون صارة ، وحصر هذه التسمية بالجزء العلوي من الصخور الجليدية ، أما فازليه وآخرون ١٩٨٧م فقاموا بدراسة الوحدة الصخرية السفلى وعرفوها كمتكون جديد باسم متكون الزرقاء.

طبقاً للدراسات التي قام بها فازليه وآخرون ١٩٨٧م فإن متكون الزرقاء ، يقع تحت أحجار رمل متكون صارة ، ونظراً لتعريته في مكشفاته فإنه يتعذر الحصول على مقطع كامل للمتكون ويدل توزيع الصخور الظاهرة وطبيعة ترسيبها على أنها ترسبت في أودية ومنخفضات نتجت عن تعرية شديدة لصخور المنطقة قبل ترسّب أحجار رمل الزرقاء ، واختير الجانب الشرقي لوادي أعيوج بالقرب من جال الزرقاء المقطع المثالي لمتكون الزرقاء الذي سمي نسبة إلى هذا الجال حيث بلغت سماكة المتكون في مقطعه المثالي هذا ١١٥ متراً.

ابن لعبون ١٩٩٢م – ١٩٩٣م :

تظهر الدراسات اللاحقة التي قام بها المؤلف أن ما قام به جيولوجيو البعثة الفرنسية (ويليامز وآخرون في عام ١٩٨٦ م وفازليه وآخرون ١٩٨٧ م) من تعريف لمتكون الزرقاء وصارّة يحتاج إلى تعديل وذلك بإلغاء تسمية متكون الزرقاء أولاً لاستخدام هذا الاسم من قبل لوحدات صخرية في الأردن ، وثانياً أن ما أطلق عليه فازليه وآخرون ١٩٨٧ م متكون الزرقاء

ما هو إلا سحنات صخور جليدية تتداخل مع أحجار رمل صارة ولا ترقى إلى رتبة متكون بذاته وبالتالي لابد من إلغائها واستحداث اسم بديل لها . وعليه فقد ألغى اقتراح ابن لعبون إلغاء هذا الاسم .

ينقسم متكون صارة إلى ثلاثة سحنات (أنواع من الصخور) سفلى تتكون في معظمها من صخور حريثية (تلليت) تسفل وتتداخل مع السحنة الوسطى وهي أحجار رمل صارّة وعليا وهي طفال وتعرف بطفال هوبان .

ابن لعبون وشينالب ١٩٩٦م :

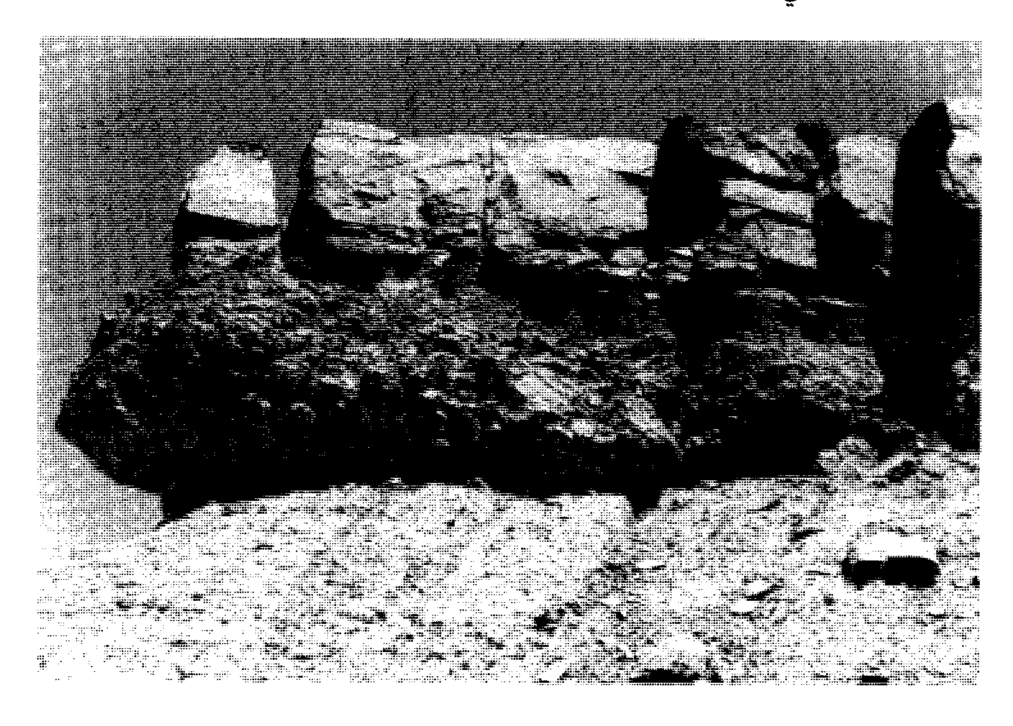
تمكن المؤلف وشينالب من خلال العمل الميداني المكثف في القصيم وحائل من اكتشاف العديد من الأرصفة الجليدية في وادي أعيوج قرب مدينة بقعاء في منطقة حائل وفي خشم المضباعة قرب مدينة القرعاء في منطقة القصيم ، وهذا مالم يأت على ذكره أو وصفه أحد من قبل في هذه المنطقة ، واستنتجا أنه في أواخر العصر الأوردفيشي ، وربما بسبب ذوبان الجليد ؛ ارتفع منسوب البحار وسادت الظروف البحرية وترسبت طفال وأحجار في بيئات بحرية . مع استمرار ذوبان الجليد وحمل الأنهار الجليدية متقطعة التدفق لكميات من مختلف أنواع الصخور والأحجام تراكمت صخور رسوبية وبشكل متقطع فوق الصخور الأقدم عمراً ، في الوقت الذي كانت كتل الجليد تطفو على السطح وتحمل كتلاً من صخور فتاتية مختلفة الأحجام والأنواع ، كانت هذه الكتل تتساقط وتترسب مع أحجار الرمل في بيئات بحرية .

الجليد في القصيم وحائل :

حدثت فترات الجليد الأولى في أواخر العصر الأوردفيشي ربما خلال المراحل الأخيرة لترسيب أحجار رمل القوارة . تظهر الرواسب الجليدية الفتاتية المعروفة بالحريثية أو «التلليت» التابعة لهذه الفترة الجليدية وبشكل متقطع في منطقة القصيم وحائل على هيئة حزام يمتد من خشم المضباعة قرب مدينة القرعاء مروراً بخشم الرعن ، فجال الساقية ، فبقعاء فجبل الجلدية . تستمر الصخور الجليدية في الظهور وبشكل متقطع حتى الشمال الغربي في الأردن.

الصخور الحريثية :

تدل الصخور الفتاتية الظاهرة في وسط وشمال غرب جزيرة العرب ، والتابعة للعصر الأوردفيشي المتأخر أن جزيرة العرب قد تعرضت لفترات من البرودة وربما كسا الجليد أجزاءً منها ، وترسبت فوقها - وعلى فترات - طبقات متقطعة من صخور حريثية نقلت بواسطة ثلاجات أو ترسبت في بيئات جليدية .



شكل (١٠) : أكوام من صخور مختلفة الأحجام والأنواع نقلتها الثلاجات وعند ذوبانها تكومت هذه الصخور دون فرز وتعرف بالصخور الحريثية « التلليت » وتظهر هنا فوق طفال الرعن وتحت أحجار رمل صارّة في خشم الرعن بالقصيم .



شكل (١١) : مساحات شاسعة تكومت فوقها الصخور الحريثية التي جرفتها الثلاجات ونقلتها دون فرز وتصنيف وألقت بها بعيداً عن مصادرها . الصورة لصخور حريثية قرب جبل الجلدية في منطقة حائل

السـواقط :

لقد أمكن التعرف على طبقات من صخور فتاتية تحتوي على كتل صخرية كبيرة يصل بعضها إلى حجم العربة الصغيرة وجلاميد مستديرة الحواف ملساء الأوجه تحمل علامات وآثار الخدوش المتوازية ، مما يشير إلى ترسّبها في بيئات جليدية أو شبه جليدية ، ويشير تتابع هذه الطبقات إلى تكرر عمليات الترسّب هذه لأكثر من فترة .



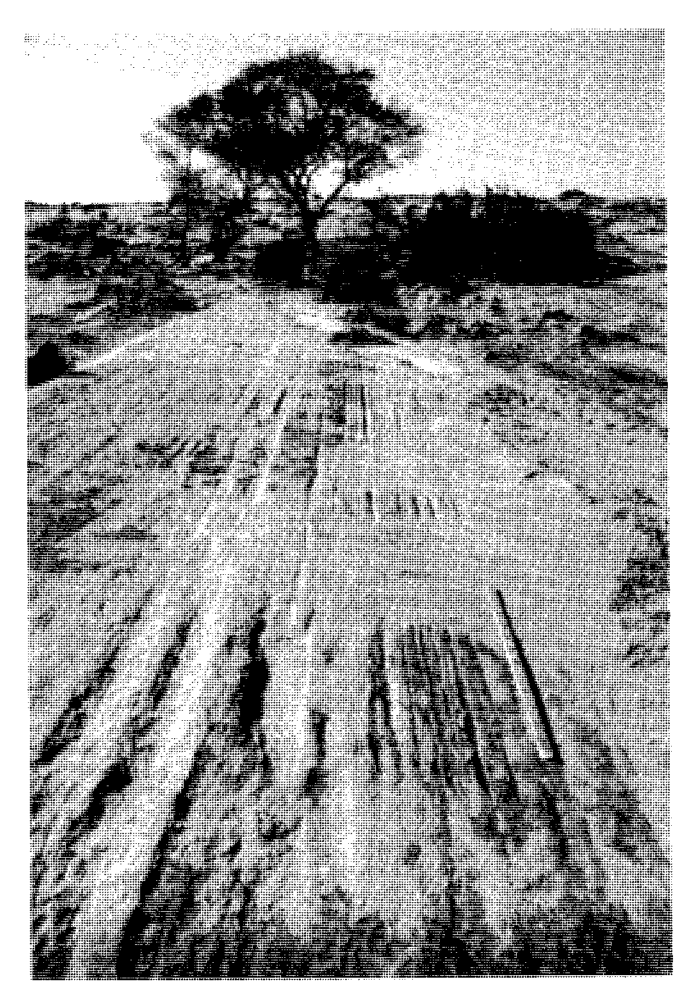
شكل (١٢) : كتل ضخمة من صخور نارية حملتها ثلاجات لمسافات بعيدة وتساقطت منها أثناء تحركها وبداية ذوبانها وتعرف بالسواقط . الصورة مثال لمثل هذه السواقط التي تنتشر في جال الساقية في منطقة حائل



شكل (١٣) : كتلة من صخر الجرانيت الوردي حملته ثلاجـة وسقط منها ليسـتقر فـوق أحجـار رمـل في جال الساقية في منطقة حائل

الأرصفة الجليدية :

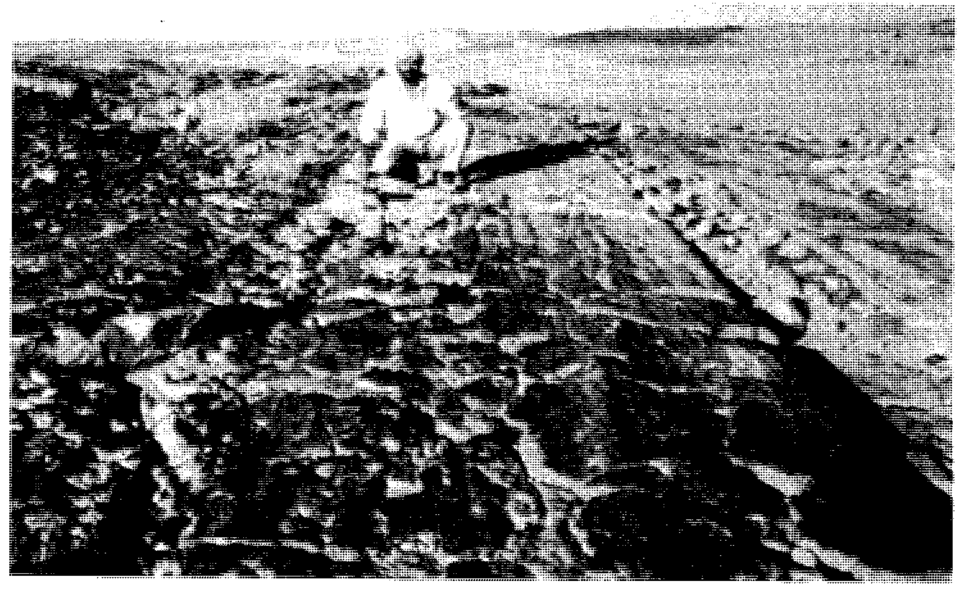
تمثل الأرصفة الجليدية آثاراً طبيعية لا تقدر بثمن لما لها من دلالة على تعرض المنطقة للجليد ، كما وتكمن أهميتها بطبيعة حفظها الجيدة لمختلف أنواع التراكيب الرسوبية لبيئات الترسيب الجليدية مما يجعلها ذات قيمة علمية تدريساً وتطبيقاً للأبحاث الجيولوجية .



شكل (١٤) : الجليد مر من هنا ، وهذا هو الدليل . حزوز وخدوش تركتها كتل الجليد المنزلقة على قاع البحر وبقيت عبر ملايين السنين دليلاً على أن أجزاء من جزيرة العرب غطتها الثلوج في أواخر العصر الأوردوفيشي وأوائل العصر السيلوري .. الصورة لرصيف جليدي قرب مدينة بقعاء في منطقة حائل



شكل (١٥) : صورة تبين تفاصيل أحد الأرصفة الجليدية من حزوز وخدوش تركتها كتل الجليد لرصيف جليدي قرب مدينة بقعاء في منطقة حائل



شكل (١٦) : وفي القصيم الجليد مر من هنا . حزوز وخدوش كتل الجليد كما تظهر في خشم المضباعة قرب مدينة القرعاء بالقصيم

٣ - " الماءاللي يّولعْ "

ربما جهل الكثيرون أن الغاز كان يتصاعد إلى السطح في منطقة القصيم ، وربما جهل الكثيرون أيضاً أن أهل القصيم أوْلعَوُا به النار فولّع. وأن أهل القصيم لم يتركوه يتبدد سدى فعملوا ما في وسعهم لاستغلاله أحسن استغلال وبتقنية فذّة تفوق إمكاناتهم المحدودة .

اكتشاف الغاز الطبيعي :

تعود قصة اكتشاف الغاز الطبيعي إلى أكثر من أربعين عاماً عندما لاحظ أحد المزارعين ولأول مرة انتشار رائحة غريبة مصاحبة للماء المتدفق من بئر مزرعته ، فما كان من ذلك المزارع إلا أن أشعل النار قرب فوهة أنبوب الماء لاختباره فتأججت النار ، وسرعان ما شاع خبر " الماء اللي يولع " كما أسماه أهل المنطقة ، وتقاطر الناس زرافات ووحداناً للتفرج على هذه الظاهرة الغريبة ، وكان الاكتشاف في مزرعة الغضبة التي تقع في قرية الهدية جنوب شرق مدينة بريدة .

استغلال غاز الهدّية :

لقد كانت نوعية الغاز المتصاعد جيدة وكمّيته كبيرة ، شجعت على إمكانية استغلاله لمختلف الأغراض ، ولما كان لصاحب المزرعة الخبرة في أعمال الحدادة والميكانيكا ، فإنه لم يضع الوقت إذ سرعان ما أعد العدة لاستغلال الغاز فأتى بمضخة (ماطور) وبرميل (أسطوانة) وبدأ بتعبئة الغاز في البرميل وأخذ المتجمع إلى ورشته فوجده صالحاً للحام ؛ إلا أن ضغط البئر لم يكن كافياً لتعبئة الأسطوانة بكميات كافية ، فاكتفى بابتكار طريقة للاستفادة من الغاز داخل مزرعته فصمّم جهازاً تمكّن بواسطته من فصل الغاز عن الماء وإيصاله عن طريق شبكة أنابيب لإنارة المنزل والطريق والتدفئة والاستعمال في المطبخ ، ومباهاةً باكتشافه هذا نصب المزارع أنبوباً طويلاً أوقد الغاز في طرفه لجلب انتباه المزارعين والمارة وليكون شعلة ملتهبة تحاكي نفّاطات أرامكو في " الشرقية ".

جهاز فصل الغاز :

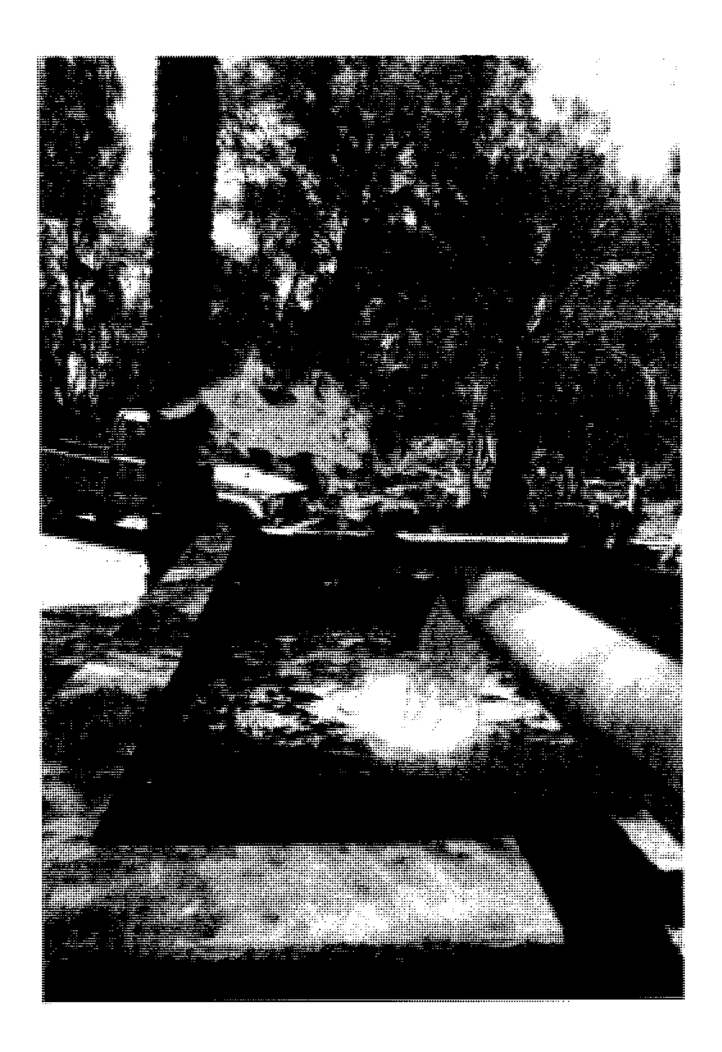
تتلخص فكرة شبكة فصل الغاز بإدخال أنبوب الماء المتدفق من البئر في وسط برميل

كبير قطره متران وارتفاعه أربعة أمتار وخروج أنبوب آخر في الجهة المقابلة ليصب الماء في البركة .

أما الغاز فينفصل عن الماء داخل البرميل الكبير ، ويتصاعد إلى أعلاه ويخرج من خلال أنبوب يفتح في برميل صغير يعمل كمكثف لبخار الماء المصاحب للغاز ، يخرج الماء المتكثف من خلال أنبوب صغير في أسفل البرميل ، أما الغاز فيأخذ طريقه بواسطة أنبوب علوي إلى شبكة التوصيلات لاستغلاله .

لقد ابتكر صاحب المزرعة إضافة إلى هذا برميل التكثيف الصغير إلى الشبكة بعد أن لاحظ ما يسببه وصول بخار الماء والماء المصاحب إلى الشعلة أو نهايات التوصيلات من تقطع في الاحتراق ، وللتحكم في كميات الغاز الناتجة وضع على أنبوب الغاز صماماً يتحكم به قبل توزيعه .

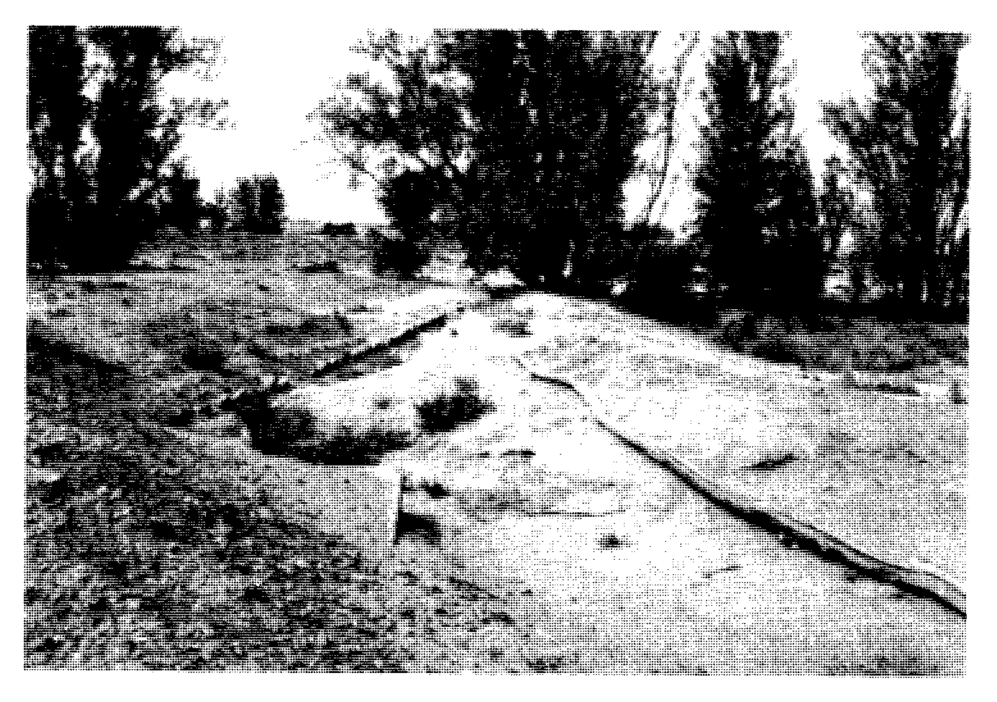
ويذكر صالح الغضيه أنه أحاط المسؤولين باكتشافه الغاز في مزرعته فكتب إلى وزارة الداخلية بالرياض التي أرسلت له (خبيراً) أجنبياً للغاز ، وفي يوم عاصف شديد الغبرة وصل الخبير ومعه أجهزة قياس ضغط الغاز عند فوهة البئر ، وبعد أن أدى مهمّته عاد إلى الرياض وجاءت نتيجة الاختبار أن كمية الغاز قليلة وعليه فلم تتخذ أية إجراءات أخرى لاستغلال الغاز أو الاستفادة منه .



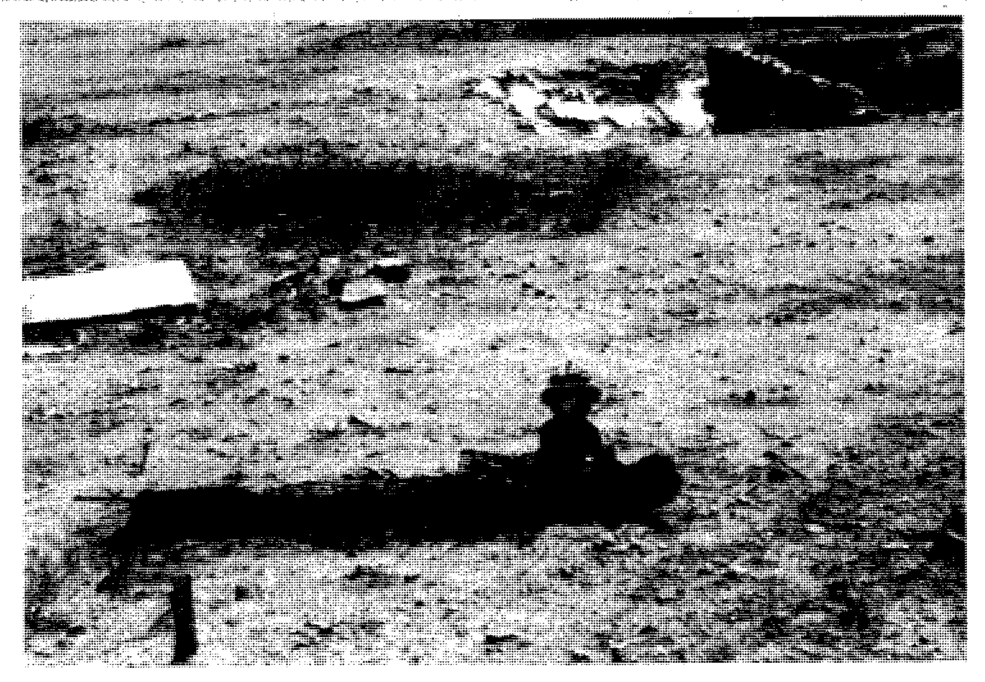
شكل (١٧) : بخروج الماء من فوهة البئر ينفصل منه غاز وبإشعاله يشتعل فأسماه أهل المنطقة « الما اللّي يولّع » . وبذا تسقي هذه البئر المزرعة بالماء والغاز للمنزل والمسجد والطريق وغيرها



شكل (١٨) : اسطوانة فصل الغاز عن الماء



شكل (١٩) : أنابيب نقل الغاز من البئر إلى المنزل



شكل (٢٠) : صمام التحكم بالغاز بعد أن أدى واجبه ملقى قرب البئر

عيون أخرى للغاز :

بانتشار حفر الآبار في المنطقة انتشر اكتشاف الغاز ، فعندما حفر المزارع إبراهيم اليحيى العضيب بئراً في أرضه الواقعة شمال مزرعته ظهر الغاز في هذه البئر فطلب من صالح الغضيه أن يمدد له شبكة أنابيب الغاز لاستغلاله ، ونفذ الغضيه تركيب الشبكة بعد أن طور في تصميمها ، وما زالت أجزاء من تلك الشبكة موجودة حتى يومنا الحاضر .

طبقاً لروايات بعض المزارعين فإنه وإلى عهد قريب كانت هنالك آبار تنتج الغاز مع الماء ومنها بئر في مزرعة البراك في القعرة ومزرعة الحسين في أم الحساوة في منطقة بريدة ، وما زالت شبكة أنابيب الغاز التي استخدمت لاستغلال الغاز في البئر الأخيرة قائمة وبشكل كامل وجيد ؛ إلا أن مياه البئر لم تعد صالحة للزراعة ، وقد توقف الضخّ منها حديثاً .

وبالإضافة إلى الآبار الخمسة المذكورة سابقاً ، هناك العديد من آبار المياه التي أنتجت الغاز ، ويبين الجدول التالي منطقة انتشار الغاز .

غـاز البطين (اللبيّد) :

توالت اكتشافات الغاز المصاحب للمياه في منطقة القصيم ، حيث ظهر الغاز في البطين (اللبيّد) في البئر التي حفرها الأمير/ فهد الفرحان الفيصل في شمال القصيم ، لقد كانت كمية الغاز المتصاعد من هذه البئر وضغطه العالي ما شجع على استقدام متخصصين من الرياض لتصميم وتمديد شبكة أكثر تقنية وأدق تخطيطاً من المزارع الأخرى ، وبذا استغل صاحب المزرعة الغاز المتصاعد من بئر مزرعته أحسن استغلال ، امتدت شبكة الغاز لمسافة ثلاثة كيلو مترات ، واستغل الغاز لمختلف الأغراض بما في ذلك تشغيل مولد الكهرباء الذي كان يعمل بالبنزين ، استمر تدفق الغاز وبدون انقطاع لمدة اثني عشر عاماً ، وما زالت أسطوانات الغاز وتوصيلاته وتمديداته ومفاتحه متناثرة قرب موقع البئر .

مصدر الغاز :

أثبتت الدراسات الميدانية والمعلومات المستقاة من المزارعين بالقصيم أن الغاز كان مصاحباً للآبار الضحلة والفوارة ، وربما لا يتجاوز عمق الطبقة الخازنة للغاز المئة والخمسين متراً ، وقد أشار سليمان المحمد الغضيه أن عمق البئر في مزرعتهم حوالي ٧٥ متراً ، وسبب اختفاء ظاهرة تصاعد الغاز أو نضوبه هو انخفاض مستوى الماء وتعميق الآبار وتبطينها ، وأن طبقة الغاز قد حجبت هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن معظم الآبار والمزارع القديمة قد أهملت .

منطقة انتشار الغاز :

يشير التوزيع الجغرافي لهذه المزارع أن منطقة ظهور الغاز الطبيعي تكاد تنحصر في شريط يمتد إلى الشرق من مكشفات صخور متكون عنيزة من الزغيبية جنوباً وحتى ضيدة شمالاً ، هذا وتشير أعماق الآبار التي ظهر فيها الغاز وطبيعة الصخور التي اخترقتها تلك الآبار إلى أن مصدر الغاز من صخور متكون عنيزة الفتاتية أو ربما أعمق .

استمتع سكان القصيم وخاصة المتنزهون منهم في المزارع التي ظهر الغاز فيها باستغلال الغاز للطبخ والإنارة والمتعة ، وفي أثناء إحدى الدراسات الجيولوجية الميدانية لبعض

جيولوجي شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) في القصيم قاموا بزيارة مزرعة الطرفية وأشعلوا النار فوق سطح الماء المتدفق من البئر .

تجدر الإشارة إلى أنه بالإضافة إلى تصاعد الغاز مع مياه الآبار فقد لوحظ ظهور شواهد من النفط في بعض الآبار كما في بئر مزرعة البراك في القعرة شمال القصيم .

وطبقاً لرواية صالح الغضيه فإنه ومع انتشار انبعاث الغاز في العديد من آبار المزارع المنتشرة في الشريط الممتد من الهدية جنوباً إلى القعرة شمالاً إلا أنه لم يستغل الغاز إلا في ثلاث مزارع : هي مزارع الغضيه والعضيب والفرحان .

مكونات الغاز :

تشير التحاليل التي أجريت على عينات من الغاز أخذت من بعض المزارع التي ظهر فيها الغاز إلى أن معظم الغاز يتكون من حوالي ٨٨ ٪ من الميثان (CH_4) ، وحوالي ١١ ٪ من النيتروجين (N_2) ، وحوالي ١ ٪ أوكسيدالكربون (CO_2) ، كما أشارت التحاليل إلى عدم وجود مكونات نفط أخرى مع هذا الغاز .

رابعاً : حلم للجيولوجيين يتحقق :

للكثير من المواقع الجيولوجية أهمية كبيرة من الناحية العلمية لتفرُّدها بخصائص جيولوجية نادرة ، ومن تلك المواقع المقاطع المثالية للمتكونات أو الوحدات الصخرية الأخرى ، أو بسبب احتوائها على بلّورات لمعادن مُعينة ، أو حفريات مرشدة وغير ذلك ، وكثيراً ما تستهوي تلك المواقع عامة الناس وخاصتهم فيُسَاء - بقصد أو بدون قصد- استغلال ما تحتويه من ثروات علمية ، وقد لا يكون الاهتمام لائقاً ببعض المعالم الجيولوجية فتتعرض لمعاول الهدم والتدمير دونما الالتفات لقيمتها العلمية .

تسوير جذع شجرة متحجر :

قام المؤلف بدعوة المسئولين في القصيم عند إعلانه عن الغابة المُتَحَجِّرَة إلى المحافظة على أجزاء منها ، سيِّما بعد أن لاحظ تعرّض الطبقات المحتوية على تلك الأحافير للخطر الذي يتمثَّل برمي المخلَّفات وأنقاض المباني أو بإزالتها لاستخراج الرمل والطين من مواقعها .

وما أن وصلت الرسالة إلى المسئولين في القصيم حتى بادروا باتخاذ الإجراءات اللازمة للمحافظة على أجزاء من الغابة المُتَحَجِّرَة ، فقامت المديرية العامة للشئون البلدية والقروية بمنع رمي الأنقاض في تلك المناطق ، كما قامت بتسوير أجزاء من الغابة. أما المحاولة الثانية لتسوير الجزء الأسفل من المقطع المثالي لمُتَكَوّن عنيزة في جبل أبو كحلة والذي تظهر فيه جذور متحجرة وطبعات الوريقات والجذور والجذيرات والبقايا النباتية الأخرى فلم تتمخض عن شيء.

دعــوة:

إن تجاوب المسئولين لحماية المواقع الجيولوجية يُحَقِّق للجيولوجيين الغيورين حلماً طالما راود أذهانهم للمحافظة على المعالم الجيولوجية ، ومن هنا فإننا ندعو جميع الجيولوجيين للتعاون في هذا المجال ، وإبلاغ الجهات المختصة عن المواقع المتميزة ، وإظهار أهميتها العلمية، وما تحتاجه من سبل لحمايتها .

كما ونتوجه بالدعوة للعموم للمحافظة على جميع المعالم الطبيعية وخاصة تلك المحمية ، ويكفي أنها مسوّرة ولو بعلامات كسياج بسيط أو لوحة إرشادية فالقصد من ذلك لفت انتباه الناس لأهميتها .

الخاتمة

أرجو من خلال هذا العرض السريع لأمثلة قليلة للتراث الطبيعي أو الآثار الطبيعية أن أكون قد سلطت الضوء على أهمية التراث الطبيعي علمياً كمواقع عمل ميداني لدراسة ظواهر طبيعية عملياً وتطبيقياً وكمواقع لآثار غريبة ونادرة تلفت انتباه العامة وتشبع فضولهم ، وبذا هي مواقع جذب سياحي إذا ما أحسن استثمارها (*) .

(*) يقدم الباحث شكره وتقديره إلى كل من ساعد على توفير مادة هذا البحث بمعلومة أو ساهم بتصويب أو نقد وأخص بالشكر والتقدير الأخ الفاضل الدكتور / **عبدالعزيز بن سعود الغزي** لقراءته للبحث وتشجيعه لنشره . وللأخ الأستاذ الدكتور / **سعد بن عبدالعزيز الراشد** لدفعي للتصدي لمثل هذا الموضوع في ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية حمايتها والمحافظة عليها والشكر موصول لجميع زملاء المهنة « جيولوجيا » وأثارياً .

المراجـع

١ ـ وزارة الزراعة والمياه ، مقدمة في التاريخ الطبيعي للمملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م) .

٢ ـ المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، حماية الآثار والأعمال الفنية ، الرياض ، ١٤١٢هـ ، (١٩٩٢م) .

٣ ـ لعبون ، عبدالعزيز بن عبدالله بن ، من معالم جيولوجية جزيرة العرب، منطقة القصيم .

٤ ـ لعبون ، عبدالعزيز بن عبدالله بن ، من معالم جيولوجية جزيرة العرب ، منطقة حائل.

٥ – لعبون ، عبدالعزيز بن عبدالله بن ، غابة القصيم المتحجرة ، المجلة العربية ، الرياض .

٦ ـ لعبون ، عبدالعزيز بن عبدالله بن ، السجل الوثائقي المصور لصناعة النفط في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٩هـ .

٧ ـ لعبون ، عبدالعزيز بن عبدالله بن ، مسيرة اكتشاف وصناعة النفط في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٩هـ .

٨ ـ الراشد ، سعد بن عبدالعزيز ، آثارنا والوعي : دور الدولة ودور المواطن ، الرياض، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

- Alabouvette, B., and J.R. Vilemur, 1973, reconnaissance survey of the Wajid sandstone , BRGM Open-File Report 73--Jed--3, 17 p.

- A1-Laboun, A.A., 1982, The subsurface stratigraphy of the pre-Khuff formations central and northwestern Arabia (Ph.D. thesis): Jeddah, King Abdulaziz University.

- ________ 1986, Stratigraphy and hydrocarbon potential of the Paleozoic succession of both the Widyan and Tabuk basins, Arabia: in Halbouty, M., Future Petroleum Provinces of the World, American Association of Petroleum Geologists Memoir no. 40, p. 373-394.

- 1987, Unayzah Formation: a new Permo-Carboniferous unit in Arabia: The American Association of Petroleum Geologists Bulletin v. 71, no.1, p. 29-38.

- ________ 1988, The distribution of the Carboniferous-Permian siliciclastics in the greater Arabian Basin, Geological Society of America Bulletin, v. 100, no. 3, p. 362- 373.

- __________ 1992a, Generalized chronostratigraphic section of the Paleozoic and Lower Mesozoic succession of the Middle East (the greater Arabian Basin) , King A dulaziz City for Science and Technology, Riyadh.

- Bahafzallah, A.A., U. Jux, and S. Omara, 198 lb, Occurrence of Prototaxites in Saudi Arabia, Bulletin of the Faculty of Earth Sciences, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia, no. 4, p. 43-55.

- Clark-Lowes, D.D., 1980, Sedimentology and mineralization potential of the Saq and Tabuk formation; Qassim district, Imperial College of Science and Technology Cover

Rock Contract, Open-File Report CRC/1C-7, Saudi Arabian Deputy Ministry for Mineral Resources Open-File Report DGMR-7 67, 88 p.

- El-Khayal, A.A, Chaloner, W.G., and Hill, C., 1980, Paleozoic plants from Saudi Arabia: Nature, v. 285, p.33-34.

- El-Khayal, A.A, and R.H. Wagner, 1985, Upper Permian stratigraphy and megafloras of Saudi Arabia: Paleogeographic and climatic implication, lll.*

- El-Khayal, A.A., and M. Romano, 1988, A revision of the upper part of the Saq Formation and Hanadir Shale (Lower Ordovician) of Saudi Arabia, Geological Mag. p. 161- 174.

- Helal, A. H., 1964b, On the occurrence and stratigraphic position of PermoCarboniferous tillites in Saudi Arabia, Geol. Rundschau, v. 54, p.193-207, Stuttgart.

- Manivit, J., D. Vaslet, A. Berthiaux, P. Le Strat, and J. Fournigut, 1986, Geologic Map of the Buraydah quadrangle, sheet 26 G, Saudi Arabia, Ministry of Petroleum and Mineral Resources, Deputy Ministry for Mineral Resources.

- Manivit, J., C. Pellaton, D. Vaslet, Y.-M. Le Nindre, J.-M. Brosse, J.-P. Breton, and J. Fourniguet, 1985, Geologic map of the Darma quadrangle, sheet 24 H, Kingdom of Saudi Arabia, Ministry of Petroleum and Mineral Resources, Deputy Ministry for Mineral Resources GM-101, scale 1:250,000.

- McClure, H.A., 1978, Early Paleozoic glaciation in Arabia, Palaeogeog. Palaeoclimatol. Palaeoecol., 25, p. 315-326.

- ________ 1980, Permian-Carboniferous glaciation in the Arabian Peninsula, Geological Society of America Bulletin part 1, v. 91, p. 707-712.

- Meissner, C.R. Jr., J.W., Mytton, G.P. Riddler, M.Van Eck, N.C. Aspinall, A.M. Farasani, and S.M. Dini, 1986, Preliminary Geologic Map of the Ash-Shuwayhitiyah quadrangle, sheet 30 D, Saudi Arabia, Saudi Arabian Directorate General of Mineral Resources Open-File Report USGS-OF-06-1, 26 p.

- Meissner, C.R. Jr., S.M. Dini, A.M. Farasani, G.P. Riddler, M.Van Eck and N.C. Aspinall, 1989, Preliminary Geologic Map of the Jawf quadrangle, sheet 29 D, Saudi Arabia, Open-File Report USGS-Of-09-1 (Jr 794).

- Vaslet, D., 1987, Early Paleozoic glacial deposits in Saudi Arabia, a lithostratigraphy revision: Saudi Arabia Deputy Mininstry for Mineral Resources Open-File Report BRGM-TR-07-1, 24 p.

- ________ 1989, Late Ordovician glacial deposits in Saudi Arabia: A lithostratigraphic revision of the Early Paleozoic succession, Kingdom Saudi Arabia, Ministiy of Petroleum and Mineral Resources, Deputy Ministiy for Mineral Resources - Jeddah, Professional paper no. PP-3.

- ________ 1990, Upper Ordovician glacial deposits in Saudi Arabia, Episodes, v. 13, no. 3, p. 147-161.

- ________ K.S. Kellogg, A. Berthiaux, P. Le Strat, and P.-L. Vincent, 1987, Geologic Map of the Baq'a quadrangle, sheet 27 F, Saudi Arabia, Ministry of Petroleum and Mineral Resources, Deputy Ministry for Mineral Resources GM- 116.

- A. Berthiaux, P. Le Strat, and J. Fourniguet, 1986, Geologic map of the Jabal Habashi quadrangle, sheet 26 F, Kingdom of Saudi Arabia, Ministry of Petroleum and Mineral Resources, Deputy Ministry for Mineral Resources GM-98, scale 1:250,000.

- Alabouvette, B., and J.R. Villemur, 1973, reconnaissance survey of the Wajid sandstone , BRGM Open-File Report 73--Jed--3, 17 p.

- Al-Laboun, A.A., 1982, The subsurface stratigraphy of the pre-Khuff formations in central and northwestern Arabia (Ph.D. thesis): Jeddah, King Abdulaziz University.

- ________ 1986, Stratigraphy and hydrocarbon potential of the Paleozoic succession of both the Widyan and Tabuk basins, Arabia: in Halbouty, M., Future Petroleum.

- Provinces of the World, American Association of Petroleum Geologists Memoir no. 40, p. 373-394.

- _________ 1987, Unayzah Formation: a new Permo-Carboniferous unit in Arabia: The American Association of Petroleum Geologists Bulletin v. 71, no.1, p. 29-38.
- ________ 1988, The distribution of the Carboniferous-Permian siliciclastics in the greater Arabian Basin, Geological Society of America Bulletin, v. 100, no. 3, p. 362-373.
- __________ 1992a, Generalized chronostratigraphic section of the Paleozoic and Lower Mesozoic succession of the Middle East (the greater Arabian Basin), King Abdulaziz City for Science and Technology, Riyadh.
- Bahafzallah, A.A., U. Jux, and S. Omara, 198 lb, Occurrence of Prototaxites in Saudi Arabia, Bulletin of the Faculty of Earth Sciences, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia, no. 4, p. 43-55.
- Clark-Lowes, D.D., 1980, Sedimentology and mineralization potential of the Saq and Tabuk formation; Qassim district, Imperial College of Science and Technology Cover Rock Contract, Open-File Report CRC/1C-7, Saudi Arabian Deputy Ministiy for Mineral Resources Open-File Report DGMR-767, 88 p.
- El-Khayal, A.A, Chaloner, W.G., and Hill, C., 1980, Paleozoic plants from Saudi Arabia: Nature, v. 285, p.33-34.
- El-Khayal, A.A, and R.H. Wagner, 1985, Upper Permian sftatigraphy and megafloras of Saudi Arabia: Paleogeographic and climatic implication, lll.*
- El-Khayal, A.A., and M. Romano, 1988, A revision of the upper part of the SaqFormation and Hanadir Shale (Lower Ordovician) of Saudi Arabia, Geological Mag. p.161- 174.
- Helal, A. H., 1964b, On the occurrence and stratigraphic position of PermoCarboniferous tillites in Saudi Arabia, Geol. Rundschau, v. 54, p.193-207, Stuttgart.
- Manivit, J., D. Vaslet, A. Berthiaux, P. Le Strat, and J. Fournigut, 1986, Geologic Map of the Buraydah quadrangle, sheet 26 G, Saudi Arabia, Ministry of Petroleum and Mineral Resources, Deputy Ministry for Mineral Resources.
- Manivit, J., C. Pellaton, D. Vaslet, Y.-M. Le Nindre, J.-M. Brosse, J.-P. Breton, and J. Fourniguet, 1985, Geologic map of the Darma quadrangle, sheet 24 H, Kingdom of Saudi Arabia, Ministry of Petroleum and Mineral Resources, Deputy Ministry for Mineral Resources GM- 101, scale 1:250,000.

- McClure, H.A., 1978, Early Paleozoic glaciation in Arabia, Palaeogeog. Palaeoclimatol. Palaeoecol., 25, p. 3 15-326.

- _______ 1980, Permian-Carboniferous glaciation in the Arabian Peninsula, Geological Society of America Bulletin part 1, v. 91, p. 707-7 12.

- Meissner, C.R. Jr., J.W., Mytton, G.P. Riddler, M.Van Eck, N.C. Aspinall, A.M. Farasani, and S.M. Dini, 1986, Preliminary Geologic Map of the Ash-Shuwayhitiyah quadrangle, sheet 30 D, Saudi Arabia, Saudi Arabian Directorate General of Mineral Resources Open-File Report USGS-OF-06- 1, 26 p.

- Meissner, C.R. Jr., S.M. Dini, A.M. Farasani, G.P. Riddler, M.Van Eck and N.C. Aspinall, 1989, Preliminary Geologic Map of the Jawf quadrangle, sheet 29 D, Saudi Arabia, Open-File Report USGS-Of-09-1 (Jr 794).

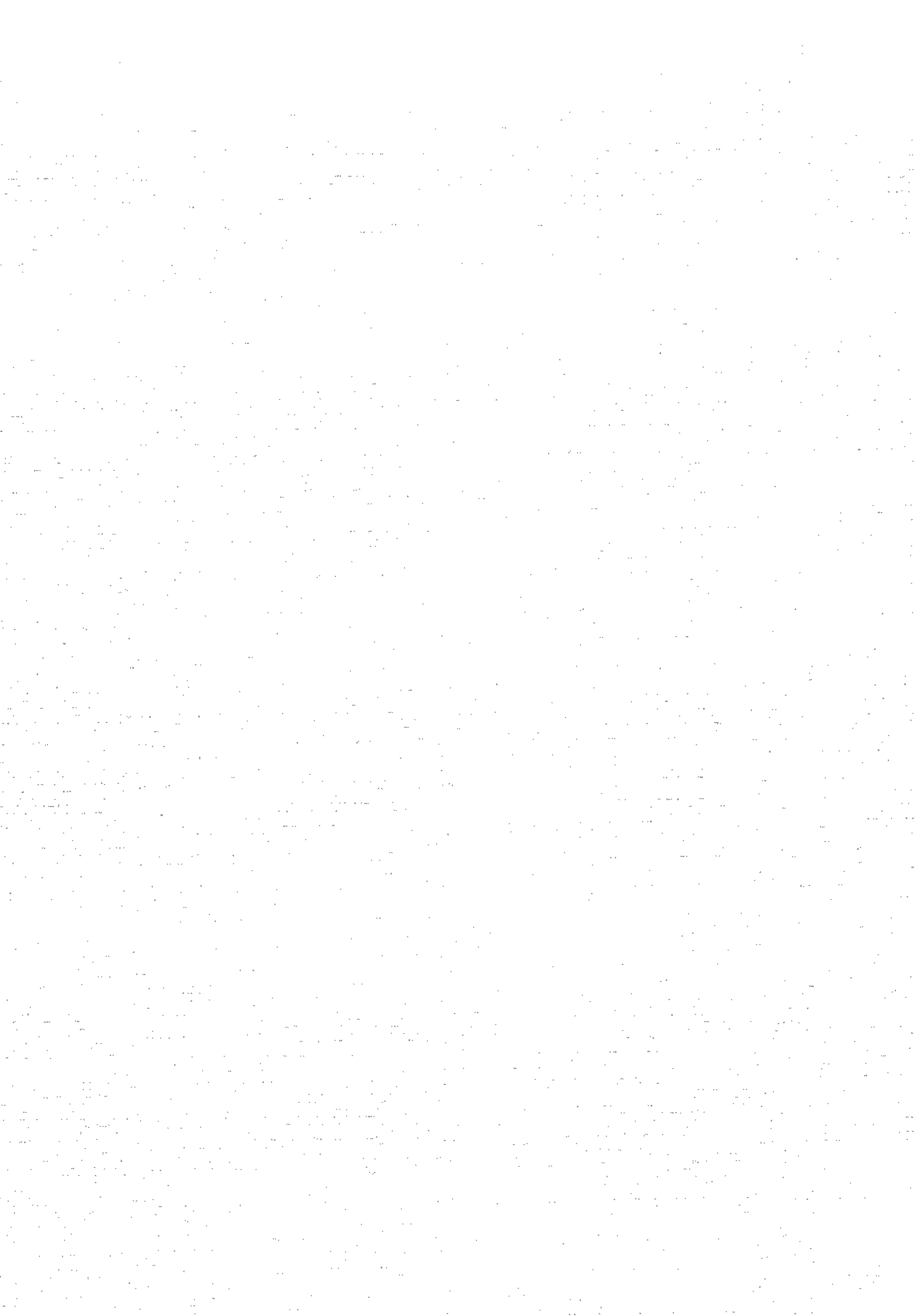
- Vaslet, D., 1987, Early Paleozoic glacial deposits in Saudi Arabia, a lithostratigraphy revision: Saudi Arabia Deputy Mininstry for Mineral Resources Open-File Report BRGM-TR-07-1, 24 p.

- _________ 1989, Late Ordovician glacial deposits in Saudi Arabia: A lithostratigraphic revision of the Early Paleozoic succession, Kingdom Saudi Arabia, Ministry of Petroleum and Mineral Resources, Deputy Ministry for Mineral Resources - Jeddah, Professional paper no. PP-3.

- _________ 1990, Upper Ordovician glacial deposits in Saudi Arabia, Episodes, v. 13, no. 3, p. 147-161.

- ________ K.S. Kellogg, A. Berthiaux, P. Le Strat, and P.-L. Vincent, 1987, Geologic Map of the Baq'a quadrangle, sheet 27 F, Saudi Arabia, Ministry of Petroleum and Mineral Resources, Deputy Ministry for Mineral Resources GM- 116.

- A. Berthiaux, P. Le Strat, and J. Fourniguet, 1986, Geologic map of the Jabal Habashi quadrangle, sheet 26 F, Kingdom of Saudi Arabia, Ministry of Petroleum and Mineral Resources, Deputy Ministry for Mineral Resources GM-98, scale 1:250,000.



بعض الآثار التاريخية في منطقة المدينة المنورة

د . بريك بن محمد أبو مايله (*)

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فإن منطقة المدينة المنورة تزخر بكثير من الآثار التاريخية القديمة ، ولا غرو في ذلك ، فهي عاصمة الإسلام الأولى ، وبلد الحبيب المصطفى ﷺ الذي لا زالت آثاره من مساجد ومواضع صلى فيها ، وأماكن أخرى ، كانت فيها أحداث خطيرة ومهمة في التاريخ الإسلامي ، كمواقع المعارك الكبرى بدر ، وأحد ، والخندق وغيرها من المواقع التي حدثت عندها معارك ضارية ضد الشرك والمشركين .

إن بعض تلك المساجد التاريخية المهمة ماثلة للعيان لكل زائر ومقيم في المدينة المنورة ؛ لأنها أخذت الاهتمام الأكبر من الرعاية والعناية والاهتمام من لدن حكومة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - وأبقاه ذخراً للإسلام والمسلمين - والذي تفضل - رعاه الله - بعمارتها عمارة إسلامية رائعة وعظيمة وجميلة مثل : المسجد النبوي الشريف ، ومسجد قباء ، والقبلتين ، وذي الحليفة وغيرها من المساجد في المنطقة .

لكن لا زالت بعض المساجد ، والآثار التاريخية الأخرى مغمورة ، وغيره معمورة ، بل إن بعضها درست ، أو أزيلت في توسعات بعض الشوارع والميادين والمساجد الكبرى .

وإن هذا البحث يهدف بالدرجة الأولى إلى التعريف ببعض هذه الآثار ، والمواقع التاريخية في المنطقة سواء داخل المدينة ، أو خارجها لعل الله أن يهيئ لها من يقوم بالعناية بها وتعريف الناس بها وبتاريخها على الطبيعية ، وقد ورد أن التابعي الجليل عمر بن عبد العزيز ، والذي كان أميراً على المدينة على عهد الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي ، قام بعمارة المساجد والمواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ ، و ذلك بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي

(*) وكيل عمادة خدمة المجتمع للخدمات الخارجية ـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

كان مهتما بالعمارة الإسلامية بشكل عام ، وعمارة المساجد بشكل خاص (١) .

أن بعض الآثار والأماكن التاريخية داخل وخارج المدينة المنورة النبوية ، قد اندرست ، وأصبح لا يعرف أماكنها إلا القلة النادرة من أهل العلم والمهتمين بالآثار فقط ، فيا حبذا لو قامت وكالة الآثار بالتعاون مع أمانة المدينة المنورة ، ووزارة المواصلات بإبراز هذا الأماكن التاريخية للناس بشكل حضاري يتفق مع التطور الراقي الذي تعيشه المدينة النبوية في هذا العهد الزاهر عهد خادم الحرمين الشريفين ، الذي حظيت فيه أهم المساجد التاريخية بعمارة إسلامية عظيمة غير مسبوقة من قبل .

وذلك بإعادة تعمير ما انهدم منها كالمساجد ، أو التعريف بأماكنها بإشارات ، أو لوحات تعريفية إرشادية ، إذا كانت قد أزيلت لتوسعات بعض المرافق ، أو الشوارع ، أيضاً تسمية بعض الأحياء التاريخية بأسمائها القديمة ، أو إضافة الاسم القديم إلى الاسم الجديد. فمثلاً : يسمع بعض الناس ، أو يقرأ في كتب التراث الإسلامي عن بعض هذه المواقع ، ولكن لا يعرف مكانها على الطبيعة. فمثلا : سقيفة بني ساعده لا يعرف مكانها إلا القليل من الناس على الرغم من أن أمانة المدينة ، قد جعلت في مكانها حديقة مسورة ، لكن ليس عليها أي تعريف ، أو توضيح ، كذلك قرأنا عن أحياء كانت معروفة في عهد بأسمائها ومواقعها . مثل : "السنح" "الأسواف" وغيرها ، ولكن أين هي الآن ؟ .

أيضاً خارج المدينة سمعنا وقرأنا عن حمراء الأسد ، روضة خاخ ، وهما : موقعان تأريخيان كانت عندهما بعض الوقائع التاريخية المهمة في عهد النبوة ، ولكن لم توضع لوحات تعريفية للتعريف بهما رغم أنهما في مكانين متقاربين .

وهناك الكثير من المواقع التاريخية لايعرفها الكثير من الناس الآن من آبار ، وأودية ، وجبال وغيرها. وللأسف أن بعض المساجد الأثرية في المنطقة مهملة لدرجة أنها أصبحت مرمى للقاذورات والقمائم ، ومرتع خصب لفضلات الحيوانات وغيرها .

وإذا كان عدم التعريف بها ، أو عمارتها مرده الخوف من تصرفات بعض الجهال من الناس ، وخاصة بعض الوافدين على المدينة النبوية فإنني اقترح وضع لوحات إرشادية

(١) تاريخ معالم المدينة المنورة : ١٠٢ .

تحذيرية دعوية باللغات المستعملة ، كما يوجد الأدلاء بالتنبيه على الحجاج بحكمة لتجنب تلك الأعمال المنافية لعقيدة التوحيد الخالصة التي نشأت عليها هذه البلاد رعاها الله ولا زالت تنافح عنها بكل ما أوتيت من قوة مما كان له أكبر الأثر في رخائها الاقتصادي وأمنها وأمانها .

وإنني من خلال هذا البحث أدعو إلى تكاتف وتعاون بين الأجهزة المعنية بذلك وهي وزارة المعارف ، ووزارة المواصلات ، ووزارة الشئون البلدية والقروية ، ووزارة الإعلام للتعريف بهذه المواقع من خلال البرامج التوعوية ، والتثقيفية ، واللوحات الإرشادية والتعريفية مع تنظيم الرحلات لطلاب المدارس والجامعات لها باستمرار .

كما إنني أوجه دعوة خاصة لرجال الأعمال والمستثمرين في السياحة للتعاون في إبراز هذه المواقع والآثار من خلال المشروعات السياحية النشطة والمثمرة ، والتي لاشك أنها ستعود على الجميع بالنفع العام والمردود الجيد .

إن في ذلك خدمة عظيمة لتاريخنا الإسلامي المجيد ، وربط ناشئتنا به وبرجاله العظام من خلال الوقائع والأحداث الخطيرة التي حدثت عند تلك المواقع والآثار .

مما سيساهم وبشكل كبير في تحصين الناشئة ضد التيارات المنحرفة ، والعولمة الثقافية المادية الغازية والمدججة بالأسلحة الفتاكة والإغراءات القوية المتنوعة ، وذلك من خلال ربطهم برجالات الإسلام وأبطاله ومآثرهم العظيمة التي سطرها لهم التاريخ وحفظتها تلك المواقع والآثار ، ومن ناحية أخرى يجب أن تركز تلك البرامج التوعوية على إبراز المنهج الإسلامي في الآثار بشكل عام والمواقع التي كانت عندها أحداث تاريخية مهمة بشكل خاص ، وذلك باستلهام العبر والدروس النافعة وتذكر تلك الأحداث وما كان فيها من عظات مفيدة ، مع تحذير الناس من بعض الممارسات الخاطئة والمنحرفة عن الدين القويم والعقيدة الصافية السليمة التي نشأت عليها هذه البلاد الكريمة وسارت عليها منذ تأسيسها على يد المغفور له - بإذن الله تعالى - الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن - طيب الله ثراه - ، ولا زال يرعاها من بعده أبناؤه البررة ، وعلى رأسهم رائد التضامن الإسلامي خادم الحرمين الشريفين - أيده الله تعالى وأمده بالصحة والعافية - .

يجب علينا ونحن نحاول المحافظة على تلك الآثار والمواقع أن لا تغيب عن أذهاننا هذه الحقائق البارزة وأن لاننساق وراء المناهج الوافدة التي تحاول بكل قوة مسخ هويتنا الإسلامية وطمس حضارتنا وتراثنا الإسلامي العريق .

يجب أن تكون لنا شخصيتنا الإسلامية المتميزة في كل شيء ، وديننا الحنيف لم يترك لنا شاردة ولا واردة إلا ذكر لنا منها طرف علم ينفعنا ويميزنا عن غيرنا .

قال الله تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ (٢) .

وهذه بعض النماذج لتلك الآثار التاريخية في منطقة المدينة النبوية التي سوف يتطرق إليها هذا البحث إن شاء الله تعالى .

أولاً : المساجد :

١- مسجد المنارتين .

٢- مسجد الفضيخ .

٣- مسجد الراية " ذباب " .

٤- مسجد البرود .

ثانياً : مواقع أثرية مختلفة :

أ) مواقع داخل المدينة النبوية

١- سقيفة بني ساعدة .

٢- بئر عروة .

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٨٢ .

(٢) سورة الروم ، الآية : ٩ .

٣- سد عاصم بن عمرو .

٤- جسر سكة الحديد الحجازية .

٥- بئر الغرس .

ب) مواقع خارج المدينة النبوية .

١- عين ماء أم العيال .

٢- ضيف المضيق .

هذا ، وسيكون منهجي في هذا البحث إن شاء الله تعالى ، هو الوقوف على هذه الأماكن الأثرية ، وعمل دراسة ميدانية مع أخذ لقطات مصورة لها ، ثم عمل دراسة تاريخية مكتبية عنها مع ذكر بعض الملاحظات والمقترحات .

مسجد المنارتين :

روى ابن زبالة ، ويحيى من طريقه عن حرام بن سعد بن محيصة ، أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد بأصل المنارتين في طريق العقيق الكبيرة .

قال المطري : وهذا المسجد لا يُعرف ، وهو يلي طريق العقيق كما ذكر [(١)] .

وقال الشيخ أبو البقا في تاريخه : ومسجد بأصل المنارتين من طريق العقيق الكبرى صلى فيه رسول الله ﷺ ، وهو لا يُعرف [(٢)] .

قال السمهودي : هو على يمين الآتي من العقيق إذا صار بأعلى الزقاقين من المدرج ، وقد صعدته فرأيت أثر البناء المذكور به [(٣)] .

يقول العباسي : " مسجد المنارتين دون العقيق بعد السقيا ، وهذا المسجد على أقل (من بريد) [(٤)] ، من المدينة ، وهو بين السقيا وبركة وبيك وشرقي البركة جبل أنعم الأحمر ، وبعد

---

(١) السمهودي ، وفاء الوفاء : ٨٧٨ .

(٢) العباسي ، عمدة الأخبار : ١٩٨ .

(٣) السمهودي ، وفاء : ٨٧٩ .

(٤) في الأصل : فراغ ، والزيادة يتطلبها السياق .

البركة حديقة حاكم المدينة التي في أول العقيق على طريق المحرم بذي الحليفة .

وهذا المسجد مربع سبع في سبع طولاً وعرضاً على نمط المحرم ، وبينه وبين الطريق سبعة أذرع ، وأعلم أنك إذا قصدت مسجد المنارتين وأنت بالمدينة المنورة فأسلك من باب المصري إلى السقيا فيلقاك طريقان: طريق شامي المسجد وغربيه وطريق عن قبلي المسجد وشرقية ، فاسلك في هذا الطريق الثاني ، فإذا مشيت قدر ما يكون بين الباب المصري والسقيا ، فهناك على يسارك على سبعة أذرع من الطريق مسجد صغير ذرعه سبعة أذرع طولاً وعرضاً ، عند أصل المنارتين ، والآن ما بقي من المنارتين إلا مكانهما وشيء من الأحجار ، ومن بناء المسجد قدر ذراع باق من كل الجهات ، ومحرابه وبابه بين ، وأنا اطلعت عليه بحمد الله تعالى وذلك في سنة اثنين وسبعون وتسعمائة هجرية " (١) .

يقول الخياري : " والآن ما بقي من المنارتين إلا مكانهما وشيء من الأحجار ومن بناء المسجد قدر ذراع باق من كل الجهات ومحرابه وباباه ظاهران وأنا شاهدته بحمد الله . كما ذكر أخيراً وقال: قال صلاح – رحمه الله تعالى – : قد ظفرنا بمعرفة هذا المسجد بحمد الله وفضله بعد إندراس آثاره وذلك أن أخي الشيخ الأجل الكبير اتبع آثار النبي ﷺ ، فبينما يتتبع في شعب بتلك الناحية إذا بصورة ناشرة من الأرض عليها آثار العمارة فإذا هي مستوية على القبلة فتفطن أنه مسجد فأمر بالحفر فإذا محراب مبني بالحجارة فأخبرني بذلك فتوجهنا جميعاً بعمال فحفرنا الموضع فظهر مسجد مربع مبني بالحجارة نحو سبعة أذرع كما هو شأن عمارة عمر بن عبدالعزيز في المساجد النبوية ، وقد بقي بناؤه نحو ذراع من الجوانب الأربع وحفرنا حتى ظهرت حصباء المسجد وطابقت عليه جميع علامات مسجد المنارتين ، وكان ذلك في عام ٩٧٢هـ ، أما الآن فإن المسجد المذكور معروف وظاهر للعيان وهو على يمين خط الإسفلت المؤدي إلى جدة قبل محطة البنزين التابعة للجربوع بعشرات الأمتار وهو عبارة عن رضم حجارة ولكن آثار البناء ظاهرة عليه ، والله أعلم (٢) .

قلت : وموقعه اليوم شرق الورش القريبة من المحطة قريباً منها وغرب مبنى الأحوال المدنية وهو عبارة عن رضم من الحجارة المبنية مقدار ذراع عن الأرض ، وطوله ٣٠ قدماً ،

(١) عباسي ، عمدة : ١٩٧ .

(٢) الخياري ، تاريخ معالم المدينة المنورة : ١٠٩ .

وعرضه ٢٠ قدماً .

وللأسف الشديد أنه أصبح مرمى للقاذورات ومخلفات الورش المجاورة له ، واقترح إما بناؤه أو إزالته ، لأن بقاؤه على هذه الحال خرابة لرمي الفضلات والمخلفات فأمر غير لائق إطلاقاً ، والله أعلم .

مسجد الفضيخ :

الفضيخ ، بفتح الفاء وكسر الضاد المعجمة ، بعدها مثناه تحتية وخاء معجمة ، وهو شراب يتخذ من البسر المفضوخ (١) وإنما سمي الفضيخ لأن النبي ﷺ لما حاصر بني النضير ، ضرب قبته في موضع هذا المسجد ، وكان يصلي فيه ست ليال ، فجاء تحريم الخمر وأبو أيوب في نفر من أصحاب النبي ﷺ معهم رواية خمر من فضيخ ، فحلوا وكاء السقاء فسأل الفضيخ ، فسمي مسجد الفضيخ (٢) .

وذكر السمهودي عن المطري ، أنه يعرف بمسجد الشمس ، وأنه يقع شرقي مسجد قباء على شفير الوادي على نشز من الأرض رضوم بحجارة سود وهو مسجد صغير (٣) . وعقّب السمهودي قائلاً : ولم أر في كلام أحد من المتقدمين تسمية المسجد المذكور بمسجد الشمس (٤) .

وقال المجد : " لا أدري لم اشتهر بهذا الاسم ، ولعله لكونه على مكان عال في شرقي مسجد قباء أول ما تطلع الشمس عليه ، قال : ولا يظن ظان أنه المكان الذي أعيدت الشمس فيه بعد الغروب لعلي رضي الله عنه ، لأن ذلك إنما كان بالصهباء من خيبر" ثم ذكر أقوال أهل العلم وخلافهم حول صحة هذه القصة (٥) .

قلت : مسجد الفضيخ غير مسجد الشمس ، يقع بقربان شرقي مسجد قباء تماماً وقريب منه ، وعلى شفير الوادي كما ورد في وصفه وموقعه ، وقد أزيل المسجد وسور موقعه بسور ،

---

(١) البسر ، الزهو ، وهو البلح أول نضوجه .

(٢) انظر : عمر بن شبه ، تاريخ المدينة : (١ / ٦٥-٦٩) ، والسمهودي ، وفاء : ٨٢١ ، والعباسي ، عمدة : ١٧١ .

(٣) انظر السمهودي ، وفاء : ٨٢١ .

(٤) المصدر السابق : ٨٢٢ .

(٥) المصدر السابق : ٨٢٢-٨٢٣ .

وذلك منعاً لممارسة الجهال من الشيعة وغيرهم الذين يعتقدون أنه المكان الذي ردت فيه الشمس على علي رضي الله عنه .

أما مسجد الفضيخ ، فيقع بعيداً عن مسجد الشمس في منطقة الشريبات داخل البساتين ، والطريق الموصلة إليه هي الطريق التي تربط بين الخط الدائري وشارع العوالي ، ثم دخلة صغيرة على اليمين قبل صالة أفراح مرحباً بحوالي ١٠٠م تقريباً . وقبالة ثلاجة مكة للتموين .

"وبناؤه متين مرتفع ، وطول المسقف منه ١٩م في عرض ٤ أمتار ، وله ٥ قباب ، ومحراب لا بأس به ، وبجانبه منبر ذو درجتين مكون من حجارة وطين حلو ، وللمسجد شرفات وبناؤه الحجارة المطابقة وبالجص ، وشكل هذه البناية ينطق بأنها من آثار دولة بني عثمان " (١) .

مسجد ذباب :

" ذباب أو ذوباب هذا الجبل الصغير الأسود الذي يواجهك حينما تهبط من ثنية الوداع قاصداً جبل أحد على يسار طريق أحد بشمال المدينة (٢) .

وقد روى عمر بن شبة في تاريخ المدينة أن النبي ﷺ ضرب قبته يوم الخندق على هذا الجبل وصلى في موضع هذا المسجد (٣) .

وذكر السمهودي عن الزين المراغي أن المسجد يعرف أيضاً بمسجد الراية ، وأنه كان مبنياً بالحجارة المطابقة على صفة المسجد العمرية (٤) .

" وكان قم تهدم فجدده الأمير جانبك النيروزي- رحمه الله - سنة خمس أو ست وأربعين وثمانمائة " (٥) .

وفي سبب تسميته بمسجد الراية ، يذكر السمهودي عن الواقدي في كتاب الحرة ، أن

---

(١) الأنصاري ، آثار : ١٣٧ .
(٢) الأنصاري ، آثار المدينة المنورة : ١٢٦ .
(٣) انظر : عمر بن شبه ، تاريخ المدينة المنورة : (١ / ٦١ - ٦٢) .
(٤) انظر : السمهودي ، وفاء : ٨٤٥ .
(٥) المصدر السابق .

يزيد بن هرمز [١] ، كان في موضع المسجد ومعه راية الموالي يوم وقعة الحرة [٢] .

ويؤكد العباسي في عمدة الأخبار أن هذه المسجد يطلق عليه مسجد قرين ، أيضاً [٣].

يقول الأنصاري (وكان هذا المسجد مبنياً بالحجارة المطابقة في القرن الثامن الهجري ، وحالته كذلك إلى أواخر القرن الرابع عشر الهجري ، وهو مجصص ظاهراً وباطناً ، وطوله ٤ أمتار في عرض ٤ أمتار ، وارتفاعه ٦ أمتار ، وقبته متقنة البناء والتجويف ، وقد أحاطت به المنازل إحاطة السوار بالمعصم وغطت عليه من كل جهة في السنوات الأخيرة) [٤] .

قلت : وموقعه اليوم على الربوة الواقعة شرق محطة الزغيبي مباشرة بطريق سلطانة ، ولا يكاد يرى أو يعرف مكانه لإحاطة المنازل به من كل جانب ، وعدم وجود لوحة تعريفية تدل عليه.

مسجد البرود :

البرود ، بفتح الباء وضم الواو ، روى ابن زبالة ، عن عبدالله بن مكرم الأسلمي عن مشيخته ، أن النبي ﷺ نزل في موضع المسجد بالبرود من مضيق الفرع وصلى فيه [٥] .

قلت : يقع المسجد في قرية المضيق من قرى وادي الفرع شمال القرية ، وتسمية العامة مسجد البريد بتشديد الباء ، وبناؤه مستطيل الشكل مبني من حجارة الجبال المحيطة به طوله حوالي ١٠م وعرضه ٣م وارتفاع البناء الباقي منه بعضه ٢م والبعض متر واحد ، وهو محاط بفناء من الجهة الشرقية والجهة الغربية والجهة الشمالية وطول الفناء بما فيه بناء المسجد حوالي ٣٠م وعرضه حوالي ١٠م ، ويوجد في المبنى نوافذ صغيرة حوالي ١٢ نافذة منتشرة في المبنى ، وبالقرب من المسجد ناحية القبلة توجد بئر صغيرة مطوية ، ورضم حجارة قد تكون مباني تابعة للمسجد كما يقع خلف المسجد أيضاً رضمين أو ثلاثة لغرف صغيرة ربما

---

(١) يزيد بن هرمز المدني مولى بني ليث ، وقيل : آل أبي ذياب ، قال ابن سعد: كان على الموالي يوم الحرة ، ومات بعد ذلك (ابن حجر ، تهذيب : (٦ / ٢٣٢) .

(٢) السمهودي ، وفاء ٨٤٧ .

(٣) العباسي ، عمدة : ١٨٧ .

(٤) الأنصاري ، آثار المدينة : ١٢٦ .

(٥) السمهودي، وفاء : ١٠٢٦، والعباسي ، عمدة: ٢٢٤ ، ورواه البكري معجم: ٣ / ١٠٢٠ عن الأسلميين عن أشياخهم .

تكون تابعة للمسجد أيضاً ، والله تعالى أعلم .

سقيفة بني ساعده :

روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني ساعدة وجلس في سقيفتهم القصوى (١) .

وعن العباس بن سهل، أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني ساعدة في جوف المدينة (٢) .

وعن سعد بن إسحاق بن كعب ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني ساعده الخارج من بيوت المدينة (٣) .

وعن عبد المنعم بن عباس ، عن أبيه عن جده ، أن النبي ﷺ جلس في السقيفة التي في بني ساعده وسقاه سهل بن سعد في قدح " (٤) .

وروى ابن زبالة عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، عن جده ، قال: جلس رسول الله ﷺ في سقيفته التي عند المسجد ... الحديث (٥) .

بناءاً على هذه الأحاديث اختلف المؤرخون في تحديد مكان سقيفة بني ساعده قال السمهودي : وقد تلخص من ذلك ، أن النبي ﷺ صلى في مسجدي بني ساعده ، وجلس في سقيفتهم ، والجلوس في سقيفتهم مذكور في الصحيح ، وهي السقيفة التي وقعت بيعة أبي بكر رضي الله عنه فيها ، والظاهر أنها كانت عند دار سعد بن عبادة ، ويدل على ذلك ما في الصحيح من حديث الجوينية - وهي العائذة - من حديث سهل بن سعد حيث ذكر دخول النبي ﷺ عليها وخروجه من عندها ، ثم قال: فأقبل النبي ﷺ يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعده هو وأصحابه ، ثم قال : أسقفنا يا سهل ، فخرجت لهم بهذا القدح فسقيتهم فيه ، الحديث . فطلبه ﷺ من سهل بن سعد أن يسقيه وقد جلس في سقيفتهم دال على قرب منزله منها ، ويدل لذلك اجتماع الأنصار بها عند سعد رضي الله عنه يوم السقيفة ، وكان سعد

---

(١) ابن شبه ، تاريخ : (١ / ٧٢) .

(٢) أنظر : السمهودي ، وفاء : ٨٥٨ .

(٣) انظر : السمهودي ، وفاء : ٨٥٨ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

مريضاً ، وقد أسلفنا في منازل بني ساعده أنهم افترقوا في أربعة منازل ، فمنزلهم الأول في شرقي سوق المدينة وفيه بئر بضاعة ، وهو المراد بحديث الصلاة في مسجدهم الذي في جوف المدينة ، وأما مسجدهم الخارج عن بيوت المدينة فيظهر أنه في منزلهم الرابع ، وأنه في شامي ذباب الجبل الذي عليه مسجد الراية .

وأما سقيفة بني ساعده فيظهر أنها في منزلهم الثالث ، وهو منزل بني أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف ؛ ولأن جرارة التي كان يسقي فيها الماء بعد وفاة أمه كانت لها ، وهو قريب من منزلهم الرابع .

وقد ترجح عندي الآن خطأ ما قدمته هناك من احتمال أن تكون جِرار سعد عند الموضع المعروف اليوم بسقيفة بني ساعده قرب مقعد الأشرف الوحاحدة من سويقة . وقد قدمنا قول المطري أن قرية بني ساعدة عند بئر بضاعة ، والبئر وسط بيوتهم .

وأغرب رزين العبدري فزعم أن سقيفة بني ساعده معروفة بقباء ، وهو وهم [(١)] .

قال العباسي بعد روايته للأحاديث السابقة : وقد تلخص أن أحد منازل بني ساعده شرقي سوق المدينة ، وأن السوق كانت مقابرهم ، وأن جرار سعد التي كان يسقي فيها الماء حده من جهة الشام وبها منزل رهطه ، وأنه كان في دار السوق من المشرق طريق مبوبة ، فهذا المسجد كان في هذه الناحية ، والسقيفة كانت شامي سوق المدينة وسقيفة بني ساعده عند بئر بضاعة ، قال مجد الذين الفيروزآبادي : قال الشيخ جمال الدين المطري : قرية بني ساعده عند بئر بضاعة . قلت : قد فتحته بفتح الفتاح على ، وما توفيقي إلا بالله ، فبناه علي باشا على نقض ما كان عليه من البناء الأول سنة ١٠٣٠هـ ، عرضه خمسة عشر ذراعاً وطوله ستة أذرع ، وهو غير مسقف وعليه باب ومفتاح ، وهذا المسجد من جملة المساجد التي أنعم الله علينا بفتحها بعد اندراسها وخفائها على كثير من المؤرخين عن تعيينها وأشخاصها في زمان طويل ومئات كثيرة ، وهو على يمين الخارج من باب الشامي بين الباب وبئر بضاعة أقرب إلى الباب المذكور وشرقيه ، والله يهدي إلى سبيل الرشاد .

قال الشريف حسن بن شدقم ! إن موضع سوق المدينة ما بين المصلى إلى حصن أمير

---

(١) السمهودي ، وفاء : ٨٥٩– ٨٦٠ .

المدينة الذي بنى في موضعه اليوم القلعة الرومية العثمانية فتكون السقيفة في شرقي تلك النواحي ، فوضح من هذا غلط من قال : إنها بقباء ، وغلط من قال : إنها السقيفة التي بسويقة المشهورة بسقيفة بني ساعده الواقعة بالقرب من منازل (الأشراف الوحاحدة) [1] والذي في جهتها القبلية الشرقية هي ليست سقيفة بني ساعده" [2] .

ويقول الأنصاري : وقد اختلف في حقيقة موضع سقيفة بني ساعده ، فمن المؤرخين من يقول : إنها بداخل المدينة في جنوبي مقعد بني حسين ، ومنهم من يرى أنها بخارج سور المدينة قريباً من بئر بضاعة ، اختلاف قديم جرى في حقيقة أثر تاريخي إسلامي مهم ، وشايع السمهودي أولا رأي القائلين بأنها داخل المدينة جنوبي مقعد بني حسين ، ثم رجع عن هذا الرأي ، جازما بأنها قرب بئر بضاعة .

ونرى أن رأي السمهودي الأخير هو الصواب للنقاط الآتية :

أولاً : لأنه ثقة ، عالم مطلع ومشاهد .

ثانياً : لأن رجوعه إلى هذا الرأي كان مبنيا على دليل علمي قوي أدلى به في الجزء الثاني من وفاء الوفاء .

ثالثاً : لما ورد في كتاب محمد بن أحمد المطري من كون السقيفة بقرب بئر بضاعة ومسجد بني ساعده ، وأن السقيفة والبئر والمسجد في قريتهم . وقد أشرنا فيما سلف إلى المبنى الذي كان قائما هناك باسم سقيفة بني ساعده ، وتحديده بالدقة أنه كان بخارج الباب الشامي في الطرق المعروف بالسحيمي المتجه شرقا من الباب الشامي إلى باب بصرى من خارج السور ملاصقا له ، وهو بناء ذو شرفات مكشوف مجصص ، وبابه مسدود وبجانبه قبة صغيرة كانت تعرف بشيخ النمل . والمشهور عن هذا البناء أنه سقيفة بني ساعده وبنايته التي أدر كناها من آثار على باشا سنة ١٠٣٠هـ ، ويؤيد أنه السقيفة قربه من بئر بضعة ، وقد هدم هذا المبنى ووسع بمكانه شارع السحيمي .

رابعاً : ونضيف من عندنا قرينة رابعة وهي أن ضواحي المدن الواسعة الرحاب هي

(١) في الأصل فراغ ، والتصويب من السمهودي .

(٢) العباسي ، عمدة : ٢٠٩ .

أجدر بإجراء المشاورات الجماعية الكبرى في الأمور الحيوية الجسيمة كمهمة الخلافة ، وهذه المزية إنما تحقق في ضاحية المدينة الشمالية قرب بضاعة التي يقع فيها مبنى سقيفة بني ساعده الذي شاهدناه بخلاف مقعد بني حسين فهو بداخل البلد ، ولا يتسع كما يلوح لوجود جماهير المسلمين المتشاورين في أمر الخلافة العظيم عقب انتقال المصطفى ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

خامساً : إن منازل بني ساعده هناك ، ليست بمقعد بني حسين وفق النصوص المتقدم ذكرها (١) .

قلت : وموقع السقيفة اليوم ، قريباً من ركن سور المسجد النبوي الشمال غربي ، شرق مكتبة الملك عبد العزيز ، وجنوب فندق إيلاف طيبة قريباً منه ، وشرق فندق الشرق ، أمامه تماما ، وغرب فندق دار الإيمان إنتركونتننتال ، ومقام في الموقع حديقة صغيرة للبلدية ، ولكن دون لوحة تعريفية بالمكان وأهميته التاريخية .

وأقترح بناء قاعة للمؤتمرات أو صالة اجتماعات في مكانها وتسمى باسمها مع وضع لوحة تعريفية السقيفة والحدث التاريخي الذي كان فيها من اجتماع الصحابة رضي الله عنه واختيارهم أول خليفة للمسلمين بها ، والله تعالى أعلم .

بئر عروة :

عن عروة بن الزبير قال : لما أخذ عمر بن الخطاب من بلال بن الحارث ما أخذ من العقيق وقف في موضع بئر عروة بن الزبير التي عليها سقايته ، وقال : أين المستقطعون ؟ فنعم موضع الخفيرة ، فاستقطعه ذلك خوات بن جبير الأنصاري ففعل ، قال مصعب بن عثمان : فقرأت كتاب قطعيته أرض عروة بن الزبير بالعقيق في كتب عروة ما بين حرة الوبرة إلى ضفيرة المغيرة بن الأخنس (٢) .

وعن هشام بن عروة تن أبيه قال : لما أقطع عمر العقيق فدنا من موضع قصر عروة وقال: أين المستقطعون منذ اليوم ؟ فوالله ما مررت بقطيعة شبه هذه القطيعة ، فسألها خوات

---

(١) الأنصاري ، آثار : ١٥٢ .

(٢) انظر السمهودي ، وفاء : ١٠٤٣ .

فأقطعها له ، وكان يقال لموضعها " خيف الوبرة " فلما كانت سنة إحدى وأربعين أقطع مروان ابن الحكم عبد الله بن عياش بن علقمة ما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة ابن الأخنس بالعقيق إلى الجبل الأحمر الذي يطلعك على قباء ، قال هشام : فاشترى عروة موضع قصره وأرضه وبئاره من عبد الله بن عياش ، وابتنى واحتفر وحجر وضفر ، وقيل له: إنك لست بموضع مدر ، فقال : يأتي الله به من النقيع ، فجاء سيل فدخل في مزارعه فكساها من خليج كان خلجه ، وكان بناه جنابذ - أي جمع جنبذ بضم الجيم ، وهو ما ارتفع واستدار كالقبة ، قال: وكان لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الناحية الأخرى المراجل وقصر أمية والمنيف والآبار التي هناك والمزارع ، فاستفتى عبد الله عبد الله بن عبد الله بن عمرو على عروة ، وقال: إنه حمل على حق السلطان ، فهدم عمر بن عبد العزيز جنابذة وضفائره ، وسد بئاره ، فقدم رجل من آل خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية يريد الوليد ، فسأل عن عروة ، فأخبر قصته ، فقدم على الوليد فسأله عن عروة وحاله ، فأخبره فكتب إلى عمر بن عبدالعزيز ما عروة ممن يتهم فدعه ، وما انتقص من حق السلطان ، فبعث إليه عمر وقال: كتبت فيّ إلى أمير المؤمنين ؟ فقال : ما فعلت ، قال: اذهب فاصنع ما بدا لك ، فقال عروة : جزعوا من جنابذ نبنيها ، والله لأبنينه بناء لا يبلغونه إلا بشق الأنفس ، فبنى قصره هذاالبناء وهيل بئاره ، فقال له ابنه عبدالله : يا أبتاه لو تبدلت بئاراً فاحتفرتها لكان أهون في الغرم ، فقال : لا والله إلا هي بأعيانها .

وقال مصعب : وكانت الركبان ينزلون على بئر مروان ، فلما حفر عروة بئره وأعذب اختاروا السهل والعذوبة فتركوا النزول على بئر مروان .

وتصدق عروة بقصره وأرضه وبئره على المسلمين ، وأوصى بذلك إلى الوليد بن عبدالملك.

وقال الزبير بن بكار: رأيت الخراج من المدينة إلى مكة وغيرها ممن يمر بالعقيق يخففون من الماء حتى يتزودون من بئر عروة ، وإذا قدموا منها بماء يقدمون به على أهلهم يشربونه في منازلهم عند مقدمهم وقال: ورأيت أبي يأمر به فيغلى ، ثم يجعل في القوارير ثم يهديه إلى أمير المؤمنين هارون بالرقة (١) .

(١) انظر السمهودي ، وفاء : ١٠٤٤ .

وقال عامر بن صالح في قصر عروة وبئره :

حبذا القصـــر ذو الظلال وذو البئر ببطـــن العقـــيق ذات الســـقاة

مـــاء مـــزن لـــم يبـــغ عـــروة فيهـــا غـــير تقـــوى الإله في المفظـــعات

بمكـــان مـــن العقيـــــق أنيـــس بـــارد الظـــل طيـــب الغـــدوات

وقال أيضاً :

ولقصـــر عـــروة ذو الظـــلال وبـــئره بشـــقا العقـــيق البـــارد الأفيـــاء

أشهـــــى إلي من العيـــون وأهـــلها والـــدور مـــن فحـــلين والفرعـــاء

وقال جابر الزمعي في بئر عروة :

يعرضـــها الآتـــي مـــن الـــناس أهـــله ويـجـعـــلـه زاداً لـــه حـــين يـذهـــب

وقال السري بن عبد الرحمن الأنصاري :

كفنـــوني إن مـــت فـــي درع أروى واســـتقوا لي مـــن بئر عروة مائي

ســـخنة في الشتـــاء باردة الصيف ســـراج في الليلـــة الظلمـــاء

وقال علي بن الجهم :

هـــذا العقـــيـــق فـــعـــــد أيـــ ـــدي العيســـى عـــن غـلوائـها

وإذا أصـــفـــت ببـــئـــر عـــــر وة فـــاســـقـــنـــي مـــن مـــائـها

إنـــا وعـيشـــــك مـــا ذمـــ ـــنا العيـــش فـــي أفنـــائـها [(١)]

قال المجد : إنه لم يجد من يعرف هذه البئر من أهل المدينة .

قال السمهودي : سيأتي في قصر عاصم أن جماء تضارع مشرفة على قصر عروة وتسيل إلى بئره [(٢)] .

وقال الأسدي : إن الميل الثالث من المدينة وراء عروة بقليل ، فيظهر أنها البئر المطمومة

---

(١) أنظر السمهودي ، وفاء : ١٠٤٥ – ١٠٤٦ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٤٧ .

اليوم على يمينك وأنت متوجه إلى ذي الحليفة إذا جاوت الحصن المعروف بأبي هاشم بنحو ثلث ميل وقريب من الجماء [١] .

وقال الأنصاري : تقع بئر عروة بطرف حرة الوبرة الغربي بالنسبة للمدينة ، عن يمين المسافر في الطريق إلى مكة وتبعد بئر عروة عن المدينة بنحو ٣٠ دقيقة من باب العنبرية بالسير المتوسط للإنسان . وقطرها وعمقها كبئر رومة تقريباً . وبجوارها مقهى مستحدث وأبنية مهدومة ، وهي مطوية بالحجارة المنحوتة المطابقة وطيها محكم جداً . ولا نعلم من طواها بهذه الكيفية . فقد كانت مطمومة في القرن التاسع الهجري . وبجنوبها عن يمين سالك ذلك الطريق مسجد بناه السيد عبد المحسن أسعد .

ويستخرج الماء من البئر بالدلاء تارة وبالساقية تارة أخرى ، وهي غزيرة ، وماؤها أرق مياه المدينة وأعذبها وأخفها ، وله طعم خاص . . ويقول ابن خلكان : ليس بالمدينة بئر أعذب منها .

وقد احْتُفرت في أواسط القرن الأولى الهجري .

هذا ومن المستملح أن نختم هذا الفصل بنادرة اتفقت لي مع صاحب المقهى المشار إليه آنفاً فقد سألته ممازحا ومتندراً :

– من هو عروة الذي تنسب إليه هذا البئر ؟ .

فأجابني في شيء من الزهو والإعجاب :

عروة التي تنسب إليها هذه البئر هي امرأة قديمة من اليهود حفرت هذه البئر قبل الإسلام فنسبت إليها . .

وعبثاً حاولت إقناعه بأن عروة هو ابن الزبير بن العوام ، فإن الرجل قد سيطرت على جوانب دماغه فكرة انتساب البئر وحفرها ، لامرأة يهودية اسمها عروة . . ولرسوخ هذه الفكرة في أبعاد ذهنه أغلق عنه كل باب للإقناع بما عداها . . . ولا غرو فإنه أمي جاهل . وكم للأمية من آفات وكم للجهل من افتتات ! .

---

(١) السمهودي ، وفاء الوفاء : ١٠٤٨ .

هذا ويعلو بئر عروة الآن ويلتصق بها الجسر الذي أقامته الحكومة السعودية لتسير من فوقه السيارات والمشاة والأنعام فلا يعوق ذلك السير تدفق سيل العقيق كما كان من قبل . وكان من نتيجة ذلك طمر البئر وتعطلها وحرمان الناس من مائها الصحي . وعسى أن يوفق الله من يعيدها إلى ما كانت عليه (١) .

قلت : هي على يسار الذاهب إلى منطقة آبار علي قريباً من الجسر المذكور ، بارزاً طيها المسلح غير بعيد من الركن الشرقي الجنوبي لسد عروة ، وقد حفرت وعمرت قبل ثلاثون عاماً تقريباً وكان الناس إلى عهد قريب يستقون منها ، ولكنها تعطلت بعد ذلك ، وإن كانت مليئة بالماء إلى اليوم ، ولكنها مغطاة بسياج وغير مهيأة لسحب الماء منها ، ربما لأنها مكشوفة ، ولكن يمكن الاستفادة منها بتعقيم مائها وتنقيته ، عسى الله أن يهيئ لها من يقوم بذلك لكي يستفيد الناس من مائها العذب ، والله تعالى أعلم (٢) .

سد عاصم :

قال الأنصاري : أقيم هذا السد كسائر السدود القديمة في هذه البلاد . ليمنع فيضان المياه عقب هطول الأمطار الغزيرة إلى الخلاء أو إلى المنازل ، وليحجز الماء فيه لسقيا صاحب القصر ، وربما لمن كانوا بجواره ، وربما لحديقته ، وحدائقهم ، بقرب بطن وادي العقيق إذا كانوا أصحاب حدائق .

وهذا السد مبني بحجر أسود غير منحوت (دبش) . وهو مجصص وسميك يبلغ سمكه نحو مترين ونصف المتر . وطوله نحو ٣٦ متراً . وتعريض الجدران كان طرازاً تقليدياً آنذاك .

وقد أقيم السد بين فتحتي جبل تضارع المنفرجتين ، ليستقبل ما يهبط أثناء الأمطار وبعدها من مياه متدفقة ، وليحتفظ بها أطول مدة ممكنة .. ولا بد أن للسد فتحة أزالها كر السنين . ما تبقى من أطلاله متهرئ وإن كان شاخصاً للعيان كما كان . وهو مستقيم يمتد من ناحية الجنوب إلى الشمال ، ويليه من جهة الجبل : الجهة القريبة من السد – أساس مبني لا أدري هل كان دكة أومنزلقا لمياه الأمطار أو غير ذلك . وأرجح انه كان دكة للسمر ، كدكة

(١) الأنصاري ، آثار : ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٢) ذكر محقق كتاب عمدة الأخبار أن ماء بئر عروة يعد أجود ماء وأعذبه في المدينة ، وأنه محسوس الفائدة في إدرار البول (العباسي ، عمدة الأخبار ، ص ٢٥٠) حاشية ١ .

قصر سعيد بن العاص ، وما تبقى أو ما هو ظاهر – على أدق تعبير – من هذا المبنى يتمثل في أسس ثلاثة جدران وقد بنيت هذه الأسس بالحجارة السود غير المنحوتة المأخوذة من الجبل ذاته ، وبالجص . وأحد هذه الجدران يتجه من الشرق إلى الغرب ، والآخر من الجنوب إلى الشمال . وهذا الجزء من السد قد اخترقه السيل وأتلفه . وأما الجدار الثالث فيتجه من الغرب إلى الشرق ويبدو شبه سليم .

وقد لاحظت في غرب السد من حيث يأتيه السيل المنحدر إليه من الجبل أنه قد مهد لهذا السيل بمجرى له خاص ليسهل عليه النزول إلى السد ، أو ليصل إليه ماء المطر من الأعالي صافيا بقدر الإمكان . وباب مياه السد الذي تنحدر منه عند اللزوم لا بد أنه يقع في الناحية الجنوبية من السد؛ لأن ذلك أمر طبعي بالنسبة لقصر عاصم .. وبالنسبة لهذا الأخدود الذي شقته السيول فيما بعد وحتى الآن ، والذي ربما كان هو مجرى السيول القديم ، ذلك لأن الجهة الشمالية من السد لا يمكن أن ينحدر منها الماء لاعتلاء ما يليها إلى الجنوب .

وقد بقي هذا السد حتى يومنا هذا بهيكله العام يقارع السيول والزمن ، ويقاوم عوامل الطبيعة القاسية . ولا يبدو لي أنه رمم كثيراً عقب أو بعد عهد ازدهار العقيق – مما يدلنا على متانة بنائه ، ودقة هندسته . . ويتراءى لي أنه لو أعيد – تعميره بشد أجزائه المتاكلة إلى بعض بجص أو بإسمنت لكانت من ذلك فائدة طيبة في الاحتفاظ بكثير من المياه التي تهبط من هذه الجبال في مواسم الأمطار ، وهذه الفائدة هي التي توخاها من بناءه (١) .

أن بناء السد العاصمي يعطينا أيضاً أنموذجاً واقعياً منظوراً الهندسة السدود التي كانت تبنى إذ ذاك لتحفظ أكبر كميات من المطر النازل من الأعالي في أطول مدة ممكنة للاستعمال المنزلي ، وللاستعمال الزراعي معاً في ذلك الظرف .

قلت : ولا زالت آثار السد العاصمي بارزة للعيان حتى اليوم ويحتاج إلى بعض الترميم والإصلاح والاهتمام .

جسر سكة الحديد الحجازية :

شهدت المدينة المنورة في العقد الثالث من هذا القرن حدثاً حضارياً كبيراً كانت له آثار

(١) الأنصاري ، آثار : ٤٧ – ٤٨ .

كثيرة وعميقة في حياتها مدة من الزمن ، وهذا الحدث هو وصول خط السكة الحديدية إليها قادما من دمشق ومتصلاً باستانبول وبكل ما تتصل به هاتان المدينتان .

ويعد المؤرخون هذا الخط واحدا من مآثر السلطان عبدالحميد الكبيرة إن لم يكن أكبرها، كانت فكرة إقامة الخط موجودة قبل السلطان عبد الحميد ولكن المسؤولين العثمانيين لم يتحمسوا لها لضخامة التكلفة وصعوبة حماية الخط من البدو وعندما تسلم السلطان عبد الحميد الخلافة تحمس لإنجاز المشروع ، وكان يهدف إلى تحقيق غرضين كبيرين الأول : خدمة حجاج بيت الله الحرام وذلك بإيجاد وسيلة سفر عصرية يتوفر فيها الأمن والسرعة والراحة .

والثاني : دعم حركة الجامعة الإسلامية ، وتقوية الصلات بين البلدان الإسلامية المختلفة، يضاف إلى هذين الهدفين أهداف اقتصادية واستراتيجية وحضارية أخرى (١) .

ولكي يصطبغ المشروع بثوبه الإسلامي صدر إعلان عام للمسلمين في جميع أنحاء الأرض يبين أهداف المشروع والنتائج الطيبة المأمولة منه ويهيب بالمسلمين أن يسهموا فيه بأموالهم وشكلت لجان لجمع التبرعات ، وقد أثار المشروع حمية المسلمين في الدولة العثمانية وخارجها وانهالت التبرعات من أنحاء كثيرة ، وتدفقت الأموال على صندوق المشروع من معظم بلاد المسلمين ، وأسهم عدد من السلاطين والأثرياء والمؤسسات بمبالغ كبيرة .

وبدأ المشروع مرحلته التنفيذية الأولى بعيدا عن المدينة المنورة . وقد وضع حجر الأساس في قرية المزيريب التابعة لمنطقة حوران قرب دمشق . وباشرت مصانع الإنشاء المختلفة أعمالها وفق مخطط دقيق ، فكانت فرق التسوية تتقدم لتمهد الأرض التي يسير عليها الخط . بينما تقوم فرق أخرى بإنشاء الجسور والمعابر على ممرات السيول والمنحدرات وفرق أخرى تنشئ المحطات الرئيسة والفرعية . لذلك لم تظهر آثار إنشاء هذا الخط في المدينة المنورة إلا عندما وصلت فرق البناء لتسوية الطرق الذي يصل إلى المدينة ولتأسيس المحطة الرئيسة فيها ولإنشاء الجسور والمعابر على مجاري السيول والأودية .

وفي منتصف عام ١٣٢٥هـ وصلت إلى المدينة المنورة أعداد من المهندسين والفنيين

---

(١) عبد الباسط بدر ، التاريخ الشامل للمدينة المنورة : ٣/١٠ .

الأتراك والعرب وشرع هؤلاء على الفور في مسح المنطقة واختيار موقع المحطة الرئيسة للسكة الحديدية ، والمسار الذي ستمد فيه القضبان الحديدية . . وتبعتها مجموعات متوالية من الجنود العثمانيين الذين كلفوا بالعمل في المشروع . . ونزل بعضهم في الثكنات الموجودة غربي وشمالي المدينة وأقيمت للبقية معسكرات مؤقته قرب الطريق المتجه إلى تبوك . . وبدأت القوافل ترد تباعاً تحمل معدات الحفر والتسوية والتشييد .

واختار المهندسون موقعاً غربي المدينة تماما في مواجهه باب السلام . وخارج السور لإقامة المحطة الرئيسة وبدؤوا يرسمون على الأرض مسار الخط منها باتجاه العلا . . ووضعت الخرائط والرسومات . وعينت مواقع الجسور على مجرى العقيق ثم مجاري السيول الصغيرة وما لبثت مجموعات الجنود أن انتشرت على الطريق المرسومة للخط من المحطة الرئيسة - قرب باب العنبرية والتكية المصرية - وعمل الجنود الفنيون والمهندسون بحماسة بالغة بسبب تلك العواطف الدينية الجياشة التي تفيض بها نفوسهم .

وأقيم احتفال كبير لوضع حجر الأساس للمحطة في المدينة المنورة حضره عثمان فريد باشا شيخ الحرم ومحافظ المدينة . وكبار الموظفين وعدد غفير من أعيان المدينة ورجالها . . وألقيت الخطب والقصائد ووضع الحجر الأساس لمسجد (الحميدية) قرب المحطة . . وقد صمم على الطراز العثماني الدقيق ليكون شاهدا على الأهداف الإسلامية البعيدة لهذا المشروع .

في أوائل شعبان عام ١٣٢٦هـ اتصل الخط من جهتي العمل . وكانت فرحة العاملين غير عادية ، وسرى الخبر في المدينة ينشر معه مشاعر الغبطة والتوقعات الكثيرة . وخرج الكثيرون من أهلها يستقبلون أول قطار تدوي صفاراته في أطراف المدينة في الثاني والعشرين من شهر شعبان عام ١٣٢٦هـ . والموافق للثامن والعشرين من أغسطس آب ١٩٠٨م (١) .

ولقد أحدث وصول القطار إلى المدينة المنورة آثاراً كبيرة عليها في جوانب حياتها الاقتصادية والسكانية والعمرانية ، والسياسية أيضاً ، وزاد من ذلك الأثر انتهاء الخط الحديدي عندها . .

---

(١) عبد الباسط بدر ، تاريخ المدينة الشامل : ١٤/٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ .

فقد حملت عربات القطار أكداساً ضخمة من السلع التجارية من بلاد الشام ومن كل ما يرد من بلاد الشام من آفاق العالم . وبالمقابل حملت من المدينة بعض خيراتها . . وما يصل إليها من نجد ومكة وجدة واليمن ومصر الهند . فأخذت الأسواق تكتظ بالتجار بائعين ومشترين ، من الجنوب والشمال والشرق . وبنيت دكاكين جديدة وكان أهم ما يجلبه القطار من المواد والأخشاب ومواد البناء والأدوات المنزلية والأقمشة والثياب المصنوعة والأثاث ، ومن المواد الغذائية من الشام (البرتقال والبطيخ اليافاوي والدقيق ، القرفة وحنطة الجولان وأنواع الياميش . . كأنما المدينة أصبحت سوقا لخيرات الشام) .

وأهم ما حمله القطار من المدينة المنورة الخضار والتمور والجلود وبعض المصنوعات المحلية ، فنمت الصلات التجارية نمواً جلب من الرخاء ما لا يسهل اليوم تصوره . وكثر التعامل وكثرت الأموال في أيدي الناس وتحسنت أحوالهم المعيشية ولا أدل على هذا الانتعاش من أرقام السلع التي وردت بالقطار إلى المدينة فقد نقل القطار بعد إنشائه بعام واحد قرابة ٩٢ ألف طن من المواد الغذائية وارتفع الرقم بعد عام أي في عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١٠م إلى ١١٢ ألف طن أي بزيادة قدرها ٢٠ ألف طن عن السنة السابقة .

وكثر مجيء الزوار إلى المدينة المنورة نتيجة لسهولة السفر بالقطار وتبعهم المجاورون والراغبون في الإقامة الدائمة والاستيطان وأغرى الازدهار كثيرا من الطموحين بالهجرة إلى المدينة وإنشاء مشاريع تجارية وصناعية وخدمات جديدة (١) .

واستمر القطار الحجازي يؤدي خدمات جليلة للمدينة المنورة وأهلها زمنا حتى قامت الحرب العالمية الأولى واشترك فيها العثمانيون مع الألمان ضد الحلفاء . وفي أواخر عام ١٣٣٤هـ نسف الحلفاء قسماً كبيراً من السكة الحديدية الحجازية وبذلك توقف القطار وتعطلت السكة الحديدية الحجازية ، وبقيت المحطات والجسور على الأودية شواهد تاريخية على ذلك الحدث التاريخي الرائع الذي كان ثمرة تضامن إسلامي عظيم .

ولقد كانت كلما مررت على بقايا الجسر المقام على وادي العقيق وأنا متوجه إلى عملي في الجامعة ينتابني شعور بالحزن والمرارة وأنا أرى هذا الأثر التاريخي الجميل – الذي

(١) عبد الباسط بدر ، التاريخ الشامل للمدينة : ٣/٣٣-٣٤ .

يذكرنا بقطار الحجاز الذي كان يحمل الخيرات والحجاج إلى المدينة - قد اعتراه الوهن والضعف حتى أصبح أيلاً للسقوط بين لحظة وأخرى بسبب الإهمال وعوامل الطبيعة .

أنه يمكن تدارك هذا الأثر التاريخي البارز بالترميم والإصلاح دون أن يكلف ذلك الكثير من الجهد والمال حيث يمكن الاستفادة في عمليات ترميمه بأجزائه الأخرى القريبة منه ، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

بئر الغرس :

قال السمهودي : (بئر غرس : بضم الغين المعجمة ، وهو الدائر على ألسنة أهل المدينة ، ويقال : الأغرس قال المجد: بئر الغرس بفتح الغين وسكون الراء وسين مهملة ، والغرس: الفسيل ، أو الشجر الذي يغرس لينبت ، مصدر غرس الشجر ، قال: وضبطه بعض الناس بالتحريك مثال: سحر ، وسمعت كثيراً من أهل المدينة يضمون الغين ، قال: والصواب الذي لا محيد عنه ما قدمته ، أي من الفتح وهي بئر بقباء في شرقي مسجدها ، على نصف ميل إلى جهة الشمال وهي بين النخيل ، ويعرف مكانها اليوم وما حوله بالغرس ، قال: وحولها مقابر بني حنظلة .

وأظنه تصحيفاً ، والمذكور في جهتها بنو خطمة ، وقد تقدم في بئر السقيا أن رباحاً مولى النبي ﷺ كان يستقى له من بئر غرس مرة ومن بيوت السقيا مرة .

وروى ابن حبان في الثقات عن أنس رضي الله عنه أنه قال: ائتوني بماء من بئر غرس ، فإني رأيت رسول الله ﷺ يشرب منها ويتوضأ .

وفي سنن ابن ماجة بسند جيد عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس " وكانت بقباء وكان يشرب منها (١) .

ورواه يحي عن علي بلفظ : أمرني رسول الله ﷺ ، فقال: " يا علي، إذا أنا مت فاغسلني من بئري بئر غرس بسبع قرب لم تحلل أو كيتهن " .

وروى ابن سعد في طبقاته برجال الصحيح عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن

(٤٥) أخرجه ابن ماجة ، سنن : (١ / ٤٧١) ، من طريق عباد بن يعقوب ، قال عنه ابن حجر (تقريب : ٢٩١) رافضي ، صدوق ، حديثه في البخاري مقرون ، بالغ ابن حبان فقال : يستحق الترك .

الحسين رضي الله عنه قال: غسل النبي ﷺ ثلاث غسلات بماء وسدر وغسل في قميص ، وغسل من بئر يقال لها الغرس لسعد بن خثيمة بقباء ، وكان يشرب منها .

وقال ابن النجار : هذه البئر بينها وبين مسجد قباء نحو نصف ميل ، وهي في وسط الصحراء وقد خربها السيل وطمها ، وفيها ماء أخضر ، إلا أنه عذب طيب ، وريحه الغالب عليه الأجون ، قال: وذرعتها فكان طولها سبعة أذرع شافة منها ذراعان ماء ، وعرضها عشرة أذرع .

قال المطري : وهي اليوم ملك لبعض أهل المدينة ، وكانت قد خربت فجددت بعد السبعمائة ، وهي كثيرة الماء ، وعرضها عشرة أذرع ، وطولها يزيد على ذلك ، وماؤها يغلب عليه الخضرة ، وهو طيب عذب .

قلت : وقد خربت بعد ذلك ، فابتاعها وما حولها صاحبنا الشيخ العلامة المقيد خواجا حسين بن الجواد المحسن الخواجكي شهاب الدين أحمد القاواني ، أثابه الله تعالى ، وعمرها وحوط عليها حديقة ، وجعل لها درجة ينزل إليها منها من داخل الحديقة وخارجها ، وأنشأ بجانبها مسجداً لطيفاً ووقفها تقبل الله منه ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة) (١) .

وقال العباسي : وهي بين نخيل وبينها وبين قباء قاع وآثار الأنصار من الأوس ، وبها قبر البراء بن معرور رضي الله عنه ، وهي اليوم ملك لبعض أهل المدينة ، وذرعتها بذراع فكان من شفيرها إلى الماء ستة أذرع ودورها عشرة أذرع وطولها يزيد على ذلك ماؤها يغلب عليه الخضرة وهو طيب عذب إذا رفعته أبيض ، وعندها مسجد صغير ، بمشرقها وبمغربها مغسل الموتى ، ولها درجتان درجة عند المسجد ودرجة عند المغسل وحولها سبخ ونخيل صغار (٢) .

وقال الأنصاري : (وبئر غرس معروفة اليوم ، وقد شاهدناها مراراً في أثناء نزهنا بقرية (جفاف) (قربان) – في حديقة الغرس ، والبئر المذكورة واقعة في شمال غرب هذه الحديقة ، ولها سلم حجري كان ينزل به إليها ، ومع أنها مأثورة ومع غزارة مائها وقربه من سطح الأرض فإنها اليوم معطلة ، وقطرها ٤ أمتار وعمقها ٤ أمتار ، وهي مطوية بالحجارة المطابقة طياً محكماً وعليها بناية سانية مهجورة .

---

(١) انظر السمهودي ، وفاء : ٩٧٨ – ٩٧٩ .

(٢) العباسي ، عمدة : ٢٦١ – ٢٦٢ .

قال المطري : إنها خربت في زمنه (القرن الثامن الهجري) ثم جددت بعد ذلك والحديقة المشار إليها موجودة إلى اليوم واسمها الغرس ، ولا تزال وقفاً ، وطريق بئر غرس من المدينة هكذا .

باب العوالي – طريق قربان – ميل إلى الشرق زقاق ضيق – البئر) (١) .

قلت : ولا زالت معطلة إلى اليوم بل خربة مطمورة مهجورة ، أما الحديقة التي بجانبها فأصبحت قاعا صفصفا ، وموقعها اليوم في قربان أمام معهد دار الهجرة الأهلي مباشرة لا بفصل بينها وبين المعهد إلا الطريق المؤدي من قباء إلى العوالي ، وقد تهدم بنيانها ولا يكاد أحد يعرفها ؟ ! .

خيف أم العيال :

أم العيال عين عليها قرية ، في لحف آرة وهو جبل عظيم بتهامة ، قال عرام بن الأصبغ السلمي : أم العيال صدقة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ (٢) ، وروى الزبير عن علي ابن صالح ، عن هشام بن عروة ، أنها أول قرية مارت إسماعيل التمر بمكة ، وكانت من ديار عاد (٣) .

وهي قرية من أكبر قرى وادي الفرع ، بل إن الفرع إذا أطلق إنما يريد به أم العيال .

وذكر البكري : أن الفرع من أعمال المدينة الواسعة ، والصفراء وأعمالها من الفرع ، وهو من أشرف ولايات المدينة ، وذلك أن فيه مساجد لرسول الله ﷺ نزلها مراراً وأقطع فيها لغفار وأسلم قطائع ، وصاحبها يجبي اثنا عشر منبراً : منبر بالفرع ، ومنبر بمضيقها ، على أربعة فراسخ منها ، يعرف بمضيق الفرع ، ومنبر بالسوارقية ، وبساية ، وبرهاط ، ويعمق الزرع ، وبالجحفة ، وبالعرج ، وبالسقيا ، وبالأبواء ، وبقديد ، وبعسفان ، وبإستارة . هذه كلها من عمل الفرع (٤) .

---

(١) الأنصاري ، آثار : ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٢) الحموي ، معجم البلدان : (١ / ٢٥٤) .

(٣) البكري ، معجم ما استعجم : (٣ / ١٠٢٠) ، وقد ذكر لي الوالد أنه يوجد بالمقبرة الرئيسة في القرية قبر كبير وضخم ، فربما أنه من قبورهم ، والله تعالى أعلم .

(٤) انظر البكري ، معجم : (٣ / ١٠٢) .

وقال ابن الفقيه : فأما أعراض المدينة فأضخمها الفرع وبه منزل الوالي ، وبه مسجد صلى به النبي ﷺ ، وروى الزبير عن رجاله ، أن أسماء بنت أبي بكر قالت لابنها عبد الله : يابني أعمر الفرع ، قال : يا أمة ، قد عمرته واتخذت به أموالاً ، قالت : والله لكأني أنظر إليه حين فررنا من مكة مهاجرين وفيه نخلات واسمع به نباح كلب (١) .

وروى مالك عن نافع ، أن ابن عمر أحرم من الفرع ، وقال الواقدي : مات عروة بن الزبير بالفرع ودفن هناك سنة أربع وتسعين (٢) .

قال السكوني : وهي لقريش والأنصار ومزينة (٣) .

وقال ابن حزم ، والبكري : أم العيال ، عين لجعفر بن طلحة بن عبيد الله التيمي ، وكان رجلاً وسيما فلزم علاج عين أم العيال ، وأقام بها وأصابه الوباء ، فقدم المدينة وقد تغير ، فرآه مالك بن أنس فقال: هذا الذي عمر ماله وأخرب بدنه ، وكان قد أنفق عليها مائتي ألف دينار ، وكانت تسقى أزيد من عشرين ألف نخلة (٤) .

وقال العباسي : هي اليوم [القرن العاشر الهجري] لبني حسين (٥) .

قلت : لا زالت عين أم العيال تجري حتى اليوم وتسقي نخلا كثيراً ، وهي قرية عامرة ، تتبع منطقة المدينة المنورة إدارياً ، وتبعد عنها حوالي ١٦٥ كيلاً ، ولها طريق معبدة ، يفرق لها من الكيلو ١٠٠ من طريق الهجرة السريع ، وهي اليوم للبلادية فخذ من قبيلة بني عمرو من حرب ، وأهلها سنة ، وتعتبر هي وقرية المضيق القريبة منها من أفضل وأجمل المناطق السياحية الأثرية في المنطقة .

خيف المضيق :

المضيق : بالفتح وكسر الضاء المعجمة ومثناة تحتية وقاف ، قرية من الفرع وفي لحف جبل آرة ، وكان في المضيق عين ماء أجراها الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن

(١) المصدر السابق : (٣ / ١٠٢٠) .
(٢) البكري ، معجم : (٣ / ١٠٢١) .
(٣) المصدر السابق : (٣ / ١٠٥١) .
(٤) انظر البكري ، معجم (١ / ١٩٦) ، والسمهودي ، وفاء ١١٣٠ .
(٥) العباسي ، عمدة : ٢٤١ .

طالب رضي الله عنه من خالص ماله لما رجع من المدينة [١] .

والمضيق قرية كبيرة تسقى عينها غلا كثيراً ، وهي على أربعة فراسخ من قرية أم العيال وتسمى مضيق الفرع ، وبها مسجد البرود ، وذكر الأسلميون عن أشياخهم أن رسول الله ﷺ صلى فيه [٢] .

وكانت هذه القرية لقبيلة أسلم ، وهي اليوم لقبيلة مناش من بني عمرو بن حرب وهم سنة، وتتبع المضيق إدارياً منطقة المدينة وتربطها بها طريق معبدة تبعد عنها حوالي ١٦٠ كيلاً ، وتعتبر من أجمل المناطق السياحية حيث تكثر بها شلالات المياه والغدران خاصة أثناء سقوط الأمطار .

(١) انظر العباسي ، عمدة : ٣٧٨ ، ٤١٩ .

(٢) انظر البكري ، معجم (٣ / ١٠٢٠) ، والسمهودي ، وفاء: ١٠٢٦ .

الخاتمة

إن الأماكن التاريخية الأثرية في منطقة المدينة المنورة كثيرة ومتنوعة ومتفرقة لا يمكن الإحاطة بها في مثل هذا البحث المصغر ، لذلك فإني ركزت في هذا البحث على بعض الآثار غير المعروفة لدى كثير من الناس ، وبعضها الآيل للإندثار والزوال بسبب الإهمال .

لقد قمت في هذا البحث المصغر بتنوع تاريخي وطبوغرافي أثري ، فآثرت ذكرت المساجد أولاً لأهميتها الدينية والتاريخية ، و تحدثت عن ثلاثة مساجد داخل المدينة أحدهما مندثر مهمل والآخران غير معروفان لدى بعض الناس رغم عمارتهما لعدم وجود لوحات تعريفية لهما، ومسجد خارج المدينة غير معروف لكثير من الناس ، وحينما تحدثت عن بعض الآثار الأخرى كالآبار مثلاً اخترت بئرين في المدينة من حقبتين مختلفتين،فبئر الغرس النبوية المندثرة، يقابلها في الحديث بئر عروة من التابعين والتي لا زالت مليئة بالماء رغم إهمالها وتركها .

وتحدثت عن سد عاصم التابعي ، ثم اتبعته بالحديث عن جسر سكة الحديد الحجازية قريبة العهد .

أما سقيفة بني ساعده فتحدثت عنها لأهميتها التاريخية المكانية مقترحاً موضحاً ، وكان الحديث عن بعض الآثار التاريخية في منطقة وادي الفرع التابعة للمدينة والتي اعتقد والله تعالى أعلم أنه لم يتطرق للحديث عنها من المعاصرين أحد قبلي ، وذلك تعريفاً وإبرازاً لمعالمها، وإنني أرجو أن أكون بذلك قد قمت بما يقتضيه الواجب نحو تلك الآثار التاريخية العريقة الخاصة بهذه البلاد الكريمة ، مقترحاً في بداية كلامي تعريف النشء بما تحمله بلادهم العظيمة من كنوز أثرية تاريخية رائعة ومتنوعة ، ليكون في ذلك رابطاً قوياً لهم بماضيهم التليد ومجدهم الغابر حتى لا ينسلخ ناشئتنا عن تراثهم وتقاليدهم الإسلامية العريقة في ظل المتغيرات العالمية المتسارعة والمتدفقة من كل حدب وصوب ، وفي ظل العولمة الثقافية الغازية التي تنشد التبعية للمادة بكل ما تملك من وسائل وإغراءات قوية ومتنوعة .

هذا ، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

١ - بدر ، عبد الباسط ، التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، الأولى ، ١٤١٤هـ

٢ - البكري ، عبدالله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، الثالثة ، ١٤٠٣هـ عالم الكتب ، بيروت .

٣ - ابن حجر ، أحمد بن علي ، تقريب التهذيب - تحقيق محمد عوامة ، الأولى ، ١٤٠٦هـ دار الرشيد ، حلب ، سوريا .

٤ - الحموي ، ياقوت بن عبدالله ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .

٥ - الخياري ، أحمد ياسين ، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً ، تعليق عبيد الله بن محمد أمين كردي ، الثانية ، ١٤١١هـ ، دارالعلم للطباعة والنشر جدة .

٦ - ابن سعد ، محمد : الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت .

٧ - السمهودي ، علي بن أحمد، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين، الرابعة ، ١٤٠٤هـ ، دار إحياء التراث العربي بيروت .

٨ - ابن شبة ، عمر ، تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، على نفقة حبيب محمود.

٩ - العباسي ، أحمد بن عبد الحميد ، عمدة الأخبار في مدينة المختار ، تصحيح وتعليق محمد الطيب الأنصاري ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة .

١٠ - ابن ماجة ، محمد بن يزيد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بدون تاريخ ومكان الطباعة .

١١ - الأنصاري ، عبدالقدوس ، آثار المدينة المنورة ، الرابعة ، ١٤٠٦ هـ المكتبة العلمية المدينة المنورة .

١٢ - الواقدي ، محمد بن عمر ، كتاب المغازي ، تحقيق مارسدن جونس ، الثالثة ، ١٤٠٤هـ ، عالم الكتب ، بيروت .

مخاطر التطور العمراني على الآثار

د . ناصر بن علي الحارثي (*)

مقدمة :

شهدت المملكة العربية السعودية في العصر الحديث نهضة عمرانية لا مثيل لها من قبل ، وعلى الرغم من أن هذه النهضة الهائلة قد وفرت للمواطن السعودي كل أسباب الراحة والاستقرار والهناء إلا أنه كان لها انعكاساتها في إندراس كثير من الآثار ، حيث لم تعان من ذلك مدينة بعينها ، بل عانت منه المدن السعودية الأخرى ، ولكن بدرجات متفاوتة ، ومن هذه المدن مدينة الطائف التي أخترنا آثارها نموذجاً في هذه الدراسة ، فقد كانت هذه المدينة زاخرة بالآثار ، ويتجلى ذلك في أوصاف المؤرخين أمثال : ابن أبي الصيف (٦٠٩ هـ/ ١٢١٣م)(١) ، والميورقي (٦٧٨هـ/١٢٨٠م) (٢) ، والفيروز آبادي (٧٢٩- ٨١٧ هـ/ ١٣٢٩ - ١٤١٥م) (٣) ، وابن فهد (٨٩١-٩٥٤هـ/ ١٤٨٦- ١٥٤٧م)(٤)، والكناني (٩٠٧ - ٩٦٣هـ/ ١٥٠٢-١٥٥٦م)(٥)، والفاكهي (٩٢٠-٩٨٢هـ/ ١٥١٤-١٥٧٤م)(٦)، وابن علان (٩٦٦-١٠٥٧هـ/ ١٥٨٨-١٦٤٧م)(٧)، والعجيمي (١٠٤٩-١١١٣هـ) (٨) ، والقنوي (توفي بعد سنة ١١٤٩م) (٩) ، والقاري (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) (١٠) ، والحضراوي (١٢٥٢-١٣٢٧هـ/١٨٣٦-١٩٠٩م) (١١) ، وابن كمال (١٢٩٠-١٣٤١/ ١٨٧٣-١٩٢٢م) (١٢) ، والدهلوي (١٢٨٦-١٣٥٥هـ/ ١٨٦٩- ١٩٣٦م) (١٣) .

كما يتضح ذلك أيضاً في أوصاف الرحالة الذين زاروا الطائف أمثال : ناصر خسرو (٤٠٩-٤٨١هـ/١٠٠٣-١٠٨٨م) (١٤) ، والعياشي (١٠٣٧-١٠٩٠هـ/ ١٦٢٧ -١٦٧٩م) (١٥) ، والموسوي (١١١١-١١٨٠هـ/ ١٦٩٩- ١٧٦٦م) (١٦) ، وبوركهاردت (١١٩٩-١٢٣٣هـ/ ١٧٨٤-١٨١٧م) (١٧) ، وتاميزية (١٢٣٠هـ/ ١٨١٢م) (١٨) ، وداوتي (١٢٥٩- ١٣٤٥هـ/ ١٨٤٣-١٩٢٦م)(١٩)، وصبري (١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م)(٢٠)، وباشا (١٢٢٨-١٣٢٠هـ/ ١٨٢٢-١٩٠٢م)(٢١)، وأرسلان (١٢٨٦-١٣٦٦هـ/ ١٨٩٦-١٩٤٦م) (٢٢) ، والزركلي (١٣١٠-١٣٩٦هـ/ ١٨٩٣-١٩٧٦م) (٢٣) ، وهيكل (١٣٠٥- ١٣٧٦هـ/١٨٨٨- ١٩٥٦م) (٢٤) ، وابن بليهد (١٣٠٠-

(*) عضو هيئة التدريس - جامعة أم القرى - مكة المكرمة .

١٣٧٧هـ/١٨٨٣-١٩٥٨م) [٢٥] ، والبعثة الأوربية (١٣٧٠- ١٣٧١هـ/ ١٩٥٠-١٩٥١م) [٢٦] ، والبعثة الزراعية التي أستقدمها الملك حسين في عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م ، حيث رفعت إليه تقريراً مفصلاً عن الزراعة ، والمعادن في الطائف [٢٧] ، والبركاتي [٢٨] .

وقد وردت فيما كتبوه معلومات وافرة عن القرى ، والدروب ، المساجد ، والآبار ، والنقوش والكتابات ، والمخربشات ، والرسوم الصخرية ، والأسواق ، والحارات ، والأزقة ، والأسوار ، والأبراج ، والبوابات ، والسدود ، والسراديب ، والحصون ، والقنوات ، والخرزات ، والمنازل ، والقصور ، ومناجم التعدين ، وغيرها من المنشآت المعمارية ، مما لا وجود لكثير منها اليوم ، فضلاً عن العبث بما تبقى منها .

ويأتي في مقدمة العوامل التي أسهمت في اندثار معظم آثار الطائف ، أو العبث بما تبقى منها عدم التوعية بأهمية الآثار ، وانعدام التنسيق بين البلديات والجهات الحكومية المنفذة لمشاريعها والجهة المسؤولة عن الآثار في المملكة .

ومن خلال دراستنا لآثار الطائف يمكننا حصر أهم مخاطر التطور العمراني التي كان لها انعكاساتها السلبية على الآثار في الامتداد العمراني ، والتوسعات والتجديدات التي طرأت على المباني ، ومشاريع المواصلات والمياه والصرف الصحي ، وإنشاء الحدائق والمنتزهات ، وفيما يلي عرض تفصيلي لأثر كل محور من هذه المحاور على الآثار :

أولاً : الامتداد العمراني : (الشكلان رقما ١ ، ٢ ، اللوحات أرقام ١-٤) :

إلى ما قبل أربعين سنة كان النطاق العمراني في مدينة الطائف لا يتجاوز وسط المدينة مع تناثر بعض القصور في أطرافها ، ثم بدأ الامتداد العمراني فيها ينمو بشكل كبير حتى اتصلت هذه المدينة بالحوية والسيل الصغير شمالاً ، ووادي عرضه على طريق الشفا جنوباً ، وليه شرقاً ، والوهط والمثناه غرباً ، أي أن مساحتها وصلت اليوم إلى ستين كيلو متراً مربعاً [٢٩] ، بعد أن كانت تقدر بخمسة وستين ألف متر مربع [٣٠] ، وقد نتج عن هذا الامتداد السريع ظهور الكثير من المخططات السكنية التى أصبحت تعرف حالياً بالأحياء ، وفي موضع هذه المخططات سواء في الجبال ، أو الهضاب ، أو الأودية كانت . وهناك الكثير من الآثار ، وبالأخص النقوش والكتابات ، والرسوم والمخربشات الصخرية ، ومن بينها نقوش وكتابات

ورسوم يرجع تاريخها لما قبل الإسلام ، وخلال الفترة الإسلامية المبكرة .

وقد أشار الرحالة الفرنسي تاميزية إلى بعض هذه الكتابات في موقع (مطمخ الغزال) حيث قال [٣١] :"ويبدو على صخرة تقع في مكان أعلى من موقع تلك الأحجار أثر كوفية النبي ﷺ " .

أما البعثة الأوربية فقد صورت كثيراً من نقوش الطائف ، إلا أن عدداً كبيراً من هذه النقوش لا أثر له اليوم ، وبالأخص الشواهد التي كانت على القبور [٣٢] .

كما أشار الزركلي في معرض حديثة عن جبال الطائف التي دخلت في الأحياء السكنية في الوقت الحاضر بقوله [٣٣] : "وهنا ما تضيق الصفحات عن استيعابه ، فإن فيها ما هو مليء بالكتابات القديمة والمتأخرة والحديثة . منها بالعربية ومنها بحروف أظنها مسمارية ، ومنها برسوم كأنها كتابة ، ولعل فيها ما كتب قبل الإسلام ، من ذلك صخرة كبيرة مرتفعة تستقبل القادم عليها من الطائف ، وهي على مسيرة ثلاثة كيلومترات من باب الحبر في الطائف صعدنا إليها فإذا كتابات ونقوش وفيرة وكثيرة .." .

وعند حديثه عن جبل السكاري قال [٣٤] : "جبل يسمونه السكاري .. أخبرني قاضي الطائف بأن عليه أسطراً تاريخها سنة ١٨٨هـ فصعدته وهو على الجانب الغربي من المثناه ، فرأيت كتابات كثيرة ولم أر التاريخ الذي ذكره لي ، ولكنه يؤكد أنه رآه ، وعلى إحدى صخور هذا الجبل كتابة تقرب حروفها من اللاتينية ، فنقلتها ولم أهتد إلى من يترجمها لي" .

كما أشار إلى نقوش جبل السكاري أيضاً شكيب أرسلان ، وسجل انطباعاته عنها بقوله [٣٥] : "وأما الكتابات المنقوشة على الصخور فلم يضر بها الجوع ولا العطش فبقيت على حالها ناطقة بما كان ثمة من عمران سابق ومجد سامق ، ولقد أتيح لي أن أرى طرفاً من هذه الكتابات وأن أقرأ بعضها وأن يشكل علي قراءة البعض الآخر فعولت فيه على بعض الأساتذة المتخصصين بمعرفة الخطوط القديمة ، وذلك إني نسخت ما قرأته في جبل الكساري في وسط الطائف وبعثت به إلى برلين وذلك إلى الأستاذ موريتز – من فحول المستشرقين– فَحَلّ الكتابة وأعادها لي ولم تكن من الخط المسند بل من الخط الكوفي القديم الذي لم نألفه فإن الخط الكوفي ليس شكلاً واحداً . وهذه الكتابات خالية مع الأسف من التواريخ . وأكثر ما عثرت به

من هذه الكتابات في كل محل خلو من ذكر السنة التي كتب فيها إلا ما كان منها متأخراً من آثار القرن الرابع والقرن الخامس للهجرة وما بعد ذلك فهو مؤرخ بالأشهر والسنين كما هي العادة ، ويظهر أن الكتابات التي في جبل السكاري هي من القرن الأول للهجرة وربما كان بعضها من زمن الجاهلية ونص واحدة منها : (أعف يا الله ، عبدك أود ، بن موسى) ، ونص آخر (إياد بن عيفر ، بن أوس بربه واثق) ، ونص أخر (بالله محمد بن عبدالرحمن بن أبي (كلمة لم أتمكن من قراءتها واثق بالله) ، ونص آخر (اللهم حكم ، عبدك عيفر ، بن أبي قبيح من النادي ، وكتب ، ونص أخر (اللهم صلي على محمد النبي وكتب محمد بن أبي قبيع) .

وفي موضع آخر يشير أرسلان إلى عدم مشاهدته النقش المؤرخ بجبل السكاري الذي أشار إليه قاضي الطائف حيث قال أرسلان (٣٦) "هذا ولقد ذكر السيد خير الدين الزركلي جبل السكاري الذي كنا بصدده وقال إنهم يسمونه (أم السكاري) " وروي عن قاضي الطائف .. "أن على هذا الجبال أسطراً تاريخها سنة ١٨٨هـ ، قال فصعدت ورأيت كتابات ولم أرى التاريخ الذي ذكره ، وقلت وأنا لم أر كتابة عليها تاريخ ولكن يجوز أن تكن على صخر لم يقع نظرنا عليه فإن هذا الجبل مغطى بالصخور وفيه مقطع حجارة لبناء أهل الطائف وليس كل ما يراه الواحد يراه الآخر ؟

كما أشار أرسلان أيضاً إلى سدود وادي لقيم شمال الطائف ، مما لا أثر له اليوم ، حيث قال (٣٧) : " هذا وفي لقيم سدود كثيرة للمياه إذا شاهدها الغريب ولم يكن يعلم طبيعة الإقليم ظن أنها أسوار للحصار".

ثانياً : التوسعات والتجديدات المعمارية : (اللوحات أرقام ٥-١٠) :

كان للتوسعات والتجديدات التي أجريت لبعض المباني في مدينة الطائف أثر كبير في اندراس تلك المباني ، وما كانت تحتوي عليه من نقوش وكتابات وأعمال فنية ، وعلى سبيل المثال لا الحصر أدت التجديدات التي تمت في مسجد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما إلى اندراس المعالم المعمارية للمسجد الذي كان قائماً ، وفضلاً عن ذلك فقد اندرست النقوش والكتابات التي كانت موجودة فيه ، والتي أشار إليها المؤرخون ، ومنها نقش مؤرخ عام ١٩٢هـ يحمل اسم السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد كان مثبتاً على الجدار القبلي (٣٨) ، وثالث

باسم المستضيء بالله العباسي مؤرخ عام ٥٤٧هـ [٣٩] ، ونقشاً آخر على القبر باسم المقتفي لأمر الله العباسي مؤرخ عام٥٩٢هـ [٤٠] ، ورابع يحمل اسم الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول مؤرخ عام ٦٧٥هـ [٤١] ، وخامس مؤرخ عام ١٢١٨هـ بحساب الجمل [٤٢] .

أما التوسعات والتجديدات التي أجريت في المقبرة المجاورة للمسجد فقد أدت أيضاً إلى فقدان كثير من الشواهد التي كانت منصوبة على القبور والتي نشرت صورتها البعثة الأوربية، ثم شاهدها الزركلي وقال عنها [٤٣] : "وهنا يجد المنقب كثيراً من الخطوط القديمة منها الكوفي والنسخي وما بينهما ، وجلها يرجع عهد كتابته إلى القرن الخامس والرابع للهجرة ، وفيها ما هو قبل ذلك ، ويدل عليه أنه مهمل من النقط ، وتقرأ في ظاهره صورة من مرور الأعصار والأزمان أكثر هذا النوع بل كل ما رأيته منه عار من تاريخ كتابته إلا ما جاء فيه من أسماء الرجال المدفونين في تلك المقابر ، فإن فيهم القديم والحديث ، ولم أر بين هذه القبور ما يزيد زمنه إلى أوائل العصر الإسلامي ، لأنهم في ذلك العصر لم يكونوا يعنون بنقش الأنصاب . . فمن نوع ما كان يكتب بعد القرن الأول نصب رأيناه خارج سور الطائف في المقبرة العامة استدللنا من خطه واكتفاء ناقشيه بالآية على أنه مما كتب بين المئة الثانية والثالثة ، وأما ما كان يكتب بعد الرابعة فرأينا كثيراً منه أحدها نصب في هذه المقبرة أيضاً نقشت عليه آية الكرسي ، وفي أدناه هذا قبر يوسف ابن الحكيم رحمه الله ، وليس عليه تاريخ ، ولكن الخط جميل واضح على القاعدة الكوفية ، وثانية : نصب لم يكتب عليه شيء من أي القرآن الكريم بل اكتفى فيه بذكر الاسم والنسب والتاريخ وهو : هذا قبر يحيى بن شجاع بن يوسف بن عبدالله ابن علي بن (غير واضحة لعلها الكبير) توفي سنة تسع عشر وخمسمائة" .

كما أشار الدهلوي إلى نقش يؤرخ لوفاة والي الحجاز وشيخ الحرم السيد محمد رشدي باشا ، حيث قال [٤٤] : "وفي هذه الجهة أيضاً قبر الوزير المفخم الشرواني ، والمذكور لعله في هذا القبر المستحدث وقد توفي سنة ١٢٩١هـ ، ورأيت على قبره هذا حجراً مكتوباً فيه في الجدار الشامي قوله : يبشرهم ربهم إلى قوله مقيم ، هذا قبر المرحوم والي ولاية الحجاز وشيخ الحرم السيد محمد رشيدي باشا بن الفاضل الشيخ إسماعيل الشرفي الشرواني".

كما زار الزركلي دائرة البرق والبريد والهاتف وسجل انطباعاته عنها بقوله [٤٥] : "وزرت

دائرة البرق والبريد والهاتف فرأيت في صدرها الأعلى هذا البيت لكعب بن سعد :

ولست بمبد للرجال سريرتي ولا أنا عن أسرارهم بسؤول

فأعجبني حسن اختيار هذا البيت لذلك المكان ، ولاح لي أن في الدائرة أديباً ، ثم عرفت مديرها الشيخ عثمان بن عبد الرحيم قاضي فإذا هو ذلك الأديب" .

كما أشار المؤرخون والرحالة إلى مساجد ، ومدارس ، وكتاتيب ، وأسبلة وحمامات ، وبرك ، وأحواض ، وخلافه مما لا وجود له اليوم في الطائف .

ثالثاً : المشاريع والمواصلات والزراعة والمياه : (اللوحات أرقام ١٠-١٣) :

كان لشق الشوارع والطرق الأثر السيء على المباني ، وعلى سبيل المثال فإن كثيراً من السدود التي تهدمت من منتصفها استغل الجزء المتهدم منها في فتح الطرق الفرعية ، ومن أمثلة ذلك سد ثلبة ، وسد الدرويش ، وسد وادي السنح ، وسد وادي رحاب ..إلخ ، كما أدى فتح (الشارع) الصاعد إل الوهط إلى هدم القنطرة العثمانية التي كانت تعبر الوادي من أمام مسجد المدهون أو القنطرة ، فضلاً عن إزالة كثير من الخرزات التي كانت قائمة فوق القناة المغذية للطائف من الوهيط .

كما أزالت الطرق التي تم شقها كثيراً من النقوش الكتابية التي أشار إلى وجودها شكيب أرسلان ، حيث قال عما رآه في الطريق بين ليه والطائف (٤٦) : "وبينما كنا قافلين من وادي ليه إلى الطائف رأينا أيضاً كتابات على صخور منها كتابة ممحوة كلماتها فهمنا منها أن كان أصحاب البلاد قحط وأمطروا بعد ذلك" .

وكذلك الحال بين الطائف ووادي محرم ، حيث ذكر (٤٧) : "ورأينا كتابات في طريق الطائف إلى وادي محرم" .

وبالإضافة إلى ذلك فإن سور الطائف وبواباته هدمت وفتح مكانها شوارع وأزقة ، وطرقات ، ولم يقتصر أثر الطرق على إزالة الآثار فحسب ، بل أسهمت في تهديد المواقع الأثرية ، والنقوش والكتابات ، والرسوم الصخرية ، حيث أن اختيار مسار الطريق بجوارها أدى إلى سهولة العبث بها ، وقد شوهد ذلك في العرفاء ، والسيل الكبير ، والسيل الصغير ، وأودية ليه ، وثمالة ، وسيسد ، والمخاضة ، والقيم وغيرها .

كما أن إنشاء سد في غدير البنات أدى إلى تهديد حقيقي للنقوش الكتابية الواقعة خلف السد . أما إنشاء نفق لتصريف مياه الأمطار حتى جبرة شمال شرق الطائف فقد أدى إلى إزالة العديد من الخرزات الواقعة على القناة المغذية للطائف من الوهيط .

وإلى جانب ذلك فقد زالت العديد من النقوش الكتابية بسبب إنشاء المزارع في وادي سيسد ، والعرفاء ، سواء مزارع الدواجن ، أو مزارع إنتاج الخضروات والفواكه .

رابعاً : إنشاء الحدائق والمنتزهات : (اللوحات أرقام ١٤- ١٨) :

أدى إنشاء الحدائق والمنتزهات في المواقع الأثرية بالطائف إلى زوال ما تحتويه هذه المواقع من آثار سواء المباني أو النقوش وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن حدائق الردف التي أنشئت في منطقة تزخر بالنقوش القديمة والإسلامية المبكرة ، والتي يربو عددها على مائتي نقش ، وبعضها يحمل أسماء شخصيات معروفة في التاريخ مثل : عبد الله بن أبي محجن الثقفي ، وقد قامت البعثة الأوروبية بتصوير معظم هذه النقوش ، كما شاهدها كل من الزركلي وشكيب أرسلان ، وظلت هذه النقوش في مأمن من العبث حتى أنشئت الحدائق العامة فيها ، التي يرتادها الناس فامتدت يد العبث إليها ، حيث قام بعض المرتادين لها بكشط نقوش بأكملها بأداة حادة ، أو الكتابة عليها بالبوية ، أو بواسطة الكشط بأداة حادة ، أو القيام بإيقاد النيران لأغراض الطبخ أو التدفئة تحت الصخور المنفذة فيها هذه الكتابات ، مما ترتب عليه سقوط القشرة المنفذة فيها الكتابة.

كما أدى إنشاء الحدائق بجوار مستوطنة الوهط الأثرية إلى اختفاء كثير من شواهد القبور التي كانت في مقبرتها ، وكذلك عبث بعض المواطنين بمحتويات هذه المستوطنة الأثرية القديمة.

وقد أشار شكيب أرسلان إلى نقوش مقبرة الوهط بقوله (٤٨) : "فرأينا في طريقنا على مقربة من الوهط آثار قرية دارسة يعرف أنها كانت ذات شأن من اتساع جنباتها وشاهدنا في الجبانة قبة مهدم أعلاها ، فقصدنا إلى ذلك المكان فوجدنا مسجداً فيه قبور .. عليها كتابات بالخط الكوفي منها ما هو قديم من صدر الإسلام ، ومنها ما هو من القرن الخامس أو السادس للهجرة ، وشاهدنا من هذا الخط كتابات لم ترعيني أجمل منها في البداعة والإتقان".

كما أشار إلى نقوش الوهط أيضاً ابن بليهد ، حيث قال [٤٩] : "الوهط موضع في أعلى وادي وج ، والصحيح كما رواه البكري أنه ملك عمرو بن العاص ، ومما يؤيد ما ذهبنا إليه لما خرجنا بصحبة سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز لرؤية موضع السد الذي عزموا على إقامته، وجدنا هناك مقابر مكتوب على كل قبر اسم صاحبه ، فوجدنا هذه الأسماء (فلان بن فلان السهمي".

الخـاتمـة

أوضحت هذه الدراسة مخاطر التطور العمراني على الآثار في مدينة الطائف ، والمتمثلة فيما يلي :

أولاً : اختفاء كثير من الآثار بالهدم ، أو بتكسير الصخور المنفذ بها نقوش كتابية أو رسوم صخرية .

ثانياً : نزع كثير من النقوش من أماكنها ، وبخاصة في المقابر.

ثالثاً : إيقاد النيران بجوار الصخور أو تحتها ، والتي تحتوي على نقوش كتابية ، ورسوم ومخربشات ، مما أدى إلى تساقط القشرة المنفذة عليها الكتابة بفعل شدة حرارة النيران .

رابعاً : الكتابة على النقوش الكتابية بالبوية ، أو تسجيل الذكريات الحديثة بالكشط على النقوش القديمة .

خامساً : طمس النقوش الكتابية والرسوم الصخرية بواسطة البوية ، أو كشطها بأداة حادة .

وهكذا اتضح لنا من خلال العرض السابق عن مخاطر التطور العمراني على آثار الطائف ، وهو ما ينطبق على الآثار في جميع المدن والمناطق في المملكة العربية السعودية حجم المخاطر التي واجهتها وما تزال تواجهها الآثار من جراء التطور العمراني السريع الذي تشهده بلادنا في هذا العهد الزاهر ، مما يتطلب القيام بعدة إجراءات من بينها : تسوير المواقع الأثرية ، وعدم منح صكوك الاستحكام في الأراضي التي توجد بها آثار ، وكتابة اللوحات الثابتة بجوار المواقع الأثرية التي تنبه إلى أهمية الموقع الأثري ، وتحذر من العبث بمحتوياته ، إلزام البلديات بعدم الموافقة على المخططات السكنية إلا بعد أخذ رأي الهيئة الوطنية للآثار والمتاحف ، والتقيد التام بتوجيهاتها في حالة ما إذا كان المخطط محتوياً على آثار ، وعدم إنشاء الحدائق والمنتزهات في المواقع الأثرية ، وتعيين متخصص في الآثار على نفقة الشركة أو المؤسسة المنفذة لأحد المشاريع الواقعة في منطقة أثرية أو بالقرب منها ، والابتعاد بالمشاريع ، وبخاصة مشاريع الري والصرف ، والمواصلات قدر الإمكان عن المواقع الأثرية ، وتنظيم دوريات حراسة على هذه الموقع .

الحواشـي

١- أبو عبد الله الحافظ محمد بن إسماعيل بن علي بن أبي الصيف ، زيارة الطائف ، وهو كتاب مفقود ومن الصعوبة الحكم على المادة الأثرية فيه ، لأن ما وصلنا منه لا يتعدى نصين أوردهما الميروقي ، أحدهما عن قرية وج وشرب الرسول الكريم ﷺ من بئرها ، والآخر عن كتابه عليه السلام لثقيف . ناصر بن علي الحارثي ، موسوعة الآثار الإسلامية في محافظة الطائف ، ج٣ الآثار الإسلامية في محافظة الطائف من خلال كتابات المؤرخين والرحالة ، ط ١ (الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر ، إصدار لجنة المطبوعات باللجنة العليا للتنشيط السياحي بالطائف ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ص١٧ .

٢- أبو العباس أحمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى بن محمد بن زياد العبدري الميروقي ، **بهجة المهج في فضائل الطائف ووج** ، تحقيق إبراهيم بن محمد الزيد ، ط ١ (الطائف : د . ن ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص ص ٣٢ - ٣٧ .

٣- محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر ، مجد الدين الشيرازي الفيروزي آبادي أحد أئمة اللغة والأدب ، ألف كتابان عن الطائف هما : **أحاسن اللطائف في محاسن الطائف ، وفصل الدرة من الخرزة في فضل قرية السلامة على الخبزة** ، وهما مفقودان . محمد سعيد كمال ، **الطائف في كتب المؤرخين** ، ط ١ (مكة المكرمة : مطابع سحر، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي رقم ٩٦، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ص ص ٧٦ ، ٧٨ .

٤- أبو الفضل محب الدين محمد المدعو جار الله بن عبد العزيز بن عمرو بن محمد بن فهد الهاشمي ، **تحفة الطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف** ، تعليق ومراجعة محمد سعيد كمال ومحمد منصور الشقحاء ، ط١ (الطائف : مطابع الحارثي ، إصدار نادي الطائف الأدبي ، د . ت) ، ص ص ٣٣-٨١ ، ١٣٩-١٦٤ .

٥- سعد الدين ، وقيل : نور الدين ، وقيل : علاء الدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الكناني ، **نشر اللطائف في قطر الطائف** ، تحقيق عثمان الصيني ، ط١ (الطائف : المطبعة الأهلية للأوفست ، إصدار نادي الطائف الأدبي ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص ص ٨٢- ٨٥ .

٦- عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي ، **عقود اللطائف في محاسن الطائف** ، مخطوطة

ناقصة محفوظة في مكتبة الحرم الملكي الشريف برقم ٢٢ تاريخ دهلوي ، وقد خصص الفصل الخامس من الباب الأول للآثار بعنوان : فيما يتعلق بمسجده الكبير- يقصد مسجد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - من عمارة معمر وآثار مباركة ، ولم يزد فيه على ما ذكره من سبقه من مؤرخي الطائف إلا نزراً يسيراً . الحارثي ، موسوعة ، ج٣ ، ص ١٨ .

٧- محمد بن علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي ، **الطيف الطائف بتاريخ وج والطائف** ، نسخة مخطوطة بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم ١٣٠ تاريخ دهلوي في ٤٨ ورقة ، وقد تحدث فيما لا يتجاوز ثلاث ورقات عن آثار الطائف ، وأورد نصوصاً جديدة . الحارثي ، موسوعة ، ج٣ ، ص ١٨ ,

٨- حسن بن علي بن يحيى بن عمر بن أحمد بن محمد بن احمد بن جمال الدين محمد بن عبد الماجد الحنفي الملكي ، **إهداء اللطائف من أخبار الطائف** ، تحقيق يحيى محمود جنيد ساعاتي ، ط٢ (الطائف : دار ثقيف للنشر والتأليف ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ص ص ٥٩- ٩٦ .

٩- محمد بن عبد الكريم القنوي ، **رسالة في فضائل عبد الله بن العباس وفضائل الطائف،** كانت ضمن مخطوطات المكتبة الماجدية التي ألت إلى مكتبة الحرم المكي الشريف ، ونسخة أخرى في دار الكتب المصرية ، كمال ، الطائف ، ص١٤٦ .

١٠- عبد الحفيظ بن الشيخ بن محمد القاري الفتني الإدريسي ، رسالة مختصرة جداً مفيدة كأنها زبدة ملتقطة من أربعة تواريخ ، مخطوطة محفوظة في مكتبة الحرم المكي الشريف ، وقد تحدث القاري في هذه الرسالة عن سبب تسمية الطائف ، وأورد الأحاديث النبوية المتصلة بها ، وحصار الرسول ﷺ للطائف ، وأسماء المدفونين في المسجد من رجالات السياسة الذين توفوا في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ، وأوائل الرابع عشر ، ثم تحدث عن الآثار التي تتصل بأحداث الفترة الإسلامية المبكرة ، كما انفرد بإيراد أسماء مساجد جديدة بنيت في الطائف على الأرجح أو في زمنه . الحارثي ، موسوعة ، ج٣ ، ص١٩ .

١١- أحمد بن محمد الحضراوي المكي الهاشمي ، **اللطائف في تاريخ الطائف** ، مخطوطة بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم ٣٣ تاريخ ، وقد تحدث في البابين الرابع والخامس ،

وكذلك الباب السادس عن الآثار الإسلامية في الطائف ، الحارثي ، موسوعة ، ج٣ ، ص٢٠ .

١٢- عبد الله بن بكر بن عبد الله بن الشيخ بكر بن علي بن عبد الحفيظ بن كمال بن محمد بن فاضل بن كمال النمري الثقفي ، ألف كتاباً في تاريخ الطائف ، ولكنه فقد من أسرته عام ١٣٤٣هـ ، كمال ، الطائف ، ص, ١٥٧

١٣- أبو الفيض وأبو الإسعاد عبد الستار بن عبد الوهاب بن خدايا بن عظيم حسين يار المباركشاهوي البكري الصديقي الحنفي الدهلوي ، **ملحقات وإضافات مفيدة على كتاب العجيمي** . وفيما يخص تعليقات الدهلوي على بعض الآثار الإسلامية في الطائف فقد شاهد نصوصاً كتابية لتجديدات تمت في مسجد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وشواهد وقبور أورد نصوصها ، كما قام بتعيين بعض المواقع الأثرية ، ووصف مسجد الهادي في زمنه وصفاً علمياً . الحارثي ، موسوعة ، ج٣ ، ص, ٢٠

١٤- أبو معين الدين ناصر بن خسرو بن حارث القبادياني المروزي ، سفر نامة : **رحلة ناصر خسرو القبادياني** ، ترجمة وتقديم أحمد خالد البدلي ، ط١ (الرياض : عمادة شئون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص, ١٦٢

١٥- أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي العياشي ، **ماء الموائد ، أو الرحلة العياشية** ، وضع فهارسها محمد حجي ، ط١ (الرباط ، د . م ، ١٩٧٧م) .

١٦- العباس بن علي بن نور الدين بن أبي الحسن المكي الحسيني الموسوي ، **نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس** ، ج٢ (الطائف : مكتبة المعارف ، د . ت) ، ص ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

١٧- Johan ludwing Burchardt, Travels in Arabia, Frank Gass: Co. ltd, (1968). PP. 67,84-85.

١٨ - موريس تاميزية ، **رحلة في بلاد العرب ، الحملة المصرية على عسير ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م** ، ترجمة وعلق عليه محمد بن عبد الله آل زلفه ، ط ١ (الرياض : مطابع الشريف ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص ص ٦١-٦٣ ، ٧٣-٧٧ .

١٩- Charles Montague Doughyty, Travels in Arabia Deserta, (Gloucester Mass. Peter smith, 1968) P. P. 330- 335.

٢٠ - أيوب صبري ، **مرآة جزيرة العرب** ، الجزء الأول ، ترجمة وتقديم وتعليق أحمد فؤاد

متولي والصفصافي أحمد المرسي ، ط١ ، (الرياض : دار الرياض للنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص ص ٨٠-٨٤ .

٢١- محمد صادق باشا ، **دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج** ، ط١ ، (القاهرة : المطبعة الكبرى الأميرية ، ١٣١٣هـ) ص ص ٨٠-٨١ .

٢٢- شكيب بن حمد بن حسن بن يونس أرسلان ، **الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف** ، صححه وعلق عليه عبد الرزاق محمد سعيد كمال ، (الطائف : مكتبة المعارف ، سلسلة المكتبة الكمالية رقم ٣١ د . ت) ، ص ص ١٥٠-٢٥٨) .

٢٣- خير الدين بن حمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ، **ما رأيت وما سمعت** ، تقديم وتعليق عبد الرزاق كمال (الطائف : مكتبة المعارف ، سلسلة المكتبة الكمالية، رقم ٣٣ ، د . ت) ، ص ص ٩٢ - ٩٨ .

٢٤- محمد حسين سالم هيكل ، **في منزل الوحي** ، ط٤ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧م) ، ص ص ٣٢٢- ٤٠٢ .

٢٥- محمد بن عبد الله بن بليهد ، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار** ، ج٣ ، ط٢ (د . م : د . ن ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ، ص ١٠٦ .

٢٦- Grohmann (A), Expedition philphy- Rychmans- Lippens En arabie, lie partie Textes Epigraph iques, tom. 1, Arabic Inscription (Louvain Leuven, 1962), PP 1-97.

٢٧ - الزركلي ، ما رأيت ، ص ص ١٢٤- ١٢٨ .

٢٨- شرف بن عبد المحسن البركاتي ، **الرحلة اليمانية لصاحب الدولة أمير مكة المكرمة الشريف حسين باشا وأعماله في محاربة الإدريسي مع جغرافية البلاد العربي وأسماء قبائلها** ، ط٢ (الطائف ، مكتبة المعارف ، د . ت) ، ص ص ٩٠- ١٠٢ .

٢٩- ناصر بن علي الحارثي ، **موسوعة الآثار الإسلامية في محافظة الطائف** ، ج١ ، مدخل إلى الآثار الإسلامية في محافظة الطائف ، ط١ ، (الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ص, ١٩

٣٠- حمد زيد الزيد ، **التحضر في مدينة الطائف ١٣٦٧- ١٤٠٧هـ / ١٩٤٨- ١٩٨٧م** ، ط١ (الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤١٧هـ) ص, ٨٧

٣١- جاكلين بيرين ، **إكتشاف جزيرة العرب خمسة قرون من المغامرة والعلم** ، نقله إلى العربية قدري قلعجي ، وقدم له حمد الجاسر ، ط١ (بيروت : دار الكتاب العربي ، د.ت) ، ص ٢٦٢ .

٣٢- Grohmann (A), Expedition, PP. 4-40,zz 4- 30.

٣٣ - الزركلي ، ما رأيت ، ص ص ٩٦ ، ٩٧ .

٣٤- الزركلي ، ما رأيت ، ص ٩٧ .

٣٥- أرسلان ، الارتسامات ، ص ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

٣٦- أرسلان ، الارتسامات ، ص ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

٣٧- أرسلان ، الارتسامات ، ص ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

٣٨- تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي ، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ، ج ١ حققه ووضع فهارسه عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، (بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥) ، ص ١٤٥ .

٣٩- ابن علان ، طيف ورقة ٦٣ .

٤٠- ابن فهد ، تحفة ، ص ١٤١ .

٤١- ابن فهد ، تحفة ، ص ١٤١ .

٤٢- الحضراوي ، اللطائف ، ورقة ٥٣ .

٤٣- الزركلي ، ما رأيت ، ص ص ٩٤ ، ٩٥ .

٤٤- العجيمي ، إهداء ، ص ٩٦ .

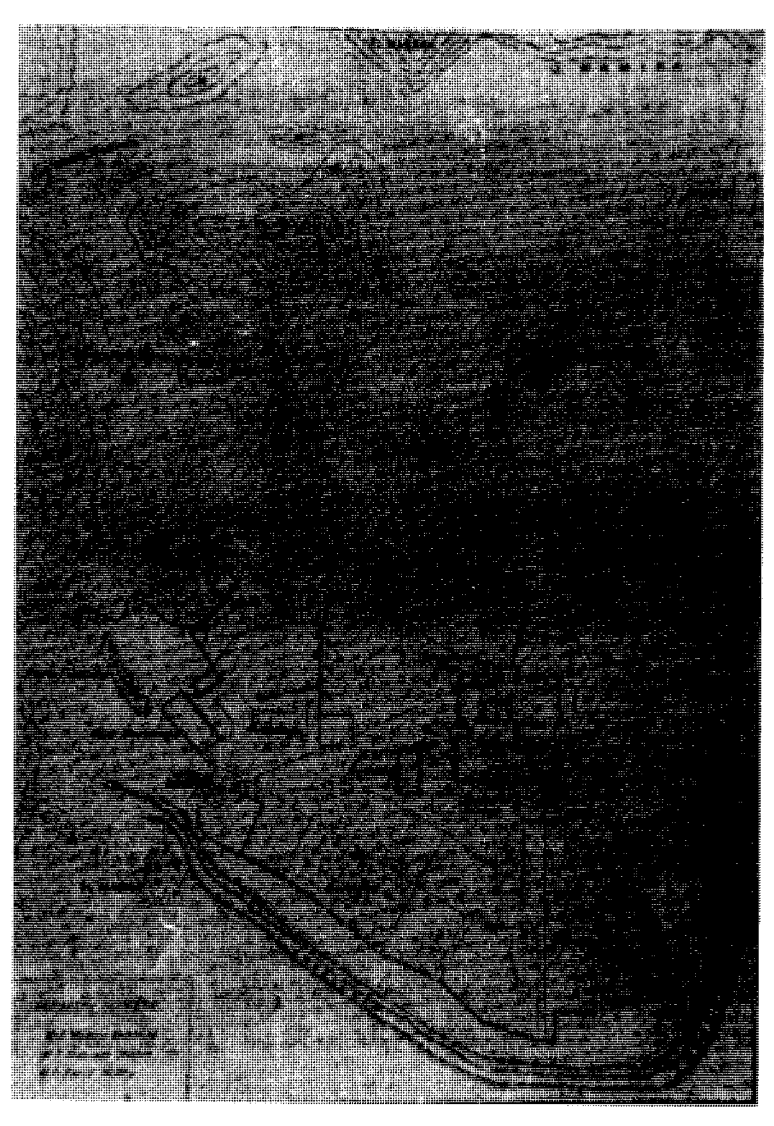
٤٥- الزركلي ، ما رأيت ، ص ١١٩ .

٤٦- أرسلان ، الارتسامات ، ص ٢٦٣ .

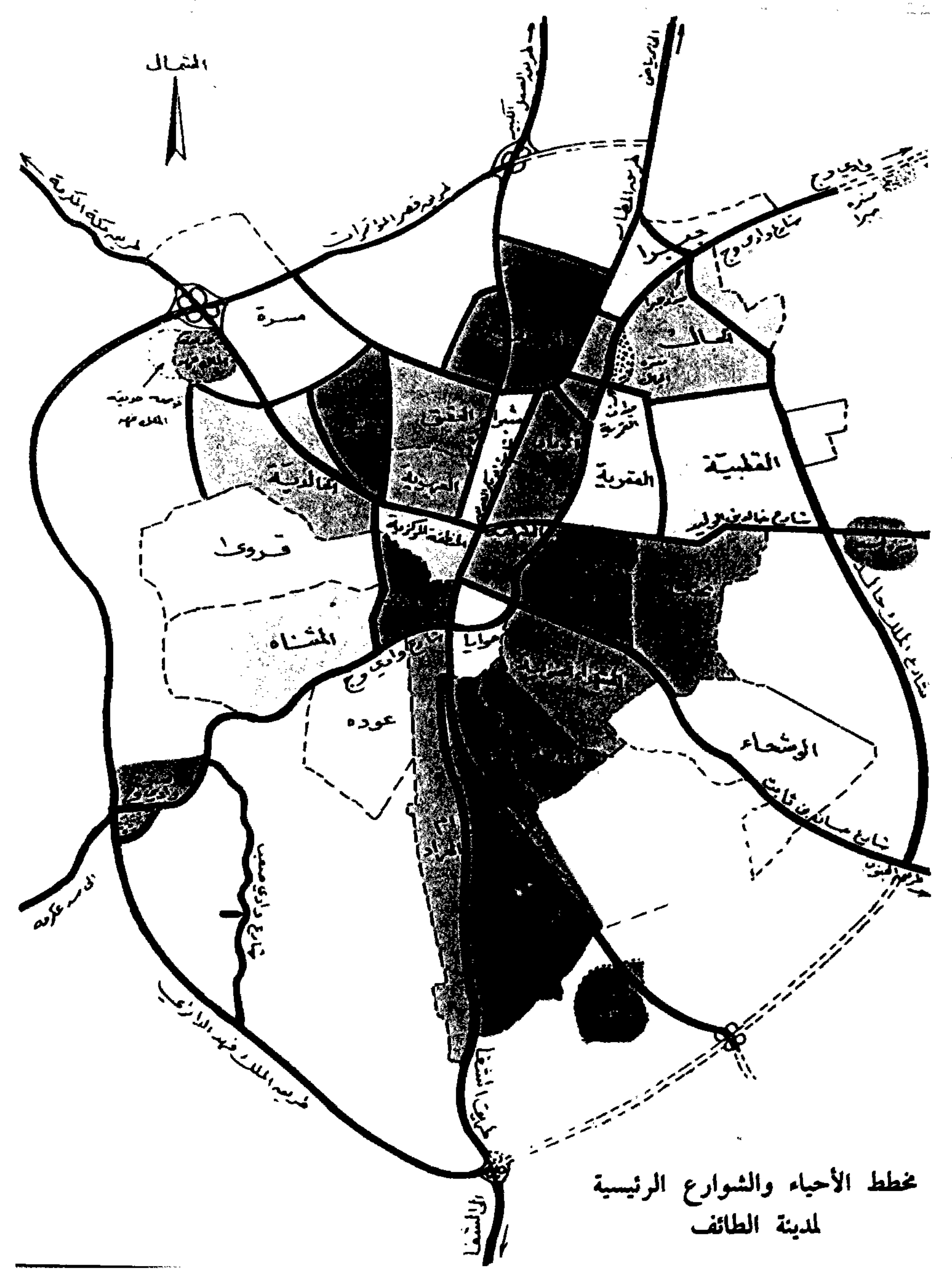
٤٧- أرسلان ، الارتسامات ، ص ٢٠١ .

٤٨- أرسلان ، الارتسامات ، ص ٢٠١ .

٤٩- ابن بليهد ، صحيح ، ج٣ ، ص١٠٦ .



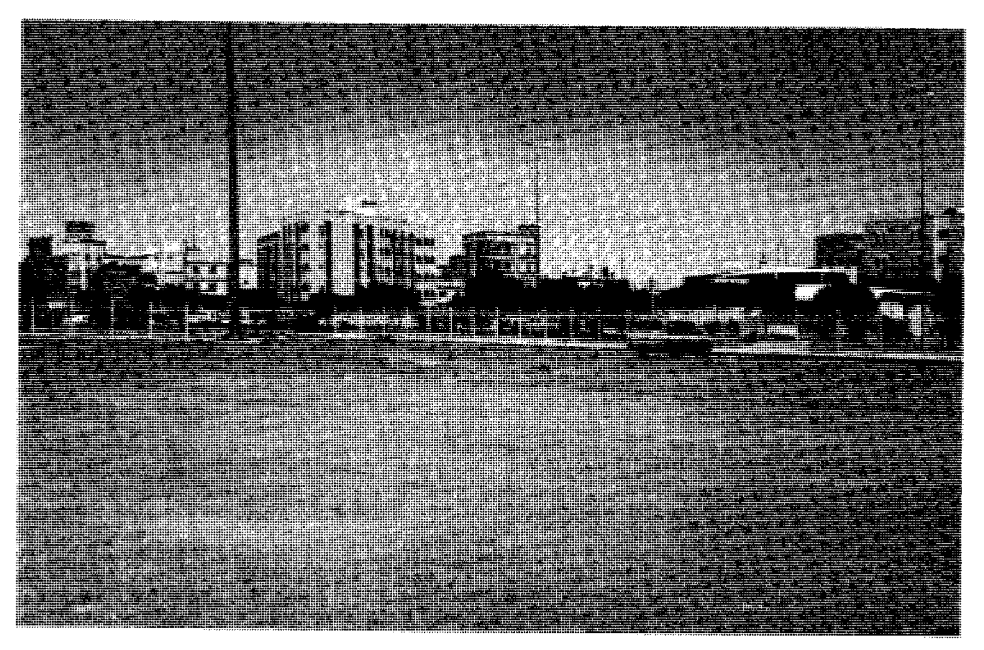
لوحة رقم (١) : خريطة الطائف في أواخر العصر العثماني نقلاً عن : صالح بن غازي الجودي ، الطائف بين الموروثات والمستجدات ، ط ١ (الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ص ٣٠ .



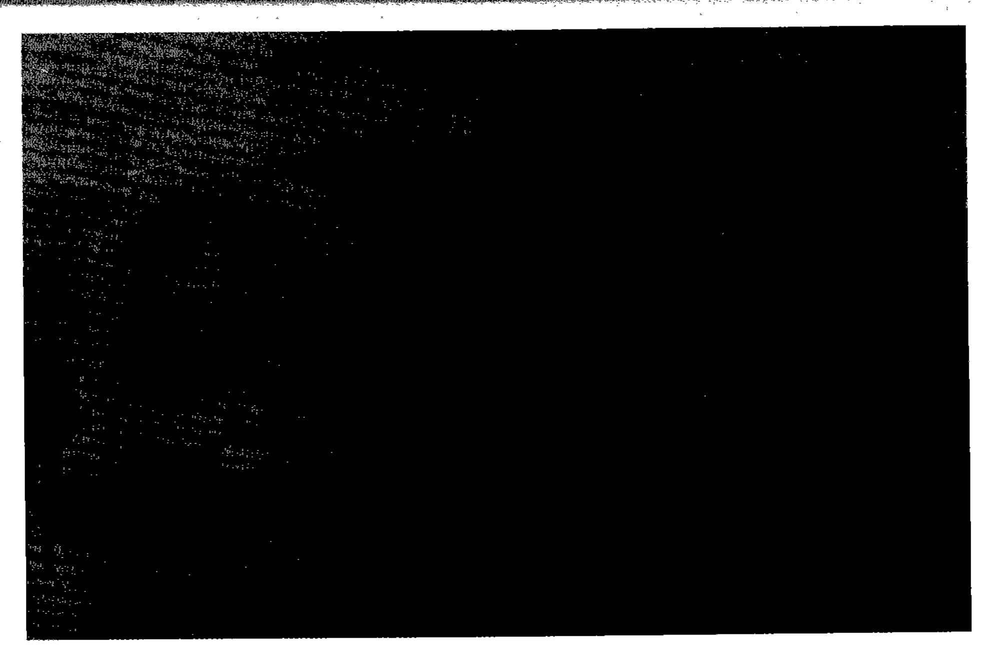
لوحة رقم (٢) : خريطة الطائف بعد الامتداد العمراني الذي شهدته في العقود الأخيرة ، نقلاً عن : الطائف مكروس في ألف حديثة ، إصدار وكالة الزهوان بالتعاون مع اللجنة العليا للتنشيط السياحي بإمارة الطائف، ص ٦٨



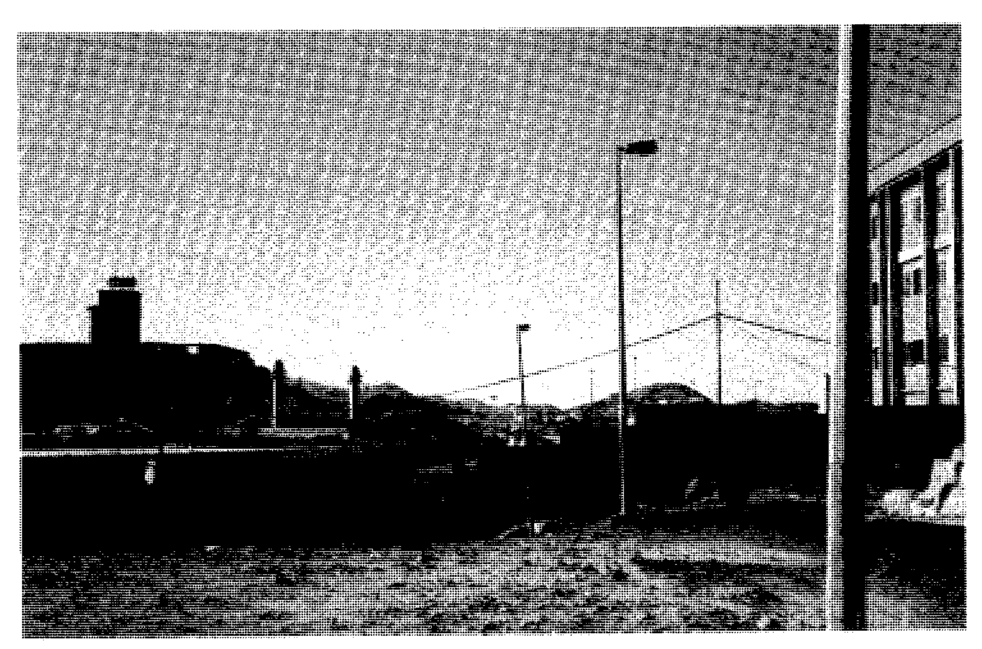
لوحة رقم (٣) : منظر عام للجزء الجنوبي والشرقي من سور الطائف ، ويلاحظ خلف البرج حمّام الشفا الذي أزيل مؤخراً ، نقلاً عن : الحارثي ، مدخل ، ص ١١٢ .



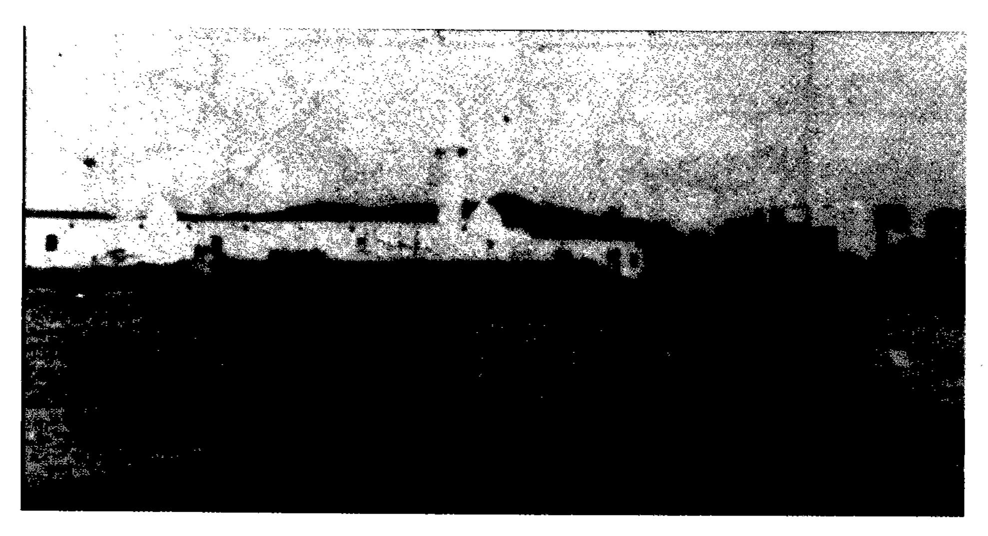
لوحة رقم (٤) : منظر عام لموقع السور المشار إليه بعد هدمه



لوحة رقم (٥) : منظر عام لقلعة باب الريع قبل إزالتها ، نقلاً عن : الجودي ، الطائف ، ص ١٣٧



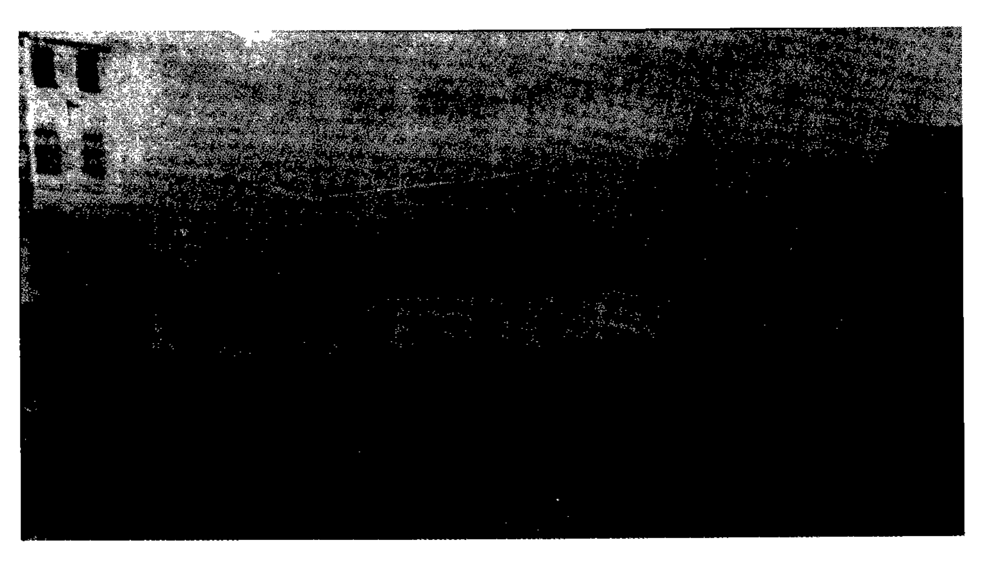
لوحة رقم (٦) : منظر عام لموقع القلعة بعد هدمها



لوحة رقم (٧) : منظر عام لجامع عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قبل تجديده ، نقلاً عن : الجودي ، الطائف ، ص ٢٥ .



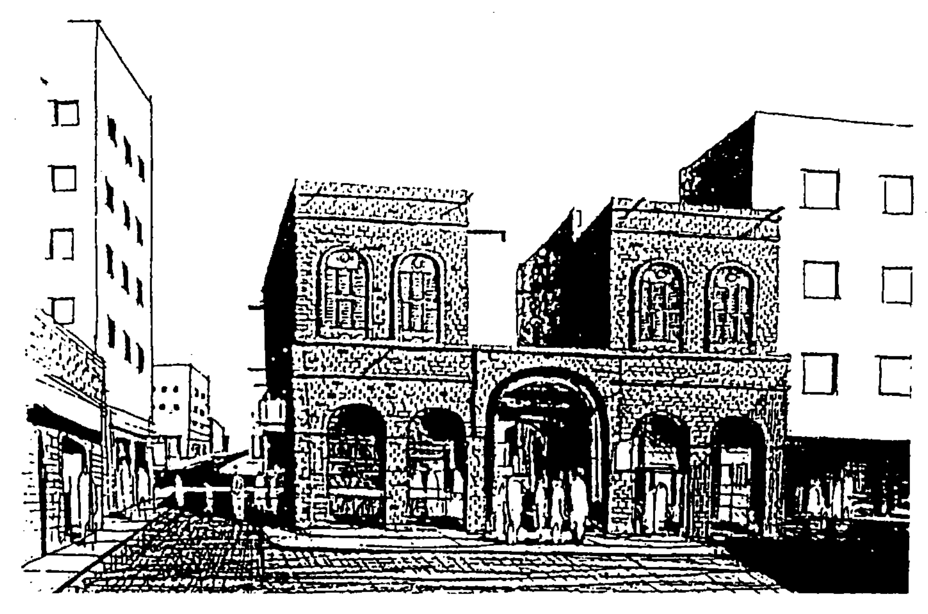
لوحة رقم (٨) : منظر عام لجامع عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بعد تجديده وتمهيد المنطقة التي حوله ، وفتح الشوارع الرئيسية فيها .



لوحة رقم (٩) : منظر عام لجامع الهادي قبل تجديده ، نقلاً عن : الحارثي ، مدخل ، ص ١٠٤ .



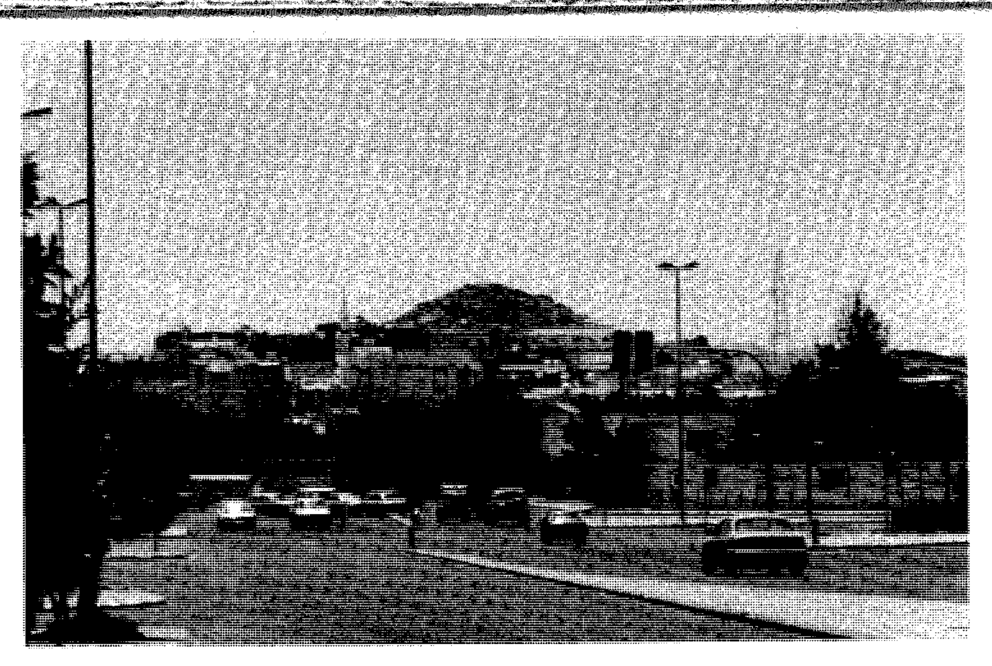
لوحة رقم (١٠) : منظر عام لبرج غلفة وجزءاً من سور الطائف غربي جامع عبدالله بن عباس رضي الله عنهما .



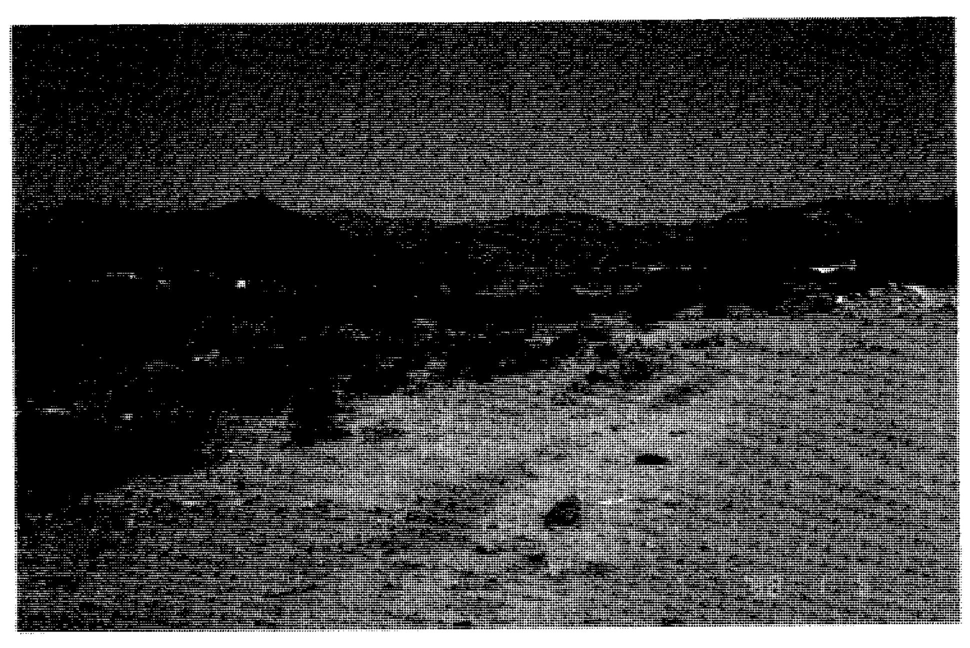
لوحة رقم (١١) : منظر عام لخان الملطاني قبل هدمه ، نقلاً عن : حمد الزيد ، التحضر في مدينة الطائف ، ط١ (الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤١٧هـ) ، ص ٩٤ .



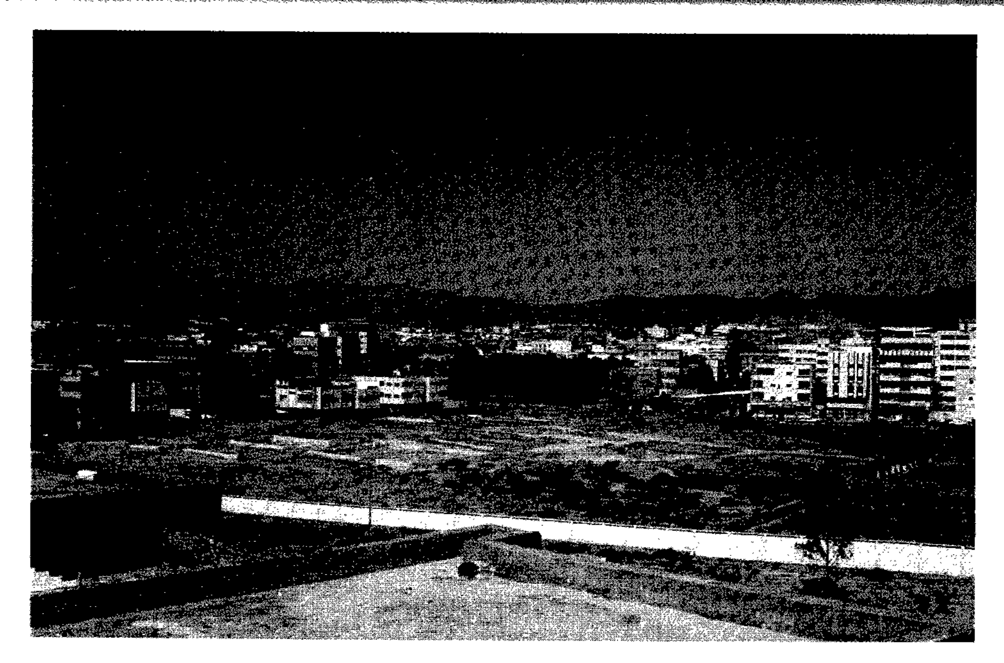
لوحة رقم (١٢) : منظر عام لخان الملطاني بعد هدمه وإقامة مبنى حديث في موضعه .



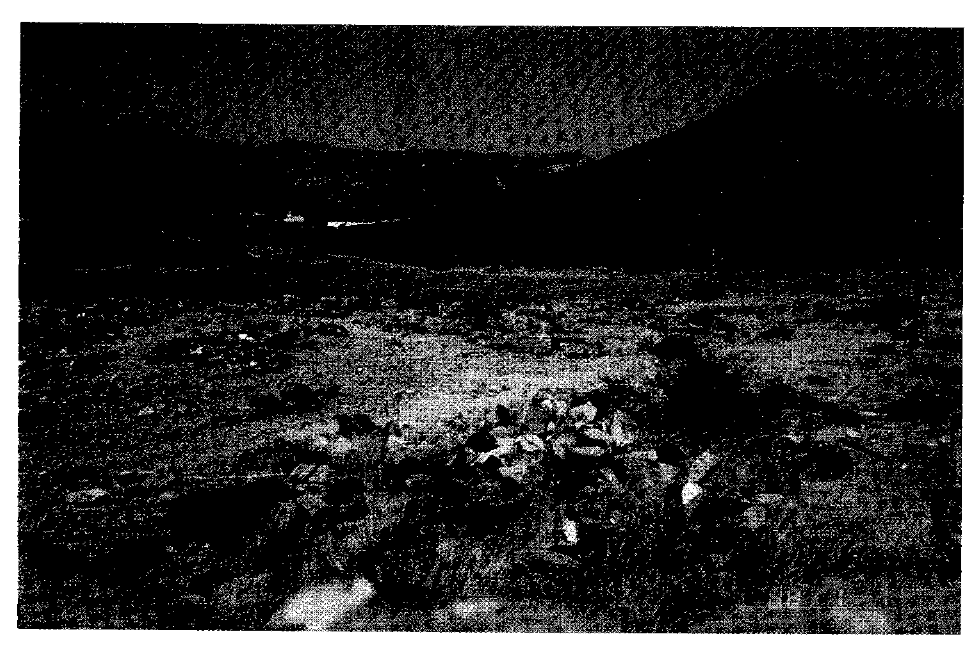
لوحة رقم (١٣) : منظر عام لجبل السكارى .



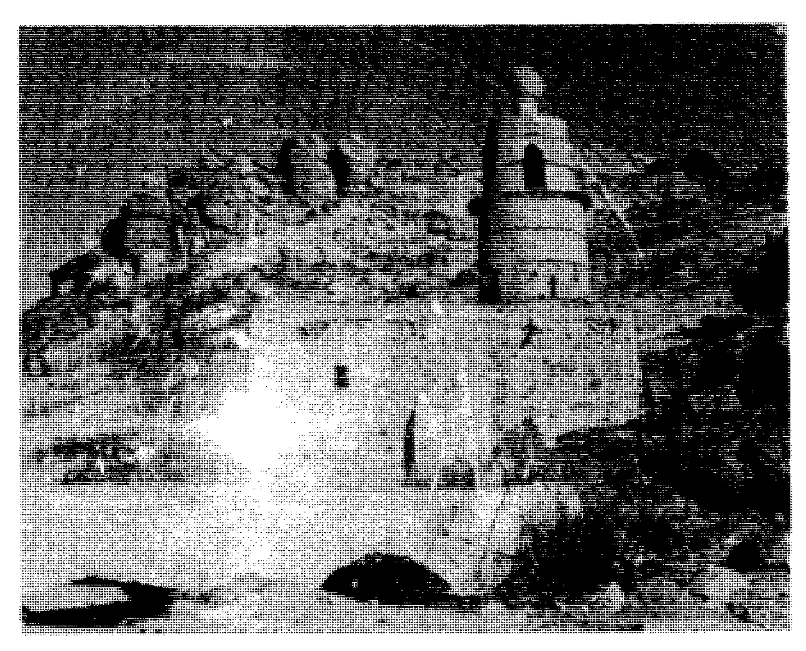
لوحة رقم (١٤) : منظر عام للوهط .



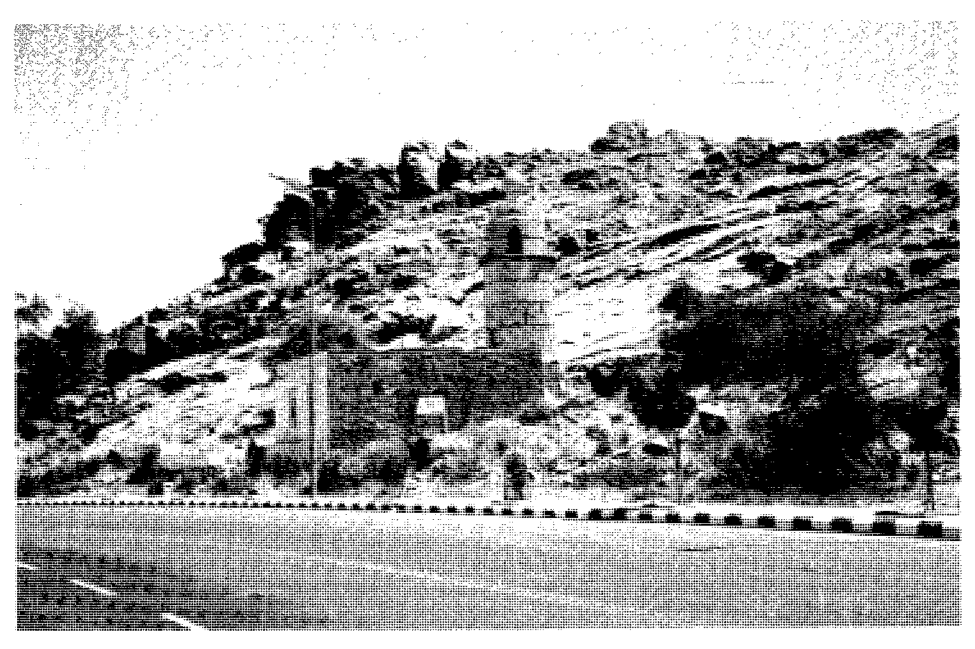
لوحة رقم (١٥) : منظر عام لمقبرة الطائف .



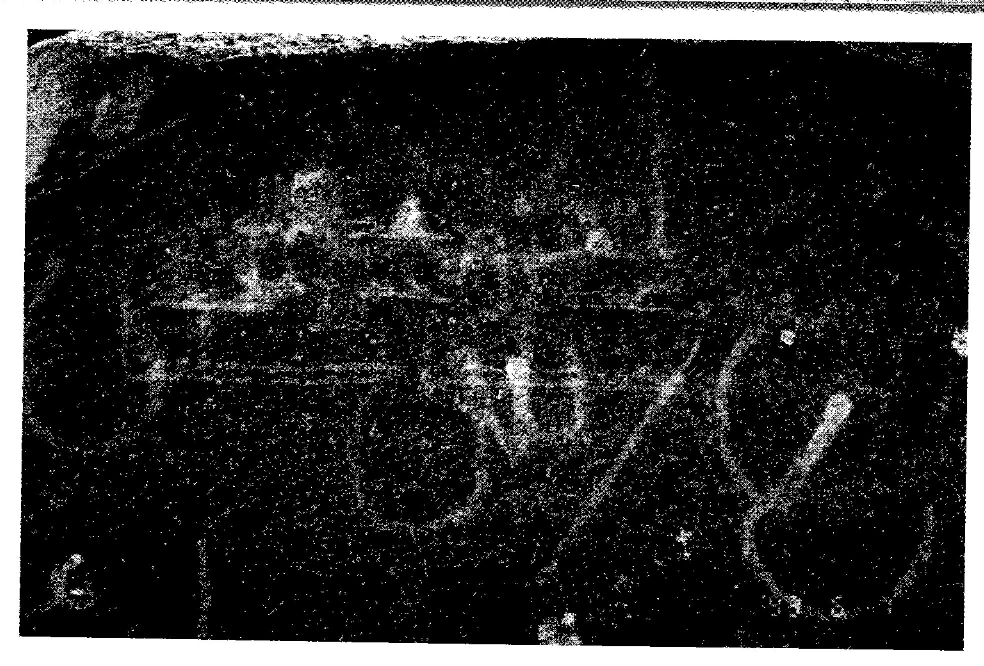
لوحة رقم (١٦) : منظر عام لمقبرة الوهـط .



لوحة رقم (١٧) : منظر عام للقنطرة التي كانت أمام مسجد المدهون ، نقلاً عن : الحارثي ، مدخل ، ص ١٠٦ .



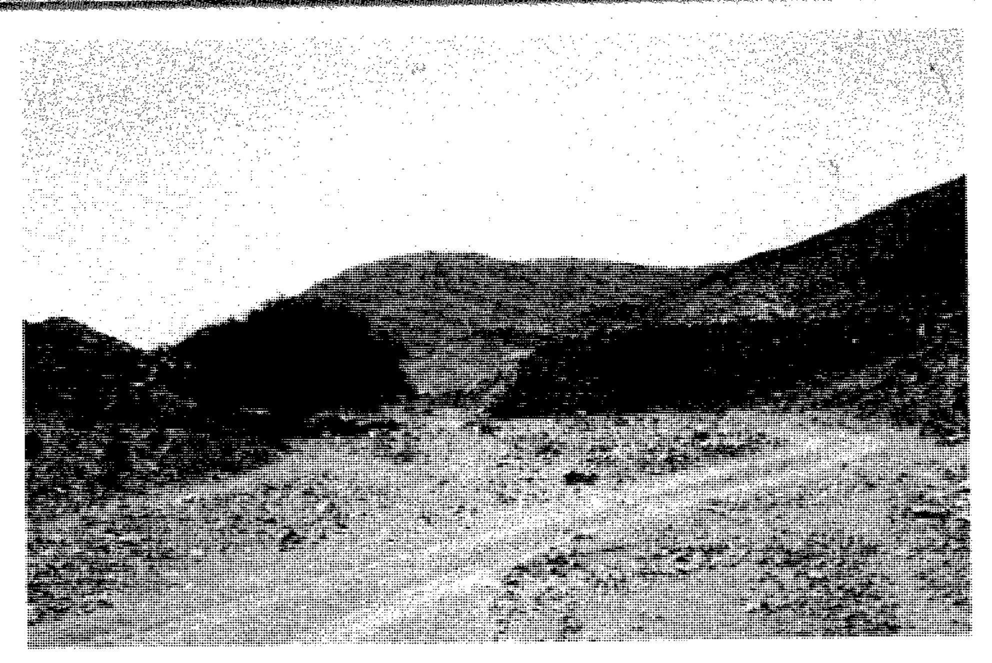
لوحة رقم (١٨) : منظر عام لموضع القنطرة بعد هدمها وفتح شارع مكانها .



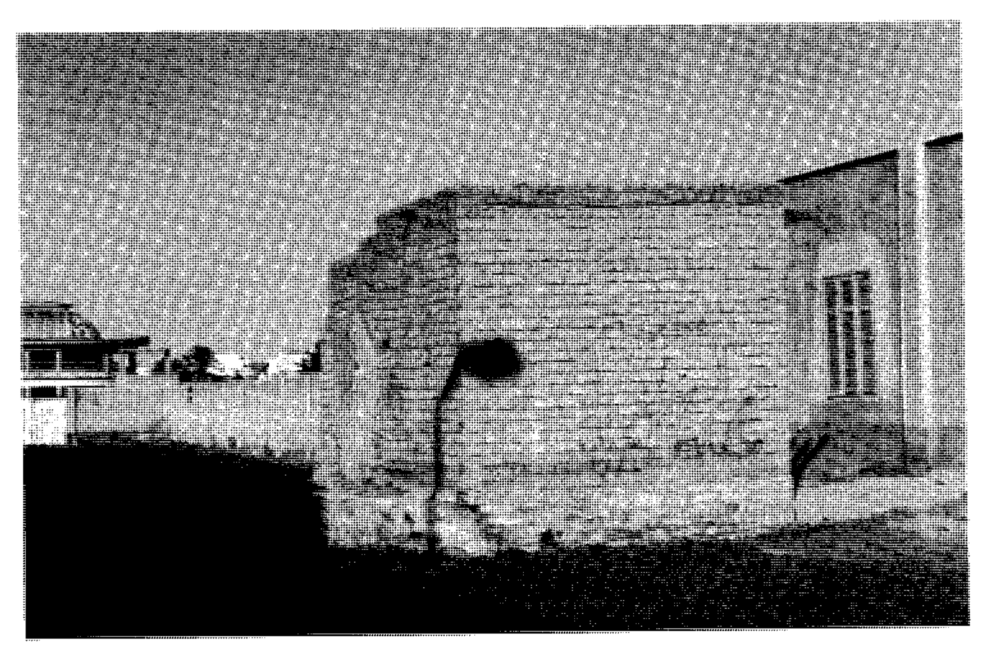
لوحة رقم (١٩) : منظر عام لأحد النقوش بعد رشه بالبويه .



لوحة رقم (٢٠) : منظر عام لأحد النقوش بعد كشط كلماته بآلة حادة .



لوحة رقم (٢١) : منظر عام لأحد السدود الأثرية بعد هدمه وفتح طريق مرور عبره .



لوحة رقم (٢٢) : منظر عام لأحد الآبار بعد هدم مبناها والبناء عليها بالطوب .

المحافظة على الآثار والحياة الفطرية في الأدب الشعبي

د . مسلم بن دخيل الشامان (*)

مقدمة :

لما كان علم الآثار يعنى بدراسة آثار ومخلفات تاريخ الحضارة منذ عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية وعصور ما قبل الإسلام والعصور الإسلامية ، ويحدد السمات الجغرافية والظروف التاريخية ، والامتدادات البشرية والحضارية وامتزاجاتها وتأثيراتها على العالم القديم وفق التسلسل التاريخي فقد كان ذلك أحد أهم مصادر التعرف على طبيعة الحياة الفطرية الحيوانية والنباتية وسائر مكونات البيئة الطبيعية ومواردها الحيوية وذلك من خلال معطيات المخلفات الأثرية المادية والفنية والتماثيل النقوش الرسوم والزخارف والنصوص والأدوات المختلفة والأواني والحلي والأحجار الكريمة والمسكوكات المعدنية ... وغير ذلك ، كل هذا يحكي حضارة العصور المتعددة مما يمكننا من دراسته واستخراج واستنتاج نمط الحياة الفطرية في كل عصر من هذه العصور .

وعليه فإن النقوش الأثرية خاصة ذات الرسوم التي توضح ضروب الحياة الفطرية الحيوانية والنباتية تمكننا من التعرف على أشكال وأنواع الحياة الفطرية التي كانت سائدة مما يمهد الطريق للتعرف على نمط الحياة والبيئة المحيطة ، وهذا بدوره يساعد في التوصل إلى وضع الحلول المناسبة لإعادة البيئة إلى وضعها الطبيعي بعد التعرف على أسباب الانقراض بعض أنواع الأحياء الفطرية ، وزوال بعض أنواع الغطاء النباتي والشجري . ومن ثم يمكن التعرف على أفضل أساليب وتقنيات صيانة الآثار للمحافظة عليها . كما تمكن هذه النقوش والرسوم الباحث من دراسة التحولات المناخية والديموغرافية التي تؤثر على الحياة سلباً وإيجاباً .

« لقد انتشرت أعمال النقش على الصخر انتشاراً واسعاً في الجزيرة العربية خلال العصور القديمة ، ويمكن العثور على نماذجها في كافة المناطق تقريباً وحيثما تقدم التشكيلات

(*) عضو مجلس الشورى .

الجيولوجية سطوحاً من الحجر مناسبة للرسم أو للكتابة ، وفي الغالب تتألف هذه السطوح من الحجر الرملي » .

« ولقد لوحظ أن مواضيع النقوش الصخرية تتضمن رسوماً لحيوانات مستأنسة ووحشية ومخلوقات بشرية ونباتات وأشكال هندسية ، وفي كثير من الحالات يتألف الموضوع المرسوم من منظر بانورامي يعرض على سبيل المثال مشاهد من حياة الصيد والمعارك » .

ومن الدلالات التي تستنتج من دراسة حفريات العصر الحجري القديم أن منطقة شبه الجزيرة العربية كانت منطقة كثافة شجرية وغابات مما يدل على أن المناخ كان مطيراً والبيئة الطبيعية كانت غنية ، وكذلك الكثافة النباتية فقد عثر على بقايا حيوانية مثل وحيد القرن والحمر الوحشية التي تنتمي إلى العصر الموستيري .

وحقيقة أن كثيراً من أنواع الحيوانات والنباتات التي انقرضت أو التي أصبحت نادرة في الجزيرة العربية كانت موجودة بكثافة ، فهنا نقوش تمثل الثيران البرية والأسود والخنازير البرية ، وهي نقوش ضاربة في القدم .

وفي منطقة (جبة) عثر على نقوش برسوم الأبقار ذات القرون الطويلة ، كما ظهرت في النقوش في ذات المنطقة فصائل متنوعة من الحيوانات تشمل الجياد والوعل ومجموعات مختلفة من فصائل الغنم والغزال وكذلك القطط والنمور في حالات الصيد بمطاردة الكلاب ، وليس هناك ما يشير إلى أن الأبقار والجياد كانت مستأنسة في ذلك الزمان خلال العصور التاريخية القديمة .

كما أن هناك نماذج رسوم الصيد والرعي من رسوم فترة ماقبل الميلاد تؤكد أماكن الصيد ، حيث شوهدت رسوم الأبقار طويلة القرون ورسوم لحيوانات أخرى مثل الجمل ، البقر الوحشي ، وحمار الوحشي ، وأغنام مفلطحة الذيل ، والغزلان .

كما يوجد في المنطقة التي تقع في النصف الغربي من الجزيرة العربية والتي تنسب إلى عصر الهولوسين الرطبة في الجزيرة العربية نقوش تجسد أسلوب الصيادين الأوائل في ذلك العصر المبكر بأسلوب الرسم الغائر جداً الذي استخدم على نطاق واسع وهو يجسد الحيوانات الفطرية مثل الوعل ، الغزال ، الثور الوحشي . وقد عثر على هذا الأسلوب في

موقعين في مرتفعات عسير شمالي أبها مباشرة ، وفي موقعي بني رازم والفيه ، يوجد رسمان فرديان لحيوانين مثل الوعل والثور . وكذلك بموقع بجنوب الظهران الجنوبي بمنطقة عسير عثر على رسوم مركبة محفورة على لوح من الحجر ترجع لنفس الأسلوب . كذلك وعثر على رسومات منها ثلاثة أشكال لأبقار ذات قرون طويلة ، وعدد من أشكال حاملي العصي بالقرب من الباحة .

أما النقوش والكتابات الصخرية الخاصة بفترة العصر الإسلامي بصفة أساسية ، تضم رسوماً لراكبي الجمال وهم يستعملون رماحهم لصيد النعام .

ومهما يكن من أمر فإن دراسة الآثار للتعرف على أنواع الحياة الفطرية في العصور المتنوعة علاقة لصيقة . بين دراسة الآثار ودراسة أنماط الحياة الفطرية قاسم مشترك يتمثل في أن كلا الأمرين يعني بمكونات البيئة سواء كانت تاريخية أو معاصرة أو مستقبلية وفي دراسة البيئة من منظور آثاري تكمن أثار جمة من المعرفة والمتعة والطرافة كما هي الحال في دراسة الشعر وما فيه من صور جمالية توضح حياة البادية وما فيها من أنواع الحياة الفطرية الجميلة .

ولا شك أن وجود لمسات حديثة بجانب الآثار يفسد الأثر الذي تحدثه في النفس ، كما يفسد جو التأمل واستجلاء العبرة من الأثر فبقاء الآثار وما حولها على حالته الطبيعية يخدم القيمة الحضارية المستهدفة من المحافظة على هذه الآثار .

لقد وقف الشعراء على الآثار والأطلال والدمن يذكرون الماضي بأرق عبارة وأدق إشارة مما يدل على عظم شأن الآثار في نفوس هؤلاء الشعراء ، والشعر في أصله ينبع من الإحساس الشفيف والروح اللطيفة ، وحقيق بمن تغنى بالآثار والأطلال أن يحافظ عليها ويدعم بقاءها وفي ذلك دلالة على العلاقة ما بين الشعر والحياة الفطرية والآثار الخالدة .

وثمة ملاحظة أخرى وهي أن الحفاظ على الآثار يتم من خلال المحافظة على البيئة المحيطة بها ، لأن إزالة الغطاء النباتي يساعد من عمليات التعرية . كما أن تجريف التربة يخلخل بنية الآثار التحتية . وكذلك زحف الإنشاءات الصناعية والزراعية يؤثر على الموارد الطبيعية فإنها تؤثر بالضرورة على تماسك الآثار عليها ، كذلك نقص الرطوبة في التربة ، والمطلوب هو التنمية المتوازنة لا تلك التي تقوم على حساب التاريخ والحضارة والبيئة الطبيعية.

البيئة الطبيعية المحيطة بالآثار كالجبال والأشجار والوديان وحتى الحيوان هي جزء من هذه الآثار الطبيعية هي كالآثار التي صنعها البشر من ناحية الأهمية التاريخية والحضارية كما أن الإبقاء على البيئة الطبيعية المحيطة بالآثار يعطي الصورة الحقيقة لوضعية الآثار من الناحية الدلالية والإيحاء الواقعي .

الطبيعة والشعر الشعبي في العصر الجاهلي :

خص شعراء الجاهلية وشعرهم أساس للشعر العربي عامة الطبيعة بجزء كبير من أشعارهم سواء الطبيعية الحية أو الصامتة لأن أشعارهم جاءت تعبيراً ورمزاً لأوضاعهم النفسية التي يحسون بها في بيئاتهم المختلفة .

وشعر الوقوف بالأطلال في معناة العام لبيئة الحبيبة الراحلة والديار القديمة ووصف رحلات الصيد وما فيها من وصف لمظاهر الطبيعة هي من أجمل ما خلد الشعر العربي في تراثنا القديم ولو تمعّنّا قليلا لوجدنا أن في الشعر العربي بجانب فروعه المعروفة من ذكر للفخر والحماسة والغزل والوصف جانباً آخر لا يقل أهميةً وروعة وهو شعر الطبيعة وفي ذلك يقول الدكتور محمد حسين هيكل " البيئة الطبيعية هي الملهم الأول لكل كاتب وكل شاعر بل هي الملهم لكل فن من الفنون وكذلك لا تزال ولن تزال ، فهذا الراعي الذي يهش على غنمه في الصحراء أو في المراعي الخضراء ، أو على حافة الغدران يجد من تقلب الليل والنهار والشمس والقمر ومن أصوات الوحش والطير ومن شميم النبات والزهر ما يحرك أصابعه على قيثارته أو يحركه إلى الغناء بوحي من هذه البيئة المحيطة به" . وفي هذا المعنى أيضاً يقول الفنان الإيطالي ليونارد دافنشي (الطبيعة معلمة المعلمين جميعاً) ، ونلاحظ عندما تستعرض ذكر أشعار الطبيعة أن هناك الكثير منه مبعثراً هنا وهناك في كثير من الدواوين وقصائد الشعر الشعبي .

البيئة والحياة الفطرية في الشعر القديم :

إن ارتباط الشاعر العربي ببيئة هو الذي حدد منهجه في النظر إلى مكونات هذه البيئة ، فالشعراء الذين أبدعوا في وصف الطبيعة إنما كان إبداعهم عن تذوق ومحبة وعلاقة عضوية حميمة بهذه الطبيعة .

فتجد الشاعر إذا أراد نعت الناقة توسل إلى وصفها بصفة البقر الوحشي وإذا وصف صدود محبوبته ذكر الغزال الشارد . وإذا وصف البطولة والفحولة اعتمد الأسد الهزبر نموذجاً . وإذا ذكر العدو الجبان اتخذ الظليم له نموذجاً .

فالنماذج كلها مرتبطة بالبيئة المحيطة بالشاعر .

البيئة والحياة الفطرية في الشعر الشعبي المعاصر :

تتغير مشاعر وأحاسيس الناس تبعاً لتغير المؤثرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وبالطبع يميل الإنسان دائماً لتخليد ذلك في تراثه ويميل الشعراء الشعبيين المعاصرين اليوم إلى التعبير عن القضايا المعاصرة من محافظة على الآثار الظاهر منها والباطن ويعبرون أيضاً عن أطلال ديارهم القديمة وعن قضايا البيئة التي أخذت وبيئاتهم وفي مقارنة قصيرة بين بعض أشعار السابقين والمحدثين في الموضوع الواحد نجد أن الفرق واضح .

فهذا أمرؤ القيس يقول في الخزامى :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامي ونشر القطر

يفر به برد أنيابها إذا طربت الطائر المستحر

وللمقارنة بين هذا القول الفصيح يقول شاعر نبطي (شعبي) معاصر هو الأمير خالد الفيصل في وصف الخزامى :

لا تسألوني ليه أنا عاشق خزامى مستهام

إذا عرفتموني أنا تدرون وش سر الغرام

أصلي أنا بيتي شعر والبر هو ديرة هلي

فرش ثرى وسقفي سماء وترابها غالي عليّ

وفي قصيدة أخرى يصور فيها الصقر على ما منحه الله من حرية وطلاقة وتصرف كيفما يشاء فيقول :

ياصقر

يا صقر . . وهنيك لك جناح تطير	لا طرالك نزعت . وطرت يمّ الهواء
بين قلبي وبينك . . فرق والله كبير	لا كفخت انطلقت ولاكفخت التوى
أنت حايم .. وأنا بالقاع دوبي أسير	في صحارى زماني ذيب ليلى . . عوى
فوق جوك . سحاب . وحدر جوي هجير	القدم فوق رمضا .. والخفوق اكتوى
الحذر يا صقر لا يشبكونك .. أسير	ويل صقر . . يتله مربطة لانوى
برقعته الليالي . . فوق . . وكر قصير	عقب صفقة جناحه بالهوى . لا هتوى
كل حر . . إلى ضاق انتهض .. للمطير	حومته بالسما .. ساعة لقلبه .. دوى
واعذاب الجناح اللي يجره .. كسير	كلما فز مكسور النواهض .. هوى

وهذا شاعر يناجي الطبيعة وما فيها من غيوم ومزون وبروق ويصور تعاقب الفصول السنوية وما فيها من اختلاف في الطقس وبين البرد والحرارة ولهذا الشاعر الشعبي نايف صقر صوت مميز . وهنا يوظف الاستعارات الحسية بحرفيه المتمكن في قوله :

حادي الغيم

حادي الغيم ما يرفض غمامة	من مزونه .. ولا برق جميل
والمحبة . ما هي برد وسلامة	قيظها لا سراب ولا مقيل
يا حبيب الورق ظبي العدامه	من متى وأنت كذاب بخيل
جرد اللوم من غمد الملامة	وأنده الوسم وترابك يسيل
وان ذكرك الشتاء شب الثمامة	وان نساك الصفا خل الصميل
وان ترنم على بالك حمامة	أزرع الليل نجمات وهديل

قلبي اللي ضلوعه . مستهامة   ولا بدت له .. غرام ولا غليل

في عروقه جهنم والقيامة   وفي حناياه صوان وفتيل

أن تذكر بكى خل وغمام   وأن تناسى طفى برق جميل

قيل في الطبيعة الصامتة أشعار شعبية عن أحاسيس الإنسان بها سواء كانت جبالاً أو ودياناً أو أنهاراً وهنا يعبر الشاعر حمد الحماد عن ذلك في هذه القصيدة .

الهوى نجد

هذا "طويق" وهذه نجد   أو ما تزال مسائلاً بعد ؟!

فاعل الشمارخ واقتعد رحبا   وأنظر عسى يرادتك السعد

والطرف قلب في (يمامتها)   فلكم رميت به فيرتد

أسرج خيالك في مرابعها   وأطرب ، فلا نوم ولا سهد

والطير أخرج من أكنتها   بلطيف قولك علها تشدو

هذي الرياض بزينها رفلت   حتى بدت وكأنها (دعد)

وتزينت بالرمل شقرتها   مثل العروس يزينها العقد

ولقد أطل الأقحوان بها   وتراه يبسم ، حاله السعد

وسرى عبير عرارها فيه   سكر المشوق شفه الوجد

فاح الخزامي في الرياض ، فلا   طيب بها يشري ولاند

وتغنت الأطيار في لحن   رقصت على أنغامه نجد

فلطالما هاجت هواك صبا   سحراً بها الحواذن والجعد

أواه ، لا طلح نقيل به   كلا ، ولا شيح ولا رند

وترقرت بدموعها مقل   قد أسبلت فلسيلها خد

تتعدد الدوافع والبواعث وراء تصرفات الإنسان ولكن أصدقها تعبيراً هو ما يأنس أثناء وقفة تمعن فيما خلق الله من حولنا من مناظر طبيعية ومخلوقات جميلة كل في فلك يسبحون ، وهنا يصور قائل هذه الأبيات أثناء وقفته على شاطئ البحر ما يشاهده من مخلوقات الله سبحانه وتعالى .

طائر النورس

على شاطئ البحر رأيته طائراً	يشدو بلحن زاد فيني لوعتي
فإذا هو النورس أقبل مسرعاً	كم كنت أرجو من يؤنس وحدتي
يا طائر النورس بلغ من أحب	إني مللت الصبر زاد من أحبتي
بلغه أني مغرم في حبه	وأود منك أن تلبي حاجتي

مشاركة للشاعر / زيد بن محمد العضياني

(حماية الحياة الفطرية وإنمائها)

يا ليتنا كنا على صيد حراس

يصف في هذه القصيدة " أجواء" المقناص ومنظر " الحر" طير القنص وهو يهوى على التراب " الحبارى " في منظر بالغ أخاذ . ثم يطلب في نهاية القصيدة الالتزام بحدود الصيد واجتناب المناطق المحمية . والالتزام بشروط الصيد المحددة من ناحية الفترة الزمنية وأدوات الصيد المستخدمة . حتى لا نساهم في انقراضه من بلادنا .

شفي بخوة : نايفين الجماعة	يوم أعلن التصريح للصيد لا بأس
على خفوق ملحفنيه إشراعه	اليا خفق مع جردة الحزم نعاس
فوقه معامليه وكامل متاعه	وربع لهم في الطيب سره ونوماس
اليا بلج نور الصباح بشعاعه	مالوا عليه وقزوا الأرض بقياس

مـــع فنتـــخ تشبع بروضـه جيـاعـه   خـال مـــن الدواج قـفـز عن النـــاس

مـا دوجـــت ســـيارة مع رفـاعـه   مغـــبوط فيه الطير يختـال بأوناس

واليــا تـراو الخـــرب ثـان أكـراعـه   هـدوا عـــليـه النادر الحـــر عـفـاس

أحـــري أن ان قلبي لا يـع الشـوق لاعـه   كـمــا يلـــوع ملـــون الريش قـرنـاس

إن ردنــا وقـــت تـغـــيـر اطبـاعـه   حتى نجـــود الأرض مـا عـــاد تنداس

مـا عـــاد ينقـــاد الثـــني مع رباعـه   ولا عـــاد تلقـــى جـرة الخــرب دراس

الصــــيد قـرض من أرضنـا يـا جـمـاعه   حتى الحـزوم اللي مشى فيـه يبـــاس

نتـوق للماضـــي ونبكـــي ضيـاعـه   يا ليتنـا كنــا على الصيـــد حـراس

في حيـاة البـاديـة

خلال تلك الصورة الرائعة الجمال . . مهما هجر الإنسان تلك الديار فبداخله يبقى الحنين والشوق والرغبة الجامحة في العودة إلى ذلك الوجود الجميل ..

أنا بدوي من ديـــرة مـا بها ازعـــــاج   غـــير الجـــبال وأرض أخضر شجرها

فيها جمــــــال من الطبيعة كالمواج   وتزداد روعـــــة لا تســـــاقط مطرها

اللـــــون الأخضر ثوبها شبه ديبـــاج   وبالليل تأخذ نورها من قمـــــــرها

ربي خلـــق فيـــها من الحسن أفواج   وترتـاح نفس اللي بعـينه نظـــــرها

مهما ابتعد عنها لها النفـــــس تحتاج   وشوقي لها أكبر من الجبال وحـــجرها

حضاض الحربي

الخاتمة

من المعلوم لدى السواد الأعظم من الناس اليوم أن الظروف الطبيعية الصالحة للمحافظة على الآثار والحياة الفطرية تعاني من التدمير في بلدان العالم المختلفة خاصة الصناعية وذلك نتيجة التوسع الزاحف لاحتلال هذه المواطن الطبيعية في الأغراض الصناعية والزراعية وغيرها من الأنشطة الاقتصادية والتجارب العلمية . وقد نتج عن هذه الممارسات تدهور الآثار ومواقعها وانقراض كثير من أنواع الأحياء الفطرية النباتية والحيوانية .

ولكن والحمد لله كانت المملكة العربية السعودية من الدول التي تنبهت لهذا الخطر فأنشأت المحميات في المناطق المختلفة لحماية الحياة الفطرية وإنمائها ممثلة في الهيئة الوطنية حيث تضطلع الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها بأهداف المحافظة على الحياة الطبيعية والأحياء الفطرية والتوعية البيئية .

ومن وسائل التعبير الإعلامي الجذابة في الحياة العربية ، الشعر بنوعيه الفصيح والشعبي ، فإن العربي إذا أراد تسجيل معلومة أو الإشادة بشيء ما استخدم الشعر وسيلة لبلوغ مقصده ، ثم إن ما يمتاز به الشعر من التنغيم والإيقاع مما ينشط السامعين ويحفزهم على متابعة قضية الشاعر التي يطرحها من خلال قصيدته .

ولعل هذا العرض يكون حافزاً للشعراء لكي يهتموا بالمحافظة على كنوز آثار بلادهم وما بقي بها من حياة فطرية ويضمنوا صورهم الشعرية ولحاتهم الإبداعية بعض مناظرها الجميلة والنادرة ليساهموا في التوعية التي تضطلع بها الاستراتيجية الوطنية الشاملة إلى تحقيق هذه الأهداف المدعومة من قبل المسئولين دعماً مقدراً لا ينقطع .

وأختتم هذا القول بما ورد في تراثنا العربي بهذين البيتين لأبي العلاء المعري حيث يقول:

أري حيوان الأرض يرهب حتفه ويفزعه رعد ، ويطمعه برق

فيا طائر ائمن ، ويا ظبي لا تخف شذاى فما بيني وبينك فرق

وخاتمة القول جل من قال: ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ وصدق الله العظيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،

المراجع

١- المعلوف ، أمين ، ١٩٣٢م ، معجم الحيوان ، دار الرائد العربي بيروت - لبنان .

٢- شاكر ، هادي شاكر ، ١٩٨٥م ، الحيوان في الأدب العربية ، عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية .

٣- النابلس ، أحمد ، ١٩٩٢م ، القاموس المحيط في علم الحياة والطبيعة والمحيط .

٤- التميمي ، فارس ، ١٩٩٢م ، الصقور والصيد عند العرب ، مطابع علي بن علي - الدوحة / قطر .

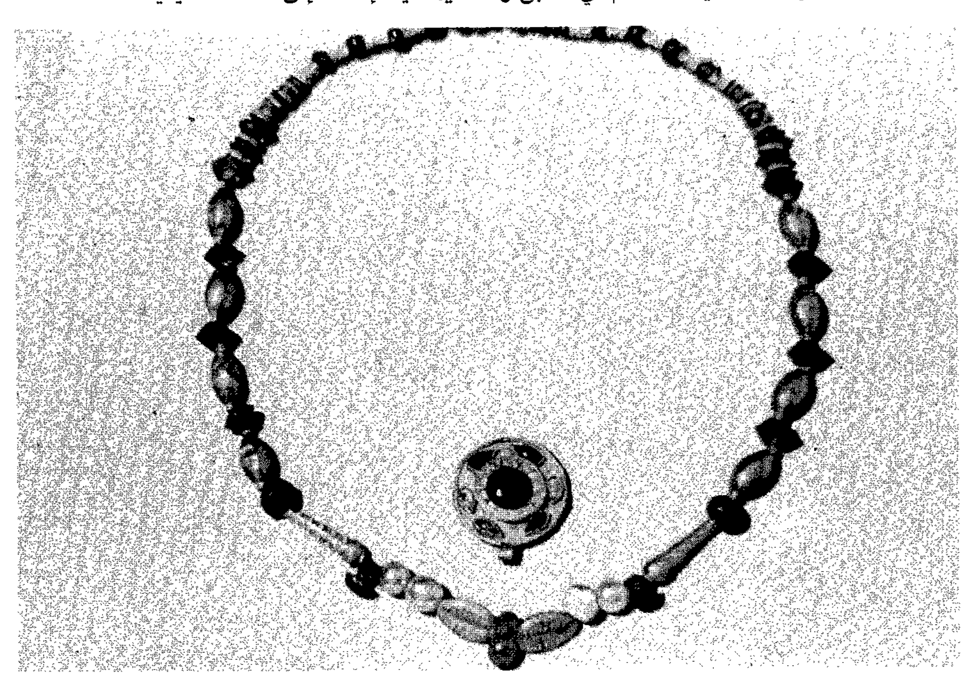
٥- أبو سويلم ، أنور عليان ، ١٩٨٣م ، " الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول" . دار العلوم الطباعة والنشر .

٦- الوليعي ، عبدالله بن ناصر ، نادر ، إياد عبدالوهاب ، « مرشد الصياد » ، مطبوعات الهيئة الوطنية لحماية الفطرية وإنمائها .

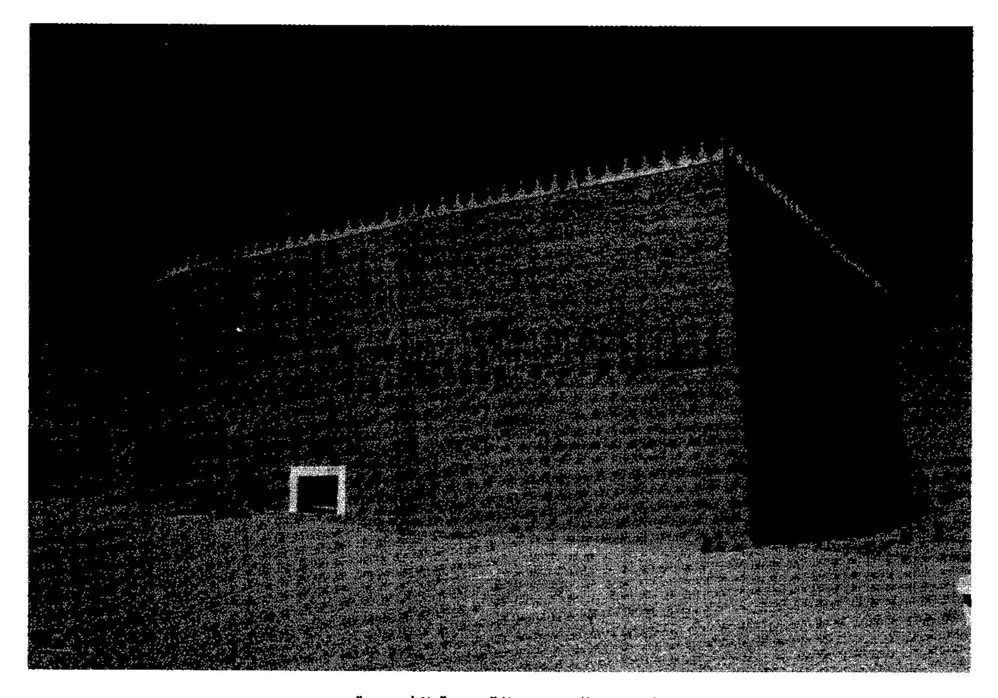
٧- حبيبي ، خوشحال ، « الغزال العربي » ، المطبوعات الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها .



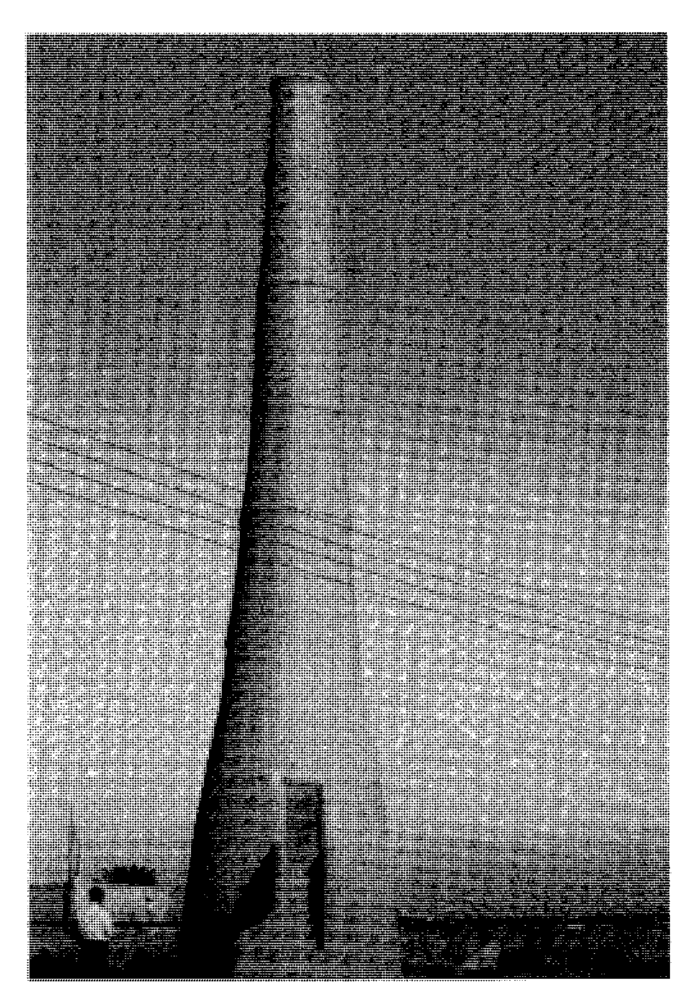
أدوات نحاسية تستخدم في الطبخ وتسخين المياه إضافة إلى أسلحة تقليدية



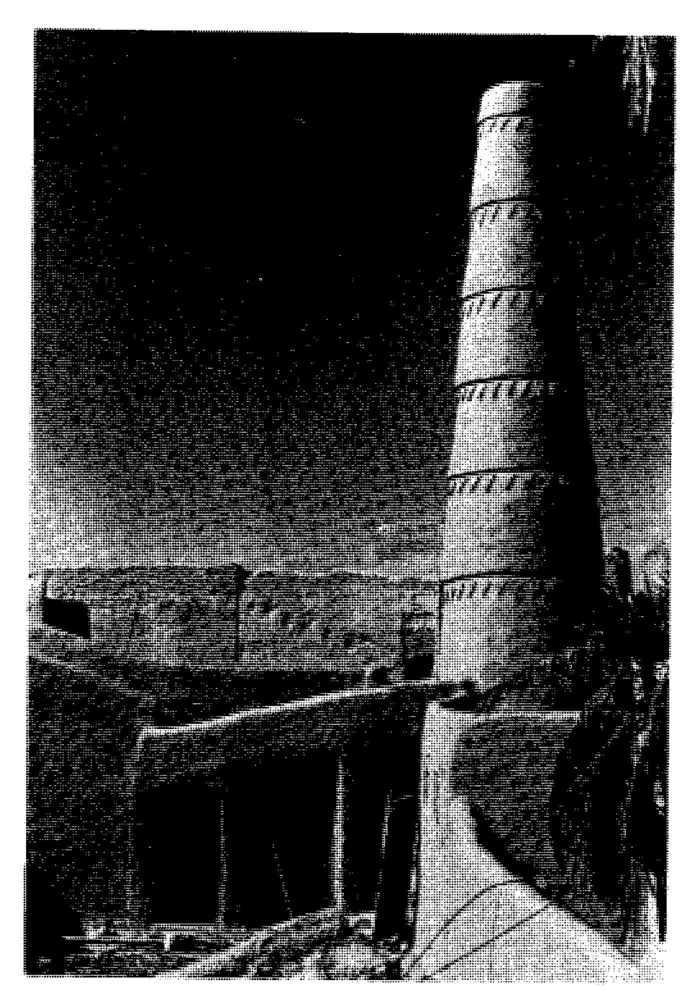
نموذج لإحدى الحلي المستخدمة وهي عبارة عن عقد من الخرز



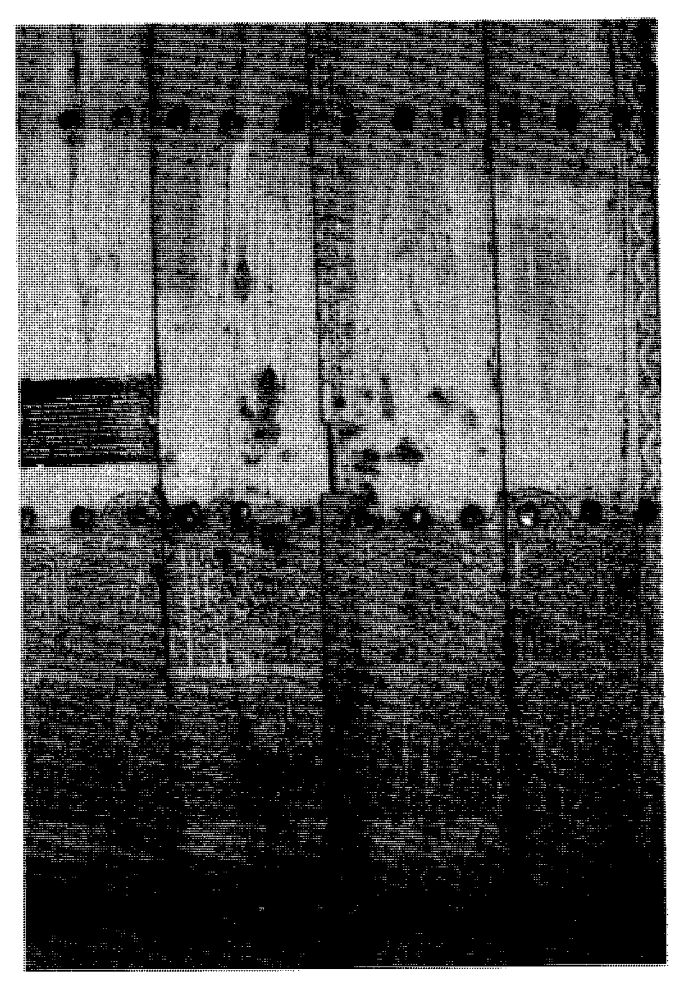
إحدى البيوت القديمة الشعبية



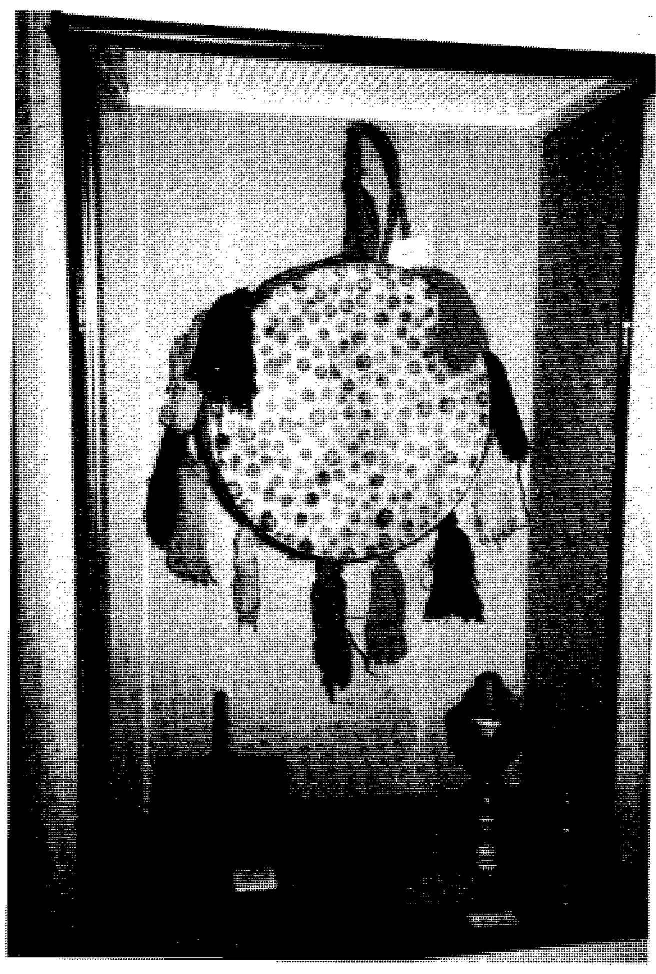
برج الشـنانـة



مئذنة الجامع الكبير بعنـيـزه



نموذج لأحد الأبواب الخشبية كتب عليه آيات قرآنية بطريقة الحفر الغائر



نموذج لباس نسائي إضافة إلى مباخر نحاسية



آثار الملوثات الناتجة عن المركبات على الآثار

د . علاء بن عبدالرحمن البكري (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في محكم كتابه في سورة سبأ ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

أولاً : الإطار العام للبحث :

المقدمة :

تعد المحافظة على الآثار من الأهمية بمكان كونها تحفظ تراث وثقافة الشعوب وتنقلها للأجيال القادمة . والآثار هي إرث الحضارات الإنسانية بشكل عام والدولة التي توجد فيها بشكل خاص .

يتباين تأثير المركبة على البيئة من بلد إلى آخر ويعتبر أكبر تأثيراً في الدول المتقدمة ويعود ذلك لأعداد المركبات وتطور أطوال شبكات النقل والمرور وأنظمتها والتصنيع .

أما في الدول النامية فإن المشكلة ما زالت في بدايتها مما يعطي الفرصة للتخطيط السليم ولتجنب المخاطر والتأثيرات السلبية الناتجة عن التلوث والاستفادة من تجارب الدول المتقدمة واعتماد الناجح منها خاصة وأن موارد الدول النامية والموازنات التي تخصص لمجال البيئة هي أصلاً محدودة . إن الكثير من المشكلات البيئية ناجمة عن السلوكيات الخاطئة أي العنصر البشري (Black & et al, 1997) .

بناءً على توصيات العديد من الاجتماعات العربية وقرارات أصحاب السمو والمعالي

(*) عضو هيئة التدريس بمعهد الدراسات العليا ـ أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية .

الوزراء العرب فإنه لا بد من أن يتم تقييم مستوى التلوث الناجم عن المركبات والحدود التي يجب أن يسمح بها والحاجة إلى وضع مجموعة من السياسات المختلفة التي تتطلب استخدام أساليب مراقبة وضبط مناسبة قابلة للتطبيق في هذا المجال وتستند لتشريعات متطورة ، وبشكل خاص في مجال تأثير هذه الملوثات على المنشآت الأثرية وتتضمن هذه الورقة سرداً مبسطاً لعلاقة التلوث الناجم عن المركبات بالبيئة المحيطة المتضمنة الآثار والمباني التراثية وسبل الحد والوقاية من هذه الملوثات والرقابة عليها .

أهمية البحث :

ولما كان التلوث البيئي وما ينجم عنه من آثار سلبية يؤثر على الموارد الطبيعية المحدودة فإنه لا بد من الانتباه لهذا التأثير السلبي على الآثار . وبما أن هذا التلوث يزداد مع زيادة السكان والتوسع في البنية التحتية فإنه وإن كان أثره الحالي محدوداً فإنه قد يتوسع في المستقبل ويؤدي إلى تلف هذه الآثار .

يعد هذا البحث من البحوث القليلة التي تنبه لموضوع تأثير الملوثات على الآثار في الدول العربية ، خاصة وأن المكتبة العربية تفتقر لمثل هذه البحوث .

مشكلة البحث :

بالرغم من التطور الكبير في أعداد المركبات وبناء شبكات الطرق لخدمة هذه المركبات إلا أنه لم يتم دراسة أثر هذه المركبات وشبكات الطرق على الآثار في الدول العربية بشكل عام وفي المملكة العربية السعودية بشكل خاص .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على الملوثات الناجمة عن المركبات وأثرها على الآثار والمباني الأثرية والتراثية . كما يهدف البحث إلى رصد التجارب المختلفة المنشورة والسياسات المتعلقة بهذا الجانب وتقديم مجموعة توصيات تناسب ظروفنا المحلية وخصوصيتنا .

تساؤلات البحث :

يتضمن هذا البحث التساؤل الرئيس التالي إضافة إلى مجموعة من التساؤلات الفرعية :

ما أثر التلوث الناجم عن المركبات على الآثار ؟

ويتفرع عن هذا التساؤل التساؤلات الفرعية التالية :

ما أثر ملوثات الهواء الناجمة عن المواصلات على تآكل المباني والآثار ؟

ما أثر الاهتزازات الناجمة عن المركبات على المباني الأثرية ؟

منهجية البحث :

سيتم استخدام أسلوب التحليل الوصفي ومنهجية دراسة المحتوى في هذا البحث .

ثانياً : الإطار النظري والدراسات السابقة :

تطور أعداد المركبات والبيئة : ازدادت أعداد المركبات في السنوات الأخيرة بشكل كبير على مستوى العالم ، ففي عام ١٩٥٠م سجل في العالم حوالي ٥٣ مليون مركبة ، أما الآن وبعد مرور أكثر من ٤٠ سنة فإن أعداد المركبات المسجلة في العالم تقدر بحوالي ٤٣٠ مليون مركبة ، أي بزيادة أكثر من ثمانية أضعاف وبمعدل زيادة سنوية مقدارها ٩,٥ مليون مركبة (البكرية ، ١٤١٨هـ ، ١٢٩ - ١٣٣) . وإذا أضفنا إلى هذا العدد أعداد المركبات التي تعمل بمحرك ميكانيكي وذات عجلتين كالدراجات النارية والتي يقدر عددها بـ ١٠٠ مليون دراجة ، فإن عدد المركبات الكلي في العالم لعام ١٩٩٢م بلغ ٦٧٥مليون مركبة ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزيادة السنوية في أعداد المركبات أعلى من الزيادة السنوية في عدد السكان . أما الزيادة بأعداد الدراجات النارية فيقدر بأربعة ملايين دراجة سنوياً (WHO. 1992, UNEP. 1992) .

إن معدل زيادة أعداد المركبات في الدول النامية أعلى من معدلات الزيادة السنوية للمركبات في الدول المتقدمة ، ويعود ذلك إلى الزيادة الكبيرة في أعداد السكان في الدول النامية مقارنة بالدول المتقدمة بناءً على دراسة قامت بإعدادها منظمة الصحة العالمية (WHO.1922) .

بنظرة فاحصة لتوزيع أعداد المركبات بالنسبة إلى السكان في دول العالم المختلفة نجد بأن هذه النسبة تتراوح ما بين أقل من مركبة واحدة لكل ألف شخص لتصل إلى ٦٠٠ مركبة لكل ألف شخص ، أي أن توزيع المركبات المنسوبة إلى عدد السكان في الدول المتقدمة هي

أعلى بكثير منها في الدول النامية .

تطورت أعداد المركبات المسجلة دولياً بشكل كبير متخذة شكلاً رياضياً يسمى منحنى (S) حيث يكون هذا التطور كبير جداً في بداية سنوات التنمية الاقتصادية والاجتماعية لأي بلد ثم يأخذ هذا التطور في ملكية السيارات إلى الاستقرار بزيادة بسيطة في أعداد المركبات . وكما هو مبين في الشكلين رقم (١) ورقم (٢) . ويلاحظ بأن الوضع العربي لا يختلف عن الوضع السعودي والأردني ولا يختلف كثيراً عن المنحنى الدولي (PRI, 1995) .

شهدت الدول العربية زيادة كبيرة في أعداد المركبات منذ عام ١٩٧٠م حيث أدت هذه الزيادة الكبيرة في زيادة تلوث الهواء نتيجة لاستخدام هذه المركبات ، إضافة إلى الملوثات الصلبة والتلوث الناتج عن الزيوت والتشحيم .

ويتكون نظام المواصلات العربي بشكل رئيس من النقل على الطرق مما يسهل المشكلة من وجهة النظر الهندسية والتنظيمية والرقابة .

عندما تمتد المدن وتنتشر بشكل كبير يمكن أن تتعدى حدودها الجغرافية والإدارية مما يؤدي إلى وجود أكثر من جهة مسئولة عن شبكة المواصلات ضمن هذا الانتشار وبالتالي وجود أكثر من جهة مسئولة عن هذه الشبكة وبالتالي أكثر من جهة للإشراف على التلوث الناجم عن هذا التوسع (Adler, 1997; Deysher & Pickell, 1997) .

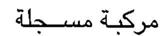
المركبات وتلوث البيئة :

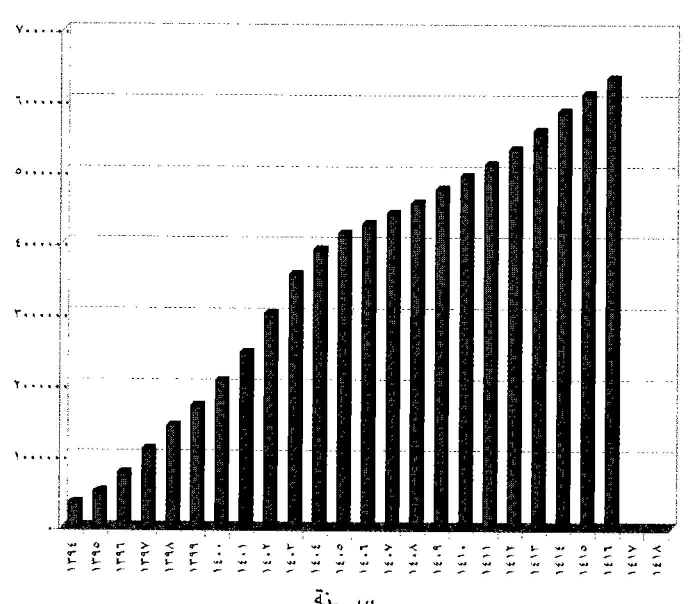
تسهم المركبات بتلوث البيئة بشكل كبير في النواحي التالية :

١- تسهم بما نسبته ٤٢٪ من تلوث أكاسيد النيتروجين و ٤٠٪ من الهيدروكربون و ٦٠٪ من أول أكسيد الكربون و ١٣٪ من الأجسام الصغيرة و ٣٪ من أكسيد الكبريت .

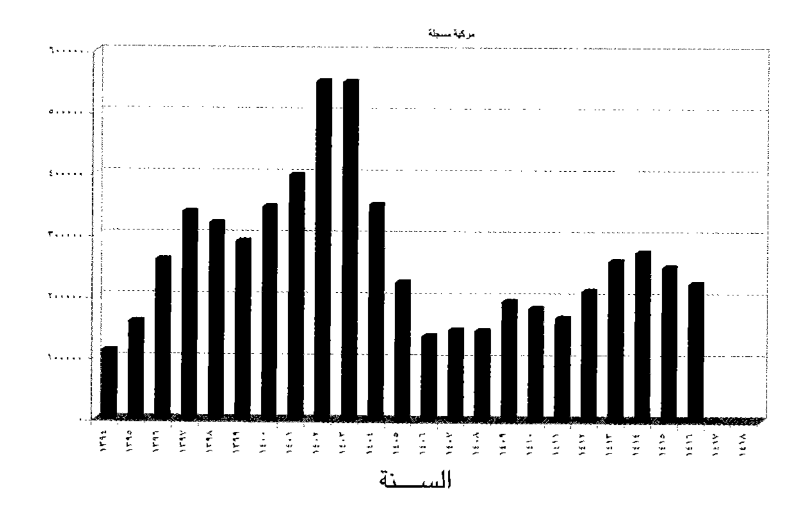
٢- تستهلك المركبات ما مقداره ٨٢٪ من مجموع الطاقة المستخدمة في العالم لقطاع النقل والمقدرة بـ ٣٠٪ من مجموع الطاقة الكلية المستخدمة . وإذا أضفنا إلى ذلك نوعية الوقود المستخدم فإننا نجد بأن مواصفات الوقود المستخدمة من البنزين والديزل في الدول العربية بحاجة إلى اهتمام أكبر من حيث التصنيع خاصة في مجال تقليل نسبة الرصاص في البنزين والكبريت في الديزل أو السولار .

السـعودية لعـدة سـنوات





أعداد المركبات المسجلة سنوياً في المملكة العربية السعودية لعدة سنوات



٣ – تسهم المركبات أيضاً بمستوى ضجيج قد يصل إلى أعلى من ٦٥ ديسيبل (أ) وهو قريب من الحد الحرج الذي يؤدي إلى الإيذاء ويتعرض ١٦٪ من السكان لهذا التلوث الناجم عن المركبات وخاصة في الدول النامية . إضافة إلى الاهتزازات خاصة تلك الناجمة عن حركة الشاحنات والحافلات والقطارات .

٤– تلوث الزيوت المستخدمة في المركبات مصادر المياه السطحية والجوفية ، وتؤدي هذه الزيوت إلى مشاكلات كثيرة في محطات التنقية . كما يتسرب وقود المركبات من الآبار التخزينية إلى المياه الجوفية أيضاً .

٥ – لحوادث المرور أثر سلبي على البيئة يتمثل في ترك الكثير من المخلفات وهياكل المركبات على الأرض . والتلوث الناتج عن بعض الحوادث مثل حوادث الصهاريج والشاحنات حيث تشكل هذه الظاهرة مشكلة حقيقية عند انسكاب بعض المواد المنقولة بها وخاصة في الدول النامية .

لمستخدم الطريق الدور الرئيس في الحد من تأثير المرور والنقل على البيئة . ومن أهم هذه الأدوار التصرف السليم واتباع أسس الوقاية . فمثلاً عندما يتفقد السائق مركبته بشكل دوري ويقوم بصيانتها فإنه يؤدي إلى خفض نسبة التلوث وتقليل الضجيج والاهتزاز الناجم عن المركبة . أما تأثر الناس بالملوثات المختلفة فيمكن أن يحدث للأشخاص في أثناء وجودهم داخل المركبة كالسواقين والركاب وذلك نتيجة للمركبات المحيطة بهم ، كما يتعرض المشاة في أثناء سيرهم على الأرصفة لمثل هذه الملوثات .

يقوم سكان العالم بـ ٣,٤ مليار رحلة مركبة يومياً حيث يتعرض ما مجموعة ١٢٠ مليون شخص للملوثات المختلفة نتيجة وجودهم على الطريق لفترات زمنية طويلة وكذلك المنشآت المختلفة بما في ذلك الأثرية (Chapman & Hall. 1982. Falcocchio. 1983, kay, 1984) .

تحليل أثر الملوثات على الآثار :

توجد العديد من الملوثات الناجمة عن المواصلات . ومن أهم الملوثات التي قد تؤثر سلباً على الآثار :

١– تلوث الهواء الناجم عن استخدام المركبات والتصنيع حيث تتفاعل الغازات الملوثة مع

مكونات المباني الحجرية الجيرية أو الطينية وتؤدي إلى تآكل المباني والتماثيل والجدران والكتابات التاريخية وغيرها . حتى وإن كانت هذه المباني والجدران على بعد ٢٠٠ متر عن الطرق . ومن الأمثلة على هذا التلوث التآكل الذي تعرض له تمثال أبو الهول نتيجة تلوث الهواء والملوثات التي تؤثر على المومياء والأجسام المحنطة وغيرها (COBA, 1982) .

٢ - إن استخدام المركبات والتنقل بها في الأماكن الأثرية يؤدي إلى تهبيط الطرق غير المعدة أصلاً لتحمل أوزانها كالطرق المرصوفة بالحجارة والجسور الأثرية وغيرها ويشوه منظر هذه الأرضيات من جراء انسكاب زيوت المركبات ومن آثار الإطارات كالتخدد وانجراف التربة وغيرها . وتؤدي حوادث الصدم بالجدران والمباني الأثرية إلى هدمها وتعرضها للأذى .

٣- أن شقّ الطرق والشوارع قد يؤثر على الأماكن الأثرية ويؤدي إلى عزلها أو يتطلب إزالة بعض المباني القديمة التي لو بقيت لأصبحت جزءاً من الحصيلة الثقافية للمجتمع .

٤- يؤثر الاهتزاز الناجم عن مرور المركبات على المنشآت الأثرية حيث تنتقل الاهتزازات من خلال الأرض إلى المباني وتؤدي إلى تشققها وتهبيط أرضيتها أحياناً خاصة تلك التي تكون قواعدها ضعيفة (الجمعية العلمية الملكية ، ١٩٩٥م) ، (Bell & et al. 1997. p.p. 36 - 38) .

ثالثاً : الخلاصة والتوصيات :

من خلال استعراض أثر ملوثات البيئة السلبية على المناطق الأثرية فإن التوصيات التالية قد تكون مبررة :

١- ضرورة تصميم مسارات الطرق والتقاطعات بعيداً عن المناطق والمباني الأثرية حتى وإن كانت طرقاً عامةً حيث إن الآثار هي أيضاً ممتلكات حضارية عامة خاصة داخل المدن .

٢- الحاجة إلى وضع سياسات تمنع دخول المركبات ومرورها في المناطق الأثرية وبالقرب من المنشآت الأثرية والتراثية .

٣- ضرورة صيانة المركبات لمنع انبعاث الملوثات إلى الهواء للمحافظة على البيئة بشكل عام والبيئة الأثرية بشكل خاص . كما أن استخدام البنزين الخالي من الرصاص والديزل الخالي من الكبريت يسهم بشكل فاعل في هذا المجال .

٤- الحاجة إلى عقد دورات ولقاءات علمية وندوات ومؤتمرات حول الملوثات البيئية السلبية على الآثار .

المـراجـع

- اتحـاد جمـعيـات الوقـاية من حـوادث الطرق (١٩٩٥) . النشـرة الإحـصـائيـة السنوية (PRI) المجلد الثاني . لوكسمبور غ : اتحاد جمعيات الوقاية من حوادث الطرق .

- البكري عـلاء عبـد الرحمن (١٤١٨هـ) . مرجع في السـلامـة المرورية : حـوادث المرور واقع وحلول . الرياض : مكتبة الخريجي .

- الجمعية العلمية الملكية (١٩٩٠) كود الصوتيات ، عمان : الجمعية العلمية الملكية

* Adler, J. & et al. (1997). An expert system architecture for computer - aided environmental analysis. Transportation Research Board 76th Annual Meeting, January. Washington. D.C.: TRB.
* Bell M. Bonsall p. Leake G. May A, Nash C. and O, Flaherty, C. (1997). Transport planning and traffic engineering London. Arnold.
* Black, J.A. & et al. (1997). Urban road traffic noise prediction model using object oriented and GIS technology. Transportation Research Board 76th Annual Meeting. Januar. Washington D.C.TRB.
* Chapman & Hall System Inc. (1982) TSM project violation rates. Report for State of California. CA. Department of Transportation and Department of the California Highway Patrol.
* COBA (1982) A method of economic appraisal of highway schemes. London. The Department of Transport.
* Deysher, B. and pickell, D. (1997) Emission reductions from vehicle retirement programs. Transportation Research Board 76th Annual Meeting January . Washington D.C. TRB.
* Falcocchio. J.C. (1983). The TSM approach to solving congestion and circulation problems in the older cities of the United States. A paper for regional conference on urban transportation. October. Italy.
* Kay. J.L. (1984) Institutional issues surrounding traffic engineering in developing nations. ITE, 12-15 Washington D.C.
* UNEP. (1992) Saving our planet. UN.
* WHO (1992). Motor vehicle pollution UN.

الأثنوأركيولوجيا وإمكانية تطبيقها في دراسة الحرف الشعبية في المملكة العربيـة السـعودية

د . يوسف بن مختار الأمين (*)

تهدف هذه الورقة إلى تقديم تعريف موضوعي لمنهج الاثنواركيولوجيا في مجاليه النظري والتطبيقي ودوره في ميادين الأبحاث الأثارية الحديثة . لقد صار البحث الاثنواركيولوجي رائجاً في الآونة الأخيرة بدرجةٍ كبيرة وذلك في مختلف أنحاء العالم كما يظهر في حجم الأدبيات المنشورة . وقد لا يختلف إثنان في الآثر الذي أحدثته الاثنواركيولوجيا في الدراسات الأثارية وتحقيق الأهداف الرئيسية للعلم من ناحية ، وتطوير وسائل بحثية أخرى جديدة تساعد في حل الأسئلة المتجددة حول خصائص الثقافة وآليات التطور والتغيّر المستمران فيها من ناحية ثانية . وتنطلق الورقة أيضاً من الاعتقاد بأن هناك أكثر من مجال لتطبيق الاثنواركيولوجيا في المملكة في ميادين الأبحاث الحضارية والثقافية . وسوف نختار منها مجال الحرف الشعبية ، ذلك لأنها تمثل في العادة جزءاً مهماً من الثقافة المادية لأي شعب من الشعوب . وهي كل عناصر الثقافة المادية في حالة المجتمعات القديمة . ولا تقدم الورقة نتائج دراسة بعينها وإنما موضوعها كيفية الاستفادة من المنهج الاثنواركيولوجي في دراسة التراث التقليدي عموماً والحرف الشعبية على وجه الخصوص .

التراث والحرف الشعبية :

لا يوجد تعريف واحد في الانثروبولوجيا للحرف الشعبية إذ أنها تصنف أحياناً ضمن مسميات المأثور أو الموروث الشعبي أو التراث الشعبي أو الفولكور وهي مكون هام من مكونات النظام الثقافي لشعب ما [١] . وهناك اتفاق عام على أنها تلك الأشياء التي يصنعها ويطوّرها الناس مثل البناء التقليدي والأدوات والأسلحة والأواني والملابس وقطع الزينة وكل أشكال الفنون التي تصنع من مواد طبيعية محلية ولا تستخدم فيها الآلة الحديثة . والحرف الشعبية تقوم على تقنيات متوارثة لها أبعادها التاريخية والحضارية المستمرة كما أنها متطوّرة في

(*) عضو هيئة التدريس - جامعة الملك سعود - قسم الآثار والمتاحف .

نفس الوقت من حيث كونها جزء من نسق ثقافي معيش قابل لاستيعاب التطوير والإبداع . والحرف الشعبية هي الوسيط بين الإنسان وبيئته وبها يعدّل المحيط الطبيعي لمصلحته كما أنها تعكس بعداً اجتماعياً يمثل مفهوم الناس ونظرتهم للحياة . ويستخدم الصنّاع في عملها تقنيات تمثل قدرات إبداعية يعبّرون من خلالها عن تميّزهم في العادات والذوق الفني ، ومع بقية أنماط الإبداع الشعبي الأخرى تتحدد أبعاد الهويّة والسمت الثقافي للشعب . ظلّت الحرف الشعبية بؤرة اهتمام علماء الانثروبولوجيا الثقافية منذ القرن الماضي ، حيث تأسست مناهج البحث الاثنوغرافي من خلال دراستها . ومن المعروف أيضاً أن الوصف الاثنوغرافي للحرف والتراث الشعبي من مختلف مجتمعات العالم القديم شكّل قاعدة المعلومات التي انطلقت منها النظريات الانثروبولوجية التي تتناول مراحل تطور الفكر الإنساني المعاصر . وعلى مرّ الأيام طوّر علماء الاثنوغرافيا والفولكلور المناهج المناسبة لجمع التراث الشعبي ميدانياً وتسجيله وتصنيفه . وفيما يتعلق بدراسة الحرف الشعبية فهناك أكثر من طريقة ، تغطي الأبعاد البيئية والتاريخية و الاجتماعية والاقتصادية . ويتوقف الأمر بطبيعة الحال على تركيز الباحث على جوانب بعينها تحددها أهداف البحث ومراميه . وهناك اتفاق عام على دراسة الحرف الشعبية في محيطها البيئي والاجتماعي ضمن ديناميات النظام الثقافي الذي تنتمي إليه . ومن ناحية عملية تقوم الدراسة على المشاهدة وتسجيل الملاحظات المباشرة عن خطوات التصنيع بدءاً من جمع المواد الخام حتى تسويق المصنوعات أو إدراجها في سياق حركة النشاط العام لأفراد المجتمع . ويولي الباحثون في الانثروبولوجيا والآثار اهتماماً خاصاً بمناهج الدراسة الميدانية لأنها تمثل حجر الزاوية في تحقيق أهداف البحث .

استمرت الأبحاث حول التراث الشعبي في الجامعات والمراكز العلمية لعقود طويلة واتسعت دائرة الاهتمام بها والإنفاق عليها بمرور الوقت . وفي السنوات القليلة الماضية أصبحت مركز اهتمام الإدارات الحكومية المختلفة والجمعيات الأهلية والمنظمات الإقليمية والدولية . ويعقد المهتمون بالتراث الشعبي المؤتمرات والندوات الدورية يناقشون نتائج أبحاثهم ويوجهون نداءات شبه متكررة تحث الناس على المحافظة على التراث وصيانته والمساعدة في تمويل دراسته . وذلك في مواجهة التحولات الحضارية والصناعية التي باتت تهدد التراث التقليدي في مواطنه الأصلية . وتركز هذه الدعوات على أهمية الموروث الشعبي في تحديد

الهويات الثقافية للشعوب وفي تكوين القيّم الإنسانية المشتركة مما يمهد الطريق للتآلف والإخاء بين الأمم . ويساعد البحث في التراث الشعبي على نشر مبادئ التعايش السلمي في البلدان التي تقطنها اثنيات متعددة بحيث يعمل الجميع على ترسيخ مبدأ الوحدة في التنوّع الذي تدعو له الآن كل المنظمات الدولية والإقليمية . فاليونسكو تولي عناية متزايدة بالتراث ، حيث طرحت مؤخراً خطة لتنمية الحرف الشعبية في العالم بالاستثمار فيها وإقامة الوحدات الإنتاجية والعمل على تسويق المنتجات مما يوفر دخلاً للحرفيين ويزيد من فرص العمل الجديدة . ويتضح من تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية عمق الروابط الموضوعية بين الثقافة والتنمية وموقع التراث الشعبي في هذه العملية (٢) . ويتبلور اهتمام المنظمة الدولية بالتراث الشعبي عندما أجازت في ١٩٨٩م الاتفاقية الدولية من أجل حماية التراث باعتباره إرثاً بشرياً عاماً لابد من الإسراع بتسجيله وتصنيفه وحفظه . وقد طرحت الاتفاقية أفكاراً مهمة حول الطرق العملية والعلمية لدراسة التراث الشعبي ونشره والاستفادة منه اقتصادياً واجتماعياً . وقدمت مقترحات عملية لإنشاء المراكز العلمية للأبحاث من التراث الشعبي وتأهيل العاملين فيها والعمل على ترويج ونشر القيّم والمفاهيم المستوحاة منه . ومن أهم فقرات تلك الاتفاقية الجزء المتعلق بحماية التراث من أخطار الحروب والطبيعة وحث الدول الأعضاء على وضع الأنظمة التي تكفل حماية التراث والمنتجات الحرفية . وقد نصت الاتفاقية على حماية حقوق الملكية لمبدي التراث وحماية مصنفات الفولكلور (٣) .

وعلى المستوى العربي تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمواصلة مجهوداتها في المساهمة في تطوير دراسات التراث الشعبي بعقد الندوات العلمية ونشر مداولاتها وذلك ضمن مشروعها الكبير الموجه نحو خدمة الثقافة العربية . وفي منطقة الخليج العربي تبدي الحكومات اهتماماً واضحاً بجميع أشكال التراث الشعبي بتوثيقه وحفظه . وقد أنشأت بعض دول الخليج متاحفاً للتراث تخدم أهدافاً تعليمية وتثقيفية وسياحية . وعلى مستوى العمل المشترك أقامت هذه الدول مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية الذي يطلع بدور مهم في دراسات الفولكلور ونشر تقارير الأبحاث الميدانية وطرح الأفكار الجديدة حول مناهج البحث الفولكلوري وذلك من خلال إصدارته الفصلية " المأثورات الشعبية " .

وفي المملكة العربية السعودية يظهر الاهتمام الكبير بالتراث الشعبي في مجهودات

المراكز والجهات الرسمية التي تعنى بشئونه والعمل على دراسته وحفظه . وما هذه الندوة إلا أصدق تعبير عن حالة الاهتمام بالموروث الحضاري بشقيه الأثري والتراثي (٤) . ومن الملفت أيضاً الوعي الكبير الذي يبديه المواطنون بتراثهم التقليدي بأنواعه المختلفة حيث يعمل الكثيرون منهم ، كل بطريقته على اقتناء القطع التراثية وجمع الشعر والمأثور الشعبي . ويلاحظ أيضاً أن عدداً من الأسر والأفراد يمتلكون مجموعات لا يستهان بها من أروع نماذج الفنون والتراث التقليدي وذلك أمر يدعو للتفاؤل . ويبدو الاهتمام الشعبي أيضاً بالتراث في الكتابة عنه في الصحف والمجلات وإصدارات الأندية الثقافية بالأقاليم ، وكلها تعبر عن الفخر والاعتزاز بهذا الرصيد الثقافي المتنوع الذي يعبر عن الأصالة والإبداع المحليين .

ومهما يكن من عظمة التقدير والإعجاب بعناصر الثقافة المادية ، فإنه لا يغني عن الدراسات العلمية والتخطيط الهادف إلى حفظ التراث والاستفادة منه في أكثر من صعيد . وفي هذا المجال ، يظل المختصون في الاثنوغرافيا والفولكلور في مقدمة من يقومون على أمر التراث الشعبي بتطوير دراساته كمصدر من مصادر الثقافة الموروثة . ومن المعروف أن دول منطقة الخليج العربي تشهد تطوراً حضارياً كبيراً يشمل جميع مناحي الحياة ويؤثر مباشرة في تلك المجموعات السكانية التي تنتج مواداً تراثية أو تمارس أنماطاً من أساليب الحياة التقليدية .

ومما لا شك فيه أن عناصر التراث التقليدي في هذه الأماكن تتناقص بنفس وتيرة ذلك التطور مما يجعل الإسراع في دراسة هذه الموروثات وحفظها أمراً ملحاً يتطلب تضافر جهود أكثر من جهة . ولنا أن نأتي الآن على الدور الذي يمكن أن يساهم به علم الآثار في هذا الجهد الأكاديمي المطلوب . يقودنا هذا الأمر بطبيعة الحال إلى منهج الاثنواركيولوجيا ، أحد روافد علم الآثار الذي طوّر أصلاً لدراسة الثقافة المادية المعاصرة بواسطة الآثاريين مستخدمين المناهج المعروفة لديهم .

الاثنواركيولوجيا ودراسة الثقافة المادية :

تعرف الاثنواركيولوجيا بأنها منهج آثاري وأنثروبولوجي يوظف في دراسة عناصر الثقافة المادية في المجتمعات المعاصرة بمستوياتها الثقافية المختلفة . وتتناول الدراسة عناصر

الثقافة المادية في إطاريها البيئي والاجتماعي ، وذلك بجمع المعلومات ، عن طريق المشاهدة ، لأفعال الناس اليومية في سياقها المتحرّك . ويتابع الباحث فيها العنصر المادي من لحظة تكوينه الأولى حتى نهايته ، عندما يتحول إلى بقايا مخلفات نجدها عادة في الأماكن التي عاش فيها الناس . والاثنواركيولوجيا بمعنى آخر عمل اثنوغرافي يقوم به الأثاري من أجل تحقيق جملة أهداف . منها ما يتعلق بقضايا ومشكلات علمية في مجال التفسير الآثاري ومنها ما يتصل بتحسين مناهج علم الآثار نفسها . ويختلف البعض في إعطاء تفسير شامل للاثنواركيولوجيا وذلك بسبب اختلاف الباحثين في درجة اعتمادهم على ربط الحاضر بالماضي [٥] ومهما اختلفت طبيعة التعريفات إلا أنّ كلها تدور حول استغلال المعلومات الاثنوغرافية في تكوين فرضيات تمثل حلولاً عملية لمشكلات تواجه البحث الآثاري وذلك باستخدام القياس والمقارنة . وفي هذه الحالة ينطلق القياس من المعروف (الحاضر) إلى غير المعروف (الماضي) وذلك عندما تتوفر الشروط المناسبة لمثل هذه المقارنة .

لقد عرف علم الآثار القياس الاثنوغرافي منذ نشأته إذ كان الرواد من الأثاريين ينطلقون في تفسيرهم للظواهر الأثرية مما يعرفونه عن بعض المجتمعات البدائية والتقليدية التي قرأوا وصفاً اثنوغرافياً عنها أو شاهدوها بأنفسهم .

وكان وصف هذه المجموعات في افريقيا وأمريكا واستراليا يشتمل على معلومات عن أنماط الاقتصاد المعيشي والنظم الاجتماعية والأدوات والأسلحة والفنون وطرق صناعتها واستخداماتها . والمقارنة كانت تجري على أساس الشبه في الخصائص الشكلية للأشياء . وحتى تقسيم علماء ما قبل التاريخ في مطلع هذا القرن ، لمجتمعات العصور الحجرية وتطور مراحلها الثقافية أخذ عن تصورات الاثنوغرافيين لبداية الثقافة وتطورها . ويلاحظ تأثير الاثنوغرافيا في علم الآثار حينذاك في مسميات الأدوات والمصنوعات وغيرها وكانت صور الأدوات الحجرية أو العظمية الحديثة توضع جنباً إلى جنب مع شبيهاتها من أدوات العصور الحجرية وذلك لتأكيد صحة التشبيه [٦] . وكانت عملية القياس الاثنوغرافي تجري على مستويين ، الأول يعتمد على القياس المباشر لخصائص شكل الأشياء المعاصرة وتلك التي يعثر عليها في مواقع أثرية . والمستوى الثاني من القياس هو التاريخي المباشر ويحدث ذلك عندما يتمكن الباحث من الربط بين مجموعة الناس المعاصرين ومواقع مستوطنات قديمة يعتقد

أنها تعود لأسلافهم ويمكنهم أن يساعدوا الأثاري في شرح بعض تفاصيل المخلفات التي تكتشف في هذه المواقع .

استمر هذا النهج دون نقد أو اعتراض حتى نهاية النصف الأول من القرن الميلادي الحالي ولم يحدث أن طوّر أسلوب آخر غير المقابلة المباشرة أو البحث عن النظائر . وربما يعود هذا الأمر لأوضاع علم الآثار في ذلك الوقت إذ كان العلماء مشغولون بتطوير وسائل المسح والتنقيب الآثاري وكشف الحضارات القديمة في العالم وكتابة التاريخ الثقافي وإجراء المقارنات من الحضارات إقليمياً وعالمياً . وكان الأداة الرئيسية في البحث هي عمليات التصنيف للمقصورات والطرز الفنية ووضعها في مجاميع ذوات خصائص شكلية وأسلوبية متشابهة تمثل بالنسبة لهم بقايا مادية لثقافات كانت أيضاً متشابهة و بالتالي يمكن نسبتها لمجموعات عرقية أو إثنية محددة . وعن طريق وسائل التاريخ النسبي المتاحة في ذلك الوقت وضع علماء الآثار مراحل وحقب التسلسل الحضاري وسادت نظريات التطورية والتطورية المعدّلة كأطر فكرية لتفسير عمليات التطور والتغيّر الثقافيان . كذلك راجت أفكار الانتشارية والهجرات الجماعية كأسباب رئيسة لهذا التغيّر ونقل الابتكارات الحضارية من منطقة لأخرى .

وفي مطلع الستينات بدأت تظهر بعض الكتابات النقدية في أمريكا وأوربا من بعد ، تدعو لمراجعة الأسس النظرية والمنهجية التي يستعملها الآثاريون في تحقيق أهداف العلم باعتبار أن بعضها عقيم لم يحدث تغييراً يذكر في معرفتنا بتفاصيل التاريخ الثقافي . وكانت تلك الفترة قد شهدت تطورات مهمة في العلوم الطبيعية والإنسانية على السواء . ولم يكن علم الآثار ببعيد عن هذا التطور العلمي فقد ابتكرت وسائل التاريخ العلمية مثل الكربون المشع وكان تأثيرها بالغاً في إعادة ترتيب حقب فترات التاريخ الحضاري وكشفت عن أخطاء أساسية في تقديرات الآثاريين لتاريخ بعض أهم منجزات الإنسان . وقد أدى ذلك إلى تغيّر في الآراء وفي المناهج وبدأ العلماء يهتمون بجمع وتحليل المواد العضوية مثلاً والاستعانة بمختلف العلوم الطبيعية من اجل معرفة معلومات عن الظروف البيئية التي عاش فيها الإنسان وشكّلت تجاربه .

أُطلق على الاتجاه النقدي في علم الآثار فيما بعد ، مسمى التيار الحديث لأنه أتى بأطروحات جديدة تقوم على الفكر الانثربولوجي ويعمل على تطبيقها بطرق منهجية تختلف عن

اسلوب المدرسة النمطية التي كانت مسيطرة على الدراسات الآثارية ويرى الاتجاه الجديد أن المعثورات الأثرية لابد أن تعامل وكأنها جزء من نظام ثقافي يتكوّن من أنظمة فرعية متداخلة ، ذات صفات وظيفية متكاملة ، تتنوّع زمنياً ومكانياً بتنوّع علاقات الأنظمة الاجتماعية والتقنية والفكرية والايكولوجية . وعلى الباحث أن يعمل على اكتشاف الأسس التي يعمل بها النظام الثقافي الشامل وعمليات التحوّل والتغيير التي تحدث فيها (٧) . وكان من ضمن مراجعات التيار الحديث التركيز على البحث في تفاصيل حياة الناس اليومية في جوانبها الاجتماعية والفكرية التي يصعب معرفتها تلقائياً من المخلفات الأثرية . وصار السؤال المهم هو عن كيف ولماذا تتغير النظم الثقافية الشئ الذي تتطلب توفير مناهج عمل جديدة . في أثناء ذلك النقاش والمراجعة طرح موضوع القياس الاثنوغرافي في الدراسات الآثارية بالطريقة المعهودة . وتوصل الكثير من طليعة المجددين إلى ضرورة تغيير الأسلوب القديم وذكروا بأن مجتمعات اليوم ليست هي مجتمعات الماضي حتى نجري مقارنة مباشرة بينهما . كما أننا إذا طابقنا الحاضر بالماضي نكون قد حصرنا احتمالات تفسير الظاهرة القديمة في ما هو موجود اليوم وهذا ربما لا يمثل حقيقة ما حدث . ومما يدعم هذا الرأي أن كثيراً من المجتمعات التقليدية أو البسيطة المعاصرة تعيش في أوضاع بيئية واجتماعية متباينة وأن نظرة الأفراد إلى شئ واحد قد تكون مختلفة نسبة لتلك الأوضاع . وإذا نظرنا مثلاً إلى كيف يتصرف الناس داخل أماكن معيشتهم في المستوطنات وطريقة رمي النفايات وفضلات الطعام وغيره من أنشطة ، سنجد اختلافاً كبيراً بين مجموعة وأخرى في نظرتهم وتقويمهم لفكرة النظافة وما تعنيه (٨) .

ولم يتوقف الآثاريون بطبيعة الحال عن استخدام الحاضر في تفسير ظواهر الماضي الآثارية وإنما تعزز الاتجاه إلى أن يقوموا بأنفسهم بإجراء البحث الاثنوغرافي . والسبب في ذلك هو الاحتياج لرؤية حركة الحياة اليومية للناس وتسجيل كل أنشطتهم وأنماط علاقات الاقتصاد المعيشي وربطها بالمستوى التقني والتكيّف على البيئة . فكثير من جوانب الثقافة المادية ومكوّناتها يغفلها الاثنوغرافيون أحياناً . فالأثاري يرغب أن يرى الأفعال وما ينتج عنها من أشياء مادية . فالمستوطنات المعاصرة تعامل كأنها مواقع أثرية ومن خلال المعايشة اليومية لأفراد ساكنيها يمكن الربط بين الأفعال والظواهر المادية في إطارها البيئي والاجتماعي .

وبعد أن تسربت أفكار ورؤى التيار الحديث انطلقت الأبحاث الاثنواركيولوجية بطريقة

غير مسبوقة . وفي خلال عقدين من بداية ظهورها شملت الأبحاث الميدانية معظم الاقطار الأفريقية والأسيوية وأمريكا الجنوبية وبخاصة المناطق التي لم تتأثر كثيراً بالزحف العمراني وأساليب الحياة الصناعية الحديثة . ونشرت سريعاً نتائج هذه الدراسات التي غطت مختلف مستويات الثقافة الإنسانية من مجتمعات الصيادين البسيطة والزراعية التقليدية والرعوية إلى تطبيقات في الآثار التجريبية في المناطق الحضرية . وتناولت موضوعاتها أنماط الاستيطان وكيفية تكوّن السجل الأثرى والنظر في ما يحدثه الإنسان وما تفعله الطبيعة فيه مما أعطى عمقاً جديداً لحفريات الآثار ومنهجيتها . كذلك شملت الأبحاث الاثنواركيولوجية عمليات إنتاج الأدوات والأواني وغيرها من أصناف الثقافة المادية وعلاقاتها بالنظم الاجتماعية والمعتقدات الفكرية . وانطلاقاً من نتائج هذه الأبحاث صار الآثاريون في كل مكان يطرقون مثلها في دراستهم لما يجدونه في المواقع الأثرية . وانتقلت اهتماماتهم إلى موضوعات جديدة حول الفكر والإدراك والأسلوب في ثقافات المجتمعات القديمة .

إمكانية تطبيق الاثنوأركيولوجيا في المملكة :

من البديهي أن نقرر إمكانية القيام بدراسات اثنواركيولوجية في المملكة ، إلا أنه يتعين علينا الإشارة إلى بعض الحالات التي تتوفر فيها فرصاً أكبر لنجاح تلك المحاولات . ويلاحظ أنه يوجد في بعض مناطق المملكة ما يشير إلى الاستمرارية الثقافية التي تعبر عن نفسها في عدد من عناصر الثقافة المادية مثل العمارة التقليدية والرعي وتصنيع الأواني الحجرية والفخارية والمعدنية والنسيج والخوص والأسلحة وغيرها . وعلى الرغم من أن أساليب الحياة الحديثة ومؤثراتها قد شملت كل أنحاء المملكة إلا أن هناك إمكانية دراسة بعض الحرف الشعبية في أُطرها المحلية مما يسمح بالحصول على معلومات قد تفيد البحث الآثاري . وكما هو الحال في أماكن أخرى يمكن أن يوجه العمل الميداني بعد توفر شروطه الموضوعية نحو نوعية من الدراسة . الأول ، دراسة حرفة تقليدية واحدة أو عدداً منها يتكامل في عمليات الإنتاج وفي الوظائف . والثاني دراسة متكاملة تشمل كل عناصر التراث المادي في سياقه البيئي والثقافي ، كالعمارة السكنية التقليدية ومحتوياتها ، أو مجتمعات الرعي وثقافاتها المادية . والأخيرة موضوع حيوي طرق حديثاً في مجال الاثنواركيولوجيا على الرغم من أنه نال حظاً طيباً في دراسات الانثروبولوجيا الثقافية . ومن المعروف أن الرعي ، كنشاط

اقتصادي ، ظاهرة قديمة تعود أصولها في المنطقة إلى نحو الألف الخامس ق . م . ولا يعرف الكثير عن المجتمعات الرعوية في التاريخ القديم ، ذلك لأن علم الآثار ركز نشاطه على دراسة المستوطنات التاريخية الكبيرة ، حيث المنشآت وتراكم المخلفات الأثرية أو مواقع ما قبل التاريخ التي تعوّد الآثاريون على أشكالها ومحتوياتها . ولم يكن هناك اهتمام بمعرفة آثار الرعاة ، خاصة وأنه ساد اعتقاد خاطئ بأنهم لا يتركون ، عادة ، الكثير من الأثر الذي يمكن مشاهدته في أماكن إقامتهم المؤقتة .

وقد أجريت دراسات اثنواركيولوجية مؤخراً عن مجموعات الرعاة في بعض بلدان الشرق الأوسط تناولت عناصر ثقافاتهم المادية وربطتها بمكتشفات آثارية يعتقد أنها لمجموعات مماثلة تعود لفترة العصر الحجري الحديث المعدني (٩) . وأوضحت هذه الدراسات أيضاً أن الرعاة الحاليين يمكن أن يكونوا مصدر معلومات مهمة عن طبيعة الحياة الرعوية ومتطلباتها من أشياء مادية كالأواني والأسلحة والمعدّات والمنشآت التي تتناسب وحياة التنقل .

إن عودة الباحث بعد مضي فترة ، إلى مواضع معسكرات الرعاة تمكنه من مشاهدة الأوضاع التي آلت إليها حالة المخلفات التي تركوها . وما تبقى منها يمكن أن يعطينا مؤشرات تدلنا على اكتشاف آثار قديمة لمثل هذه المجموعات .

ومن جهة أخرى يمكن للآثاريين في المملكة أن يطرقوا مجال الآثار التجريبية ، خاصة المتعلقة بالآثار التاريخية ، هي من نوع تصنيع مواد ، مثل الأدوات والأواني ، وغيرها ، تشبه أخرى أثرية. وهذه العملية عبارة عن إعادة لتجارب الماضي ومعايشة لأشياء حدثت وقتها (١٠). وهكذا يبدو أن معظم أنواع التراث المادي قابل للدراسة بمنهج الاثنواركيولوجيا مما يتطلب من الآثاريين إلماماً بالانثروبولوجيا إذ طوّر علماء الفولكلور والاثنوغرافيا مناهجاً معروفة في إجراء البحوث الميدانية وطرق تصنيف عناصر الثقافة المادية ، لابد للأثاري أن يلم بها عند قيامه بدراسة المجتمعات الحاضرة (١١) . وإنطلاقاً من ذلك ، لنا الآن أن نأخذ مثالين من التراث المادي لنرى إمكانية دراستهما بواسطة هذا المنهج وما يمكن أن نحصل عليه من ملاحظات تعين الدراسة الآثارية .

العمارة التقليدية :

يقصد بالعمارة التقليدية عادة كل أنماط وأنواع البناء الشعبي المتوارث عبر أجيال متلاحقة ، لاتعرف بداياتها على وجه التحديد . والعمارة التقليدية هي البناء الذي يعتمد على تقنيات موروثة ومواد بناء محلية . ومن أنماطها العمارة الحربية والدينية والسكنية ، وغيرها من منشآت متعددة الأغراض . وفي المملكة نجد معظم هذه النماذج التي مازال يبنيها الحرفيون ويقيم فيها الناس . وتعكس مخططاتها وطرزها المعمارية وزخارفها الفنية مستوىً رفيعاً من الانجاز الحضاري يعبّر عن قدرات السكان المحليين في استغلال بيئتهم الطبيعية بكفاءة عالية . إن روعة الإبداع الفني والهندسي من طرز العمارة التقليدية له تاريخ ، ولابدَّ من أن يقودنا هذا الموروث إلى تفاصيل ذلك التاريخ ، بطريقة أو أخرى . وتنتشر في بعض مناطق المملكة قرى ومستوطنات صغيرة في مناطق نائية تتكامل فيها عناصر التقليد الشعبية مع مؤثرات البيئة الطبيعية المتباينة بالرغم من اتصالها بالمناطق الحضرية . وهذه النماذج تشكّل موضوعاً حيوياً في دراسات الاثنوغرافيا والاثنواركيولوجيا . وقد حظيت العمارة التقليدية بأنواعها باهتمام الباحثين في المملكة وعملوا على وصفها وتوضيح النواحي الجمالية فيها بالصورة والكتابة . وهناك من الدراسات الاثنوغرافية العلمية ما أحرز نتائجاً مقدرة ، يذكر منها على سبيل المثال الدراسة التي أجراها فريق البحث النمساوي في مطلع الثمانينات عن عمارة عسير التقليدية ضمن المسح الاثنوغرافي الشامل للمنطقة . ونالت العمارة التقليدية معظم اهتمام فريق البحث ، فسجلوا تفاصيل عمليات البناء وتقنياته والحرفيين ودورهم الاجتماعي . كذلك شملت الدراسة وصفاً دقيقاً لخصائص العمارة وتوزيع المساحة وعلاقات الوظائف في الفراغات ، هذا إضافة إلى الزخارف المعمارية في الجدران والأبواب والنوافذ . وتعد الدراسة نموذجاً يمكن تطويره لإجراء أعمال أخرى ذات أهداف آثارية (١٢) . وهناك أيضاً من الدراسات ما خصص لتسجيل وتوثيق صفات معمارية محددة مثل دراسة الحارثي المفصلة لأعمال الأجر وتشكيلاته الفنية (١٣) . ويوجد أيضاً في بعض أقاليم المملكة بعض المباني المهجورة لأسباب مختلفة ، ومنها قرى بكاملها يعود تاريخها لماضي قريب ما زال عالقاً في ذاكرة بعض أفراد المجتمع . وهؤلاء المعاصرين يمكن الاستفادة منهم في أخذ معلومات عن

هذه القرى ، وعن سكانها وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية وعن البناء وتوظيف المساحات داخل البيوت وخارجها . والعمل الاثنواركيولوجي في هذه الحالة يتعامل مع هذه المستوطنات كأنها مواقع أثرية ، وإن كانت حديثة العهد . وفي هذه الحالة توفر لنا معلومات عن تاريخ هذه المباني وبالتالي عند كشفها ورسم مخططاتها يمكن للباحث ملاحظة التغيّر أو التآكل الذي حدث فيها خلال فترة زمنية معلومة ، وهكذا يمكننا تقدير درجة تأثير العوامل الطبيعية المختلفة في المباني وأتضح من واقع التجربة أنه يمكن أن تعطينا هذه المعلومات مؤشراً يفيد في تقدير عمر المباني الآثرية والمدى الزمني الذي تحتاجه للترميم والصيانة . ومن المناسب أيضاً في هذه الحالة تسجيل الملاحظات عن أماكن دفن الرديم ومحتوياته العضوية وغير العضوية ، إذ أن ذلك يمدنا بدلالات مباشرة عن الكيفية التي تتكوّن بها المواقع الأثرية . وأخيراً تأتي الملاحظات عن التوزيع الداخلي لنشاط السكان اليومي واستغلال الوحدات الداخلية في البيوت السكنية . ومن المؤمل أن يجد الباحث من الشواهد المادية ما يعين في تفسير بعض الظواهر في القرى الأثرية المماثلة .

وفي العمارة التقليدية المأهولة نجد أوضاعاً أخرى تناسب حالات أثرية كان من الصعب معرفة تفاصيلها وفي هذه الحالة من الممكن أن تشمل الدراسة قرية كاملة أو عينات للمساكن وملحقاتها من قرى مختلفة في منطقة أو مناطق مختلفة . فالأمر يتوقف على قضية البحث وأهدافه . أما إجراءات الدراسة الميدانية فتبدأ بجمع المعلومات عن حرفة البناء وتقنياته والأدوات وأصحابها البناء . كذلك الدور الذي يقوم به الأقارب والجيران إلى غير ذلك من الأشياء ذات الصلة بالأعراف والنظم التي تميز المجتمع . أما أهم جوانب الدراسة الميدانية فتتمثل في عمل المخططات وتحديد مساحات الغرف السكنية والمخازن ومنشآت حفظ الحيوان والطيور . وفي مقابل ذلك إحصاء كامل لأعداد السكان وممتلكاتهم وأنشطتهم الاقتصادية . كذلك يهتم البحث بخصائص العمارة فيما يتعلق بمواد البناء ومستوياتها ونوعية النوافذ والأبواب والخصائص الدالّة على الوضع الاجتماعي والاقتصادي لصاحب المنزل ويجدر الإشارة هنا لواحدة من الدراسات الاثنواركيولوجية الرائدة حول العمارة السكنية التقليدية التي أجريت في إحدى قرى كردستان النائية . وكان موضوعها الرئيس الدلالات المعمارية لحجم الأسرة والثروة التي يمكن أن يستفاد منها في معرفة نفس الشيء في قرى أثرية . ومن

المسائل المهمة تقدر حجم السكان في المستوطنات القديمة ومؤشراته الآثارية ، فقد ظل يؤرق علماء الآثار لوقت طويل وأوضحت نتائج الدراسة المشار إليها مخاطر الاعتماد على المعادلات الرياضية والنماذج الجغرافية المستخدمة في تقدير أعداد الناس في الوحدة السكنية وبالتالي كامل المستوطن الأثري . واهتمت الدراسة أيضاً بالنشاط اليومي للسكان وأماكن رمي النفايات ودلالاتها إذا ما أصبح المستوطن الحالي موقعاً أثرياً (١٤) .

الأواني الحجرية :

تمثل الأواني عموماً بأنواعها المختلفة عنصراً مهماً في حياة الإنسان . فهي المعدات التي يستخدمها في عمل الطعام وحفظه ، وهي أواني للشرب وحفظ السوائل . وتتنوّع أشكالها بتنوّع وظائفها . ويمثل ظهور الآنية في المجتمعات القديمة نقلة حضارية نوعية في حياة الناس عندما تمكنوا من تحقيق مرحلة اقتصاد الزراعة وتربية الحيوان . ويولي الآثاريون في عملهم أهمية كبيرة للأواني لأنهم يستشفون منها معلومات عن مستويات التقنية والقدرات الفنية وعن الزخارف والرموز التي توجد عليها ، إضافة إلى دورها في حياة الناس وأنشطتهم المادية . وخلال عملية التنقيب الأثري يهتم الآثاري بتسجيل الأماكن التي توجد فيها الأواني واتصالها بالمعثورات والظواهر الأخرى وأعدادها في البقعة أو المنطقة المعينة . بعد ذلك تبدأ عمليات التصنيف المضنية التي يجريها الباحث من أجل ترتيبها في مجموعات ويحاول أن يجد الرابط بينها من أساليب الصناعة وطرز الزخارف وغيرها . والتصنيف الآثاري للأواني يقوم على أسس منهجية وأخرى نظرية ، يكوّن الباحث عن طريقها أنواع يحمل كل نوع منها معنى ثقافياً . ومهما كانت علمية أسس التصنيف فلابد أن نتذكر بأنها ليست من أصل الأشياء المصنّفة لأن الأخيرة لا تستمد وجودها من التصنيف كما أن لصانعيها ومستخدميها تصنيفاتهم الخاصة . وقد تكون المعايير التي يستخدمها الباحث في التصنيف مصدراً للإرباك أو الاستنتاجات غير الواقعية خاصة إذ كانت غير محكومة بقواعد متفق عليها بين الباحثين . ومها يكن من أمر ، فالتصنيف مبدأ ثابت في عمل الآثاريين إذ بواسطته تعرف خصائص المواد الآثرية وتسهيل مهمة وصفها . ومن الممكن أن نجمل الصفات التي يستخدمها الآثاري في أربعة مجموعات كالتالي :

١- مجموعة السمات الفنية وتشمل الشكل وفنون التصنيع والإبداع .

٢- مجموعة السمات الوظيفية .

٣- مجموعة السمات المرتبطة بالجوانب الاجتماعية .

٤- مجموعة السمات القياسية .

إن استنباط الخصائص الثقافية من مثل هذا التصنيف قد يكتنفه الغموض في بعض جوانبه وبعضه قد لا يعرف من المواد الآثرية المباشرة . وربما لا يكون نظام التصنيف مرناً بما فيه الكفاية ليغطي كل المجاميع التي يراد دراستها وينتج عن ذلك تسمية أنواع ليست جزءاً من الواقع الثقافي .

ومن جملة المصنوعات الشعبية في المملكة ، أشير إلى الأواني الحجرية التي تصنّع حتى الآن بكميات معقولة في بعض المناطق و فيها من التنوّع التقني والشكلي ما يجعل دراستها أمراً مرغوباً ينبئ بالحصول على معلومات مهمة تفيد البحث الآثاري . فبعض المشكلات التي ذكرنا أنها قد تواجه تصنيف المعثورات الآثرية ربما لا نجد لها تقويماً إلا بالنظر في حالة تصنيع الأواني التراثية . والأواني الحجرية قد تأتي عادة في المرتبة الثانية بعد الفخار في مواقع الحضارات القديمة وهي غالباً ما تكتشف كاملة الشكل ومحتفظة بتفاصيلها الزخرفية . وهذه الصفات المحتملة تجعلها مادة جديرة بالدراسة والتحليل .

وفي حالة الدراسة الاثنواركيولوجية للأواني الحجرية لابد من إجرائها في المحيط الطبيعي الذي تنتج وتستعمل فيه لا كمجموعات متحفية أو معروضة في الأسواق فقط . وتبدأ الدراسة بالنظر في الخطوات التالية مثلاً :

١- جلب المواد الخام ومعرفة أماكن تواجدها وقربها من المستوطنات أو أماكن التصنيع.

٢- تصنيف أماكن التصنيع في المستوطنة وما يحدث بشأن مخلفات التصنيف ومعالجتها .

٣- معلومات عن الحرفيين وعلاقاتهم الاجتماعية وقدراتهم الفنية وإدارتهم لعلاقات الإنتاج والتوزيع .

٤- تصنيف الأواني على أُسس علمية تغطي الخصائص الشكلية والفنية والزخرفية والوظيفية .

٥- التنوّع في الأشكال والزخارف والمضامين الثقافية لهذا التنوّع .

٦- تصنيف الحرفيين للأواني التي ينتجونها في مقابل تصنيف الباحث لها .

٧- توزيع الأواني المصنّعة في داخل المستوطنة وخارجها ومعرفة خطوط شبكة التوزيع وعلاقاتها الاقتصادية والاجتماعية .

٨- ما يحدث للأواني بعد توزيعها ومدة استعمالاتها ومعدلات التلف فيها .

ويحتاج الباحث في جميع المعلومات بهذه الطريقة إلى وقت طويل يقسم في زيارات متعددة . وفي النهاية يأمل الباحث أن يكوّن منها افتراضات يظن أنها تناسب حالة أو حالات معروفة في مواقع أثرية . كذلك يمكن له أن يختبر هذه الآراء أو الفرضيات في أماكن أخرى حتى يتأكد من صحتها أو عدمه .

وفي حالة مماثلة قام سليمان حسن بدراسة الأواني الخشبية التقليدية في منطقة جازان اتبع فيها خطوات منهجية معروفة في علم الفولكلور . وقد تابع إنتاج عينات محددة للأواني الخشبية في أماكن صناعتها والحرفيين الذين يعملون في إنتاجها . وأجرى تصنيفاً لها على أسس علمية مكنته من اكتشاف الخصائص النوعية والشكلية لهذه الأواني .

وقد صنّف الزخارف والرموز بطريقة تفصيلية أوضح من خلالها بأنها تعبر عن أفكار ورؤى الناس حول فنون التشكيل وكذر بأن الزخارف كانت في مبدأ أمرها نوعاً من أنواع الوسم يوضح على الإناء ليؤكد ملكية صاحبه وقد يوضع معه أيضاً رمز القبيلة أو العشيرة . وقد قارن زخارف قواعد الأواني برموز الوسم فوجد بعضها متطابقاً ثم انتقل ليقارنها برموز الوشم وزخارف الزرد أو التنجيم وبعض الزخارف المعمارية ويلاحظ أن الباحث يأتي بالأمثلة من أماكن متفرقة من العالم العربي مما يجعل قبول مثل هذه الاستنتاجات صعباً . والأمر قد يحتاج دراسات فيها تمثيل إحصائي أفضل لهذه الزخارف قارنها الباحث بأخرى على بعض المشغولات المعدنية والأواني الفخارية التي اكتشفت في موقع قرية الفاو الذي يؤرخ إلى الفترة ما بين القرن الثالث قبل الميلاد إلى مطلع القرن الرابع الميلادي . إن المطابقة بين زخارف

الأواني الخشبية وزخارف الأواني الأثرية بالفاو يحتاج هو الآخر إلى مناقشة متعمقة ولكن الفكرة نفسها تظل متميزّة (١٥) .

وأود في الختام أن أطرح مؤشرات أولية حول إجراء البحث الاثنواركيولوجي أعتقد أنها ضرورية للمناقشة .

١- البحث الاثنواركيولوجي مثله مثل الأبحاث الميدانية الأخرى لابد أن ينطلق من أهداف. وهنا يظن الباحث أن إمكانية تحقيقها تتوقف على دراسة ظاهرة أو ظاهرات ثقافية معاصرة في منطقة معينة وأن نتائج ذلك البحث تساعد في تقدم المعرفة الإنسانية بصفة عامة وفي حل بعض المشكلات العلمية في تفسير ظواهر أثرية معروفة لدى الباحث .

٢- وفي حالة التراث الشعبي يؤمل اختيار منطقة دراسة مناسبة وتحديد العينة بطريقة علمية بحيث أنها تكون ممثلة لقطاع الحرف التي يرغب الباحث في دراستها . وأن تكون عينة الحرفيين تمثل أيضاً التنوع الموجود لجهة قدراتهم الفنية وتخصصاتهم ووضعهم الاجتماعي .

٣- العمل على جمع المعلومات الكافية عن التاريخ الثقافي والحضاري والسكاني لمنطقة الدراسة والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الحالية وللباحث أن يستخدم أدوات المسح الاجتماعي لتسجيل عادات الناس وعلاقاتهم الاجتماعية وغيرها .

٤- بما أن أحد خطوات البحث الاثنواركيولوجي مراقبة الإنتاج الحرفي في إطاره البيئي والاجتماعي وما يتصل به من أنماط السلوك اليومي لأفراد المجتمع فإنه يتعين الحصول على معلومات عن البيئة الطبيعية . وتوزيع ما يتوفر من المواد الخام في منطقة البحث قد يؤثر في بعض عمليات إنتاج المواد الشعبية التي يراد إنتاجها .

٥- ومن الإجراءات المتفق عليها تسجيل الملاحظات الدقيقة عن كل مراحل التصنيع المختلفة بدءاً من الحصول على المواد الخام ومعالجتها حتى تصنيع الأشياء ودخولها منظومة الثقافة المادية . ويعمل الباحث على معرفة استعمالات الأواني وعمرها الافتراضي . ومثل هذا العمل لا ينتهي في موسم واحد وإنما يتطلب زيارات

متكررة لمنطقة البحث في أوقات مختلفة . فكلما كان اتصال الباحث بمجتمع الدراسة أقوى كلما كانت النتائج أكثر موثوقية .

٦- وبما أن الباحث يهدف إلى الاستعانة بالحاضر لمعرفة بعض الظواهر الثقافية في المجتمعات القديمة فلابد من أخذ الحذر في المطابقة أو المقابلة المباشرة . فكل مجتمع في حالة تغيّر وحركة مستمرين . ومهما يكن من أمر ، يظل البحث عن أنماط السلوك الإنساني وتعبيراتها المادية هدفاً يمكن تحقيقه باعتماد أسلوب المشاهدة الفعلية لتصنيع الأشياء واستعمالاتها وما يتصل بها من سلوك الناس ورغباتهم في الواقع المعيش .

وهكذا فالبحث الاثنواركيولوجي يهدف ضمن ما يهدف إليه إلى كشف العلاقات بين عناصر التراث المادي من خلال تحديد أوجه الشبه (الأنماط) والتباين فيه . ثم يتبعها بالنظر في علاقات التراث المادي باتجاهات السلوك الإنساني والتنظيم الاجتماعي في النسق الثقافي الشامل .

الهوامش

١- جاء في الاتفاقية الدولية لصون الفولكلور ١٩٨٩حول تعريف الفولكلور ما يلي :

" الفولكلور أو الثقافة التقليدية والشعبية هو جملة أعمال إبداع نابعة من مجتمع ثقافي وقائمة على التقاليد ، تعبر عنه جماعة أو أفراد .... وتضم أشكاله فيما تضم : اللغة ، والأدب ، والموسيقى ، والرقص والألعاب ، والأساطير ، والطقوس ، والعادات ، والحرف والعمارة وغير ذلك من الفنون " .

محمد الجوهري ، ١٩٩٩م . حماية التراث الشعبي : دور مستقبلي لعلم الفولكلور . المجلة العربية للثقافة عدد ٣٦ .

٢- اللجنة العالمية للثقافة والتنمية (اليونسكو) : ١٩٩٥م .

التنوع البشري الخلاّق . ترجمة المجلس الأعلى للثقافة . مصر ، إشراف وتقديم جابر عصفور (١٩٩٧م) .

٣- راجع نص الاتفاقية الدولية لصون الفولكلور التي أجازتها منظمة اليونسكو . محمد الجوهري١٩٩٩م ، مرجع سابق .

٤- ويجدر بالذكر في هذا السياق ما تقوم به مراكز التوثيق في المكتبات العامة الكبيرة وغيرها وكذلك مهرجان الجنادرية الذي يقيمه الحرس الوطني كل عام في احتفالية مشهودة للتأصيل الثقافي وإحياء التراث الشعبي العريق . وفي مجال البحث الأكاديمي في التراث وتطويره لابد من الإشارة إلى مجهودات قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود حيث نجد مقررات دراسية في التراث الشعبي والاثنواركيولوجيا مضمنة في برنامج البكالوريوس . ومما يسعد المرء أن يرى إنجاز عدد من رسائل الماجستير في موضوعات مختلفة عن الثقافة المادية . ويقوم الآن ثلاثة من الباحثين بإعداد أطروحاتهم لدرجة الدكتوراة في الاثنواركيولوجيا في موضوعات الثقافة المادية للرعاة والعمارة السكنية التقليدية في جنوبي غربي المملكة وحرفة السدو والحياكة . وفي وكالة الآثار والمتاحف قسم خاص يعنى بالتراث الشعبي ، يقوم بجمعه وعرضه . وقد أصدر عدداً من المؤلفات المهمة عن مختلف أنواع الحرف الشعبية من كل مناطق المملكة . أنظر : عباس محمد زيد

العيسى ١٩٩٨م . موسوعة التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية . ٧ أجزاء . وزارة المعارف .

٥- الاثنواركيولوجيا Ethnoarchaeology كما هو واضح تتكون من مقطعين الاثنوغرافية والارثيولوجيا بمعنى الاثنوغرافيا الآثارية . وهي تعبر عن مدى ارتباط علم الآثار بالانثروبولوجيا . وتسمى أحياناً Living Archaeology بمعنى دراسة المجتمعات المعاصرة بمناهج علم الآثار ، وتدمج معها أيضاً الآثار التجريبية أو التطبيقية Experi- mental Archaeology على الرغم من أن مجالاتها تنحصر في إعادة تجارب الماضي مثل صنع أدوات أو حرف فنية أو مباني وغيرها من رحلات تجارية واستكشافية . وتعتمد التجربة على توفر معلومات أثرية أو تاريخية عن ذلك النشاط كما على الباحث الالتزام ببعض الشروط العملية المطلوبة لنجاح التجربة . أنظر : Coles, J . 1979

٥- **Exprimental Archaeology** . Academic Press . Ian Hodder . 1982, **The 1982, The Present Past .** B.T.Batstord. pp, 1-27 .

٧ - لمزيد من المعلومات عن أطروحات التيار الحديثة في وقت ظهورها وقبل أن تحدث مراجعات مهمة لبعضها أنظر :

Binford, Lewis, R.1962,
Archaeology as anthropology. **American Antiquity ,** 28,217-25 .
Binford, Lewis, R1972 **An Archaeologyical Perspective.** seminar Press.
Hodder, I . 1982 . pp .61 - 64 .

٨ - مرجع سابق .

٩ - ومن أمثلة الأعمال الحديثة في هذا المجال مجموعة أبحاث تغطي موضوعات مختلفة عن الرعي والمجتمعات الرعوية قديماً وفي الوقت الحاضر وأحدها عن الثنواركيولوجيا البدو/ الرعاة في الجزيرة العربية أنظر :

Ofer Bar- Yosef and Anatoly Khazanov 1992 .
Pastoralism in the Levant . Archaeological Materials in Anthropolo- gical Perspectives. Prehistory Press .

١٠ - يخطر بالبال دائماً ، في مثل هذه الحالة إمكانية القيام برحلة عبر أحد دروب الحج

الإسلامية ، فهي قد تمت دراستها آثارياً وهناك في كتب التاريخ والتراث وصفاً مهماً عن رحلات المسلمين وتجاربهم على طول هذه الدروب . ويمكن للمرء أن يتخيل الفوائد العلمية والتعليمية والسياحية إذا ما أُجريت هذه التجربة بنفس مواصفاتها القديمة . وهناك الكثير من الأمثلة لاستعادة تجارب رحلات حدثت في العصور القديمة بحرية وبرية ، كانت لها فوائدها العلمية وقد صفنت ضمن اهتمام الاثنواركيولوجيا .

١١- ناصر البقلوطي ، ١٩٩٨م ، نحو تصنيف منهجي لعناصر الثقافة المادية في الوطن العربي ، المأثورات الشعبية . عدد ١٢- ص ٥٢ - ٧٦ . بيبي .

12- Andre Gingrich 1983,
Traditional Architecture . In : Walter Dostal , **Ethnographic Atlas of Asir .** Wien . pp . 74-121 .

١٣ - تقدم هذه الدراسة الميدانية القيمة معلومات مهمة عن بناء الآجر والخطوات المتبعة في صناعته بمكة المكرمة ووصفاً دقيقاً لنماذج تشكيلات الزخارف وكان من الممكن أخذ هذا العمل الجيّد وجعله حالة اثنواركيولوجية .

أنظر : د . ناصر بن علي الحارثي ، ١٩٩٨م ، موسوعة الآثار الإسلامية بمكة المكرمة - أعمال الأجر ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي (١٠٦) .

١٤ - Carol Kramer , 1979,
An Archaeological View of a contemporary Kurdish Village : Domestic Architecture , Household size and wealth . in : **Ethnoarchaeology** . c. Kramer (ed.)Columbia Univ . Press . pp . 139 - 174 .

١٥ - د. سليمان محمود حسن ، ١٩٨٩م، الأواني الخشبية التقليدية . عند عرب الجزيرة ، مدخل لدراسة الفولكلور العربي ، نادي جازان الأدبي .



الحماية القانونية للآثار على الصعيد الوطني والدولي

د . حسام الدين بن محمد أحمد (*)

مقدمـة :

تتزامن ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية حمايتها والمحافظة عليها ، مع مئوية التأسيس والتوحيد ، لتوضح بجلاء أن ماضي الأجداد هو ركيزة لحاضر الأبناء ، وليس مجرد صفحات من تاريخ انطوى ، ومن ثم تصبح مسؤولية كل جيل المحافظة على تراث الأجيال السابقة ، وهي مسؤولية تتحملها الأجيال المتعاقبة على أرض المملكة المباركة إلى ما شاء الله .

ومرد هذه المسؤولية لا يكمن فحسب في الوراثة الطبيعية لتراث الأجداد والتي ينوب عنا ولي الأمر في المحافظة عليها وسن النظم لهذه المحافظة ، بل يتعدى ذلك إلى أن هذا التراث جزء لا يتجزأ من تراث الإنسانية منذ وجدت الخليقة ومن ثم فإن العالم بأسره معنيٌ بهذه الحماية لكونها عنصراً من عناصر التراث العالمي للبشرية .

والنمط التقليدي لحماية الآثار والمحافظة عليها ، هو التدخل بالنظم التي تتضمن القواعد الموضوعية والإجرائية للحماية ، وذلك في مواجهة تزايد الأخطار التي تستهدف الآثار ، وهي في تقديرنا تستهدف الآثار الغارقة أو التي لم يتم اكتشافها بدرجة أكثر ، الأمر الذي عالجه نظام الآثار الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٢٦ بتاريخ ١٣٩٢/٦/٢٣هـ .

ومع ذلك ورغم هذا النمط التقليدي للحماية ، فإنه لا يعد كافياً لتوفير الحماية للآثار ، حيث يتعين أن يسانده نمط حديث للحماية يتمثل في إيقاظ الوعي الأثري سواء للمواطن أو المقيم ، بحيث يشارك هو الآخر في الحماية .

هذا وبالنظر إلى أن نظام الآثار في المملكة شأنه في ذلك شأن نظم الآثار في مختلف دول العالم يمثل خط الدفاع الأولي في مواجهة مختلف ، أشكال المخاطر التي تهدد الآثار ، فقد

(*) عضو هيئة التدريس - جامعة المنوفية - مصر .

حرصت على تعداد هذه المخاطر سواء كانت طبيعية أو من فعل الإنسان ، وتابعت في ذلك خطة المنظم تجاه مواجهة هذه المخاطر ، موضحاً الثغرات التي تضعف من إحكام هذه الحماية ومقترحاً في الوقت نفسه كيفية سد هذه الثغرات سواء فيما يتعلق بقواعد الحماية الموضوعية أو قواعد الحماية الإجرائية ، و لهذا السبب يعد موضوع البحث وثيق الصلة إلى حد التداخل مع العديد من محاور الندوة حيث يكون نظام الآثار في المملكة القاسم المشترك للعديد من محاورها ، ونأمل أن يمثل هذا البحث لبنة متواضعة في صرح حماية الآثار في المملكة العربية السعودية .

الفصل الأول

الحماية الموضوعية للآثار وقواعد هذه الحماية

ماهيتها :

يقصد بهذه الحماية وضع القواعد النظامية التي تكفل تلافي المساس بسلامة الآثار التي تم اكتشافها وكذلك الآثار الغارقة ، وضمان حقوق ملكية الدولة لهذه الآثار في الداخل والخارج ومواجهة العدوان الفعلي على هذه الآثار سواء كان ذلك في صورة العمد أو الخطأ وذلك بواسطة قواعد التجريم والعقاب .

نتناول بحث أحكام الحماية الموضوعية للآثار في مبحثين :

المبحث الأول

الحماية الموضوعية تجاه الأخطار الطبيعية

المطلب الأول : المخاطر الطبيعية :

ماهيتها :

يعد الخطر على هذا النحو إذا كان بسبب الطبيعة ، أو بفعل الإنسان متى كان نتيجة لممارسة أوجه النشاط الإنساني المختلفة المشروعة ومن ثم فإن دور الإنسان يكون بمثابة المحرك لهذا الخطر .

تعداد الأخطار الطبيعية :

بالنظر إلى طبيعة الأخطار فإنها تنبو عن الحصر ، ويندرج في عداد هذه الأخطار الزلازل والبراكين - السيول والأمطار - تأثير المناخ خاصة بعد استخراج الآثار الغارقة أو من الأماكن المغلقة التي يتعرض فيها الأثر إلى عوامل مغايرة للمحيط أو البيئة التي وجد فيها هذا الأثر - التصدع بفعل القدم وتأثيرات العوامل الجوية - الطمر بالرمال - ارتفاع منسوب المياه الجوفية - تلوث البيئة - الاهتزازات الأرضية بفعل المركبات أو استخدام الآلات - ارتفاع منسوب مياه الرشح ومياه الصرف .. . إلخ .

ومما سبق يتضح لنا أن الأخطار بالمفهوم السابق لا تقبل في جميع أنواعها التدخل بقواعد تنظيمية لحماية الأثر من نتائج هذه المخاطر فإننا سوف نتخير بعضاً من هذه الأخطار، التي تقبل بطبيعتها التدخل بقواعد الحماية الموضعية تجاه هذه الأخطار .

أولاً : تلوث البيئة :

يتلازم تلوث البيئة مع ممارسة الإنسان لجوانب الأنشطة المختلفة بدرجات تتفاوت بين نشاط وآخر ، وأهم مسببات التلوث التي ينجم عنها تهديد سلامة الأثر الأدخنة والأبخرة الناجمة عن المنشآت الصناعية، إضافة إلى عوادم السيارات وآلات الجر الميكانيكية بوجه عام.

وخطر التلوث البيئي في المحيط الجوي مشكلة حادة يمتد ضررها ليصيب الإنسان ذاته ، وذلك في العديد من دول العالم وليست المملكة ، ولله الحمد من بين هذه الدول ، ومع ذلك فإن الخطر قائم على الآثار في المملكة متى وجد المسبب في المحيط الخاص بالأثر أو الآثار المعنية .

ثانياً : مشروعات البنية التحتية :

تتمثل هذه المشروعات في الأعمال الخاصة بشق الطرق - الأنفاق - السدود - الري - الصرف الزراعي والصحي - التشجير - الخطوط الأرضية للمواصلات السلكية واللاسلكية - الخزن الاستراتيجي .

ثالثاً : الاهتزازات :

يقصد بها هذا النوع الذي يتسبب فيه الإنسان والذي ينعكس سلباً على الأثر أو الآثار الثابتة بوجه خاص ، والتي تنجم بالدرجة الأولى عن وسائط النقل الجوية والبرية ، واستخدامات الآلات في وضع أساسات الأبنية المختلفة ، وتضرر الآثار التي توجد في المدن أو على جوانب الطرق البرية مباشرة أو التي تقع في المسارات الجوية وبشكل أكثر حدة بالقرب من المطارات .

رابعاً : البناء الملاصق للمناطق الأثرية :

البناء في حد ذاته من الأنشطة المشروعة الطبيعية التي يمارسها الشخص الطبيعي أو المعنوي ، إلا أن البناء المعني هنا هو البناء الذي يخل بالطابع الأثري سوء للمنطقة الأثرية أو

الأثر نفسه حسب المقتضى وليس البناء في المنطقة الأثرية أو في الأثر ذاته أو عليه حيث يدخل ذلك في نطاق الأخطار التي يتسبب فيها الإنسان بسبب ممارسته غير المشروعة ، وهو ما سوف نستعرضه بالشرح والتحليل في موضعه من هذا البحث .

المطلب الثاني : قواعد الحماية الموضوعية تجاه المخاطر الطبيعية كما تضمنها نظام الآثار وما يجب أن تكون عليه :

تمهيد :

فيما سبق عرفنا المخاطر الطبيعية بالمفهوم المتسع الذي يتضمن المخاطر الناشئة عن مباشرة الإنسان لأوجه نشاطاته الإنسانية المختلفة متضمناً ذلك مباشرة السلطات العامة في الدولة لاختصاصاتها والمتعلقة بهذه النشاطات ، وهي التي تحتاج إلى قواعد موضوعية وإجرائية لوضع ضوابط هذه الممارسة بحيث تتلافى وقوع الضرر على الأثر أو الآثار المعنية لكون ذلك يمثل الغاية أو الهدف من القواعد الموضوعية لحماية الآثار من المخاطر الطبيعية .

أما بالنسبة للمخاطر الطبيعية بالمفهوم أو المعنى الضيق كما في حالة الزلازل والعواصف والسيول فإنها بالدرجة الأولى يتم مواجهتها والتقليل من الآثار الناجمة عنها وفق الخطة القومية أو الاستراتيجية على مستوى الدولة متضمنة حماية التراث الوطني .

ولهذه العوامل ، فإن بحثنا سوف يقتصر على الأخطار أو المخاطر الطبيعية بالمفهوم الواسع ، حيث نستعرض بالشرح والتحليل تنظيم هذه الحماية في نظام الآثار الحالي وثغرات هذه الحماية ومقترحاتنا بشأن سد هذه الثغرات حسب المقتضى .

أولا : تلوث البيئة :

لا يقصد منها التلوث البيئي العام ، وإنما نقصره على تلوث بيئة الأثر أو الآثار ذاتها والمحيط الخاص بها ، حيث نلاحظ بهذا الشأن خلو نظام الآثار من نص صريح يحظر الأنشطة الصناعية أو غيرها من الأنشطة التي يمكن أن تسبب تلوثاً في بيئة الآثار أو الأثر الذي يقع في محيط هذه المشروعات ، الأمر الذي يتطلب نصاً صريحاً يتطلب موافقة سلطة الآثار أو دائرة الآثار في المملكة بإقرار المشروعات على هذه الشاكلة ، وإخضاعها لمراقبة الجهة المختصة لضمان عدم تلويثها لبيئة الأثر حتى بعد إقرارها وهو ما ينعكس إيجاباً على البيئة العامة في الوقت نفسه .

ثانياً : مشروعات البنية التحتية :

تتمثل قواعد الحماية الموضوعية بهذا الشأن ، في عدم جواز تنفيذ المشروعات التي تندرج في هذا المفهوم ، قبل الحصول على موافقة سلطة الآثار لتوقي مخاطر تنفيذها على الأثر أو الآثار المعنية – وهذا القواعد كذلك تندرج في مفهوم الحماية الإجرائية للآثار ، والملاحظ أن هذه القواعد لا تواجه مشروعات التعدين أو التنقيب عن البترول .

ثالثاً : الاهتزازات :

حماية الأثر أو الآثار المعنية من مخاطر الاهتزازات وإن لم يفرد له المنظم نصاً خاصاً ، فإن قواعد الحماية الموضوعية للآثار من مخاطر مشروعات البنية التحتية تندرج في إطاره . وخاصة بالنسبة للآثار التي تتواجد داخل المدن الكبرى حيث تحيط بها شبكات الطرق السريعة والفرعية إضافة إلى وقوعها في نطاق المسارات الجوية .

رابعاً : المحافظة على الطابع الأثري للمنطقة أو الأثر :

تتمثل قواعد الحماية الموضوعية للأثر من مخاطر طغيان النشاط البشري المتعلق بالبناء على الطبيعة الأثرية للمنطقة ، في عدم جواز منح البلدية رخص البناء والترميم في الأماكن القريبة من المواقع الأثرية والأبنية التاريخية .

كما يتضمن نظام الآثار في المملكة التوجيه إلى سلطة الآثار بالتعاون مع جهات الاختصاص بتحديد المناطق والمباني والتلال الأثرية القريبة من الأماكن الآهلة بالسكان .

تقييم قواعد المحافظة على الطابع الأثري :

وفي تقديرنا فإن قاعدة الحماية على النحو الوارد في صياغة النص المعني غير كافية ، وتتطلب تحديد منطقة أو حرم حول الأثر أو المنطقة المعنية تحدد مسافتها مسبقاً مع حفظ الحق لسلطة الآثار في زيادة هذه المسافة حسب المقتضى ، وتكون هذه المنطقة هي الأراضي المتاخمة التي تقع خارج نطاق الأثر أو المنطقة ، بحيث تصدر تراخيص البناء بعد ذلك على ضوء هذا التحديد .

وفي الوقت نفسه ، فإننا نرى أنه من المناسب ، منح سلطة الآثار ومقابل تعويض عادل

ترتيب حقوق اتفاق على العقارات المجاورة للمواقع الأثرية والمباني التاريخية لضمان المحافظة على خصائص هذه المواقع والمباني .

المبحث الثاني
الحماية الموضوعية تجاه الأخطار البشرية

المطلب الأول : الأخطار البشرية :

خلافاً للأخطار الطبيعية التي تتعرض لها الآثار ، تتعرض في الوقت نفسه لأخطار بشرية يفوق ضررها على الآثار الأخطار الطبيعية ، ويقصد بهذا النوع من الأخطار ، الفعل أو الأفعال العمدية التي تمثل عدواناً على الأثر أو الآثار والتي تقع من قبل الشخص الطبيعي أو المعنوي بواسطة ممثله أو ممثليه .

تعداد الأخطار البشرية التي تحيق بالآثار :

هناك العديد من هذه الأخطار التي تندرج في إطار المفهوم أو التعريف المتقدم للأخطار البشرية ، وسوف نقتصر على تعداد الشائع منها ، والذي تنظم قواعد الحماية الموضوعية لمواجهتها سواء في نظام الآثار أو في غيرها من الدول العربية والأجنبية .

أولاً : سرقة الآثار :

يمثل ذلك الخطر القاسم المشترك الذي يهدد آثار جميع الدول دون استثناء ، والسرقة لكونها من الأفعال العمدية والتي ترتكب بقصد نقل حيازة الأثر من حيازة مالكه وإدخاله في حيازة الجاني ، يمثل كذلك خطراً تقليدياً تجمع مختلف أنظمة حماية الآثار على تجريمه ووضع القواعد التي تحول دون تحققه ابتداء أو للتقليل من احتمالات حدوثه ، وكما يقع فعل أو أفعال السرقة من الشخص الطبيعي- يمكن أن تقع من قبل الشخص المعنوي الوطني أو الأجنبي بواسطة ممثله أو ممثليه ، وتزداد احتمالات تحقق هذا الخطر من قبل الهيئات أو المؤسسات الأجنبية التي لها اهتمام بالآثار والتي تحصل على تراخيص التنقيب عن الآثار داخل الدولة ، وهو الأمر الذي يتم معالجته من خلال قواعد الحماية الموضوعية والإجرائية النظامية متضمنة قواعد الحماية الأمنية .

وهذه السرقة على النحو المتقدم كما تقع على الآثار المنقولة يمكن أن تقع على الآثار الثابتة وذلك بواسطة فصل بعض أجزاء هذا الأثر حيث يشكل هذا العمل إضافة إلى السرقة ، فعل إتلاف أو تخريب للأثر محل هذا الاعتداء ، وبالنسبة للآثار المنقولة تقع عليها أفعال السرقة سواء في بيئة الأثر الطبيعية أي المكان الذي عثر فيه على الأثر ، أو في المكان الذي نقلت إليه وهو في الغالب المناطق المخصصة لهذا الغرض .

ثانياً : التهريب :

ويقصد به الإخراج غير المشروع خارج حدود الدولة سواء من خلال المنافذ البرية أو البحرية أو الجوية المشروعة ، أو من غير هذه المنافذ .

ويسهم في تحقيق هذا الخطر العديد من العوامل التي يمكن التقليل من فاعليتها – بالإضافة إلى قواعد الحماية الموضوعية الإجرائية النظامية – التوسع في تدابير الحماية الأمنية للآثار ، ومن أهم العوامل ذات الصلة بهذا الخطر ، استغلال الإجراءات الجمركية – وبشكل خاص عدم إلمام البعض من رجال الجمارك بالأثر المهرب – التقليد غير المرخص به وهو عامل يسهم بقسط وافر لرجال الجمارك ، إضافة إلى ما تقدم يأتي عامل استغلال الحصانات الدبلوماسية عاملاً مهماً في إتمام هذا التهريب سواء بواسطة الحقائب الدبلوماسية أو المشحونات التي تحمل نفس الصفة .

ثالثاً : اختلاس الآثار :

يتفق الاختلاس مع السرقة من حيث المفهوم ، وأركان الفعل المجرم بقواعد موضوعية سواء من الوجهة الشرعية أو النظامية ، بفارق أن الاختلاس يقع من الموظف العام الذي تكون له علاقة بالأثر أو الآثار محل الاختلاس وسواء قام بهذا بنفسه أو سهل ذلك لغيره .

ويساهم في تحقيق هذا الخطر غياب القواعد المنظمة لتسليم وتسلم الآثار بشكل دقيق ، إضافة إلى عدم فاعلية إجراءات الأمن والحراسة وأخيراً تراخي تسجيل الآثار المكتشفة .

رابعاً : تخريب / إتلاف / تشويه الأثر :

ويقصد بذلك إما إعدام الأثر ذاته سواء في ذلك الأثر الثابت أو المنقول أو تغيير معالمه تغييراً كلياً عن الحالة التي اكتشف بها أو جزئياً وسواء كان ذلك بالاستقطاع من مادة الأثر

أو بالإضافة عليه ، أو محو نقوشه أو إبدالها أو تحويرها ، ويلحق بذلك تغيير التربة الأثرية وإزالة التلال الأثرية أو تسويتها ، وكل ما تقدم نماذج لأفعال تحقق النتائج سالفة الذكر أي تخريب ، إتلاف ، تشويه الأثر .

خامساً : تقليد الأثر :

ويقصد به عمل نسخة طبق الأصل أو مثيلة لأثر حقيقي مكتشف ، والغالب أن استخدام التقليد على هذا النحو يكون لأغراض مشروعة مثل أغراض الدراسة – والإهداء إلا أن ذلك لا يشكل قاعدة في كل الظروف ، حيث يمكن الانحراف عن الغرض أو الأغراض المشروعة وذلك بقصد إخفاء سرقة الآثار الحقيقية حيث يتم فيها استبدال الأثر المقلد بالأثر الحقيقي وسواء في ذلك الأثر الثابت أو الأثر المنقول ، إضافة إلى استخدام الآثار المقلدة للتحايل على القواعد المنظمة للاتجار بالآثار .

سادساً : تزييف الأثر :

يتضمن تقليداً له مع تغير في عمر الأثر ، أو تلاعب في مادة الأثر الصحيح ، وهي أفعال تتفق في التقليل من مصداقية الأثر ودلالته .

سابعاً : التنقيب :

يقصد به التنقيب الذي يقوم به الشخص الطبيعي أو المعنوي بقصد البحث عن الآثار دون حصوله على ترخيص بذلك من سلطة الآثار ، وسواء كان ذلك التنقيب في مكان مملوك للقائم عليه ، أو ملكية عامة للدولة ، أو في منطقة أثرية مسجلة أو غير مسجلة أو بعد انتهاء مدة سريان الترخيص أو الأمر بإلغاء الترخيص أو في منطقة غير مصرح له بها .

ثامناً : الاعتداء على أرض أثرية :

تتعدد أشكال هذا الاعتداء ، فقد يتم إعدادها للزراعة أو زراعتها بالفعل ، أو وضع تشويهات بها أو حفر آبار للمياه أو تمرير مصارف أو سواقي بها أو القيام بنقل أتربة أو صخور من الأرض الأثرية . . إلخ .

تاسعاً : عدم إبلاغ السلطات الأثرية أو أقرب سلطة عامة بالعثور على أثر منقول أو ثابت أو في باطن الأرض مصادفة :

عاشراً : عدم إبلاغ السلطات من قبل مالك الأثر العقاري المسجل بتصرفه في العقار .

من الواضح أن ذلك الأمر ، يفقد السلطات الأثرية قدرتها على تتبع الأثر في يد مالكه الجديد ، إضافة إلى حرمان الدولة من ممارسة حق الشفعة متى كان ذلك مناسباً من وجهة نظر السلطة الأثرية .

حادي عشر : الاتجار في الآثار بغير ترخيص من السلطات الأثرية :

تستهدف قواعد الحماية الموضوعية والإجرائية تنظيم هذا الاتجار بقصد مواجهة الاتجار الغير مشروع الذي يشكل خطراً كبيراً وبشكل خاص بالنسبة للآثار الغارقة ، حيث يتم في الغالب تمويل التنقيب الغير مشروع من قبل من يتجر في الآثار دون ترخيص ، وفي الوقت نفسه يشكل المنفذ لتصريف الآثار التي يتحصل عليها بطريق السرقة ، ولذلك فإنه في تقديرنا أن معالجة هذا الخطر لا تتم بالاتجار الحر أو بإلغاء الاتجار بالآثار وإنما باتباع أسلوب الاتجار المقيد بقواعد تنظيمية مفصلة تطبق كذلك على الهواة وجامعي التحف ، حيث إن ذلك يمثل في تقديرنا الباب الخلفي للاتجار في الآثار دون ترخيص .

المطلب الثاني : قواعد الحماية الموضوعية التي تضمنها نظام الآثار الصادر بالمرسوم الملكي رقم م / ٢٦ بتاريخ ١٣٩٢/٦/٢٣هـ لمواجهة الأخطار البشرية على الآثار كما وردت وكما يجب أن تكون :

الطابع العام لهذه القواعد :

أخذت هذه القواعد بالإطار العام الذي أخذت به غالبية أنظمة الآثار في الدول العربية ، وهو ما يشكل خطوة مهمة صوب إصدار قانون موحد للآثار على مستوى جميع الدول العربية ، كذلك أخذ هذا النظام في الحسبان توصيات العديد من المؤتمرات الإقليمية للآثار في نطاق الدول العربية .

خطة المنظم بالنسبة لقواعد الحماية الموضوعية :

من تحليل هذه الخطة ، فإن قواعد الحماية الموضوعية والتي تضمنها نظام الآثار للملكية، يمكن تقسيمها إلى أقسام عدة ، نتناولها فيما يلي بالشرح والتحليل .

القسم الأول : حماية الأثر أو الآثار في مواجهة الحيازة الغير مشروعة :

يندرج في إطار هذا القسم القواعد الموضوعية لمواجهة أشكال الحيازة الغير مشروعة ، وذلك في مختلف أشكالها ، وذلك بتجريم أفعال السرقة للأثر سواء كان مملوكا للدولة أو الأفراد ، الاتجار بالآثار بدون ترخيص ، التصدير أو الشروع في تصدير الآثار بدون ترخيص ، اقتناء آثار غير مسجلة ، وأخيرا نقل الأنقاض أو الأحجار أو الأتربة من مكان أثري بدون ترخيص .

هذا وبالنظر إلى تفاوت الأفعال الجرمية بالنظر إلى جسامتها ، فقد تفاوتت العقوبات المقررة لهذه الأفعال بالتبعية ، ولنا عودة مرة أخرى للتعليق على خطة المنظم بالنظر إلى هذه العقوبات .

القسم الثاني : حماية الأثر أو الآثار الوقائية :

جانب من قواعد الحماية الموضوعية للآثار في المملكة ، تندرج في تقديرنا في مفهوم قواعد الحماية الوقائية ، التي لا تواجه حالة أو حالات عدوان فعلي للأثر المعني ، وإنما تواجه حالة خطرة لم تتطور بعد إلى درجة العدوان الفعلي ، ونموذج هذه القواعد تجريم إجراء التنقيب عن الآثار أو المساعدة عليه أو التحريض عليه دون ترخيص . وكذلك إلزام من عثر على أثر مصادفة الإبلاغ عن ذلك إلى أقرب سلطة إدارية .

القسم الثالث : حماية سلامة الأثر وتكامله ونسبته إلى عصره :

في إطار هذا القسم ، تدخل المنظم من خلال قواعد الحماية الموضوعية بتجريم تشويه الأثر – الزيادة في بناء عقاري – أو البناء على موقع أثري مسجل .

تقييم قواعد الحماية الموضوعية للآثار والتي تضمنها نظام الآثار وذلك لمواجهة أخطار البشرية :

نستعرض فيما يلي أوجه التقييم المختلفة لهذا النظام ، والتي لا تقلل من ريادته للأنظمة المقارنة على الرغم من حداثة العمل الأثري المنظم ، وندرة التطبيقات العملية للعديد من قواعد الحماية الموضوعية .

أولا : من حيث الصياغة :

استخدام النظام أسلوب التعريف في الصياغة في بعض مواده كما في المواد الخاصة بتعريف الآثار الثابتة والمنقولة ، وهو أسلوب مميز خاصة مراحل تطبيق النظام ، ويحكم الحماية الموضوعية لمحل التعريف ، إلا أنه أي النظام استخدم هذا الأسلوب في نطاق ضيق في الوقت الذي حفل فيه بالعديد من المصطلحات التي تتطلب استخدام هذا الأسلوب حيالها وذلك لدرء الالتباس في الفهم أو التطبيق كما في حالة " المناطق الأثرية " و "المواقع الأثرية" و"الأماكن الأثرية" و "تحوير الأثر" و "الأماكن القريبة من المواقع الأثرية والأبنية التاريخية " و"الأحياء القديمة" و "النتائج العلمية لتنقيبات الهيئة أو الجمعية أو البعثة المنقبة" .

ثانياً : من حيث التجريم :

١- لم يتضمن النظام تجريم أفعال التزييف والتزوير للأثر .

٢- لم يتضمن النظام التصرفات الناقلة لملكية الآثار المسجلة دون إخطار جهة الاختصاص .

٣- وكذلك قيام مالك العقار الأثري المسجل بترتيب حقوق للغير خلاف حق الملكية على العقار دون إخطار جهة الاختصاص أو الحصول على موافقتها حسب المقتضى .

٤- تضمن النظام أشكال تشويه الأثر بصياغة تحديد هذه الأشكال ، الأمر الذي يعني أن ارتكاب فعل خلاف ما ذكر لا يعاقب عليه ، ومن ثم فإنه من الملائم أن يكون تحديد هذه الأشكال على سبيل المثال لا الحصر .

٥- لم يتضمن النظام تجريم إعادة طمر الأثر أو الآثار بعد اكتشافها .

٦- كذلك فإن النظام لم يتضمن تجريم كتمان إبلاغ جهة الاختصاص باكتشاف الأثر أو الآثار عقب التنقيب المرخص به .

٧- لم يجرم النظام تغيير استخدام الأثر من قبل مالك العقار أو من له الحيازة .

٨- لم يحدد المشروع المدة التي يجب أن يتم من خلالها إبلاغ السلطات الإدارية بالأثر أو الآثار التي عثر عليها مصادفة بحيث تعد جريمة امتناع عن الإبلاغ بانتهاء هذه المدة .

٩- لم يتضمن النص تجريم الاتجار في الآثار المسروقة أو إخفاء هذه الآثار مع العلم بطبيعتها وعدم شرعية الحصول عليها .

١٠- لم يعالج النظام مسؤولية الأشخاص المعنوية أو الاعتبارية في حالة ارتكاب ما يشكل عدواناً على الأثر .

١١- لم يتضمن النظام معالجة ضبط أثر في حيازة شخص ولم يستطع أن يثبت أنه حصل عليه بطريقة قانونية وبحسن نية .

١٢- لم يعالج النظام حالة استعمال أي أثر أو موقع أثري استعمالاً يحتمل إحداث ضرر له أو تدمير به أو تغيير لمعالمه .

١٣- لم يعالج النظام حالة تقديم أية بيانات أو معلومات كاذبة أو وثائق غير صحيحة وذلك بقصد الحصول على رخصة أو تصريح يتعلق بهذا النظام .

ثالثاً : من حيث العقاب :

١- من الملاحظ بشكل عام أن العقوبات التي تضمنها النظام لا تتفق وجسامة أفعال الاعتداء التي تقع على الأثر ، وبشكل خاص فيما يتعلق بسرقة الأثر الذي يعد ملكية عامة ، حيث تساوى مع الأثر المملوك ملكية خاصة .

٢- إضافة إلى ما تقدم ، فإن عقوبة السرقة حسبما وردت في النظام هي الحبس والغرامة ، ثم يستطرد النص المعني بهذه الجريمة مع استعادة الأثر المسروق ، ويعني المنظم بذلك أن تحكم المحكمة بالرد ، والرد في هذه الحالة لن يكون بمثابة عقوبة. ولم يعالج النظام حالة استحالة رد أو استعادة الأثر محل السرقة لأي سبب .

٣- المصادرة التي ورد النص عليها في المادة (٧٤) من نظام الآثار هي مصادرة إدارية وليست قضائية ، ومع ذلك فإنه لا توجد علاقة بين هذه المصادرة ومخالفة أحكام

المواد (٤٦) - (٥٥) من هذا النظام .

٤- النص العام الذي تضمن عقوبة الحبس من أسبوع إلى شهر وبغرامة من عشرة ريالات إلى مائة ريال والذي يمثل النص الاحتياطي لمعاقبة من يخالف أي حكم من أحكام نظام الآثار (لم يرد نص لعقابه) لا يتناسب مطلقاً مع مخالفات جسيمة لأحكام هذا النص لم يرد نص بتجريمها .

٥- لم يتضمن النظام عقوبة المصادرة لوسائط النقل أو معدات أو أجهزة التنقيب متى استخدمت في ارتكاب مخالفة لأحكام هذا النظام .

٦- لم يعالج النظام حالة تعذر مصادرة الآثار المسروقة أو المهربة أو المنقب عنها بشكل غير مشروع أو عند إتلافها .

٧- لم يتضمن نظام الآثار في المملكة ما يفيد عدم الإخلال بعقوبات أخرى وردت في نظام آخر .

الفصل الثاني

قواعد الحماية الإجرائية للآثار في المملكة

مفهومها :

نعني بها قواعد التنظيم الإجرائي الذي يتصل بسلطة الآثار وباكتشاف الأثر وتنظيم هذا الاكتشاف وتداوله وتسجيله وأحكام التصرف فيه وحراسته وتنظيم العلاقات الدولية فيما يتعلق بالآثار وأخيراً إجراءات الملاحقة والتحقيق والمحاكمة .

خطة المنظم تجاه قواعد الحماية الإجرائية للآثار :

نتتبع هذه الخطة في إطار مفهوم الحماية الإجرائية السالف ذكره ، مع إبداء الرأي بشأن هذه الخطة حسب المقتضى .

أولاً : السلطة الأثرية :

ونعنى بها الجهاز المختص بالدولة والذي منح صلاحية تطبيق نظام الآثار وتعديلاته ، حيث أسند النظام مسؤولية هذا التطبيق إلى دائرة الآثار بوصفها الجهاز التنفيذي وإلى المجلس الأعلى للآثار بوصفه الجهاز الرئاسي أو الإشرافي وفي إطار الهيكل التنظيمي لوزارة المعارف وذلك بالنسبة لدائرة الآثار ، حيث يجمع معالي وزير المعارف بين صفته هذه وصفة رئيس المجلس الأعلى للآثار .في تقديرنا فإن العمل في القطاع الأثري يحتاج إلى العديد من الخبرات المتخصصة في هذا الحقل إضافة إلى إعداد الكوادر الوطنية لتتولى مسؤولية هذا القطاع في مستويات العمل المختلفة كما أن تنامي الاكتشافات الأثرية ومتطلبات ذلك يستوجب رفع الهيكل التنظيمي للسلطة الأثرية إما في داخل وزارة المعارف ذاتها ، أو بتشكيل هيئة للآثار يشرف عليها معالي وزير المعارف على اعتبار أنه الوزير المختص . والإجراء البديل متى تعذر وضع البديل الأول لسبب أو لآخر ، إعادة تشكيل المجلس الأعلى للآثار بحيث يضم في عضويته ممثلا عن وزارة الدفاع والطيران لأن التنقيب الأثري يتصل بشكل أو آخر بصلاحيات الوزارة المعنية من جانب مناطق التنقيب ودخولها في نطاق معسكرات القوات المسلحة أو المنشآت التابعة لها .

وكذلك يضم ممثلاً عن وزارة النفط ، وذلك حتى يتم إجراء عمليات التنقيب الأثري بما لا يتعارض مع عمليات التنقيب عن النفط وتأمين حقوله والتمديدات الخاصة به . وأخيراً ممثلا عن وزارة الخارجية ، بغية متابعة الاتفاقيات الدولية والإقليمية وكذلك أنشطة المنظمات الدولية المتخصصة والتي تدخل الآثار في نطاق اختصاصاتها .

ثانياً : موافقات أو تراخيص السلطة الأثرية :

١- نعني بهذه الموافقات أو التراخيص ، الإجراء النظامي الذي يتطلب المنظم القيام به بصدد عمل أو أكثر وبشكل منسق قبل القيام بالعمل المعني . ومن أهم هذه الموافقات ، موافقة دائرة الآثار على مشروعات التخطيط التي يوجد في نطاقها آثار ، وكذلك موافقتها على رخص البناء والترميم في الأماكن القريبة من المواقع الأثرية والأبنية التاريخية . هذا ومن الملاحظ على صياغة الموافقة الأخيرة قصرها على البناء والتمرير ومن المناسب اتساع صلاحية الموافقة لتشمل التعديلات على المباني القائمة والتي لا تدخل في مفهوم البناء والترميم وكذلك الارتفاعات الخاصة بالمباني الجديدة ابتداء أو الإضافة على المباني القائمة . وكذلك التصرف في المناطق الأثرية والأبنية التاريخية التي ترى ضرورة لتسجيلها ، كما تتطلب هذه الموافقة في حالة نقل الآثار المنقولة المسجلة من مكان إلى آخر إضافة إلى تصديرها خارج البلاد .

٢- ومن القواعد الإجرائية المهمة التي تضمنها النظام محل البحث ما ورد في نص المادة (٢٦) من هذا النظام من التزام مالك أحد الآثار النائية إذا ما أراد أن يتصرف فيه تصرفاً ناقلا للملكية أو يؤول إلى نقلها النص في العقد على أن عقاره مسجل ، وأن يخبر دائرة الآثار بذلك خلال أسبوع واحد من إبرام التصرف . ومن تحليل صياغة هذا النص ، فإننا نرى أنه بحاجة إلى تعديل في الصياغة تعديلا من شأنه إحكام الحماية الإجرائية للأثر المعني وفي الوقت نفسه يمنح سلطة الآثار مرونة في اتخاذ قراراتها بشأن الأثر أو الآثار التي تخضع للنص المذكور . ويهدف هذا التعديل إلى انسحاب التزام المالك على التصرفات الناقلة للملكية بعوض أي مقابل أو بدون مقابل ، وكذلك ترتيب أي حق من حقوق الارتفاق أوالانتفاع حيث يتطلب ذلك موافقة السلطة الأثرية ، أيضاً يهدف هذا التعديل إلى سريان القواعد الإجرائية التي تضمنتها هذه المادة إلى شمولها التصرفات الناقلة للملكية في جزء من الأثر ، وأخيراً

تقرير حق سلطة الآثار المعنية في ممارسة الشفعة ، على أن يسري على المشتري أو من آل إليه العقار الالتزامات التي كان المالك يلتزم بها وفقاً لأحكام هذا النظام .

وبالنسبة للقواعد الإجرائية الخاصة بتراخيص الإنجاز بالآثار ، فإننا نرى إضافة بعض القواعد الإجرائية لأحكام حماية الآثار وبالذات فيما يتعلق بالاتجار بالآثار والتي تعد من الثغرات التي تتسلل من خلالها الآثار إلى الخارج إضافة إلى التنقيب غير المشروع وتصريف الآثار المسروقة وذلك بتضمين القواعد الإجرائية الخاصة بالاتجار بالآثار ، منع تخزين الآثار في الأماكن المنصوص عليها في التراخيص كأن يكون مثلاً محلاً للتجارة ، كذلك تنظيم القواعد الإجرائية في حالة وفاة المرخص له بالمتاجرة بالآثار والتزامات الورثة تجاه سلطة الآثار .

ثالثاً : بالنسبة للقواعد الإجرائية الخاصة بالتحقيق والمحاكمة :

من تحليل هذه القواعد حسبما وردت في نظام الآثار ، فإننا نرى أنه من الأهمية بالنسبة لهذه القواعد ، منح العاملين بالمجلس الأعلى للآثار- وكذلك دائرة الآثار والحراس متى ما استقر الرأي على إلحاقهم بسلطة الآثار منحهم صفة الضبطية القضائية في تطبيق أحكام نظام الآثار وتعديلاته والقرارات الصادرة إضافة إلى رجال الضبط القضائي العام .

وفيما يتعلق بالتحقيق مع المخالفين لنظام الآثار ، فإننا نرى ملاءمة إسناد التحقيق والإدعاء في هذه المخالفات إلى هيئة التحقيق والإدعاء العام لكونها جهة الاختصاص الأصلية استناداً على نظام الهيئة المذكورة .

رابعاً : تدابير الحماية الأمنية :

لم يتضمن نظام الآثار المعني بالبحث قواعد منظمة للحماية الأمنية للآثار ، على الرغم من أهمية وحيوية هذه القواعد ، واكتفى النظام بالتوجيه إلى المحافظة على الآثار والمواقع الأثرية وذلك بواسطة دائرة الآثار بالتعاون مع الأجهزة الأخرى في الدولة كل في اختصاصه . ومفاد ذلك اعتماد دائرة الآثار بالدرجة الأولى على حراسها للقيام بهذه المهمة .

ودون الدخول في تفاصيل هذه التدابير لكونها أي هذه التدابير من موضوعات المحور الخامس من محاور الندوة ، إلا أننا نرى بهذا الشأن وفي إيجاز وعجالة سريعة ضرورة الأخذ

بنظام الشرطة المتخصصة في حماية وتأمين الآثار والمتاحف بوصفها إدارة عامة من الإدارات التابعة لوزارة الداخلية تتبعها مناطق وهذه يتبعها أقسام بحسب جغرافية المملكة والتنظيم الإداري لمناطق المملكة المختلفة تتولى مهام الحماية الأمنية وذلك بالتنسيق مع السلطة الأثرية وأولويات الحماية مع الاستعانة بالحراس الحاليين بعد رفع مستوياتها حتى يتلاءم مع المهام التي يكلفون بها في هذا النطاق .

خامساً : أحكام الحماية الدولية لآثار المملكة :

تدخل أحكام هذه الحماية في جانب القواعد الإجرائية بالمفهوم الذي انتهى إليه الرأي، وليس من المتصور انفراد المنظم الوطني بفرض قواعد هذه الحماية ، إلا من خلال الاتفاقيات الدولية والإقليمية المعنية بهذه الحماية .

هذا وفيما يتعلق باستعادة الآثار المهربة من المملكة ، لكونها من أهم موضوعات الحماية الدولية للآثار ، فقد أخذ المنظم في المملكة بمبدأ أو شرط المعاملة بالمثل ، الذي يعني توفير الأنظمة الأثرية للدول الأجنبية حماية للآثار السعودية حتى يمكن في المقابل تمتعها بحماية نظام الآثار في المملكة . وقصارى القول فإن توفير الحماية الدولية لآثار المملكة ، يتم من خلال الاتفاقيات التي تكون المملكة طرفاً فيها ، أو من خلال تطبيق مبدأ أو شرط المعاملة التي تكون المملكة طرفاً فيها ، أو من خلال تطبيق مبدأ أو شرط المعاملة بالمثل ، ونعني بالدرجة الأولى اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي التي صادقت عليها المملكة ، وكذلك اتفاقية استرداد القطع الأثرية المسروقة والمصدرة بطرق غير مشروعة التي تضفي الصفة الدولية للمطالبة بإعادة القطع الأثرية المسروقة والتي نقلت من إقليم إحدى الدول الموقعة على الاتفاقية، أو على استعادة القطع الأثرية التي نقلت من إقليم إحدى الدول الموقعة على الاتفاقية ، وأخيراً اتفاقية حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح والتي صادقت عليها المملكة . إضافة إلى ما تقدم ، فإننا نرى أهمية التنسيق مع جهاز الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول) لتوفير أقصى درجات الحماية للآثار في المملكة في إطار الاتفاقيات الدولية .

هذا ونقترح بهذا الشأن مبادرة المملكة بعقد اتفاقية إقليمية على مستوى دول مجلس التعاون الخليجي تعنى بتوفير الحماية الموضوعية والإجرائية للآثار في دول المجلس وغيرها

من الموضوعات التي تتصل بهذا المضمار ، إضافة إلى التوسع في عقد الاتفاقيات الثنائية مع الدول الأخرى والتي ترى المملكة ملاءمة عقد هذه الاتفاقيات معها ، حيث تجيز الاتفاقيات الدولية بشأن هذه الآثار عقد مثل هذه الاتفاقيات بحيث تضمن قواعد الحماية الموضوعية والإجرائية للآثار وتزيد عما هو وارد في الاتفاقيات الدولية .

مراجع البحث

١- اتفاقية استرداد القطع الأثرية المسروقة والمصدرة بطرق غير مشروعة

٢- اتفاقية حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح .

٣- اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي .

٤- الوجيز في علم الآثار ، د . علي حسن ط ١٩٨٣م .

٥- كتاب مصر الفرعونية ، د . أحمد فخري ١٩٦١م .

٦- التشريعات الخاصة بحماية الآثار في الدول العربية .

٧- أمن وحراسة المنشآت ، محمد ماهر عبده .

٨- نظام الآثار في المملكة العربية السعودية .

٩- منشورات كل من :

* المركز الدولي لدراسات صون الممتلكات الثقافية وترميمها .

* المجلس الدولي للآثار والمواقع .

* الا تحاد الدولي لصون الطبيعة ومواردها .

* المجلس الدولي للمتاحف .

* اللجنة الدولية لأمن المتاحف .

مطابع دار الهلال للأوفست
الرياض ـ هاتف : ٤٧٣١٥٤٥